

كتاب
الوفاء بالوفاء

تأليف
صلاح الدين خليل بن أيبك البغدادي

تحقيق وإعطاء
أسعد الأرنؤوط
تركي مصطفى

دار أحياء التراث العربی

كِتَابُ الْوَأْفَى بِالْوَفْيَاءِ

تأليف
صَلَح الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ

٧٦٤ هـ

(الجزء الأول)

(مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ - مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)

طالعه

يَحْيَى بْنُ حَجٍّ الشَّافِعِيِّ ابْنِ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ

تَحْقِيقُ وَاعْتِنَاءُ

أَسْمَاءُ الْأَرْشَاوُوطِ - تَرْكِي مُصْطَفَى

وَلَا زِيَادَةَ إِلَّا لِلدَّارِ الْعَرَبِيَّةِ

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

الطبعة الأولى

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

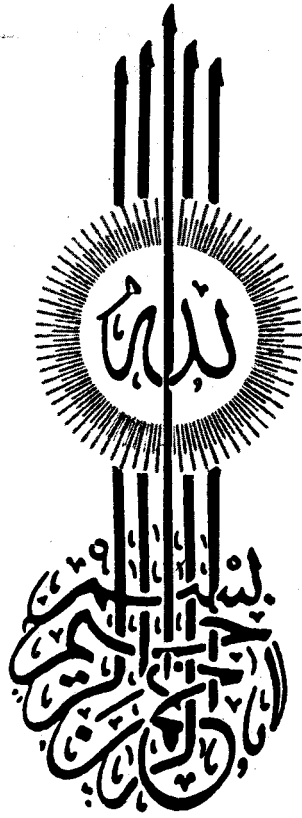
دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٢ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٢ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

مكتاب
الوافي بالوفيات



قالوا في الصَّفدي وكتابه

١ - قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة» (٨٧/٢) ترجمة (١٦٥٤) جمع [أي الصفدي] تاريخه الكبير الذي سماه «الوافي بالوفيات» في نحو ثلاثين مجلدة على حروف المعجم وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه «أعوان النصر في أعيان العصر» في ست مجلدات.

وكان محبباً إلى الناس، حَسَنَ المعاشرة، جميلَ المؤدَّة. وكان في الآخر قد ثَقُلَ سَمْعُهُ وكان قد تصدَّى للإفادة بالجامع، وقد سمع منه من أشياخه الذَّهَبِيِّ، وابن كثير، والحُسَيْنِيِّ وغيرهم.

٢ - وقال الذهبيُّ في حَقِّهِ «الأديب البارِع، الكاتب، شارك في الفنون، وتقدَّم في الإنشاء وجمَعَ وصنَّف».

وقال أيضاً: «سَمِعَ مِنِّي، وسمعت منه، وله تواليف، وكتب، وبلاغة». وقال في «المعجم المختص»: «الإمام العالم... البليغ الكامل طلب العِلْم، وشارك في الفضائل وسادَّ في الرسائل، وقرأ الحديث، وجمَعَ وصنَّف. له تواليف، وكتب وبلاغة.

٣ - وقال الحُسَيْنِيُّ: «كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشَّيْم».

٤ - وقال ابن كثير: «كَتَبَ ما يُقارب مائتين من المجلدات».

٥ - وقال ابن سعد: «كان من بقايا الرؤساء الأخيار، ووُجِدَ بخطه كَتَبْتُ بيدي ما يُقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعلَّ الذي كتبه في الإنشاء ضِعْفاً ذلك».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

توطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٥] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧٦] [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد، فَيُسَرُّ دار إحياء التراث العربي أن تقدم للعالم الإسلامي واحد من أهم كتب التاريخ وتراجم الرجال الذي ألفه علم من علماء الإسلام هو الإمام الأديب، المؤرخ الناطم، الثائر خليل ابن أبيك بن عبد الله الصَّفْدي، أو الصَّفَاء، صلاح الدين (ت ٧٦٤ هـ) المسمى: «الوافي بالوفيات»^(١).

وهذا الكتاب الضخم هو ثروة عظيمة في تراجم الرجال والتاريخ يقع في (٢٩) مجلدة تقريباً ترجم فيه صاحبه لأكثر من (١٢,٠٠٠) ترجمة من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين والملوك والأمراء، والقضاة والعمال والوزراء، والقراء، والمحدثين، والفقهاء والمشايخ، والصلحاء، وأرباب العرفان والأولياء، والنحاة، والأدباء، والكتّاب والشعراء، والأطباء والحكماء، والأولياء، والعقلاء، وأصحاب النحل والبذع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أئقنه الفضلاء، وربّته على حروف المعجم حتى تسهل الاستفادة منه.

وهو أشبه ما يكون بـ«تاريخ الإسلام» للحافظ شمس الدين الذهبي شيخ المؤلف (ت ٧٤٨ هـ)

(١) بدأ بنشر الكتاب المستشرق الألماني هلموت ريتز عام ١٩٣١ ثم س. ديدرينغ بمراجعة الأستاذ الفاضل المرحوم خير الدين الزركلي صاحب «الأعلام» وفضيلة الدكتور الشيخ صلاح الدين المنجد، والدكتور إحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، ويوسف فان إس، وغيرهم وقامت بنشر الكتاب دار النشر فرانز شتاينزشتوتغارت عام ١٩٩١ م. قسم النشر الإسلامية التي أسسها هلموت ريتز بإصدار ألبرت ديترش.

الذي رتبهُ على الوَفَيَات. وقد غَلَبَ على «الوافي» طابع الأدب والنظم وأخبار القضاة والولاة والحكام. من تواريخ ماتت أخبارها، دفعت المؤلف إلى مطالعة أخبار مَنْ تَقَدَّمَ، وإذ التاريخ للزمان مرآة وربما أفاد حَزْماً وَتَحْزِماً، ومَوْعِظَةً وَعِلْماً وَهَيْمَةً تُذْهِبُ هَمًّا، لم يُخَلِّ المؤلف بذكر وفاة أَحَدٍ ممن ترجم له من التاريخ الغابر.

وقد عَبَّرَ المؤلف بنفسه عن أسباب تأليف كتابه فقال بعد حمد الله والصلاة على نبيّه: «جمع المؤرخون رحمهم الله تعالى أخبار تلك الأخبار، ونظموا سلوك تلك الملوك، وأخروا عقود تلك العقول، وصنّأوا فصول تلك الفصول، فوقفتُ على تواريخ ماتت أخبار في جلدِها، ودخلتُ بتسطيرها الذي لا ييلي جَنَّةَ خلدِها.

ووجدت النفس تستروح إلى مطالعة أخبار مَنْ تَقَدَّمَ، ومُراجعة آثار من خرب زَبْعُ عُمره وتهدّم، ومنازعة أحوال من غير في الزمان وما ترك للشعراء من متردّم، إذ هُوَ قَنٌّ لا يَمَلُّ من إثارة دفاين دفاتره، ولا تَبْلُ جِوانح من ألفه إلا بمواطن مواطره، كم من ناظِرٍ اجتنى زهراً ناضراً من أوراقه، وكم من ماهرٍ اقتنى قمراً سافراً بين أزواقه.

وما نحن إلا مثلهم غير أنهم مَضَوْا قَبْلَنَا قُدْماً ونحن على الأثر والتاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة.

لولا أحاديث أبقتها أوائلنا من الندى والردى لم يُعرف السمرُ وما أحسن قول الأَرَجاني.

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش في أوّل الدهرِ وتحسبه قد عاش آخر دهره إلى الحشر أنْ أَبْقَى الجميل من الذكر فقد عاش كل الدهر من كان عالماً كريماً حليماً فاغتنم أطول العُمُرِ

وربما أفاد التاريخ حَزْماً وَعَزْماً، ومَوْعِظَةً وَعِلْماً، وَهَيْمَةً تُذْهِبُ هَمًّا، وَيَبَيِّنُ يَزِيلُ وَهْناً وَوَهْماً، وَجَيِّلاً تثار للأعادي من مكامن المكايِد، وَسُبُلًا لا تعرج بالأُماني إلى أن تقع من المصايب في مصايد، وصبراً يبعثه التأسّي بمن مَضَى، واحتساباً يوجب الرضا مرّاً وحلا من القضا، ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فكم تشبّث من وقف على التواريخ بأذيال مَعَالٍ تنوّعت أجناسها، وتشبّه بمن أخلده خموله إلى الأرض وأصعده سعده إلى السُحَى، لآته أخذ التجارب مَجَانّاً ممن أنفق فيها عُمره، وتجلّت له العبر في مرآة عقله فلم تطفح لها من قلبه جمرة، ولم تسفح لها في خذه عبرة ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

فَأُخْبِيتُ أَنْ أَجْمَعَ من تراجم الأغنياء من هذه الأُمة الوَسَط، وكَمَلَة هذه الملة التي مدّ الله تعالى لها الفضل الأوفى وبسط، ونجباء الزمان وأمجاده، ورؤس كل فضل وأعضاده، وأساطين كل معرك لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب، ممن وقع عليه اختيار تتبعي

واختباري، ولزني إليه اضطرام تَطْلُبِي واضطراري، ما يكون مُتَسَقاً في هذا التأليف درّه، منتشقا من روض هذا التصنيف زهره.

فلا أغادر أحداً من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء، والقضاة والعُمَـال والوزراء، والقُرَّاء والمحدثين والفُقهاء والمُشايخ والصُلحاء، وأزباب العِزفان والأولياء، والنُحاة والأدباء والكتّاب والشُعراء، والأطباء والحُكماء والأليّاء والعُقلاء، وأصحاب النحل والبَدع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن اتقنه من الفضلاء، من كل نجيب مجيد، وليبي مفيد...

طواه الرَدَى طَيّ الرداء وغَيَّبَت فواضله عن قومه وفضايله

فقد دعوتُ الجَلَلَى إلى هذا التأليف، وفتحت أبوابه لمن دخلها بلا تسويغ تسويق ولا تكليم تكليف، وذكرته لمن يجب فتحاً يسره، أو خيراً قرره، أو جوداً أرسله، أو مقالة حرّرتها وعرفها، أو كتاباً وضعه، أو تأليفاً جمعه، أو شِعْراً نظّمه، أو نثراً أحكمه.

ذُكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال

ولم أُخَلْ بذكر وفاة أحد منهم إلا فيما نَدَرَ وَشَدَّ، وانْخَرَطَ في سلك أقرانه وهو فذّ، لأنّي لم اتحقق وفاته، وكم من حاول أمراً فما بلغه وفاته، على أنه قد يجيء في خلال ذلك من لا يُضطر إلى ذكره، ويبدو هجر شوكة بين وصال زهره» انتهى كلام المؤلف^(١).

وقد أفرد الصفدي من تاريخه الكبير هذا أهل عصره في كتاب سماه «أعوان النُضْر في أعيان العصر».

وقد صدر المُؤَلَّف كتابه بمقدمة تعرض فيها لعلم التاريخ: ذكر فيها أقدم التواريخ التي بأيدي الناس، وكيفية كتابة التاريخ، وما يضطر إليه المؤرّخ، وفوائد التاريخ، وذكر شيء من أسماء كتب التواريخ المؤلّفة لمن تقدم من أرباب هذا الفن في تاريخ المشرق، ومصر، والمغرب واليمن والحجاز، فضلاً عن التواريخ الجامعة، وتواريخ الخلفاء، وتواريخ الملوك، والوزراء والعُمَـال والقضاة، والقراء، والعلماء والشُعراء، وتواريخ مختلفة لا شك أنه أي المؤلف نقل عنها.

كما عمَد المؤلف بعد هذا ذكر مقتطفات من السيرة النبوية الشريفة العطرة، تحدّث فيها عن أخلاقه ﷺ ومعجزاته وآياته وغزواته، وحججه وعُمره، وزوجاته وأولاده وبناته وأعمامه وعماته وأمراءه ورسله إلى الملوك. ومواليه، إمامه وخدمته، وحرّسه، وكتّابه، والتّجباء من أصحابه والعشرة المشهود لهم بالجنة، والذين أشبهوه.

ثم تحدّث عن دَوَائِبِهِ وسلاحه وأثوابه وأثائه وهكذا... إلى أن بدأ بتراجم كتابه فبدأ بالمحمد بن تعظيماً للنبي ﷺ وتشريفاً له.

هذا وقد وضعنا وراء هذه الكلمة مقدمة جعلناها في أربعة أقسام:
القسم الأول في ترجمة الإمام الصفدي تُعَرَّفُ به وبمكانته وأقوال العلماء فيه، وتذكر مناقبه ومؤلفاته.

القسم الثاني: وفيه الكلام عن مخطوطات الكتاب.

القسم الثالث: وفيه تبيان منهج المؤلف في كتابه.

القسم الرابع: وفيه تبيان خطة عملنا في الكتاب.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْعَمَلُ خَالِصاً لَوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَانْفَعْ بِهِ عِبَادَكَ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾
﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ رَبَّنَا وَابْتَغِ لَنَا فِيهِ خَيْرَ مَا نَحْنُ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى الْأَكْبَرُ
ونشره وطبعه وحققه، ومثل ذلك لقارئه وحامله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن اتبعهم باحسانٍ إلى يوم الدين.

وكتبه تركي المصطفى

حلب - طلائع

٢٧ رمضان المبارك ١٤١٩ هـ

الموافق ١٤ كانون الثاني يناير ١٩٩٩ م

مقدمة

أولاً: ترجمة المؤلف:

١ - اسمه ونسبه ١١

٢ - مولده ١٢

٣ - نشأته وشيوخه ١٢

٤ - مناصبه ١٣

٥ - كتبه ومؤلفاته ١٣

٦ - مناقبه وأقوال العلماء فيه ١٥

٧ - وفاته ١٦

ثانياً: مخطوطات الكتاب ١٦

ثالثاً: منهج المؤلف في كتابه: ١٧

رابعاً: خطة عملنا في الكتاب: ٢٠

أولاً: ترجمة المؤلف (١)

١ - اسمه ونسبه

هو الإمام الأديب المؤرخ، الناظم النائر الشيخ خليل بن أيّك بن عبد الله الصّفدي أبو الصفاء، الشافعي، صلاح الدين. والصّفدي: بفتحين ومهملة إلى صَفَدَ بالشام كما قال السيوطي في لب اللباب.

- (١) انظر: ١ - «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٥/١٠) ترجمة (١٣٥٢) بتحقيق الحلو.
- ٢ - «البداية والنهاية» لابن كثير (٣٠٣/١٤).
- ٣ - «البداء الطالع» للشوكاني (٢٤٣/١ - ٢٤٤).
- ٤ - «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني (٨٧/٢) ترجمة (١٦٥٤).
- ٥ - «حسن المحاضرة» للسيوطي (٢٦٢/١).
- ٦ - «ذبول العبر» للذهبي (٣٦٤).
- ٧ - «السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي القسم الأول من الجزء الثالث (٨٧).
- ٨ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٢٠٠/٦ - ٢٠١).
- ٩ - «فهرس الفهارس» للكتاني (١١٤ - ١١٥).
- ١٠ - «مفتاح السعادة» لطاش كبري زادة (٢٥٨/١).
- ١١ - «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١٩/١١ - ٢١).
- ١٢ - «آداب اللغة» لزبدان (٢٤١/٣).
- ١٣ - «معجم المطبوعات العربية» لسركيس (٨٣٥).
- ١٤ - «الديباج المذهب» لابن فرحون (١١٥).
- ١٥ - «نيل الابتهاج» للتنبكتي (٩٥).
- ١٦ - «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٣١، ٤٨، ١٢٨، ٣٨٨، ٤٨٨، ٥٩٣، ٦٠٦، ٦٦٧، ٧٢١، ٨٤١، ٩٠٤، ١٠٧٣، ١١٠٧، ١١٢٣، ١٢٧٤، ١٤٨٨، ١٥٣٧، ١٥٤٨، ١٥٨٦، ١٩٩٦).
- ١٧ - «إيضاح المكنون» للبغداد (٢٩١/١، ٢٩٣، ٥٥١)، (٢/٦٧، ٨٣، ٤٤١، ٦٧٨).
- ١٨ - «كتبخانه» عاطف أفندي (١٢٨).
- ١٩ - «وكوبري زاده محمد».
- ٢٠ - «باشا كتبخانه سنده» (٢/٨٦).
- ٢١ - «كتبخانه عاشر أفندي» (٣٨، ٣٩، ٤٥).
- ٢٢ - «نور عثمانية كتبخانه» (٢١٤، ٢٣٨).
- ٢٣ - «فهرست الخديوية» (١٧٣/٥).
- ٢٤ - «فهرس دار الكتب المصرية» (٣/٤٢٠، ٤٢١).
- ٢٥ - «كنوز الأجداد» محمد كرد علي (٣٨٠ - ٣٨٦).
- ٢٦ - «حديقة الأفراح» لأحمد الأنصاري (١٢٩، ١٣٠).

٢ - مولده

وُلِدَ في صفد في فلسطين سنة ست وتسعين وستمائة.

٣ - نشأته وشيوخه

تعلم في دمشق، فعانى صنعة الرسم فَمَهَرَ بها، ثم وَلَعَ بالأدب وتراجم الأعيان وكتب الخط الجيد، وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، فطلب بنفسه وقال الشعر الحسن.

ثم أكثر جدّاً من النظم والنثر والترسل والتواقيع وأخذ عن الشهاب محمود والحافظ فتح الدين وابن سيد الناس وبه تمهّر بالأدب وابن نباتة، وأبي حيان. ونحوهم.

وقرأ على الشيخ الإمام تقي الدين السبكي رحمه الله. كتاب «شفاء السقام في زيادة خير الأنام» عليه أفضل الصلاة والسلام.

٢٧ - «جولة في دور الكتب الأميركية» لكوركيس عوّاد (٨٠).

٢٨ - «مكتبة المجلس النيابي في طهران» لأسعد طلس (٢٤).

٢٩ - «التعريف بالمؤرخين» لعباس العزاوي (١٩٣ - ١٩٦).

٣٠ - «فهرس مخطوطات الموصل» للحلي (٢٠٧).

٣١ - «فهرس المخطوطات المصورة» للطفي عبد البديع (٢٣/٢، ٨٢، ١٦١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤).

٣٢ - «الأعلام» للزركلي (٣١٥/٢ - ٣١٦).

٣٣ - «معجم المؤلفين» لكحالة (١١٤/٤ - ١١٥).

- وانظر المجلات التالية:

٣٤ - «مجلة الرسالة» بالقاهرة لمحمود رزق سليم (١٤٣١/٦ - ١٤٣٤).

٣٥ - «لغة العرب» (٣١١/١، ٣١٢)، (٧٨٧/٩ - ٧٩٠).

٣٦ - مجلة «المجمع العلمي العربي» لمحمد كرد علي (٣٨/١٦، ٣٩).

٣٧ - «مجلة المجمع» للشيخ الدكتور صلاح الدين المنجد (٤٩٠/٢٨، ٤٩٢، ٦٢٩، ٦٣٠).

٣٨ - «مجلة المجمع» لمحمد دهمان (٤٩٦/٣١، ٤٩٧).

٣٩ - «مجلة معهد المخطوطات» للشيخ الدكتور صلاح الدين المنجد (١٠٨/٢ - ١١١).

٤٠ - «مجلة المقتبس» (٧٧٢/٨ - ٧٧٩).

٤١ - «مجلة الندوة» للحبيب الجنحاني السنة (٣)، العدد (١)، الصفحة (٣٦، ٣٨).

- وانظر المصادر الأجنبية التالية:

42 - Krenkow: Encyclopédie de l'islam IV: (54, 56).

43 - Arabic manuscripts in the Princetan 34, Mingana: Catalogue of arabic manuscripts (755 - 747).

44 - De Slane: Catalogue des manuscrits arabes (551, 552).

Ahlwardt:... verzeichniss, der arabischen handschriften VII: 561, 562, 572, 573, IX 342, 344.

45 - Manuscrits arabes de l'Escorial 3: 280.

46 - Brockelmaon g, II: 31 - 33 s, II: 27 - 29.

وسمع بمصر من يُوُسّ الدبوسي ومن معه .
وبدمشق من المِزّي والذهبي وابن كثير والحسيني وجماعة .
وطاف مع الطلبة وكتب الطباقي .

٤ - مناصبه

تولى ديوان الإنشاء في صَفَد ومِصْر وحَلَب، ثم وكالة بيت المال في دمشق .

٥ - كتبه ومؤلفاته

قال السبكي في «الطبقات» «وَصَنَّفَ الكثير في التاريخ والأدب، قال لي [أي قال الإمام الصفدي للسبكي وكانت بينهما صداقة ومرسالة منذ الصغر]^(١) إنه كتب أَزِيدَ من (٦٠٠) ستمائة مجلد تصنيفاً .

١ - جمع «تاريخه الكبير» الذي سماه «الوافي بالوفيات» في نحو ثلاثين مجلدة في التراجم على حروف المعجم، وهو كتابنا الذي بين يديك .

٢ - وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه «أعوان النصر في أعيان العصر» في ست مجلدات .

٣ - وله «شرح لامية العجم» كثير الفوائد واسمه «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» مطبوع يقع في مجلدات .

٤ - و«ألحان السواجع بين المبادئ والمراجع» مجلدان . وهي رسائله لبعض معاصريه رَتَّبَ أسماؤهم على حروف المعجم .

ومن تصانيفه اللطاف:

٥ - «التنبية على التشبيه» .

٦ - و«جَزَّ الذيل في وَصْفِ الخيل» .

٧ - و«توشيح الترشيح» .

٨ - و«كشف الحال في وَصْفِ الخال» .

٩ - و«جنان الجناس» (مطبوع) في الأدب .

١٠ - و«الشعور بالعمور» في تراجم العمور وأخبارهم (مخطوط) .

١١ - و«نكت الهميان» ترجم به فضلاء العميان (مطبوع) .

(١) كان الإمام السبكي قد ساعده في آخر عمره . فولي كتابة الدُّسْت، ثم ساعده، فولي كتابة السِّرِّ بحلب، ثم ساعده، فَحَضَرَ إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدُّسْت . إلى أن مات .

- ١٢ - «التذكرة» (مخطوط) مجموع شعر وأدب وتراجم وأخبار كبير جداً جاء في تعليقات الميمني أن منه أحد عشر جزءاً في مكتبة البساطي بالمدينة (رقم ١٦٥ - ١٧٥ أدب).
 - ١٣ - «نصرة الثائر» (مخطوط) في نقد المثل السائر.
 - ١٤ - «تشنيف السمع في انسكاب الدمع» (مطبوع).
 - ١٥ - «دمعة الباكي».
 - ١٦ - «أعيان العصر» في التراجم (كبير).
 - ١٧ - «منشأته» (جزء).
 - ١٨ - «ديوان الفصحاء» (مخطوط) مجموع في الأدب.
 - ١٩ - «تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون» (مطبوع) وهي غير الرسالة التهكمية التي شرحها ابن نباتة.
 - ٢٠ - «جلوة المذاكر» (مخطوط) في الأدب.
 - ٢١ - «المجارة والمجازاة» (مخطوط).
 - ٢٢ - «فض الختام في التورية والاستخدام» (مخطوط).
 - ٢٣ - «تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب» (مطبوع).
 - ٢٤ - «تصحیح التصحيح وتحرير التحرين» (في اللغة) ورسائل منها.
 - ٢٥ - «الروض الباسم».
 - ٢٦ - «الحسن الصريح في مائة مليح» (مخطوط) بخطه في دار الكتب، وفي نهايتها. إجازة ذكر فيها بعض مؤلفاته (كما في تعليقات أحمد خيرى).
 - ٢٧ - «قهر العابسة بذكر نسب الجراكسة» (مطبوع).
 - ٢٨ - «الوصف والتشبيه» (مخطوط).
 - ٢٩ - «وصف الهلال» (مطبوع).
 - ٣٠ - «وصف الحريق» (مخطوط).
 - ٣١ - «كشف السرّ المُبهم في لزوم ما لا يلزم» (مخطوط) وذكره عبيد.
 - ٣٢ - «غوامض الصحاح» للجوهري (مخطوط) بخطه في الأسكوريال الرقم (١٩٢).
- وله شعر فيه رقة وضعة.

٦ - مناقبه وأقوال العلماء فيه

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر».

«وأول ما رُئيَ كتابة الدرج بِصَفْد. ثم بالقاهرة، وبأشرف كتاب السُّرِّ بِحَلَب وقتاً، والتوقيع بدمشق، ووكالة بيت المال.

وكان محبباً إلى الناس، حسن المعاشرة، جميل المؤدّة، وكان في الآخر قد ثَقُلَ سَمْعُهُ. وكان قد تصدّى للإفادة بالجامع، وقد سمع منه من أشياخه: الذَّهَبِيُّ، وابن كثير، والحُسَيْنِيُّ وغيرهم.

قال الذهبي في حَقِّهِ: «الأديب البارِع، شارك في الفنون، وتقدّم في الإنشاء وجمَعَ وصنَّف».

وقال أيضاً:

«سَمِعَ مِنِّي، وسمعت منه، وله تواليف، وكتب، وبلاغة».

وقال في «المعجم المختص».

«الإمام العالم... البليغ الكامل، طلب العِلْمَ، وشارك في الفضائل وساد في الرسائل، وقرأ الحديث، وجمع وصنَّف، وله تواليف، وكتب وبلاغة.

وقد ترجم له السُّبُكِيُّ في «الطبقات».

وقال الحُسَيْنِيُّ:

«كان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشَّيْم».

وقال ابن كثير: «كُتِبَ ما يُقارب مائتين من المجلدات».

وقال ابن سعد: «كان مِنْ بقايا الرؤساء الأخيار، وَوُجِدَ بخطه: كُتِبَتْ بيدي ما يُقارب خمسمائة مجلدة، قال: ولعلّ الذي كتبه في الإنشاء ضعف ذلك».

وقال ابن رافع: «قرأ بنفسه شيئاً من الحديث، وكتب بعض الطباقي، وقرأ الأدب على شيخنا الشهاب محمود، ولازمه مُدَّة طويلة وكتب عنه الذهبي من شعره، وذكر في «معجمه»، وأنشد عنه ابن رافع عدّة مقاطيع مِنْ نظمه، منها:

بَسَنَهُمْ أَجْفَانِهِ رَمَانِي وَذَبْتُ مِنْ هَجْرِهِ وَبَيْنَهُ

إِنْ مَثُّ مَالِي سِوَاهُ خَضَم لِأَنَّهُ قَاتَلِي بِعَيْنِهِ

قال الشوكاني في «البدر الطالع» وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه، وقد صنَّف ابن نباتة في ذلك مُصَنِّفاً سماه «خبر الشعر المأكول المذموم» وبيّن سرقاته لشعره.

٧ - وفاته:

مات رحمه الله بدمشق قيل - بالطاعون - في ليلة عاشر شوال سنة (٧٦٤ هـ).

ثانياً: مخطوطات الكتاب:

لا توجد في مكتبة واحدة، بل هي مُتَفَرِّقة في مواضع عديدة من بلدان العالم كتركيا (استانبول) ومصر، وأوروبا، وإفريقية.

وقد وجدت بعض الأجزاء مكتوبة بخط المؤلف منها.

١ - نسخة خزانة نور عثمانية رقم (١٣٩١) وهي ناقصة.

٢ - نسخة مكتبة السليمانية (تركيا) رقم (٨٤٠) وهي جيدة قبلت على خط المؤلف مرّتين: أولاً عام (٨٦٩ هـ) ثم (٨٧٣ هـ) وعليها تعليقات بخط الحافظ ابن حجر العسقلاني وكانت من كتب خزانة الأمير يشبك الدوادا الكبير المقتول عام (٨٨٥ هـ) وفي ورقتها الأولى سماعات نُقِلت من خط المؤلف.

٣ - نسخة شهيد علي باشا رقم (١٩٦٤) وهي تشتمل على الجزء الأول والثاني من الكتاب.

٤ - نسخة وحيدة في خزانة السراي (استانبول) تحت رقم (٢٩٢٠) نقع في (١٩٥) ورقة.

أما كتاب الصَّفْدي المسمى «أعيان العُصر وأعيان النُّصر» الذي ترجم فيه المؤلف لأبناء عصره وأعيان قُرْبِهِ، فقد أوردَ في «الوافي» تراجم بعض رجاله ونُسَخه في استانبول (تركيا) بعضها مكتوبة بيد المؤلف.

هذا وقد حصلنا على نسخة خطية للكتاب، فيها القسم غير المطبوع حتى الآن، ونحن نعمل على تحقيقه وإصداره للملّة الأولى بإذن الله.

ثالثاً: منهج المؤلف في كتابه:

يعتبر هذا الكتاب دائرة معارف تاريخية، حوى بين دفتيه عدداً ضخماً من التراجم وهو أشبه ما يكون بما يعرف في عصرنا في وسائل الإعلام المعاصر (بملف توثيقي) جامع شامل، جمع فيه تراجم الأعلام من كل صنف دون تفريق بينهم في العصور أو الأمصار ممن وقع اختياره عليه من الملوك والقادة والمشايخ والقضاة، وأعيان كل فن ممن اشتهر به منسوقة وفق ترتيب حروف المعجم.

والكتاب حافل بمصادر متنوعة تعتبر صورة حية لقرائح العلماء تبين لنا أسماء كتبهم ومؤلفاتهم وتروي من خلالها أخبارهم الأدبية والتاريخية والسياسية والحديثية والفقهية، وتعود أهمية كتاب «الوافي» إلى مميزاته الجامعة لما قبله وشموليته النوعية والمكانية.

ومن مزايا هذا الكتاب، أن مؤلفه كان شاهد عيان لبعض الأحداث التي سردها عن أخبار

بعض الشخصيات التي عاصرها، إضافة إلى أنه شغل مناصب هامة في الدولة المملوكية.

وهو من الرجال الذين لعبوا دوراً سياسياً وعلمياً وأدبياً في هذا العصر، إذ كثيراً ما يستقي معلوماته مباشرة ممن يترجم له. أو ممن كان يعرفه أو له صلة به، أو من معلومات شفوية من أصحاب خبرة وإطلاع أو من مصادر ومطآن رسمية حكومية بحكم المناصب التي تولاها وساعدته في الوصول إلى معلومات قد تكون سرية لا يطالها غيره من مؤرخي عصره، ولذلك فقد اعتمدت كتبه مصادر يستقي منها الأخبار الصحاح شيوخ المؤرخين في العصر المملوكي، كالمقريزي الذي كان يأخذ عن الصفدي ويقول: (قال شيخنا الصفدي...).

أما عندما يؤرخ العصور السالفة، فإنه يذكر في كثير من الأحيان المصدر الذي نقل عنه الخبر أو الحادث أو الترجمة.

وكان أحياناً يقتبس النص بكامله، وأخرى يختصره أو يزيد عليه، وكان اعتماد الصلاح الصفدي في كتابه هذا على شيوخ المؤرخين الثقة الذين سبقوه، واستقى من مؤلفاتهم أخباره، وكان في طليعتهم:

- أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) وكتابه «الأغاني».
- ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) وكتابه «الأنموذج».
- ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) وبخاصة كتابه «الاستيعاب».
- العماد الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) وكتابه «خريدة القصر».
- ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) وكتابه «ذيل على تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
- شهاب الدين القوسي (ت ٦٥٣ هـ) وكتابه «معجم الشيوخ».
- أثر الدين أبو حيان النحوي (ت ٦٥٤ هـ) وكتابه «مجانى العصر في أعيان العصر».
- ابن الأتبار (ت ٦٥٨ هـ) وكتابه «تحفة القادِم».
- ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨ هـ) وكتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء».
- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) وبخاصة كتابه «وفيات الأعيان».
- الأدفوي (ت ٧٤٨ هـ) وكتابه «الطالع السعيد».
- الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) وخاصة كتابه «تاريخ الإسلام»^(١) الذي لم يتفح من كتاب كما انتفع منه، كما قال في مقدمة هذا الكتاب.

ناهيك عن المؤرخين القدامى الذين سبقوا عصره بعصور وقرون، فقد أخذ عن الطبري وابن هشام في السيرة النبوية، وابن عساكر والواقدي والبلاذري وغيرهم وهم كثر، ومصادره التي أخذ

منها أكثر من أن تحصى^(١).

وقد غلب عليه الأسلوب الأدبي في السرد والإسهاب في الخبر، ورواية الحوادث، وتراجم الرجال، وتميز أيضاً باعتماده على الجنس والإكثار من استعماله.

ويلاحظ أيضاً، أنه يطيل الترجمة أو يقصرها حسب أهمية صاحب الترجمة، فأحياناً نجد ترجمة قد شغلت عشر صفحات بل أكثر، وتارة أخرى، لا تتجاوز الترجمة ثلاثة أسطر أو أقل. يذكر غالباً، تاريخ وفاة كل من ترجم له، أما الولادة فلا يذكرها إلا نادراً.

رابعاً: عملنا في الكتاب:

كان عملنا في الكتاب الرجوع إلى المطبوع منه بتحقيق ثلثة من الأساتذة الأفاضل، فوجدنا فيه أخطاء وتصحيحات مع جهودهم الكبيرة المشكورة جزاهم الله خيراً، فقمنا بتصحيح تلك الأخطاء، وبيان التصحيحات، واستحضرنا كتاب «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي بتحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري الذي كان أهم مصادر الصفيدي في كتابه هذا، وهو ما لم يعتمد عليه محققو هذا السفر الكبير، ونظراً لكثرة مصادر ومراجع التحقيق وتشابه أسماء الكتب اضطررنا لوضع اسم مؤلف كل كتاب أمامه حتى لا يختلط الأمر على المطالع.

مثاله: كتاب «الكامل» فهناك ثلاثة كتب بهذا العنوان:

«الكامل في التاريخ» لابن الأثير، و«الكامل في اللغة والأدب» للمبرد، و«الكامل في الضعفاء» لابن عدي.

و«العلل»، وهناك: «علل» ابن المديني، و«علل» الرازي، و«علل» الدارقطني.

و«التاج»، وهناك ثلاثة «التاج المكلل» للقنوجي، و«تاج العروس» للزبيدي، و«تاج التراجم» لابن قطلوبغا وهكذا...

- قمنا بتخريج الآيات القرآنية من المصحف الشريف.

- قمنا بتخريج الأحاديث الواردة في الكتاب ما أمكننا.

- عزونا الآيات الشعرية إلى مظانها من الدواوين.

- ضبطنا غريب الألفاظ والأعلام والأنساب والأماكن والبلدان وذلك بالرجوع للمصادر المختصة.

- وضعنا في نهاية كل مجلد فهرساً مساعداً.

ويطيب لي أن أتقدم إلى شكر العديدين من الأساتذة والأصدقاء ممن أدين لهم بالشكر والعرفان لما قدّموه لي من وجوه المساعدة في إنجاز هذا الكتاب وهم لا يبتغون إلا وجه الله.

(١) وقد قام بتحقيق هذا الكتاب فضيلة الدكتور عمر عبد السلام تدمري وصدر عن دار الكتاب العربي ببيروت (١).

وقد ساهموا في متابعة هذا العمل في خطواته جميعها من بدايته حتى طباعته، وكانوا حاضرين دائماً للإجابة على ما لدي من استفسارات، جزاهم الله خيراً.

كذلك أود أن أشكر الأستاذ المحامي عبد الكريم جميل العيسى الذي حبّب إلي هذا الفن، وغرس فيّ حبّ تراث الأمة، فكان عوناً لي في تجاوز الصعاب فأليه خالص شكري وصافي عرفاني.

وأوجه شكري إلى أستاذي الكبير رامز مصطفى دندي الذي غمرني بالطفاه، ووقف بجاني في ساعات العسر، لذا فأنا مدين له بعملية إنجاز هذا الكتاب، فأليه تحية التقدير والعرفان.

والشكر نفسه أوجهه إلى الأساتذة الدكتور علي أحمد والأستاذ عبد الله محمد علي، ونجدة نجيب، و خليل حنوش، ومحمد أيمن حمادة، وأحمد حمادة، ومحمد راشد المحميد، ونجلاء اسكيف الذين قرأوا معي التجارب الطباعية الأولى لهذا الكتاب.

وأخيراً أوجه جزيل الامتنان والشكر إلى مدير دار إحياء التراث العربي الأستاذ الحاج مصطفى فولادكار وابنه محمد اللذان كانا عوناً دائماً لي في هذا العمل، فأليهما مني تحية التقدير والعرفان.

والحمد لله وحده، وبه قوتي وثقتي، إليه الرجاء وبيده النعماء.

وكتبه تركي فرحان المصطفى

حلب - طلافح

٢٧ رمضان المبارك ١٤١٩ هـ

الموافق ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩ م

كِتَابُ
الْوَأْفَى بِالْوَفَايَا

تأليف
صَلَّاحُ الدِّينِ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ

١٦٦٥

(جزء الأول)

(مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ - مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ)

طالعه

يَحْيَى بْنُ حَجَّسٍ الشَّافِعِيُّ ابْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِيِّ كَتَبَهُ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ

تَحْقِيقُ وَاعْتِنَاءُ

أَمْدُ الْأَرْكَانِ وَوُطْ - تَرْكِي مُصْطَفَى

وَلَارِ إِيْمَاءُ الدَّلَالَةِ الْعَرَبِيَّةِ

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الصفدي

عونك اللهم وعفوك

الحمد لله الذي قهر العباد بالموت، ونادى بالفناء في فئانهم فانهل في كل بقعة صوب ذلك الصوت، وأسمع كل حي نسخة وجوده فلم يخل أحدهم من فوت، نحمده على نعمه التي جعلت بصائرنا تجول في مرآة العبر، وتقف بمشاهدة الآثار على أحوال من غبر، وتعلم بمن تقدم أن من تأخر يشاركه في العدم كما اشترك في الرفع المبتدأ والخير، ونشكره على مننه التي جلّت لما جلّت الضراء بمواقعها، وحلّت عن وجوه حسانها بإحسانها معاهد براقعها، وحلّت غمام جودها على رياض عقولنا فأضحت:

كأن صغرى وكبرى من فواقعها^(١)

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُقرّ له بالبقاء السرمد، وتُجرّد من التوحيد سيوفاً لم تزل في مفارق أهل الشرك تغمد، وتبعث لنا في ظلمات اللحد أنواراً لا تخبو أشعتها ولا تخمد، ونشهد أن محمداً سيدنا عبده ورسوله الذي أنذر به القوم اللذ، ونصره بالرعب فقام له مقام المثقفة المُلد، وأنزل عليه في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِيَشْرَ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين خفقت بهم عذبات الإسلام، ونُشرت أعلام علمهم حتى استبان للهدى أعلام، واتضحت بهم غرر الزمن حتى انقضت مُدّهم فكأنها وكأنهم أحلام، صلاة لا تغيب من سماء روضها مجرة نهر، ولا تسقط من أنامل غصونها خواتم زهر، ما راح طائر كل حيّ وهو على حياض المنون حائم، وأشبّهت الحياة وإن طال أمدها حلم نائم، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد فلما كانت هذه الأمة المرحومة، والملة التي أُمست أخبارها بمسك الظلام على كافور الصباح مرقومة، خير أمة أخرجت للناس، وأشرف ملة أبطل فضلها المنصوص من غيرها قواعد القياس، علماؤها كأنبياء بني إسرائيل^(٢)، وأمرأؤها كملوك فارس في التنويه والتنويل، وفضلاؤها آربوا على حكماء الهند واليونان في التعليم والتعليل، كم فيهم من فرد جَمع المفاخر، وكاثرت مناقبه البحور الزواخر، وغدا في الأوائل وهو إمام فات سوابق الأواخر:

(١) مصراع بيت، وهو لأبي نواس (الحسن بن هاني) في ديوانه (ص ١٣٢)؛ و«شرح لامية العجم» للصفدي (١/ ٢٨٤). ولهذا البيت حكاية أدبية مذكورة في «حلية الكميّ» (ص ٤٣).

(٢) واشتهر حديث بلفظ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل». انظر: «كشف الخفا» للعجلوني رقم (١٧٤٤) (٢/ ٨٣). قال السيوطي في «الدرر»: لا أصل له.

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل بملتئمت لا يرى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع لذي إربة في القول جذاً ولا هزلاً^(١)
وكم أتى فيهم من كحلت مراود رماحه عيون النجوم، وتوقل حصوناً لم يكن للكواكب
فيها ولوج ولا لطيف العدى هجوم، وضّم عسكره المجرور كل فتح أصبح العدو به وهو
مجزوم :

من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحدّ ضيق
إلى غير ذلك ممن شارك الأوائل في العلوم الدقيقة، واتخذ إليها مجازاً أذاه فيها إلى
الحقيقة، واستنتج من مقدماتهم بنات فكر لم يرّض جواهرهم لها عقيقة.
جمع المؤرخون رحمهم الله تعالى أخبار تلك الأحبار ونظموا سلوك تلك الملوك وأحرزوا
عقود تلك العقول، وصانوا فصوص تلك الفصول، فوقفت على تواريخ ماتت أخبارها في
جلدها، ودخلت بتسطيرها الذي لا يلبى جنة خلدها [الكامل]:
ورأيث كلاً ما يعلل نفسه بتعلة وإلى الممات يصير^(٢)

ووجدت النفس تستروح إلى مطالعة أخبار من تقدم، ومراجعة آثار من خرب زرع عمره
وتهدم، ومنازعة أحوال من غبر في الزمان وما ترك للشعراء من متردّم، إذ هو فن لا يملّ من إثارة
دقائق دفاتره، ولا تبّل جوانح من ألفه إلا بمواطن مواطره، كم من ناظر اجتنى زهراً ناضراً من
أوراقه، وكم من ماهر اقتنى قمراً سافراً بين أزواقه، لأن المطلع على أخبار من درج، ووقائع من
غاب في غاب الموت وما خرج، ومآثر من رقا إلى سماء السيادة وعرج، ومناقب من ضاق عليه
خناق الشدة إلى أن فتح له باب الفرج، يعود كأنه عاصر أولئك، وجلس معهم على نمارق الأسرة
واتكأ بينهم على وسائد الأرائك، واستجلى أعمار وجوههم إما في هالات الطيالس أو في دارات
التراثك، وشاهد من أشرارهم شر الشياطين وفصّل له فضل أختيارهم في ملأ الملاثك، وعاطاهم
سلافة عصرهم في عصرهم السالف، ورآهم في معاركهم يتشقون رياحين السيوف ويستظلون القنا
الرافع، فكأنما أولئك القوم لداته وأترابه، ومن ساءه منهم أعداؤه ومن سرّه أحبابه، لكنهم درجوا
في الطليعة من قبله، وأتى هو في الساقة على مهله [الطويل]:

وما نحن إلّا مثلهم غير أنهم مَضَوْا قبلنا قِدماً ونحن على الأثر
والتاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن
عافر الهموم ملهاة [البسيط]:

لولا أحاديث أبقاها أوائلنا من الندى والردي لم يُعرف السمر

(١) البتآن لحسان بن ثابت يمدح بهما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يرثي بها محمد بن إسحاق التتوخي، وأولها:

إنني لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور

وما أحسن قول الأرجاني^(١) [البسيط]:

إذا عرفَ الإنسانُ أخبارَ مَنْ مضَى توهُمَتُهُ قد عاشَ في أوَّلِ الدَّهْرِ
وتَحَسَّبُهُ قد عاشَ آخِرَ دهره إلى الحشرِ إنْ أبقيَ الجميلُ من الذِّكرِ
فقد عاشَ كلُّ الدهرِ مَنْ كانَ عالماً كريماً حليماً فاغتنمَ أطولَ العُمُرِ

وربما أفاد التاريخ حزمًا وعزمًا، وموعظةً وعلمًا، وهمةً تُذهب همًا، وبيانًا يزيل وهنًا، ووهما، وحيلاً تثار للأعادي من مكامن المكائد، وسُبُلًا لا تعرج بالأماني إلى أن تقع من المصائب في مصائد، وصبراً يبعثه التأسي بمن مضى، واحتساباً يوجب الرضا بما مرّ وحلا من القضا، ﴿وَكَلَّا نَقْصُصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فكم تشبّت من وقف على التواريخ بأذيال معالٍ تنوّعت أجناسها، وتشبّه بمن أخلده خموله إلى الأرض وأصعده سعده إلى السُهي، لأنّه أخذ التجارب مجّاناً ممن أنفق فيها عُمُرهُ، وتجلّت له العبر في مرآة عقله فلم تطفح لها من قلبه جمرة، ولم تسفح لها في خذه عِبرة، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

فأحببت أن أجمع من تراجم الأعيان من هذه الأمة الوُسَط، وكَمَلَة هذه الملة التي مدّ الله تعالى لها الفضل الأوفى وبسط، ونجباء الزمان وأمجاد، ورؤوس كل فضل وأعضاده، وأساطين كل علم وأوتاده، وأبطال كل ملحمة وشجعان كل حرب، وفرسان كل معرك لا يسلمون من الطعن ولا يخرجون عن الضرب، ممن وقع عليه اختيار تتبّعي واختباري، ولزّني إليه اضطرام تطلّبي واضطراري، ما يكون متسقاً في هذا التأليف دُرّه، متشققاً من روض هذا التصنيف زَهْرُهُ، فلا أغادر أحداً من الخلفاء الراشدين، وأعيان الصحابة والتابعين، والملوك والأمراء، والقضاة والعمال والوزراء، والقراء والمحدثين والفقهاء والمشايخ والصلحاء، وأرباب العرفان والأولياء، والنحاة والأدباء والكتاب والشعراء، والأطباء والحكماء والألباء والعقلاء، وأصحاب النحل والبدع والآراء، وأعيان كل فن اشتهر ممن أتقنه من الفضلاء، من كل نجيب مجيد، ولبيب مفيد [الطويل]:

طواه الرّدى طيّ الرّداء وغيّبت فواضله عن قومه وفضائله

فقد دعوتُ الجَفَلَى^(٢) إلى هذا التأليف، وفتحت أبوابه لمن دخلها بلا تسويغ تسويق ولا تكليم تكليف، وذكرته لمن يجب فتحاً يسره، أو خيراً قرّره، أو جوداً أرسله، أو رأياً أعمله، أو حسنة أسداها، أو سيئة أبداها، أو بدعة ستها وزخرفها، أو مقالة حرّرتها وعرفها، أو كتاباً وضعه، أو تأليفاً جمعه، أو شعراً نظمته، أو نثراً أحكمته [البسيط]:

(١) نسبة إلى أرجان: بلد في كور الأهواز من بلاد خوزستان. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (١/ ١٢٠).
(٢) الجَفَلَى - دعاهم الجفلى، أي: لجماعتهم وعامتهم. ويقابلها الثُقْرى، وهي الدعوة الخاصة ببعض الناس، وقال طرفة بن العبد:

نحنُ في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقز

ذَكَرَ الْفَتَى عَمْرَهُ الثَّانِي وَحَاجَتَهُ مَا فَاتَهُ وَفَضُولَ الْعَيْشِ أَشْغَالًا^(١)

لَمْ أُجَلِّ بِذِكْرِ وَفَاةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا فِيمَا نَدَرَ وَشَدَّ، وَانْخَرَطَ فِي سَلَكِ أَقْرَانِهِ وَهُوَ فَذٌّ، لِأَنِّي لَمْ أَتَحَقَّقْ وَفَاتَهُ، وَكَمْ مِنْ حَاوِلٍ أَمْرًا فَمَا بَلَغَهُ وَقَاتَهُ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَجِيءُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنْ لَا يُضْطَرُّ إِلَى ذِكْرِهِ، وَيَبْدُو هَجْرَ شَوْكِهِ بَيْنَ وَصَالِ زَهْرِهِ.

قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَا يَصِلُ أَحَدٌ مِنَ النُّحُوِّ إِلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةٍ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ». قُلْتُ فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ لِأَنَّ الْمُتَوَقِّفَ وَجُودَهُ عَلَى وَجُودِ شَيْءٍ آخَرَ مُتَوَقِّفٌ عَلَى وَجُودِ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَهَكَذَا كُلُّ عِلْمٍ لَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ إِتْقَانَهُ إِلَّا بَعْدَ تَحْصِيلِ مَا لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَيْهِ. فَقَدْ أَذْكَرَ فِي كِتَابِي هَذَا مِنْ لَا لَهُ مِزْيَةٌ، وَجُعِلَتْ أَصْبَعُ الْقَلَمِ مِنْ ذِكْرِهِ تَحْتَ رِزَّةٍ رِزْيَةٍ، غَيْرَ أَنَّ لَهُ مَجْرَدَ رَوَايَةٍ، عَنِ الْمَعَارِفِ مُتَفَرِّدَةٍ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ دَرَايَةٌ حَمَائِمُهَا عَلَى غُصُونِ النُّقْلِ مَغْرَدَةً [الْبَسِيطُ]:

وَالْأَيْكَ مُشْتَبِهَاتٍ فِي مَنَابِتِهَا وَإِنَّمَا يَقَعُ التَّفْضِيلُ فِي الثَّمَرِ^(٢)

وَلَكِنْ أَرَدْتُ النِّفْعَ بِهِ لِلْمَحَدِّثِ وَالْأَدِيبِ، وَالرَّغْبَةَ فِيهِ لِلْبَيْتِ وَالْأَرِيبِ وَجَعَلْتُ تَرْتِيهِ عَلَى الْحُرُوفِ وَتَبْوِيهِهِ، وَتَذْهِيبَ وَضْعِهِ بِذَلِكَ وَتَهْذِيبِهِ، عَلَى أَنِّي ابْتَدَأْتُ بِذِكْرِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذْ هُوَ الَّذِي أَتَى بِهَذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ وَسَرَّاجِهِ وَهَاجٍ، وَصَاحِبِ التَّنْبِيهِ عَلَى هَذِهِ الشَّرْعَةِ وَالْمَنْهَاجِ، فَأَذْكَرُ تَرْجَمَتَهُ مُخْتَصَرًا، وَأُسَرِّدُ أَمْرَهُ مُقْتَصِرًا، لِأَنَّ النَّاسَ قَدْ صَنَقُوا الْمَغَازِي وَالسِّيَرِ، وَأَطَالُوا الْخُبْرَ فِيهَا كَمَا أَطَابُوا الْخَبَرَ، وَمُلِّئْتُ لَهَا مِلَّتَ بِشَمَائِلِهِ مَهَارِقَ^(٣) التَّوَالِيفِ، وَرَفَعْتُ لَهَا وَضَعْتَ تِيْجَانَهَا عَلَى مَفَارِقِ التَّصَانِيفِ فَأَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ فِي الْمَغَازِي: عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثُمَّ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، ثُمَّ فِي السِّيَرِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَرَوَاهَا عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ مَنْ زَادَ وَمَنْ نَقَصَ فَمِنْهُمْ: زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ شَيْخُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ مُخْتَصِرُ السِّيَرَةِ، وَسَلْمَةُ بْنُ الْفَضْلِ الْأَبْرَشُ وَمُحَمَّدُ بْنُ سَلْمَةَ الْحَرَّانِيُّ وَيُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ الْكُوفِيُّ. وَعَمِلَ أَبُو الْقَاسِمِ السَّهْلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَ الرُّوضِ الْأَنْفِ فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهَا، وَوَضَعَ عَلَيْهِ شَيْخُنَا الْإِمَامُ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ كِتَابًا سَمَّاهُ بَلْبِلُ الرُّوضِ، وَفِي الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ سِيَرَةُ مَطْوَلَةٌ ثُمَّ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِأَبِي زُرْعَةَ الرَّازِي شَيْخُ مُسْلِمٍ ثُمَّ دَلَائِلُ السَّرْقِطِيِّ ثُمَّ دَلَائِلُ الْحَافِظِ أَبِي نَعِيمٍ فِي سَيَفَرَيْنِ ثُمَّ دَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلنَّقَاشِ صَاحِبِ التَّفْسِيرِ وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ لِلطَّبْرَانِيِّ وَدَلَائِلُ أَبِي ذَرٍّ الْمَالِكِيِّ ثُمَّ دَلَائِلُ الْإِمَامِ الْبَيْهَقِيِّ فِي سِتَّةِ أَسْفَارٍ كِبَارٍ فَأَجَادَ مَا شَاءَ وَأَعْلَامُ النُّبُوَّةِ لِأَبِي الْمَطَّرِفِ قَاضِي الْجَمَاعَةِ وَأَعْلَامُ النُّبُوَّةِ لِابْنِ قَتِيْبَةِ اللَّغَوِيِّ وَمَنْ أَصْغَرَ مَا صَنَّفَ فِي ذَلِكَ جُزْءٌ لَطِيفٌ لِابْنِ فَارَسٍ صَاحِبِ الْمَجْمَلِ فِي اللُّغَةِ وَكِتَابُ الشَّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَتَبْتَهُ بِخَطِّي^(٤) وَقَرَأْتُهُ عَلَى

(١) الْبَيْتُ لِلْمُتَنَبِّيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا أَبَا شَجَاعٍ فَاتَكَأَ الْكَبِيرُ:

ذَكَرُ الْفَتَى عَمْرَهُ الثَّانِي وَحَاجَتَهُ مَا فَاتَهُ وَفَضُولَ الْعَيْشِ أَشْغَالًا

(٢) الْبَيْتُ لِلْمَعْرِيِّ، هَكَذَا نَسَبَهُ فِي «لَامِيَةِ الْعَجَمِ» (٣٠٢/٢).

(٣) الْمَهَارِقُ: الْأَوْرَاقُ الَّتِي يُكْتَبُ فِيهَا.

(٤) سَيَذْكَرُ الْمُؤَلِّفُ سَنَدَهُ بِرَوَايَةِ «الشَّمَائِلِ» إِلَى مُؤَلِّفِهِ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ (مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ سُوْرَةَ).

شيخنا الحافظ جمال الدين المزّي والشمائل للحافظ المستغفري النسفي وكتاب صفة النبي ﷺ للقاضي أبي البختري وكتاب الأخلاق للقاضي إسماعيل المالكي وكتاب الشفا للقاضي عياض والوفاء لابن الجوزي في مجلدين والاقتفاء لابن مثير خطيب الإسكندرية ونظم الدرر لابن عبد البر وسيرة ابن حزم وحنة الوداع فأجاد فيها وسيرة الشيخ شرف الدين الدمياطي وسيرة الحافظ عبد الغني مختصرة وعيون الأثر في المغازي والشمائل والسير لشيخنا الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس ورويتها عنه سمعاً لبعضها من لفظه وإجازة لعامتها وله سيرة أخرى مختصرة سمعتها من لفظه ولشيخنا الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي في أول تاريخ الإسلام مجلد في المغازي ومجلد في السيرة قرأتها عليه وفي تاريخ ابن جرير في الأيام النبوية جملة من ذلك ولابن عساكر في صدر تاريخه لدمشق جزء كبير، ولابن أبي شيبه في مصنفه فيما يتعلق بذلك نفس طويل هذا إلى ما في الكتب الصحاح الستة من ذكر شمائله ومغازيه وسيره [الوافر]:

ويبقى ضعيف ما قد قيل فيه إذا لم يترك أحد مقالاً

وقد أتيت في الترجمة النبوية بما لا غنى عن عرفانه، ولا يسع الفاضل غير الاطلاع على بديع معانيه وبيانه، وسردت ذكر من جاء بعده من المحمدين إلى عصري، وأبناء زماني الذين أئيع زهرهم في روض دهري، ثم أذكر الباقي من حرف الألف إلى الياء على توالي الحروف، وأتيت في كل حرف بمن جاء فيه من الآحاد والعشرات والمئين والألوف، بشرط أن لا أدع كُميت^(١) القلم يمرح في ميدان طُرسه^(٢) إذا أجرته رسنه^(٣)، ولا أكون إلا من «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه» [الزمر: ١٨]، ولا أغدو إلا ممن يلغي السيئة ويذكر الحسنة [مجزوء الكامل]:

لا خير في حشو الكلا م إذا اهتديت إلى عيونه

الهمم إلا إن كان للقول مجال ومجاز، ولم يُرخ دون الإطالة حجاب ولا حجاز، فقد رأيت كثيراً ممن تصدى لذلك أتى في كتابه بفضول كثيرة، وفصول لا تضطجع المنافع منها على فرش وثيرة، ونقول ليست مثيبة للواقف ولا للفوائد مثيرة [الخفيف]:

إن بعض القريض منه هُذاء ليس شيئاً وبعضه أخكام
منه ما يُجلب البراعة والفض ل ومنه ما يجلب البرسام

وقد قدّمت قبل ذلك مقدمة فيها فصول فوائدها مهمة، وقواعدها يملك الفاضل بها من الإثقان أزمة، تتنوع الإفادة فيها كما تنوع الإعراب في «كَمْ عَمَّة»^(٤)، وينال بها المتأدّب ما ناله أبو

(١) الكُميت: من الخيل (للمذكر والمؤنث): ما كان لونه بين الأسود والأحمر.

(٢) الطرس: الصحيفة.

(٣) الرسن: الخبل تُقَاد به الدابة، ويعني المؤلف بهذه العبارة أنه لا يعطي لقلمه العنان ليكتب، فيسبح في بحر الخيال، لذا فهو يتحرى الحقائق في الواقعات كما حدثت.

(٤) إشارة إلى بيت الفرزدق في هجاء جرير وهو قوله [الكامل]:

كَمْ عَمَّة لَكَ يَا جَرِيرٌ وَخَالَةٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي =

مسلم من الحزم وعلو الهمة، ويهيم بها فكره كما هام بمية ذو الرمة ويبدو له من محاسنها ما بدا من جمال رَيا للصِّمة، ثم إني أعقد لكل اسم باباً ينقسم إلى فصول بعدد حروف المعجم تتعلق الحروف في الفصول بأوائل أسماء الآباء، ليتنزل كل واحد في موضعه، ويُشرق كل نجم في هذا الأفق من مطلعته، فلا يعدو أحدهم مكانه، ولا يرفع هذا تَمْسُكُ تَنَسُّكٍ ولا يخفِضُ ذاك جناية خيانة، ولا يتأخر هذا لمهابط مهانة، ولا يتقدم ذاك لمكارم مكانة، وقد سمّيته «الوافي بالوفيات» ومن الله تعالى أطلب الإغاثة بالإعانة، وأستمد منه التوفيق لطريق الإنابة والإبانة، وأستعينه على زمان غلبت فيه الزمانة^(١)، لا رب غيره يُتَوَلَّى العبدَ مُناه وأمانه، ولا إله إلا هو سبحانه، هو حسبي ونعم الوكيل.



= ويششهد به النحاة على جواز الابتداء بالنكرة إذا وقعت بعد «كم» الخبرية.

كم عمة: كم: مبتدأ، عمة: تمييز لها (مضاف إليه). أو مجرورة بمن مقدرة، أي كم من عمة.

كم عمة: كم استفهامية، (عمة) تمييز.

كم عمة: خبرية في محل نصب على الظرفية أو المصدرية ومميزها محذوف مجرور، أي كم وقت أو كم حلبة

أو استفهامية في محل نصب على الظرفية أو المصدرية ومميزها محذوف منصوب، أي كم وقتاً أو كم حلبة

والعامل في «كم» حلبة، سواء كانت استفهامية أو خبرية.

عمة: بالرفع مبتدأ. انظر: «شرح ابن عقيل» (١/١٧٦) رقم الشاهد (٧٧).

(١) الزمانة: المرض يدوم، وتعطيل القوى.

المقدمة

وفيهما فصول

الأول كانت العرب تؤرّخ في بني كنانة من موت كعب بن لؤي فلما كان عام الفيل أرخت منه وكانت المدّة بينهما مائة وعشرين سنة. قال «صاحب الأغاني أبو الفرج» إنه لما مات الوليد^(١) بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو^(٢) بن مخزوم أرخت قريش بوفاته مدّة لإعظامها إياه حتى إذا كان عام الفيل جعلوه تاريخاً، هكذا ذكره ابن داب. وأما الزبير بن بكار فذكر أنها تؤرّخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين إلى أن كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها، انتهى. وأرّخ بنو إسماعيل عليه السلام من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت ومن بنائه البيت إلى تفرّق معدّ ومن تفرّق معدّ إلى موت كعب بن لؤي. ومن عادة الناس أن يؤرّخوا بالواقع المشهور والأمر العظيم فأرّخ بعض العرب بعام الختان لشهرته قال النابغة الجعدي [الوافر]:

فمن يك سائلاً عني فلإني من الفتيان أيام الختان^(٣)
مضت مائة لعام ولدت فيه وعام^(٤) بعد ذاك وججتان
وقد أبقت ضرّوف الدهر مني كما أبقت من السيف اليماني^(٥)

وكانت العرب قديماً تؤرّخ بالنجوم وهو أصل قولك «نجمت على فلان كذا حتى يؤدّيه في نجوم». وقال بعضهم قالت اليهود إن الماضي من خلق آدم عليه السلام إلى تاريخ الإسكندر ثلاثة آلاف سنة وأربعمائة سنة وثمانية وأربعون سنة. وقالت النصارى إنها خمسة آلاف سنة ومائة

(١) الوليد بن المغيرة: هو والد الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، وهو أحد سادة بني مخزوم مات في الإسلام، وعام الفيل كان قبل البعثة بأربعين عاماً.

(٢) ونسب الوليد هو: ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر (لا عمرو: انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٠٩/١).

(٣) قوله (الختان): بالتاء المثناة كما في النسخة التي بين أيدينا، ونص «لسان العرب» (الختان) بنون بعد الخاء المعجمة وهذه عبارته: الختان في الإبل كالزكام في الناس وقال ابن دريد: هو زمن معروف عند العرب قد ذكروه في أشعارهم. قال النابغة الجعدي في الختان للإبل، [الوافر]:

فمن يحرص على كبيري فلإني من الشبّان أيام الخنّان
ومثله في تاريخ «الأمم والملوك» لابن جرير الطبري حيث قاله قال نابغة بني جعدة:

فمن يك سائلاً عني فلإني من الشبّان أزمان الخنّان

فجعل النابغة تاريخه ما أرّخ بزمان علصة كانت فيهم عامّة انظر: «الأمم والملوك» للطبري. و«لسان العرب».

(٤) في «ديوان النابغة» (ص ١٦١): وعشر.

(٥) الأبيات للنابغة الجعدي في «ديوانه» (ص ١٦١)؛ و«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٦/٥). والشاهد في البيت الثاني قوله: «لِعامٍ ولدت فيه» حيث أعاد الضمير من الجملة إلى اسم الزمان المضاف إليها. وهذا نادر.

وثمانون سنة. وأما المدة المحرّرة من هبوط آدم عليه السلام من الجّة إلى الأرض لتاريخ الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة الذي كان فيه الطوفان عند اليهود ألف سنة وستمئة وخمسون سنة وعند النصارى ألفا سنة ومائتان واثنان وأربعون سنة وعند السامرة ألف وثلاثمئة سنة وسبع سنين. وقال آخر المدة التي بين خلق آدم ويوم الطوفان ألفا سنة ومائتان وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوماً. وأما تاريخ الإسكندر المذكور في القرآن العظيم وتاريخ بُخت نُصّر فمعلومان وتاريخ الطوفان مجهول فأردنا تصحيح ذلك وتحريره فصَحّحناه بحركات الكواكب وأوساطها من وقت كون الطوفان الذي وضع فيه بطلميوس أوساط الكواكب في «المجسطي» بمعاونة هذين الأصلين صحّحنا تاريخ الطوفان بحركات الكواكب كما تصحح حركات الكواكب بالتاريخ طرداً فعكسنا ذلك إلى خَلَف وجمعنا أزمنته وحزّناه فوجدنا بين الطوفان وبخت نُصّر من السنين الشمسية على أبلغ ما يمكن من التحرير ألفي سنة وأربعمئة سنة وثلاثي سنة وربع سنة ومنه إلى تاريخ السريان أربعمئة سنة وستة وثلاثون سنة وجمعنا ذلك فكان ما بين الطوفان وذو القرنين بعد جبر الكسور ألفين وتسع مائة واثنين وثلاثين سنة ثم زدنا على ذلك ما بيننا وبين ذي القرنين إلى عامنا هذا وهو سنة إحدى وسبعين وستمئة للهجرة فبلغ من آدم عليه السلام إلى الآن ستة آلاف سنة وسبعمئة وتسعاً وسبعين سنة على أبلغ ما يمكن من التحرير. وقال وهب عاش آدم ألف سنة.

وفي التوراة^(١) تسعمائة وثلاثين سنة وكان بين آدم وطوفان نوح ألفا سنة ومائتان وأربعون سنة وبين الطوفان وإبراهيم عليه السلام تسعمائة وسبعة وأربعون سنة وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام سبعمئة سنة وبين موسى وداود عليهما السلام خمسمئة سنة وبين داود وعيسى عليهما السلام ألف سنة ومائة سنة وبين عيسى ومحمد نبينا صلوات الله وسلامه عليهما ستمئة وعشرون سنة والله أعلم بالصواب.

أقدم التواريخ التي بأيدي الناس

زعم بعضهم أن أقدم التواريخ تاريخ القبط لأنه بعد انقضاء الطوفان وأقرب التواريخ المعروفة تاريخ يزدجرد بن شهريار الملك الفارسي وهذا هو تاريخ أرّخه المسلمون عند افتتاحهم بلاد الأكاسرة وهي البلاد التي تسمى بلاد إيران شهر وأما التاريخ المعتضدي فما أظنه تجاوز بلاد العراق وفيما بين هذه التواريخ تواريخ القبط والروم والفرس وبني إسرائيل وتاريخ عام الفيل، وأرّخ الناس بعد ذلك من عام الهجرة. وأول من أرّخ الكتب من الهجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وكان سبب ذلك أن أبا موسى الأشعري كَتَبَ إلى عُمَرَ رضي الله عنه أنه يأتينا من قِبَل أمير المؤمنين كُتُب لا ندري على أيّها نعمل قد قرأنا صكاً منها محلّه شعبان فما ندري أي الشعبانين الماضي أو الآتي فعمل عمر رضي الله عنه على كَتَب التاريخ فأراد أن يجعل أوله رمضان فرأى أن الأشهر الحُرُم تقع حيثئذ في سنتين فجعله من المحرم وهو

(١) في الأصل (التورية) تحريف، والصواب ما أثبتناه.

آخرها فصيره أولاً لتجتمع في سنة واحدة وكان قد هاجر ﷺ يوم الخميس لأيام من المحرم فمكث مهاجراً بين سَيْر ومُقام حتى دخل المدينة شهرين وثمانية أيام^(١).

وقال العسكري في كتاب الأوائل أول من أُوخِرَ النيروز المتوكل قال بينا المتوكل يطوف في متصيد له إذ رأى زرعاً أخضر قال قد استأذني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر فقيل له إن هذا قد أضرّ بالناس فهم يقترضون ويستسلفون فقال هذا شيء حَدَثَ أم هو لم يزل كذا فقيل له حادث ثم عُرِفَ أن الشمس تقطع الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم وأن الروم تكبس في كل أربع سنين يوماً فيطرحونه من العدد فيجعلون شباط ثلاث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوماً وفي السنة الرابعة وهي التي تسمى الكبيس يَنْجَرُ من ذلك الرُّبع يوم تام فيصير شباط تسعة وعشرين يوماً فكانت الفرس تكبس الفضل الذي بين سنتها وبين سنة الشمس في كل مائة وستة عشر سنة شهراً وهذا الكبس على طوله أصح من كبس الروم لأنه أقرب إلى ما يحصله الحساب من الفضل في سنة الشمس فلما جاء الإسلام عُطِلَ ذلك ولم يُعمل به فأضرّ بالناس ذلك وجاء زمن هشام فاجتمع الدهاقنة إلى خالد بن عبد الله القسري فشرحوا له وسألوه أن يؤخّر النيروز شهراً فكتب إلى هشام بن عبد الملك وهو خليفة فقال هشام أخاف أن يكون هذا من قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] فلما كان أيام الرشيد اجتمعوا إلى يحيى بن خالد البرمكي وسألوه أن يؤخّر النيروز نحو شهر فعزم على ذلك فتكلم أعداؤه فيه فقالوا هو يتعصب للمجوسية فأضرب عنه بقي على ذلك إلى اليوم فأحضر المتوكل إبراهيم بن العباس وأمره أن يكتب كتاباً في تأخير النيروز بعد أن يحسبوا الأيام فوق العزم على تأخيره إلى سبعة وعشرين يوماً من حزيران فكتب الكتاب على ذلك وهو كتاب مشهور في رسائل إبراهيم وإنما احتذى المعتضد ما فعله المتوكل إلا أنه قد قصره في أحد عشر يوماً من حزيران فقال البحتري يمدح المتوكل [الخفيف]:

لَكَ فِي الْمَجْدِ أَوَّلٌ وَأَخِيرُ وَمَسَاعٍ صَغِيرُهُنَّ كَبِيرُ
إِنَّ يَوْمَ النِّيرُوزِ عَادَ إِلَى الْعَهْدِ لِذِي كَانَ سَنَّهُ أَرْدَشِيرُ
أَنْتَ حَوْلَتْهُ إِلَى الْحَالَةِ الْأَوَّلَى لِي وَقَدْ كَانَ حَائِراً يَسْتَدِيرُ^(٢)

قال أحمد بن يحيى البلاذري: حضرت مجلس المتوكل وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير النيروز والمتوكل يعجب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك فدخلتني نفاسة فقلت: يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ فأعادوا النظر فيه وقالوا: ما نراه وما هو، فقلت: أرخ السنة الفارسية بالليالي والعجم تؤرخ بالأيام واليوم عندهم أربع

(١) هذا خلاف المشهور إذ أنه مكث ثلاثة أيام في الغار وعشرة أيام بين مكة والمدينة ووصل (١٢) ربيع الأول إلى بقاء قرب المدينة. انظر: «مروج الذهب» للمسعودي (٢/٢٧٩).

(٢) الأبيات للبحتري، والبيت الثاني نصه في «الديوان» كما يلي:

إِنَّ هَذَا النَّيُورُوزَ عَادَ إِلَى الْعَهْدِ الَّذِي سَنَّهُ أَرْدَشِيرُ

وعشرون ساعة تشتمل على الليل والنهار وهو جزء من ثلاثين جزءاً من الشهر والعرب تؤرخ بالليالي لأن سنتهم وشهورهم قمرية وابتداء رؤية الهلال بالليل قال: فشهدوا بصحة ما قلت واعترف إبراهيم وقال ليس هذا من علمي، قال: فخفت عني ما دخلني من النفاسة، ثم قُتِلَ المتوكل قبل دخول السنة الجديدة وولي المنتصر واحتيج إلى المال فطول به الناس على الرسم الأول وانتقض ما رسمه المتوكل فلم يُعمل به حتى ولي المعتضد فقال ليحيى بن علي المنجم قد كثر ضجيج الناس في أمر الخراج فكيف جَعَلَتِ الفُرسُ مع حكمتها وحسن سيرتها افتتاحَ الخراج في وقت لا يتمكن الناس من أدائه فيه قال فشرح له أمره وقلتُ ينبغي أن يُردَّ إلى وقته ويلزم يوماً من أيام الروم فلا يقع فيه تغيير فقالَ الْحَقُّ عَبْدُ اللَّهِ بن سليمان فوافقه على ذلك فصرتُ إليه ووافقته وحسبنا حسابه فوقع في اليوم الحادي عشر من حزيران وأحكم أمره على ذلك وأُثبت في الدواوين وكان النيروز الفارسي في وقت نقل المعتضد له يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنين وثمانين ومائتين ومن شهور الروم الحادي عشر من نيسان فأخّره حسبما أوجهه الكبسُ ستين يوماً حتى رجع إلى وقته الذي كانت الفرس تردّه إليه وكان قد مضى لذلك مائتان واثنتان وثلاثون سنة فارسية تكون من سِنِيَّ العرب مائتين وتسعة وثلاثين سنة وبضعة عشر يوماً ووقع بعد التأخر يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنين وثمانين ومائتين ومن شهور الروم الحادي عشر من حزيران انتهى ما حكاه العسكري.

قلت قوله تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] الآية. في النسيء قولان الأول أنه التأخير قال أبو زيد نَسَأْتُ الإبل عن الحوض إذا أَخَرْتَهَا وكَانَ النَّسِيءُ عبارة عن التأخير من شهر إلى شهر آخر والثاني هو الزيادة. قال قطرب: نَسَأَ اللَّهُ في الأجل إذا زاد فيه والصحيح الأول نَسَأْتُ^(١) المرأة إذا حملت لتأخير حيضها ونَسَأْتُ اللبن إذا أَخَرْتَهُ حتى أكثر الماء فيه. كانت العرب تعتقد تعظيم الأشهر الحرم تمسكاً به من ملة إبراهيم عليه السلام وكان يشقّ عليهم الكفّ عن معاشهم وترك الإغارة والقتال ثلاثة أشهر على التوالي فنسئوا أي أَخَرُوا تحريم ذلك الشهر إلى غيره فَأَخَرُوا حرمة المحرم إلى صفر فيحلّون المحرم ويحزّمون صفر وإذا احتاجوا إلى تحريم صفر أَخَرُوهُ إلى ربيع الأول هكذا كلّ شهر حتى يدور التحريم على شهور السنة كلها فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه وذلك بعد دهر طويل فخطب ﷺ في حجة الوداع وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُمٌ ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان^(٢) ووقف ﷺ بعرفة في حجة الوداع يوم التاسع وخطب بمنى يوم العاشر وأعلمهم أن

(١) هذا على صيغة المجهول على ما صرّح في «اللسان» فيلزم أن يكتب «نسئت».

(٢) رواه «مسلم» رقم الحديث (١٦٧٩) (ج ٣/ ١٣٠٥)، كتاب القسامة، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ما وُضع عليه حساب الأشهر يوم خلق الله السموات والأرض وأمرهم بالمحافظة عليها لئلا تتبدل فيما يأتي من الزمان.

وأول من نَسَأَ النسيء بنو مالك بن كنانة أبو عبيد بنو فُقيم من كنانة، أو أول من فعل ذلك نعيم بن ثعلبة من كنانة وكان يكون الموسم فإذا هم الناس بالصدر قام فخطب وقال: لا مردٌ لما قضيتُ فلا أعابٌ ولا أحابٌ^(١) فيقول له المشركون: لبيك فيسألونه أن ينسئهم شهراً يُغيرون فيه فيقول فإن صفرًا العام حرامٌ فيحلّون الأوتار وينزعون الأسيئة الأزجة وإن قال حلالٌ عقدوا الأوتار وشدّوا الأزجة وأغاروا. وكان من بعده جُنادة بن عوف وهو الذي أدركه النبي ﷺ وكان يقال له القملش^(٢)، أو أول من نَسَى النسيء عمرو بن لُحي بن قمعة بن جُنْدُب^(٣).

الفصل الثاني

تقول العرب أرختُ وورختُ فيقلبون الهمزة واواً لأن الهمزة نظير الواو في المخرج فالهمزة من أقصى الحلق والواو من آخر الفم فهي محاذيتا ولذلك قالوا في وَعَدَ أَعَدَ وفي وَجُوهَ أَجُوهَ، وفي أَتُوبُ أَتُوبُ وأحد ووجد فعلى ذلك يكون المصدر تأريخاً وتورخاً بمعنى. وقاعدة التأريخ عند أهل العربية أن يؤرخوا بالليالي دون الأيام لأن الهلال إنما يُرى ليلاً. ثم إنهم يؤثنون الذكر ويذكرون المؤنث على قاعدة العدد لأنك تقول ثلاثة غلمان وأربع جوارٍ إذا عرفت ذلك فإنك تقول في الليالي ما بين الثلاث إلى العشر ثلاث ليالٍ إلى بابه، وتقول في الأيام ما بين الثلاثة إلى العشرة ثلاثة أيام وأربعة أيام وبابه. فإن قلت لأي شيء فعلوا ذلك والتأنيث فرع على التذكير كما تقرّر في باب ما لا ينصرف لما كان التأنيث علة من الصرف. قلت لأن الأصل في العدد التأنيث لكونه جماعةً والمذكر الأصلُ فأنتُ الأصل في هذا الباب وبقي المذكر بغير تأنيث لأنه فرع ولأن الفرق لا يحصل إلا بزيادة والزيادة يحتملها المذكر لأنه أخفُ من المؤنث. وقالوا يوم واحد ويومان وثلاثة أيام وما بعده إلى العشرة فلم يضيفوا واحد ولا اثنان إلى مميّز. فأما ما جاء من قول الشاعر [الرجز]:

كَأَنَّ خُضْيِيهِ مِنَ التَّدَلْدِلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثُنْتَا حَنْظَلٍ^(٤)

(١) في «تفسير الطبري» لا أجاب.

(٢) في «لسان العرب»: القلمس.

(٣) وفيه قال النبي ﷺ: «رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبة يعني أمعاءه في النار إنّه أول من غيّر دين إسماعيل فنصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السّابة ووصل الوصيلة وحمى الحامي.

(٤) الرجز لخطام المجاشعي، أو لجندل بن المثنى أو لسمي الهذلي، أو لشمّاء الهذلي في «خزانة الأدب» (٧/ ٤٠٠ - ٤٠٤)؛ وبلا نسبة في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٥٦٩ - ٦٢٤)؛ و«لسان العرب» (١١/ ٤٩) (دلل) (٦٩٢) (هدل)؛ (١١٧/ ١٤) (ثنى)، (٢٣٠) (خصى). والشاهد فيه: إضافة «ثنتا» إلى «الحنظل» وهو اسم يقع على جميع الجنس، وحقّ العدد القليل أن يضاف إلى الجمع القليل. وإنما جاز على تقدير: «ثنتان من الحنظل»، كما يقال أربعة كلاب على تقدير أربعة من الكلاب. وكان الوجه، أيضاً، أن يقال: حنظلتان، ولكنه بناء على قياس الثلاثة وما بعدها إلى العشرة.

فبابه الشعرُ وضرورة الشعر لا تكون قاعدةً. فإن قلت لأي شيء فعلوا ذلك؟ قلت لأنه يعود إلى باب إضافة الشيء إلى نفسه لأنك إذا قلت اثنا يومين أو واحد رجل فالیومان هما الاثنان والواحد هو الرجل، وإذا قلت: يومٌ، ورجلان فقد دلت على الكمية والجنس وليس كذلك في أيام ورجال فيما فوق الثلاثة لأن ذلك يقع على القليل والكثير فيضاف العدد إليه لتعلم الكمية. وأضافوا العدد من الثلاثة إلى العشرة إلى جموع القلة فقالوا ثلاثة أيام وأربعة أجمال وخمسة أشهر وستة أرغفة، ولا يورد ههنا قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ قُرُوءٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأنه مِيز الثلاثة بجمع الكثرة لأن المعنى كل واحدة من المطلقات تتربص للعدة ثلاثة أقراء ثلاثة أقراء فلما كان مجموعُ الأقرء من المطلقات كثيراً مِيز الثلاثة بجمع الكثرة.

ولا يُقَضُّ هذا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] فأتى بجمع القلة والنفوس المتوفاة كثيرة إلى الغاية إشعاراً بتهوين هذا الفعل في مقدور الله تعالى وكأن توفّي هذه النفوس الكثيرة التي عُلِمَ كثرتها وتُحَقَّقُ ترايُدُها في مقدور الله تعالى كأنه توفّي أنفس قليلة دون العشرة، ولا يضاف عدد أقل من ستة إلى مُمِيزٍ ذكر وأنثى لأن كل واحد من المُمِيزين جمع وأقل الجمع ثلاثة، وقالوا في العدد المركب من بعد العشرة إلى العشرين - وهو أحد عشر وبابه - إحدى عشرة ليلة واثنتا عشرة ساعة وثلاث عشرة ليلة وما بعده إلى العشرين بإثبات التأنيث في الجزئين من إحدى عشرة واثنتا عشرة وحذف التأنيث من الجزء الأول في الباقي للمؤنث، وأحد عشر يوماً واثنا عشر يوماً وثلاثة عشر يوماً وما بعده إلى العشرين بِخُلُوِّ الجزئين الأولين^(١) من التأنيث وإثباته في الجزء الأول لما بعده^(٢) في المذكر، والحجازيون يسكنون الشين في عشرة وبنو تميم^(٣) يكسرونها، ومِيزُوا ما بعد العشرة إلى العشرين وما بعدها من العقود إلى التسعين بمنصوب فقالوا أحد عشر كوكباً وأربعين ليلة. فإن قلت هلاً أُجْزُوا هذا المُمِيز مجرى ما قبل ذلك من الواحد إلى العشرة قلت أما في أحد عشر وبابه فإن حقَّ الجزء الأخير التنوين إنما حُذِفَ تنوينه لبنائه من كونه مركباً فكان التنوين موجوداً في اللفظ لأنه لم يَقم مقامه شيء يُبطل حكمه فكان باقياً في الحكم فمِنَع مُمِيزه من الإضافة لأنها لا تجتمع مع التنوين، وأما في عشرين وبابه لأن النون قائمة مقام التنوين التي في المفرد ولهذا تسقط مع الإضافة كالتنوين فامتنع المُمِيز أيضاً من الإضافة فانصب. وأتوا بواو العطف بعد العشرين ومنعوها بعد العشرة إلى العشرين فقالوا أحد وعشرون وأحد عشر. فإن قلت: ما العلة في ذلك؟ قلت: حذفوها ما بعد العشرة حملاً على العشرة وما قبلها من الآحاد لقربها منها على لفظ الأعداد المفردة فلما بعدت بعد العشرين عنها أتوا بالواو. فإن قلت: فهلاً اشتقوا في العشرات من لفظ الاثنین كما اشتقوا من الثلاثة ثلاثین وهلم جرّاً إلى التسعين؟

(١) أي في أحد عشر واثنا عشر.

(٢) أي في ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، والضمير في (لما بعده) راجع اثنا عشر.

(٣) أي أكثر بني تميم وإلا فبعضهم يبقياها على فتحها الأصلي. انظر: «حاشية الخضري على شرح ابن عقيل» (٢/١٣٩).

قلتُ: لأن اثنين أعرب بالألف في حالة الرفع وعشرون جَرَتْ مجرى الجمع السالم فأعربت بالواو حالة الرفع فلو أنهم فعلوا ذلك احتاج المشتق في العشرات من الاثنين أن يكون له إعرابان فثنوا عشرة فقالوا عشرون.

فإن قلت: كان يلزم على هذا أن يقولوا عَشْرُونَ بفتح العين والشين والراء لأنها ثنائية عشر؟ قلتُ: لأن الأصل ههنا كما أوردت أن يشتق من لفظ اثنين، وكان أول الاثنين مكسوراً فكسروا أول العشرين وسكنوا الشين طلباً للخفة وكسروا الراء لمناسبة ما جمع بالواو والنون ألا تراهم ضمّوها في حالة الرفع؛ وأيضاً فإن العشرة توثت وجمعها لا يؤثت فكسروا أولها في الجمع لأن الكسر من جنس الياء. وقالوا مائة يوم ومائتا يوم، فجعلوا المميّز من المائة إلى الألف وما بعده مضافاً ولم يُجروه مجرى ما بعد العشرة إلى التسعين.

فإن قلت: ما العلة في ذلك؟ قلتُ: لأنّ المائة حُمِلت على العشرة لكونها عقداً مثلها وحملت على التسعين لأنها تليها فالزُم مميّزها بالإضافة تشبيهاً بالعشرة وميّزت بالواحد دون الجمع تشبيهاً بالتسعين. وقالوا ثلاث مائة وأربعمائة وبابه فميّزوه بالمفرد ولم يميّزوا بالجمع فقالوا ثلاث مائتين. فإن قلت: ما العلة في ذلك؟ قلتُ: اكتفاءً بلفظ الواحد عن الجمع قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧] أي أطفالاً وقال الشاعر [الكامل]:

كلوا في بعضِ بطونكم تَعَفُّوا فإن زمائكم زمنٌ خميص^(١)

على أنه قد قرأ حمزة والكسائي: ﴿وَلْيُثَوِّا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف: ٢٥] بإضافة مائة إلى سنين وهذا إضافة المميّز إلى جمع فعلى هذه القراءة أقلّ مدّة لبثهم على مذهب من يرى أن الجمع اثنان فما فوقهما تكون ستمائة سنة وتسع سنين لكونه أضيف المميّز إلى جمع. وقالوا ألف ليلة فأجروا ذلك في التمييز مجرى المائة. فإن قلت: ما العلة في ذلك؟ قلتُ: لأن الألف عقد كما أن المائة عقد. وقالوا ثلاثة آلاف ليلة فجمعوا الألف وقد دخل على الأحاد ولم يفرد مع الأحاد كالمائة. فإن قلت: هذا ينقض ما قررته أولاً من التعليل؟ قلتُ إن الألف طَرَفٌ كما أنّ الواحد طَرَفٌ لأن الواحد أول والألف آخر ثم تتكرر الأعداد فلذلك أجري مجرى الأحاد.

تنبيه لفظ ألف مذكّر والدليل عليه قوله تعالى: ﴿يُنَادِيكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وقد تقرّر إن المعدود المذكر يؤثت والمؤثت يذكر ولا يورد قولهم هذه ألف درهم فإن الإشارة إنما هي إلى الدراهم لا إلى الألف وتقديره هذه الدراهم ألف وقالت العرب ألف صنم وألف أقرع. وإذا أردت تعريف العدد المضاف أدخلت الأداة على الاسم الثاني فتعرّف به الأول نحو ثلاثة الرجال ومائة درهم كقولك غلام الرجل قال ذو الرمة [الطويل]:

(١) البيت بلا نسبة في «الكتاب» لسيبويه (٢١٠/١)؛ و«الدرر» للشنيطي (١٥٢/١)؛ و«شرح المفصل» لابن يعيش

(٨/٥، ٢١/٦)، و«معجم الهوامع» للسيوطي (٥٠/١). والشاهد فيه: استعمال «بطن» بمعنى الجمع، أي:

بعض بطونكم.

وهل يُرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع^(١)
ولا يجوز الخمسة دراهم لأن الإضافة للتخصيص وتخصيص الأول باللام يُغني عن ذلك
فأما ما لم يصف فأداة التعريف في الأول نحو الخمسة عشر درهماً إذ لا تخصيص بغير اللام وقد
جاء شيء ف على خلاف ذلك.

تنبيه الفصيح أن تقول عندي ثمانى نسوة وثمانى عشرة جارية وثمانى مائة درهم لأن الياء
هنا ياء المنقوص وهي ثابتة في حالة الإضافة والنصب كياء قاضٍ، فإن قلت قول
الأعشى [الكامل]:

ولقد شربت ثمانياً وثمانياً وثمانَ عشرةً واثنَتين وأربعاً^(٢)

يخالف ذلك، قلتُ بابه الضرورة في الشعر كما قال الآخر [الوافر]:

وطرُتُ بمنصلي في يعملات دوامي الأيدٍ يخبطن السريحا^(٣)

يريد الأيدي على أنه قد قرئ «وَلَهُ الْجَوَارُ الْمُنْشَآتِ» [الرحمن: ٢٤] بضم الراء:

الفصل الثالث

في كيفية كتابة التاريخ

تقول للعشرة وما دونها: خلونَ لأن المميّز جمعُ والجمع مؤنث، وقالوا لما فوق العشرة:
خلتُ ومضتُ لأنهم يريدون أن مميّزه واحد، وتقول من بعد العشرين لتسع إن بقين وثمان إن
بقين تأتي بلفظ الشك لاحتمال أن يكون الشهر ناقصاً أو كاملاً، وقد منع أبو عليّ الفارسي رحمه
الله تعالى أن يكتب لليلة خلتُ كما منع من صبيحتها أن يقال المستهَلّ لأن الاستهلال قد مضى،
ونصّ على أن يؤرّخ بأول الشهر في اليوم أو بليلة خلتُ منه. وقال الحريري في درة الغواص
والعرب تختار أن تجعل النون للقليل والتاء للكثير لأربع خلون ولأربع عشرة ليلة خلت قال ولهم

(١) البيت في «ديوان ذي الرّمة» (ص ١٢٧٤)؛ و«الأشياء والنظائر» للسيوطي (٢٢/٥ - ٢٨٠)؛ و«لسان العرب»
لابن منظور (٧٦/٦) (خمس)؛ وبلا نسبة في «شرح الأشموني» (٨٧/١) و«معجم الهوامع» للسيوطي (٢/
١٥٠). والشاهد فيه دخول «أل» على ثاني العدد المضاف دون أوّل، وذلك في قوله: «ثلاث الأثافي».

(٢) البيت في «لسان العرب» لابن منظور (٨١/١٣) (ثمان)، ولم نَقع عليه في ديوانه، وهو بلا نسبة في «شرح
الأشموني» (٦٢٧/٣). والشاهد فيه قوله: «وثمانٍ عشرة» حيث كسر نون «ثمانية» المركبة، بعد حذف يائها،
ويجوز فتح الياء، وسكونها. وجاء المؤلف بهذا الشاهد لأن الياء هنا ياء المنقوص وهي ثابتة في حالة الإضافة
والنصب.

(٣) البيت لمضر بن ربعي في «شرح أبيات سيبويه» للسيوافي (٦٢/١)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٨١/١٣)
(ثمان) (٤٢٠/١٥) (يدي)؛ وله أو يزيد بن الطثرية في «شرح شواهد المغني» للسيوطي (ص ٥٩٨)؛ و«لسان
العرب» لابن منظور (٣٢٠/٥) (جزز)؛ وبلا نسبة في «الخصائص» لابن جني (٢٦٩/٢)؛ و«الكتاب» لسيبويه
(٢٧١، ٤/١٩٠)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٢٨١/٧) (خط)؛ و«مغني اللبيب» لابن هشام (٢٢٥/١).
والشاهد فيه قوله: «دوامي الأيد» حيث حذف الياء من «الأيد» للضرورة، واجتزأ عنها بالكسرة.

اختيار آخر وهو أن تجعل ضمير الجمع للكثير الهاء والألف وضمير الجمع القليل الهاء والنون المشددة كما نطق القرآن: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] فجعل ضمير الأشهر الحُرُم بالهاء والنون لقلتهن وضمير شهور السنة الهاء والألف لكثرتها، وكذلك اختاروا أيضاً أن ألحقوا لصفة الجمع الكثير الهاء فقالوا: أعطيته دراهم كثيرة وأقمت أياماً معدودة وألحقوا لصفة الجمع القليل الألف والثاء فقالوا: أقمت أياماً معدودات وكسوته أثواباً رقيقات، وعلى هذا جاء في سورة البقرة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] وفي سورة آل عمران: ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] كأنهم قالوا أولاً بطول المدة ثم إنهم رجعوا عنه فقصروا المدة انتهى. والواجب أن تقول في أول الشهر لليلة خلت منه أو لغزته أو لمستهلّه فإذا تحققت آخره قلت انسلخه أو سلخه أو آخره. قال ابن عصفور والأحسن أن تؤرخ بالأقل فيما مضى وما بقي فإذا استويا أرخت بأيتهما شئت. قلت بل إن كان في خامس عشر قلت منتصف أو في خامس عشر وهو أكثر تحقيقاً لاحتمال أن يكون الشهر ناقصاً وإن كان في الرابع عشر ذكرته أو السادس عشر ذكرته.

فائدة: ورأيت الفضلاء قد كتبوا بعض الشهور بشهر كذا وبعضها لم يذكروا معه شهراً وطلبت الخاصة في ذلك فلم أجدهم أتوا بشهر إلا مع شهر يكون أوله حرف راء مثل شهري ربيع وشهري رجب ورمضان ولم أدر العلة في ذلك ما هي ولا وجه المناسبة لأنه كان ينبغي أن يُحذف لفظ شهر من هذه المواضع لأنه يجتمع في ذلك راءان قد فزوا من ذلك وكتبوا داود وناوس وطاوس بواو واحدة كراهية الجمع بين المثليين، وجرت العادة بأن يقولوا في شهر المحرم شهر الله وفي شهر رجب شهر رجب الفرد أو الأصم أو الأصب وفي شعبان شعبان المكرم وفي رمضان رمضان المعظم وفي شوال شوال المبارك ويؤرخوا أول شوال بعيد الفطر وثامن ذي الحجة بيوم التروية وتاسعه بيوم عرفة وعاشره بعيد النحر وتاسع المحرم بيوم تاسوعاء وعاشره بيوم عاشوراء فلا يحتاجون أن يذكروا الشهر ولكن لا بد من ذكر السنة. قد يجيء في بعض المواضع نَيْفٌ وبُضْعٌ مثل قولهم نَيْفٌ وعشرين وهو بتشديد الياء ومن قال نَيْفٌ بسكونها فذلك لحن وهذا اللفظ مشتق من أناف على الشيء إذا أشرف عليه فكأنه لما زاد على العشرين كان بمثابة المُشْرِفِ عليها ومنه قول الشاعر [المقارب]:

حَلَلْتُ بِرَابِيعٍ رَأْسَهَا عَلَى كُلِّ رَابِيعٍ نَيْفٌ

واختلف في مقداره فذكر أبو زيد أنه ما بين العقدين وقال غيره: هو الواحد إلى الثلاثة ولعل هذا الأقرب إلى الصحيح، وقولهم بضع عشرة سنة البضع أكثر ما يستعمل فيما بين الثلاث إلى العشر وقيل بل هو ما دون نصف العقد وقد آثروا القول الأول إلى النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٣ - ٤]. وذلك أن المسلمين كانوا يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب وكان المشركون يميلون إلى أهل فارس لأنهم أهل أوثان فلما بشر الله تعالى المسلمين بأن الروم سيغلبون في بضع سنين سُر المسلمون بذلك

ثم إن أبا بكر بادر إلى مشركي قريش فأخبرهم بما نزل عليهم فيه فقال له أُبَيْن بن خلف: خاطرنني على ذلك فخاطره على خمس قلايص وقدّر له مدّة الثلاث سنين ثم أتى النبي ﷺ فسأله كم البضع؟ فقال ما بين الثلاثة إلى العشرة فأخبره بما خاطر به أُبَي بن خلف فقال ما حملك على تقريب المدة فقال الثقة بالله ورسوله فقال له النبي ﷺ عُدْ إليهم فزدهم في الخطر وازدّد في الأجل فزادهم قلوّصين وازداد منهم في الأجل ستين فأظفر الله تعالى الروم بفارس قبل انقضاء الأجل الثاني تصديقاً لتقدير أبي بكر رضي الله عنه وكان أُبَي قد مات من جرح رسول الله ﷺ فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أُبَي فقال له النبي ﷺ (تصدّق به)^(١) وكانت المخاطرة بينهما قبل تحريم القمار، وقيل الذي خاطر أبا بكر إنما هو أبو سفيان، والأول أصح.

الفصل الرابع

النسب مما يضطرّ إليه المؤرّخ

فأقول النسب هو الإضافة لأن النسب إضافة شيء إلى بلد أو قرية أو صناعة أو مذهب أو عقيدة أو علم أو قبيلة أو والد كقولك مصريّ أو مزيّ أو منجنيقيّ أو شافعيّ أو معتزليّ أو نحويّ أو زهريّ أو خالدّيّ فهذا المعنى إنما هو إضافة. ولهذا كان النحاة الأقدمون يترجمونه بباب الإضافة وإنما سمّيته نسباً لأنك عرفته بذلك كما تعرّف الإنسان بأبائه وإنما زيد عليه حرف لنقله إلى المعنى الحادث عليه طرداً للقاعدة في التأنيث والتثنية والجمع.

فإن قلت: لأيّ شيء اختصّ الباء دون أختيها الواو والألف والكلّ من حروف المدّ واللين؟ قلت: لأن النسب قد تقرّر أنه إضافة شيء إلى شيء في المعنى وأثر الإضافة في الثاني الجرّ، والكسرة من جنس الباء فناسب زيادة الباء دون الواو والألف فاغرّفه، فإن قلت فلائي شيء شدّوا باء النسب؟ قلت لأن النسب أبلغ في المعنى من الإضافة فشدّوا للدلالة على المعنى لأنهم قالوا صرّصّر البازي وصرّ الجندب، فإن قلت فلائي شيء كسروا ما قبلها؟ قلت توطيداً لها واعتناءً بأمرها لأن الباء لا يكون ما قبلها إلا من جنسها، إذا نسبت إلى الاسم الصحيح الثلاثي المفرد أقرّته على بنائه فتقول بكريّ وعمرّيّ إلا أن يكون مكسور العين فتقلّ نَمَرِيّ ومَعْدِيّ وإِبِلِيّ ودُوْلِيّ نسبةً إلى نَمِر ومَعِدَة وإِبِل ودُوْل فتفتح الميم والعين والباء والواو وإنما فعلوا ذلك فراراً من توالي الكسرات.

وإذا نسبت إلى رباعي أو خماسي أقرّته على بنائه وزدته بياء النسب فتقول أحمدديّ وسفرجلني نسبةً إلى أحمد وسفرجل، فإن كانت عين الرباعي مكسورة مثل تغلب ويثرب ومغرب ومشرق قلت: تغلبيّ ويثربيّ ومغربيّ ومشرقيّ بكسر ثالته، وعند المبرد الفتح مطّرد، وعند سيويه مقصور على السماع، وإذا نسبت إلى معتل الطرف محذوفه لزمك في النسب ردّ ما حذف منه فتقول أخوتي وأبوتي ودوّويّ وعمّويّ وعُدّويّ وعَضّويّ نسبةً إلى أخ وأب وذو بمعنى صاحب وعم

(١) هي قراءة الحسن البصري، وهي قراءة شاذّة وقرأ (الجواري) يعقوب وقفاً، و(الجوار) الباقون ولا خلاف في حذفها وصلّا.

وَعَدِ وَغُضَّةً لَأَنَّهُمْ قَالُوا فِي التَّثْنِيَةِ أَخْوَانٌ وَأَبْوَانٌ وَعَمِيَانٌ، فَإِنْ كَانَ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ لَمْ يَرِدْ إِلَيْهِ مَا حُذِفَ مِنْهُ بِالتَّثْنِيَةِ فَأُنْتُ بِالْخِيَارِ إِنْ شُتَتْ رَدَدَتَهُ وَإِنْ شُتَتْ حَذَفَتْهُ فَتَقُولُ يَدَيَّ وَدُمَيَّ وَيَدُوكَ وَدُمُوكَ وَنَسَبَةٌ إِلَى يَدٍ وَدَمٍ لَأَنَّهُمْ قَالُوا يَدَانِ وَدَمَانِ. فَإِنْ كَانَ فِي الْأَسْمَاءِ تَاءٌ لِلْحَاقِ فِي آخِرِهِ أَوْ هَمْزَةٌ وَصَلَّ فِي أَوَّلِهِ فَإِنَّكَ تَحْذِفُهُمَا فَتَقُولُ أَخَوَيَّ وَبَنَوَيَّ نَسَبَةً إِلَى أُخْتٍ وَبَنَتٍ وَابْنٍ كَمَا قُلْتَ فِي مَذَكَّرَيْهِمَا^(١)، وَهَمْزَةُ الْوَصْلِ إِنْ لَمْ تَحْذِفْهَا لَمْ تَرُدَّ الْمَحْذُوفَ وَإِنْ حَذَفْتَهَا لَزِمَكَ رَدُّهَا فَتَقُولُ ابْنِي وَبَنَوَيَّ وَسَمَوَيَّ وَاسْمِي. فَإِذَا كَانَ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهِ حَرْفَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا وَلَمْ يَكُنِ الثَّانِي حَرْفَ لَيْنٍ جَازَ لَكَ التَّضْعِيفُ وَعَدَمُهُ فَتَقُولُ كَمَيَّ وَكَمَيَّ بِتَضْعِيفِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِهَا نَسَبَةً إِلَى «كَمٍ» فَإِنْ كَانَ الثَّانِي حَرْفَ لَيْنٍ وَجِبَ تَضْعِيفُهُ فَتَقُولُ فَيَوَيَّ وَلَوَوَيَّ نَسَبَةً إِلَى: «فَيٍ وَلَوٍ»، فَإِنْ كَانَ حَرْفُ اللَّيْنِ أَلْفًا ضَوْعُفَ وَأُبْدَلْتَ الثَّانِيَةَ هَمْزَةً ثُمَّ أَوَّلِيَتْ يَاءَ النِّسْبَةِ فَتَقُولُ لَأَنِّي نَسَبَةً إِلَى «لَا» وَيَجُوزُ قَلْبُ الْهَمْزَةِ وَأَوَّافُ فَتَقُولُ لَأَوَيَّ. وَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى مَحْذُوفٍ الْأَوَّلِ سَلِمَ الْآخِرُ لَمْ تَرُدَّ إِلَيْهِ الْمَحْذُوفَ فَتَقُولُ صِفَنِي وَعِدَنِي نَسَبَةً إِلَى صِفَةٍ وَعِدَةٍ، وَلَكِ الْخِيَارُ فِي الصَّحِيحِ فَتَقُولُ ثَنِيَّ وَقَلِيَّ وَثُبَوَيَّ وَقُلُوبَيَّ كَمَا قُلْتَ فِي دَمٍ. فَإِنْ كَانَ مَعْتَلَّ الْآخِرُ وَجِبَ الرَّدُّ فَتَقُولُ وَشَوَيَّ وَجَزَحَيَّ بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِ الشَّيْنِ نَسَبَةً إِلَى شَيْءٍ وَحَرِّ فِي لُغَةٍ لُغَيَّ وَلُغَوَيَّ. فَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى مُضَاعَفٍ الثَّانِي لَمْ تَفْكَهْ فَتَقُولُ رَبِّي وَلَا تَقُولُ رَبَّيَّ، نَصٌّ عَلَيْهِ سَبِيحُهُ. فَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى الْمَقْصُورِ حَذَفْتَ أَلْفَهُ خَامِسَةً فَصَاعِدًا؛ وَرَابِعَةً إِذَا تَحَرَّكَ ثَانِي مَا هِيَ فِيهِ فَتَقُولُ حُبَارِيَّ وَجَمَزِيَّ نَسَبَةً إِلَى حُبَارِيَّ وَجَمَزِيَّ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَلْفُ رَابِعَةً وَسَكَنَ ثَانِي مَا هِيَ فِيهِ جَازَ لَكَ حَذْفُهَا وَقَلْبُهَا وَأَوَّافَةً لِلْيَاءِ أَوْ مَفْصُولَةً بِأَلْفٍ فَتَقُولُ حُبْلَيَّ وَحُبْلَوَيَّ وَحُبْلَاوَيَّ نَسَبَةً إِلَى حُبْلِيَّ وَدُثْوَيَّ وَدُنْيَاوَيَّ نَسَبَةً إِلَى دُنْيَا وَالدُّنْيَا الْأَوَّلِ. وَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى الْمَقْصُورِ الثَّلَاثِي قَلَبْتَ الْأَلْفَ وَأَوَّافَةً فَتَقُولُ قَقْوَيَّ وَرَحْوَيَّ وَعَصْوَيَّ نَسَبَةً إِلَى قَفَا وَرَحَى وَعَصَا. وَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى الْمُنْقُوصِ حَذَفْتَ يَاءَهُ إِنْ كَانَتْ خَامِسَةً فَصَاعِدًا كَقَوْلِكَ مُعْتَدِيَّ نَسَبَةً إِلَى مُعْتَدٍ فَإِنْ كَانَتْ رَابِعَةً جَازَ حَذْفُهَا وَقَلْبُهَا وَأَوَّافَةً كَقَوْلِكَ قَاضِيَّ وَقَاضَوَيَّ نَسَبَةً إِلَى قَاضٍ وَالْحَذْفُ هُوَ الْمُخْتَارُ قَالَ الشَّاعِرُ فِي لُغَةِ الْقَلْبِ [الطَوِيل]:

وَكَيْفَ لَنَا بِالشَّرْبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا دَرَاهِمُ عِنْدَ الْحَانَوِيِّ وَلَا نَقْدُ^(٢)

وَقَوْلُ النَّاسِ قَضَوِيَّ لَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا هَذَا نَسَبَةٌ إِلَى قَضَا بِالْقَصْرِ. وَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى الْمُنْقُوصِ الثَّلَاثِي فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا فَتْحُ عَيْنِهِ وَقَلْبُ الْيَاءِ وَأَوَّافَةً شَجَوِيَّ وَنَدَوَيَّ نَسَبَةً إِلَى شَجِيٍّ وَنَدِيٍّ^(٣). وَإِذَا نَسَبْتَ إِلَى مَمْدُودٍ فَإِنْ كَانَتْ الْهَمْزَةُ أَصْلِيَّةً كَقَرَاءٍ سَلِمَتْ فَقُلْتَ قَرَائِيَّ نَسَبَةً إِلَى قَرَاءٍ

(١) يُسْتَفَادُ مِنْ «أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ» الْبَيْتِ رَقْمَ (٨٧٥) (أَنَّ هَذَا مَذْهَبَ الْخَلِيلِ وَسَبِيحِهِ، وَعِنْدَ يُونُسَ يُقَالُ: أُخْتِيَّ وَبَنَتِي. انْظُرْ «شَرْحَ ابْنِ عَقِيلٍ عَلَى الْأَلْفِيَةِ» (٢/٥٢٠) (دَارُ الْفِكْرِ) (النَّسَبُ).

(٢) الْبَيْتُ لِتَمِيمِ بْنِ مِقْبَلٍ فِي مِلْحَقِ دِيْوَانِهِ (ص ٣٦٢)؛ وَ«أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ» لِلزَّمَخْشَرِيِّ (ص ٣١٩) (عَيْنُ)؛ وَلِذِي الرُّمَّةِ فِي مِلْحَقِ «دِيْوَانِهِ» (ص ١٨٦٢)؛ وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (٣/٢٩٨) (عَوْنُ)؛ وَبِلَا نَسَبَةٍ فِي «الْكِتَابِ» لِسَبِيحِهِ (٣/٣٤١)؛ وَ«لِسَانُ الْعَرَبِ» لِابْنِ مَنْظُورٍ (١٤/٢٥) (حَنَّا) وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ: «الْحَانَوِيُّ» وَنَسَبَتُهُ إِلَى «الْحَانَةِ» عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَالْقِيَاسُ: حَانِيٌّ. وَنَصُّ الْبَيْتِ فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ:

وَكَيْفَ لَنَا بِالشَّرْبِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَنَا دَوَانِيْقُ عِنْدَ الْحَانَوِيِّ وَلَا نَقْدُ

(٣) قَوْلُهُ (إِلَى شَجِيٍّ وَنَدِيٍّ): يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ (إِلَى شَجِيٍّ وَنَدِيٍّ) أَوْ أَنْ يَكُونَ (إِلَى الشَّجِيٍّ وَالنَّدِيٍّ).

لأن الثنية قَرَاءَان وإن كانت بدلاً من ألف التانيث قُلِبَتْ وأوَأ فتقول: صحراوي نسبةً إلى صحراء لأن الثنية صحراوان وإن كانت منقلبة عن أصل أو زائدة للإلحاق جاز فيها أن تسلم وأن تقلب وأوَأ فتقول كسائي وكساوي نسبةً إلى كساء لأن الثنية كساءان وكساوان. وإذا نسبت إلى مثل «ماء وشاء» قلبت الهمزة وأوَأ فقلت ماوي وشاوي^(١) والقصيدة ياوية وقال الراجز [الرجز]:

لا ينفع الشاوي فيهما شائهُ ولا حمـاره ولا أدائهُ^(٢)

وإذا نسبت إلى شقاوة ونحوه مما آخره واو سالمة بعد ألف^(٣) وكذا سقاية وحَوْلَايا^(٤) مما الياء فيه غيرُ ثالثة قلت شَقاوي وسَقاوي وحَوْلَاوي. وإذا نسبت إلى وزن فُعيلة فتحت ياءه وحذفت عينه فتقول جُهْنِي ومُرْنِي نسبةً إلى جُهَيْنَة ومُرْنَة وشذ من هذا رُدْنِي وعُمَيْرِي نسبةً إلى رُدْنَة وعُمَيْرَة.

وإذا نسبت إلى المؤنث ولم يكن على هذا الوزن حذفت التاء أين وقعت فتقول طلحي ومَكِّي وبصري وعجوزي وسفرجلي نسبةً إلى طلحة ومَكَّة والبصرة وعجوزة وسفرجلة اللهم إلا ما كان على وزن فُعيلة بفتح الفاء فتقول درهم خليفتي نسبةً إلى الخليفة.

وإذا نسبت إلى فَعِيل وفُعِيل بفتح الفاء وكسر العين في الأول وضم الفاء وفتح العين في الثاني فإن كانا صحيحَي اللام فالْمُطَرَّدُ في النسبة إليهما عَقِيلِي وعُقِيلِي نسبةً إلى عَقِيل وعُقِيل وقد يقال فيهما فُعَلِي وفُعَلِي بضم الفاء وفتحها تقول: ثَقَفِي وهُدَلِي.

وإذا نسبت إلى وزن أَمِيَة وطُهِيَة قلت أُمَوِي وأُمَوِي بضم الهمزة وفتحها وطُهَوِي وطُهَوِي بضم الطاء وفتحها والفتح على غير قياس فيهما.

وإذا نسبت إلى ما هو مضاعف إلى مثل جلييلة وطويلة^(٥) لم تحذف الياء لأنك لو حذفت قلت جَلَلِي وطَوَلِي وكان مستقلاً فكُ التضعيف والصواب أن تقول جَلِيلِي وطَوِيلِي. وكذلك النسبة إلى سَلول وعدو تقول سَلُولِي وَعَدَوِي. وإذا نسبت إلى مركَّب فإن كان المركَّب جملة فعلية نسبت إلى صدر الجملة وقلت تَأْبُطِي وَبَرَقِي وَكُنْتِي وَكُونِي نسبةً إلى تَأْبُطُ شراً وَبَرَقُ نَحْرُهُ وَكُنْتُ^(٦) وإن

(١) يظهر من كلام سيويه أنه يجوز مائي وماوي وشائي وشاوي. انظر: «الكتاب» لسيويه (٨٤/١).

(٢) الرجز لميشر بن هذيل الشمخي في «لسان العرب» (٤٤٨/٤) (شوا)؛ وبلا نسبة في «شرح المفصل» لابن يعيش (٥٦/٥) والشاهد فيه قوله: «الشاوي» في النسبة إلى «الشاء» ونصُّ الرجز في «لسان العرب» (٤٤٨/١٤):

ورب خرق نازح فلاته لا ينفع الشاوي فيهما شاته
ولا حمـاره ولا علاته إذا علاها اقتربث وفاته

(٣) قوله (وإذا نسبت إلى شقاوة ونحوه مما آخره واو سالمة بعد ألف): غير واضح. كان حق العبارة أن يقال: (وإذا نسبت إلى شقاوة ونحوها مما آخره واو سالمة بعد ألف قلت شقاوي) بإبقاء الواو على حالها.

(٤) حوالايا: بفتح الحاء وسكون الواو وبعد الياء ألف، قرية كانت بنواحي النهروان. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (١٩٧/٢).

(٥) طويلة ليس بمضاعف.

(٦) قال أبو حيَّان في «الارتشاف» فمركب الإسناد والشبيه به يحذف له الجزء الثاني فتقول في تَأْبُطُ شراً تَأْبُطِي، وفي كنت: كوني، وقالوا: شذوذاً: كتي، فنسبوا إلى الجملة وكنتني فزادوا نوناً.

كان المركَّب مضافاً ومضافاً إليه والأول يتعرَّف بالثاني: نسبت إلى الثاني وحذفت الأول كقولك بكرِّي وزبيرِّي وكراعي نسبةً إلى أبي بكر وابن الزبير وابن كراع. وإن كانا قد جُعلا بمنزلة زيد ولم يقصد تعريف الأول بالثاني نسبت إليهما بصيغة رباعية منحوتة منهما أي مركبة وذلك مسموعٌ غير مقيس كقولك عبدريّ وعبقيّ وتيمليّ وعبشميّ وحضرميّ نسبةً إلى عبدالدار وعبد قيس وتيم اللات وعبد شمس وحضرموت إلا أن خُفَّت التباساً في مثل امرء القيس وعبد مناف فإنك تقول امرئي ومنافني وأجاز الجزمي النسبة إلى كلٍّ من الجزئين فتقول حضري أو موتي. وإن كان المركَّب تركيب مزج فعلت به كالقسم الأول فتقول بعلّي ومُعدي وخمسي نسبةً إلى بعلبك ومعدي كرب وخمسة عشر وقالي نسبة إلى «قالي قلا» ومنهم من ينسب إليهما قال الشاعر [الطويل]:

تزوَّجَتْها راميّة هَرمَزيّة بفضل الذي أعطى الأمير من الرزق^(١)

فنسبها إلى «رَامَ هَرمُز».

وإذا نسبت إلى ما آخِزُهُ ياء كياء النسب فإن كانت رابعةً فصاعداً فحذفت وجعل موضعها ياء النسب فتقول شافعي في النسبة إلى الشافعي وكذا تفعل في نحو مرمي في الأصح مع كون ثاني يائيهِ غيرَ زائدة. ومن العرب من يحذف أول يائيهِ ويقلب الثانية واواً بعد فتح العين فيقول مَرمَويّ وشَفَعَوِيّ.

وإذا نسبت إلى مجموع فإن كان جمعٌ تكسير ولم يكن له واحد من لفظه مثل عباديد وشمايطي قلت عباديديّ وشمايطيّي فإن كان للجمع واحد من لفظه ولم يكن باقياً على جمعيته قلت أنماري وأنصاري ومدائني وهوازني نسبةً إلى الأنمار والأنصار والمدائن وهوازن وإن كان باقياً على جمعيته نسبت إلى واحده فقلت فَرَضِيّ وَرَجُلِيّ نسبةً إلى الفرائض والرجال وقد جاء في الشعر شاذاً قول القائل [الرجز]:

مشوّة الخَلْقِ كِلابِيّ الخُلُثِ

القياس كلبِيّ نسبة إلى كلاب. وزعم الخليل أن نحو ذلك مِسْمَعِيّ في المَسَامعة ومُهَلَبِيّ في المهالبة. فإن كان لا واحد له نسبت إليه كقولك نَفَرِيّ وَرَهْطِيّ نسبةً إلى نفر ورهط فإن جمعت الجمع رددته إلى ما كان عليه فتقول في أنفار نَفَرِيّ وفي أقوام قوميّ وفي نسوة ونساء نِسَوِيّ وتقول في محاسن وأعراب محاسنيّ وأعرابيّ لأنك لو قلت عربيّ لتغيّر المعنى لأن الأعرابي لا يقع إلا على البدوي والعربي ليس كذلك.

وإذا نسبت إلى أبناء فارس قلت: بَنَوِيّ فَأَجْزُوهُ على الأصل. وإن كان الجمع جمع سلامة فإن كان جمعاً غير عَلمٍ حذفت الزيادتين وقلت زيديّ نسبةً إلى زيد بن زيد فإن كان عَلماً قلت زيديّ. وكذا في المثنى إن كان تشنية قلت زيديّ وإن كان عَلماً قلت زيديّ وإن كان الجمع قد جُعِلَتْ

(١) قوله (من الرزق): في «المقرب» لابن عصفور بدلاً من هذه الكلمة من الورق بضم الواو وسكون الراء المهملة.

النون فيه حرف إعراب قلت نصيبيني ويبرني وقنسرني نسبة إلى نصيبين ويبرين وقنسرين وكذلك حكم سنين إن جعلتها جمعاً كمسلمين قلت سنهي وسنوي وسني وإن كان النون فيه حرف الإعراب قلت سيني، وإن كان الجمع سالماً بالألف والتاء فإن سميت رجلاً بتمرات^(١) قلت في النسبة إليه تمرّي بفتح الميم وإن كان جمعاً قلت تمرّي بسكون الميم^(٢) وقالوا في النسبة إلى أذرع أذرعي وفي عانات عاني.

وأما المنسوب على غير قياس فهو ثلاثة أنواع «الأول ما كان حقه التغيير فلم يغيروه» كقولهم في النسبة إلى سليقة سليقي وإلى عميرة كلب^(٣): عميري، وسليمة: سليمي وإلى حمراء: حمرائي بالهمزة وإلى بعلبك بعلبكي حكاهما الكوفيون وإلى كنت: كنتي قال الشاعر [الطويل]:

ولست بكنتي ولست بعاجز وشر الرجال الكنتني وعاجز

«والثاني ما كان حقه أن لا يتغير فغيروه» كقولهم في النسبة إلى هذيل وسليم: هذلي وسلمي وإلى فقيم وقريش وملح خزاعة: فقيمي وقريشي وملحي وفي فقيم دارم وملح خزيمة فقيمي وملحي وإلى أمس والبصرة: إمسي وبصري بكسر الهمزة والباء وإلى السهل والدهر: سهلي ودهري بضم السين والdal وإلى البحرين والنهرين والحصنين: بحرائي ونهراني وحصناني فرقاً بين النسبة إلى البحر والنهر والحصن وبين ما تقدم. وقالوا في النسبة إلى ما في الجسد من الأعضاء: الرؤاسي والشفاهي والأيارى والجُماني والرقباني واللحياني والشعراني إذا كان عظيماً في هذه الأعضاء مخالفة للنسب إلى البلد والأب. وقالوا في الأفق: أفقي بفتح الهمزة والفاء وفي الطلح طلاحي وفي خراسان خراسي وخزسي وفي حمض حمضي بفتح الميم وفي حرم مكة جزمي بكسر الحاء وسكون الراء، وفي الربيع والخريف: ربعي وجزفي بسكون الراءين والباء والخاء وفي قفا: قفي وفي الشام واليمن وتهامة: شام ويماني وتهام ومنهم من يقول يمانني وشامي وتهامي كأن هذا نسب إلى المنسوب، وفي الروح: روحاني وإلى مرو والري: مروزي ورازي، قال ابن عصفور^(٤): ولا يقال في غير الإنسان إلا مروي.

«الثالث: ما كان حقه أن يتغير ضرباً من التغيير فغيروه تغييراً آخر» كقولهم في النسب إلى زينة زباني وإلى الحيرة وطيء حارتي وطائي، قال سيويه: ما أظنهم قالوا في طيء طائي إلا فراراً من اجتماع الياءات وإلى العالية: علوي وإلى البادية: بدوي وإلى الشتاء: شتوي وإلى بني عبدة:

(١) قوله (بتمرات): هكذا بالتاء المثناة في «الكتاب» لسيويه، و«الإيضاح» لأبي علي الفارسي، و«المقرب» لابن عصفور.

(٢) دليل على أن الكلمة بالتاء المثناة.

(٣) في «الإيضاح» لأبي علي الفارسي تحت باء الكلب كسرتان فيفهم من هذا أنه تركيب إضافي، ويُستفاد من «القاموس» أن الكلب اسم قبيلة، و«العميرة» اسم بطن فتصح الإضافة.

(٤) في كتابه «المقرب».

عُبدِي بضم العين والباء^(١) وإلى جذيمة: جُذُمِي بضم الجيم والذال وإلى بني الحُبْلَى من الأنصار: حُبْلَى بضم الحاء والباء وإلى دستواء وروحاء وصنعاء وبهراء: دستواني وروحاني وصنعاني وبهراني وروحاني أكثر وإلى حروراء وجلولاء حروري وجلولي وإلى أُمَيَّة وطَهْيَة: أُمُوي وطُهوي بفتح الهمزة والطاء وسكون الهاء وإلى درابجرد^(٢) وامرء القيس الشاعر: دَرَاوردي ومرقسي، وإلى سوق مازن: سُقْرَنِي وإلى سوق الليل: سُقْلِي وإلى سوق العَطَش: سُقْشِي وإلى سوق يحيى: سُقْحِي وإلى دار البطيخ: دَرَبِيخي^(٣).

تنبيه: قد ألحقوا للمبالغة ياء كياء النسب فقالوا أحمرِي ودَوَارِي قال الشاعر [الرجز]:

والدهر بالإنسان دَوَارِي^(٤)

كما أنهم قالوا علامة ونسابة وكما أشركوا بين تاء المبالغة وياء النسب للمبالغة فقد أشركوا بينهما في تمييز الجمع من الواحد فحَبَشِي وحَبَش وزنج وزنجِي وتركِي وترك بمنزلة تمرّة وتمر ونَخْلَة ونَخْل وبُسرة وبُسْر وقد زادوها أيضاً لغير معنى زائد زيادة لازمة كحواري وبَزْدِي وبُخْتِي وكُرْسِي، وزيادة عارضة كقول الشاعر [الرجز]:

مثلُ الفراتي إذا ما ظلما^(٥)

تتمة: وقد استغنوا ببناء فعال عن إلحاق ياء النسب كقولهم بَرَّاز وعطار وحمال وخطاط وكلاب وسقاء، وقد يجيء هذا الوزن بمعنى صاحب كذا ومنه قول امرء القيس [الطويل]:

وليس بذِي رمح فيطعنني به وليس بذِي سيفٍ وليس بنَبَالٍ^(٦)

معناه وليس بصاحب سيف وليس بصاحب نبل وعلى هذا حمل المحققون قوله تعالى:

(١) الصواب: بضم العين وفتح الباء. انظر: «الكتاب» لسيبويه (٦٨/١).

(٢) درابجرد: كورة بفارس نفيسة عمرها دراب بن فارس. انظر «معجم البلدان» لياقوت (٢٩٤/٢).

(٣) انظر: «المقرب» لابن عصفور، و«معجم البلدان» لياقوت: دريخي.

(٤) الرجز للعجاج في «ديوانه» (٤٨٠/١)؛ و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (١٥٢/١)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٣٣٨)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٩٣/٥) (قسر) و(١١٧) (قسر)؛ و«مغني اللبيب» لابن هشام (١٨/١) وفيه شاهدان: أولهما مجيء الاستهزاء التوبيخي للمخاطب، وثانيهما قوله: (دَوَارِي) بتشديد الياء للمبالغة لا للنسب ورواية البيت في المصادر السابقة:

بكيت والمحترن البكي وإنما يأتي الصبا الصبي
اطربا وأنت قننصري والدهر بالإنسان دَوَارِي

(٥) وتماز الرجز: «يقذف بالبوصي والماهر»؛ وهو للأعشى في «الصحاح» للجوهري، و«تاج العروس»، و«لسان العرب» لابن منظور أوردوه في مادة (بوص). قال في «تاج العروس»: البوصي بالضم ضرب من السفن وقال أبو عمرو: البوصي: الزورق، وليس بالملاح وهو بالفارسية: بوزي.

(٦) البيت في «ديوان امرئ القيس» (ص ٣٣)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٣٨٣)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (١١/١) (٦٤٢) (نبل)؛ وبلا نسبة في «مغني اللبيب» (١١١/١). والشاهد فيه قوله: «نبال» حيث بناء على «فَعَال»، والقياس: «نابل» أي: ذو نبل، ولكنه أجراه مجرى صاحب الصفة، كما قيل: بَقَال وسيَاف.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [نصفت: ٤٦] أي بذى ظلم هذا كلام الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى. قلت: معناه ليس بذى ظلم، ولا يُفهم صيغة المبالغة منه كقولنا ضرباً وشرباً وقتال لأنه إذا نفيت المبالغة في الظلم فلا يلزم من نفيها نفي مطلق الظلم تعالى الله عن ذلك بل هو الْحَكَمُ الْعَدْلُ. وكذا استَغْنَوْا ببناء فاعل بمعنى صاحب كذا عن ياء النسب فقالوا لابن وتامر وطاعم وكاسٍ ورامح بمعنى ذي لبن وذي تمر وذي طعم وذي كسوة وذي رمح. وقد يستغنون بفعل عن ياء النسب فقالوا رجلٌ طَعِمَ وَلَبَسَ وَعَمِلَ بمعنى ذي طعم وذي لبس وذي عمل ومنه قول الراجز أنشده سيويه [الرجز]:

لست بليلى ولكنى نهز لا أدلج الليل ولكن أبتكر^(١)

أراد: ولكنى نهارى أعمل في النهار وكل صانع عند العرب فهو إسكاف قال الشاعر [الرجز]:

وشعبتا مئيس براها إسكاف^(٢)

أي نجار والناصح الخياط والنصاح الخيط والهاجري البناء والهالكي الحداد لأن أول من عمل الحديد الهالك والسفسير^(٣) السمسار والعصاب الغزال والقسامي الذي يطوي الثياب أول طيها حتى تنكسر على طيها والماسخي بالخاء والحاء القواس.

الفصل الخامس

في بيان العلم والكنية واللقب وكيفية ترتيب ذلك مع النسبة على اختلافها المتنوع.

اعلم أن الدال على معيّن مطلقاً إما أن يكون مصدراً بابٍ أو أم كأبي بكر وأبي الحسن أو كأم كلثوم وأم سلمة وإما أن يشعر برفعة المسمى كأنف الناقة وملاعب الأستة وعروة الصعاليك وزيد الخيل والرشيد والمأمون والواثق والمكثفي والظاهر والناصر وسيف الدولة وعضد الدولة وجمال الدين وعز الدين وإمام الحرمين وحجة الإسلام وملك النحاة وأما أن يشعر بضعة المسمى كجُحى وشيطان الطاق وأبي العبر وجحظة والعكوك وقد لا يشعر بواحد منهما بل أجري عليه ذلك لواقعة جرت مثل غسل^(٤) الملائكة وحمي الدبر ومطين وصالح جزرة والمبرد وثابت قُطنة وذي

(١) الرجز بلا نسبة في «أوضح المسالك» لابن هشام (٣٤١/٤)؛ و«شرح ابن عقيل» (ج ٢/ص ٥٢٦)؛ و«الكتاب» لسيويه (٣٨٤/٣)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (٢٣٨/٥) (نهر) و(٦٠٨/١١) (ليل). والشاهد فيه قوله: (نهر)، حيث بناء على «فعل»، وهو يريد النسب لا المبالغة.

(٢) في «لسان العرب».

(٣) السفسير: على وزن فعليل بكسر الفاء كما في «القاموس المحيط» و«لسان العرب».

(٤) الصواب: غسل الملائكة كما في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» للثعالبي في الباب الثالث، و«السيرة» لابن هشام (٧٥/٢ - ١٢٣).

الرُمة والصَّعِقَ وَصُرَّدَ وَخَيَصَ بَيِّنَصَ فهذه الأقسام الثلاثة تسمى الألقاب وإلا فهو الاسم الخاصّ كزيد وعمرو وهذا هو العَلَمُ، وقد يكون العلم مفرداً كما تقدم وقد يكون مركّباً إما من فعل وفاعل كتابط شراً وَبَرَقَ نَحْرُهُ^(١) وإما من مضاف ومضاف إليه كعبد الله وإما من اسمين قد زُكِّبَا وَجُعِلَا بمنزلة اسم واحد كسيبويه، والمفرد قد يكون مرتجلاً وهو الذي ما استعمل في غير العَلَمِية كَمَذْجَحَ وأدَدَ وقد يكون منقولاً إما من مصدر كسعد وفضل أو من اسم فاعل كعامر وصالح أو من اسم مفعول كمحمد ومسعود أو من أفعل تفضيل كأحمد وأسعد أو من صفة كثقيف وهو الدرب بالأمور الظاهر بالمطلوب وسلول وهو الكثير السلّ وقد يكون منقولاً من اسم عين كأسد وصقر وقد يكون منقولاً من فعل ماضٍ كأبان وشَمَّرَ أو من فعل مضارع كيزيد ويشكر.

ثمرة هذا المطلوب: إذ قد عرفت العلم والكنية واللقب فسردها يكون على الترتيب تُقدّم اللقب على الكنية والكنية على العَلَمِ ثم النسبة إلى البلد ثم إلى الأصل ثم إلى المذهب في الفروع ثم إلى المذهب في الاعتقاد ثم إلى العِلْمِ أو الصناعة أو الخلافة أو السلطنة أو الوزارة أو القضاء أو الإمرة أو المشيخة أو الحجّ أو الحرفة كلها مقدّم على الجميع فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو العباس أحمد السامريّ إن كان وُلِدَ بسرّ من رأى البغدادي فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس، الشافعي الأشعري إن كان يتمذهب في الفروع بفقهِ الشافعي ويميل في الاعتقاد إلى أبي الحسن الأشعري ثم تقول القرشي الهاشمي العباسي، وتقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي نسبةً إلى أستاذه الملك الصالح التركي الحنفي البندقدار أو السلاح دار، وتقول في الوزراء: الوزير فلان الدين أبو كذا فلان وتسرد الجميع كما تقدّم ثم تقول وزير فلان، وتقول في القضاة كذلك: القاضي فلان الدين وتسرد الباقي كما تقدم، وتقول في الأمراء كذلك الأمير فلان الدين وتسرد الباقي إلى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يُعرَفُ بها قبل للمرة مثل الجاشنكير أو الساقى أو غيرهما، وتقول في أشياخ العلم العلامة أو الحافظ أو المُسَنِّد في من عُمِّرَ وأكثر الرواية، أو الإمام أو الشيخ أو الفقيه وتسرد الباقي إلى أن تختتم الجميع بالأصوليّ أو النحوي أو المنطقي، وتقول في أصحاب الجُحُوف: فلان الدين وتسرد الجميع إلى أن تقول الحرفة إما البزّاز أو العطار أو الخياط. فإن كان النسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قلت القرشي التيمي البكري لأن قريشاً أعمّ من أن يكون تيميّاً والتيمي أعمّ من أن يكون من ولد أبي بكر رضي الله عنه، وإن كان النسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قلت القرشي العدويّ العُمَريّ، وإن كان النسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه قلت القرشي الأموي العثماني، وإن كان النسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قلت القرشي الهاشمي العلوي، وإن كان النسب إلى طلحة رضي الله عنه قلت القرشي التيميّ الطلحي، وإن كان النسب إلى الزبير رضي الله [عنه] قلت: القرشي الأسدي الزبيري، وإن كان النسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قلت: القرشي الزُهري السُعديّ، وإن كان النسب

(١) نقص في الأصل، والصواب ما أثبتناه.

إلى سعيد^(١) رضي الله عنه: قلت القرشي العدوي السعدي إلا أنه ما نُسِبَ إليه فيما عُلِمَ، وإن كان النسب إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قلت القرشي الزهري العوفي من ولد عبد الرحمن بن عوف، وإن كان النسب إلى أبي عبيدة بن الجراح قلت القرشي من ولد أبي عبيدة، على أنه ما أعقب.

هذا الذي ذكرته وهنا هو القاعدة المعروفة والجاذة المسلوكة المألوفة عند أهل العلم وإن جاء في هذا الكتاب في بعض التراجم ما يخالف ذلك من تقديم وتأخير فإنما هو سبق من القلم وذوول من الفكر وإنما قررت هذه القاعدة ليرد ما خالف الأصل إليها وبالله التوفيق.

تنبيه: كلما رفعت في أسماء الآباء والنسب وزدت انتفعت بذلك وحصل لك الفرق، فقد حكى أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني قال: حججت في سنة وكنت بمنى أيام التشريق فسمعت منادياً ينادي يا أبا الفرج فقلت: لعله يريدني ثم قلت في الناس كثير ممن يكنى أبا الفرج فلم أحبه ثم نادى يا أبا الفرج المعافى فهممت بإجابته ثم قلت قد يكون اسمه المعافى وكنيته أبا الفرج فلم أحبه فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء فلم أحبه فنادى يا أبا الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني فقلت لم يبق شك في مناداته إياي إذ ذكر كنتي واسمي واسم أبي وبلدي فقلت هأنذا فما تريد فقال: لعلك من نهروان الشرق فقلت: نعم، فقال: نحن نريد نهروان الغرب فعجبت من اتفاق ذلك انتهى.

وكذلك الحسن بن عبد الله العسكري أبو أحمد اللغوي صاحب كتاب التصحيف والحسن بن عبد الله العسكري أبو هلال صاحب كتاب الأوائل كلاهما الحسن بن عبد الله العسكري، والأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة والثاني كان موجوداً في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعلم وتقاربا في الزمان ولم يفرق بينهما إلا بالكنية لأن الأول أبو أحمد والثاني أبو هلال والأول ابن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل والثاني ابن عبد الله بن سهل بن سعيد ولهذا كثير من أهل العلم بالتاريخ لا يفرقون بينهما ويظنون أنهما واحد وستقف إن شاء الله تعالى على ترجمتهما في مكانهما.

وكذلك أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي هذه الكنية والاسم واسم الأب والنسبة إلى البلد وإلى المذهب الجميع مشترك بين الإمامين المشهورين أحدهما الفقيه المحدث الأصولي اللغوي الشاعر المعروف بالقفال الكبير والآخر الفقيه صاحب الطريقة المشهورة والأول وفاته سنة خمس وستين وثلاثمائة والثاني وفاته سنة خمس وثمانين وأربعمائة والأول محمد بن علي بن إسماعيل والثاني محمد بن علي بن حامد، وكذلك محمد بن علي كلاهما شرح المقامات الحريرية أحدهما محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله يعرف بابن حميدة الجلي توفي سنة خمسين

(١) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل زوج فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر رضي الله عنه وأبوه زيد بن عمرو أحد المؤحدين الحنفاء في الجاهلية، لم يدرك الإسلام، وزيد ابن عم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى.

وخمس مائة والآخر محمد بن علي بن عبد الله أبو سعيد الجاواني الحلوي وتوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة وسوف يمرّ بك في تراجم هذا الكتاب من الأسماء والكنى والنسب والمذاهب والصناعات وغيرها ما تشاهد منه العجب.

الفصل السادس

في الهجاء

وهو معرفة وضع الخط ورسمه وحذف ما حُذف وزيادة ما زيد وإبدال ما أُبدل واصطلاح ما تواضع عليه العلماء من أهل العربية والمحدثين والكتاب وهذا الباب جليل في نفسه قلّ من أتقنه، والمحدث والمؤرّخ شديد الحاجة إليه فأذكر ههنا مهمّ هذا الباب فأقول: أكثر ما تجري أوضاع الكتابة التي تحتاج إلى البيان في الهمزة والألف والواو والياء.

الهمزة همزتان: همزة قطع وهمزة وصل فهمة القطع إن كانت مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة ووقعت أولاً في اسم أو فعل أو حرف كتبت ألفاً نحو أحمد وأبلم وإئمد أو أخذ وأكرم واستخرج أو إن وأنّ وزاد بعضهم أن جعل علامة الهمزة وحركتها في الضمّ والفتح من فوق الألف وفي الجرّ من تحت الألف، فإن وقعت الهمزة حشواً^(١) فإن كانت ساكنة في نفس الكلمة كتبت حرفاً من جنس الحركة التي قبلها نحو سؤر ورأس وبئر، وإن كانت متحركة فإن كان ما قبلها ساكناً كتبت على نحو حركة نفسها نحو أرؤس وأرأف وأسر، وإن كان ما قبلها متحركاً فإن كان مضموماً أو مفتوحاً أو مكسوراً فالمضموم تكتب همزته المفتوحة والمضمومة واواً نحو جؤن ودؤوب والمفتوح تكتب همزته على جنس حركة نفسها نحو لؤم وسأل وسئم والمكسور تكتب همزته ياء نحو سُئِلَ^(٢)، وإن وقعت الهمزة طرفاً فإن كان ما قبلها ساكناً لم تثبت لها صورة نحو الخبء والدفاء والجزء وبعضهم كتبها إن وقعت طرفاً في المضاف على جنس حركة ما قبلها نحو هذا امرؤ القيس ورأيت امرأ القيس ومررت بامرئ القيس وكذا إذا اتصلت الهمزة المتطرفة بضمير مثل هذا جزؤه ورأيت جزؤه ومررت بجزئه وبعضهم حذفها واستغنى بالضبط. فإن كانت فاء الفعل همزة واتصلت بكلام قبلها كتبت بعدها على الصورة التي يبدأ فيها بالهمزة نحو قلت له ائت زيدا والذي أوثمن. وإن وقعت الهمزة بعد مدّة فإن كانت في مُنْصَرَفٍ كُتِبَتْ في المنصوب ألفاً فتقول لبست قباءً وشريت كساءً بألفين وكُتِبَتْ في المرفوع والمجرور وغير المنصرف بألفٍ واحدة نحو هذا رداءً وسوداءً ومررت بكساءٍ وحمراء، فإن كان الممدود مثني كُتِبَ على ما تلفظ به تقول هذان كسآنً وابتعت كسأئين، وإن أضيف الممدود إلى مضمّر رفعته بواو ونصبته بألف وجررته بياء

(١) حشواً: أي في وسط الكلمة.

(٢) قوله (والمكسور تكتب همزته ياءً نحو: سُئِلَ): أي سواء كانت الكسرة حركة الهمزة أو حركة ما قبلها نحو: وثام - يُطْطَنون - يئر وقوله (ياءً): هو ما يعبر عنه بالنبرة.

فتقول هذا عطاؤك وكمّلت عطاؤك والأحسن حذفها في حالة النصب فتقول: كمّلت عطاءك وفي الجرّ تقول وصلت إلى عطائك.

وأما همزة الوصل فقد حذفت في مواضع منها إذا اتصلت باسم الله تعالى خاصة نحو بسم الله لكثرة دورها في الكلام ولم يفعلوا ذلك في باقي أسماء الله الحسنى في مثل باسم ربك وباسم الرحمن وأجاز الكسائي الحذف في هذا، فإن اتصلت بغير الباء لم تحذف كاسم الله ولا اسم الله. ومنها همزة (ابن) إذا ما وقعت بين علمين فتكتب أحمد بن محمد فإن كانت بين غير علمين كعلم وكنية وبالعكس أو غير الكنية فتكتب محمد ابن أبي بكر ومحمد ابن جمال الدين ومحمد ابن الأمير وغيره وبعضهم أجراها على الحذف في هذه المواطن ولا أرضاه، فإن وقع (ابن) أول السطر وهو بين علمين أثبت ألفه وبعضهم أجراه في (ابنة) فقال فاطمة بنت محمد ولا أراه لقلته وإلالباسيه.

الألف حُذفت في (يا) حرف النداء نحو (يرسول الله) لكثرة دوره في الكلام ولم تحذف في يا محمد يا جبال يا رحمان، وحذفوا ألف المنادى العَلَم من أوله نحو يا إبراهيم يا سمعيل يا إسرائيل، وحذفوها في الأعلام مثل الحرث وخلد وإبراهيم واسمعيل وإسحق وهرون ومَرْوَان وسليمن وعثمان، وحذفوها في السموات ومن ثلثة وثلثين وثمانية وثمانين وحذفوا ألف الاستفهام في نحو عمّ وفيم وحتّام، وألف هؤلاء وأولئك وهذا وهكذا والسلم ومسئلة والقيمة والملئكة وسبحنه وههنا وحيثنذ وليثنذ وساعتنذ، وزيدت في الأفعال الماضية والمضارعة المتصلة بالضمائر في مثل قاموا ولم يقوموا فرقاً بين فعل الجماعة والمفرد في مثل هو يغزو ويدعو ويحدو ورأيت جماعة لم يزدوا هذه الألف وكتبوا (قالوا ولم يقولوا) بغير ألف فيهما اتكالا على بيان القرائن من سياق الكلام ولم يثبتها المحققون ولكنها في رسم المصحف الكريم، وقالوا مائة ومائتان فرقاً بين مئة^(١) ومئين جمع مائة وبين ما ذكر.

الواو حذفت في مثل داود وطاوس وناوس ويؤده ويسؤه وينؤه والمؤدة^(٢) وهي ثلاث واوات، وزيدت في مثل عمرو رفعاً وجرّاً فأما في النصب فلا فرق بينه وبين عمر لأنه في النصب يكتب ألفاً بدلاً من التنوين ولا تنوين في عمر، وبعضهم يكتب علي بن أبو طالب رضي الله عنه ويلفظ به أبي بالياء. وزادوها في أولئك فرقاً بينها وبين إليك كما كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو نظراً إلى الأصل فإن أضيفت إلى الضمير به إلى اللفظ فكتب صلاتك وزكاتك وحياتك وبعضهم أقرّ الواو في هذه الحالة أيضاً. وأما رسم المصحف فيه واوات لم يكتبها العلماء إلا في

(١) صوابه: (منه) كما هو منصوب في «أدب الكاتب» وهذا نصه: «ومائة زادوا فيها الألف ليفصلوا بينها وبين منه». وكذا في «صبح الأعشى» (١٧٩/٣) وهذا نصه: «الألف تزداد بعد الميم في مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقاً بينها وبين (منه)».

(٢) الصواب: تكتب بثلاث واوات (المؤودة).

المصحف فقط مثل: «الْمَلَأُوا»^(١) و«أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ» [إبراهيم: ٩] و«الرَّبِوَا»^(٢) و«وَجَزَاوَا سَيِّئَةً» [يونس: ٢٧] وكتبوا يَأُوخِي^(٣) بالواو حالة التصغير لثلاثيهم بيا أخي مكبراً.

الياء أثبتت في المنقوص إذا كان معرّفاً بالألف واللام نحو الداعي والقاضي فإن كان نكرة أو غير منصرف حذفت الياء في الرفع والجرّ نحو هذا قاضٍ وجوارٍ وثبتت في النصب نحو رأيت قاضياً وجواري، ومذهبُ يونس كتابة الجميع بالياء لأن الخط جارٍ مجرى الوقف والأحسن الأول، وكل ياء وقعت طرفاً في القافية فالأولى حذفها كقوله: [الطويل]:
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ^(٤)

وقوله [الوافر]:

وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارٍ

وإن كانت للإضافة فالأولى إثباتها كقوله: [الطويل]:

عَلَى النَحْرِ حَتَّى بَلَ دَمْعِيَّ مُحْمَلِي

وقول الشاعر [الرميل]:

أَبْلِغِ النِّعْمَانَ عَنِّي مَالِكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتَظَارِي^(٥)

فمنهم مَنْ أثبت الياء ومنهم مَنْ حذفها، وكتبوا إحدیهما بالياء نظراً إلى حالة تجرّدها عن الضمير.

وقد يُحتاج إلى معرفة ما ومن ولا واللام إذا كانت أول كلمة ودخلت آلة التعريف عليها: أما «ما» إذا اتصلت بكلام قبلها فمنه ما يحسن أن يوصل به ومنه ما يحسن أن يفصل عنه ومنه ما يلزم وصله ومنه ما لا يحسن، فإن كانت حرفاً كتبت موصولة نحو إنما زيد قائم وأينما تكن أكن وكأتما زيد أسد وكلما وأما، فإن كانت اسماً موصولاً بمعنى الذي كتبت مفصولة نحو إنَّ ما فعلت

(١) لفظ «الملا» ورد في «القرآن الكريم» في اثنين وعشرين موضعاً بدون إضافة إلى الضمير.

(٢) لفظ «الربا» ورد في تسعة مواضع في «القرآن الكريم».

(٣) لعله (ياوخي) كما في «أدب الكاتب» لابن قتيبة و«صبح الأعشى» (٣/١٨٣): «ياوخي».

(٤) صدر بيت وعجزه:

بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل

وهو لامرئ القيس في ديوانه (ص ٨)؛ و«الكتاب» لسيبويه (٤/٢٠٥)؛ و«لسان العرب» لابن منظور (١٥/٢٠٩) (قوا)؛ و«همع الهوامع» للسيوطي (٢/١٢٩). والشاهد النحوي فيه قوله: «فحومل» حيث الفاء بمعنى الواو غير مفيدة الترتيب. وقيل: هي على أصلها، والمعنى: بين أماكن الدخول، فأماكن حومل، فالبيت يؤوّل على حذف المضاف.

(٥) البيت لعدي بن زيد العبادي في «ديوانه» (ص ٩٣)؛ و«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢/٩٤) و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/٢٣٥). والشاهد فيه قوله: «مألكاً» في جمع «مألكة» بمعنى رسالة، وقيل: أراد مألكة، فرخّم ضرورة.

حسنُ وأين ما وعدتني به، فأما إذا اتصلت بحروف الجرّ فلا تكتب إلا موصولة نحو بما ولما وفيما ومما وعمّا.

وأما «مَنْ» فكَذَلِكَ نحو بمن وفيمن وعمن وممن ولمن. وأما «لا» فقد كتبوها مع «كي» موصولة ومفصولة نحو «كي لا» و«كيلا»، وإن اتصلت بأن الناصبة للفعل حذفت النون وأدغمت في لام «لا» نحو أريد ألا تفعل كذا، فإن كانت الخفيفة من أن الثقيلة فصلت في مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩] فأما إذا دخلت «لا» على «إن» الشرطية فالأولى فصلها كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْعَلُوا﴾ [الأنفال: ٧٣]، وقد كتبوا لثلاثاً جملةً واحدةً وهي ثلاثة ألفاظ «لام كي» و«أن الناصبة» و«لا» النافية، لأن اللام لا تقوم بنفسها فوصلت بأن ووصلت أن بلا لأنها ناصبة وكتبت همزتها ياءً للكسرة قبلها وادغموا النون في اللام.

وأما «اللام» فكل كلمة أولها لام ودخلت آلة التعريف ادغمت فيها لفظاً وأظهرت خطأً نحو الليل واللحم واللجام وقد كتبت المغاربة اليل على رسم المصحف ولم يستعمله أهل المشرق. وأما «الذي» فإنهم كتبوها بلام واحدة طلباً للإختصار لكثرة دورها بخلاف اللَّذِينَ مثلى الذي واللتين مثلى التي لأنهما أقل وقوعاً من الذي واللَّذِينَ جمعاً والتي.

تنبيه لا يكتب المضاف في آخر السطر الأول ويتبدأ بالمضاف إليه في السطر الثاني كعبد الله وأبي بكر والمغاربة يفعلون ذلك وليس بحسن، وأبلغ من هذا أن يكتبوا الكلمة الواحدة مفصولة الحروف في السطرين كالزاي والياء والدال والواو في السطر الأول آخراً والنون من تنمة زيدون في أول السطر الثاني وهو أقبح من الأول.

قاعدة: لا تنقط القاف ولا النون ولا الياء إذا وقعن أواخر الكلم، برهانه أن الإعجام إنما أتيت به للفارق فإن صورة الباء والتاء والثاء والحاء والخاء والدال والذال متشابهة والقاف والنون والياء آخر الكلمة لا تشبهها صورة أخرى أما إذا وقعن في بعض الكلمات وجب نقطهن لأن الفارق بطل.

«تذنيب» رأيتُ أشياخَ الكتابة لا يشكّلون الكاف إذا وقعت آخرأ ولا يكتبونها مُجَلَّسَةً أما إذا وقعت أولاً في بعض الكلمة حشواً فإنهم يجلسونها ويشكّلونها بردة الكاف، ورأيتهم لا يجوزون في السطر الواحد أكثر من ثلاث مذات فأما الكلمة نفسها فلا يمدّون فيها إلا بعد حرفين ويعدّون ذلك كُلُّهُ من لحن الوضع في الكتابة.

«تنمة» جرت العادة من قديم الزمان وهَلُمَّ جَرّاً إلى هذا الزمان باقتصار المحدثين على الرمز في حدّثنا وأخبرنا واستمرّ الاصطلاح عليه لكثرة دوره في الكلام وهو حسن فيكتبون من حدّثنا الثاء والنون والألف فيكون صورة ما بلا نقط ويكتبون من أخبرنا الألف والنون والألف فيكون صورة أبا بلا نقط هكذا في الاثنين بالعطف من الألف ولا تكون إلا مائلة بتدوير غير منتصبة على الاستواء. ولم يكفهم هذا حتى حذفوا «قال» جملةً كافيةً إذا وقعت بين فلان وبين أخبرنا وبعضهم حذفها خطأً ولفظاً والأحسن حذفها خطأً وإثباتها لفظاً.

وإذا كان للحديث إسنادان أو أكثر كتبوا عند الانتقال من إسناد إلى آخر صورة ح وهي حاء مهملة والمختار أنها مأخوذة من التحويل وأن يقول القاريء إذا انتهى إليها ح وقيل إنها من حال بين الشيتين ويقال إن أهل المغرب إذا وصلوا إليها قالوا الحديث، وقد كتب جماعة من الحفاظ موضعها «صح» يشعر بأنها رمز، هكذا ذكره الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى، وهي كثيرة في صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، وجرت عادة المحدثين والمؤرخين والأدباء إذا جاء ذكر آية من القرآن الكريم أو حديث مشهور أو بيت شعر اشتهر أو تقدّم ذكره آنفاً أن يذكر أول الآية ثم يقول: «الآية» بالنصب على إضمار أريد أو أعني وكذا يذكر لفظاً من الحديث ويقول الحديث وأول البيت ويقول البيت وبعضهم يقرأ الآية ويكمل الحديث إن كان يحفظه وهو الأحسن وبعضهم يقتصر على لفظه كما هو مكتوب لكنه يحسن أن يقف عليه قليلاً.

ولما اشتهر بين المحدثين هذه الكتب الصحاح البخاري ومسلم والموطأ والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه جعلوا رمزاً لكل اسم منهم فجعلوا للبخاري «خ» ولمسلم «م» وللموطأ «ط» وللترمذي «ت» وللنسائي «ن» ولأبي داود «د» ولابن ماجه «ق»^(١) وإنما رمزوا القاف وإن لم يكن في شيء من اسمه لأنهم لو رمزوا له بالجيم لاشتبه حيثئذ بالخاء للبخاري في الصورة فجعلوا القاف رمزاً لأنه من قزوين.

الفصل السابع

جرت عادة المؤرخين أنهم يرتّبون مصنفاتهم إما على السنين وهو الأليق بالتاريخ لأن الحوادث والوقائع تجريء فيه مرتبة متالية ومنهم من يرتّبها على الحروف وهو الأليق بالتراجم فإن الرجل المذكور في الحرف يُذكر ما وقع له في السنين المتعددة في موضعه دفعةً واحدة إما بإجمال وهو الأكثر وإما بتفصيل وهو قليل، وأحسن ترتيب في الحروف ما رُتب على حروف أهل المشرق هي ألف باء تاء جيم حاء خاء ثم تسرد متماثلين متماثلين إلى كاف لام ميم نون هاء واو لام ألف ياء، وبعضهم قدّم الواو على الهاء ومنهم الجوهري في صحاحه، فأما حروف المغاربة فإنهم وافقوا المشاركة من أولها إلى الزاي ثم قالوا طاء ظاء كاف لام ميم نون صاد ضاد عين غين فاء قاف سين شين هاء واو ياء وترتيب المشاركة أحسن وأنسب لأنهم أثبتوا الألف أولاً وأتوا بالباء والتاء والثاء ثلاثة وبعدها جيم حاء خاء ثلاثة متشابهة في الصور أيضاً ثم إنهم سردوها كل اثنين اثنين متشابهين إلى القاف وأتوا بعد ذلك بما لم يتشابه فكان ذلك أنسب، وبعضهم رتب ذلك على حروف أبجد وليس بحسن، وبعضهم رتب ذلك على مخارج الحروف وهُم بعض أهل اللغة كصاحب المحكم والأزهري، والتحقيق أن تقول همزة ألف باء تاء ثاء فإن الهمزة غير الألف وهذه النكتة تنفع من يرتّب الشعر على القوافي فيذكر الهمزة أولاً والألف ثانياً ويجيء فيها المقصور كله.

(١) قوله لابن ماجه (ق): أخذوها من نسبه (القزويني) وبعضهم يرمز له (هـ) أو (جه).

«كيفية ضبط حروف المعجم» قالوا الباء الموحدة وبعضهم يقول: الباء ثاني الحروف والتاء المثناة من فوق لثلاث يحصل الشبه بالياء فإنها مثناة ولكنها من تحت وبعضهم قال ثالث الحروف والتاء المثناة والجيم والحاء المهملة والطاء المعجمة والذال المهملة والذال المعجمة والراء والزاي وبعضهم يقول الراء المهملة والزاي المعجمة والسين المهملة والشين المعجمة والصاد المهملة والضاد المعجمة والطاء المهملة والظاء المعجمة والعين المهملة والغين المعجمة والفاء والقاف والكاف واللام والهاء والواو والياء المثناة من تحت وبعضهم يقول آخر الحروف.

«تتمة» إذا أرادوا ضبط كلمة قيدوها بهذه الأحرف على هذه الصورة فإن أرادوا لها زيادة بيان قالوا على وزن كذا فيذكرون كلمة توازنها وهي أشهر منها كما إذا قيدوا قُلُوءاً وهو المهر قالوا فيه بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو على وزن عدو فحينئذ يكون الحال قد اتضح والإشكال قد زال.

الفصل الثامن

الوفاة يُحتاج إلى معرفة أصلها فأقول أصل وفاة وَفِيَّةٌ بتحريك الواو والفاء والياء على وزن بقرة ولما كانت الياء حرف علة سكتوها فصارت وَفِيَّةٌ فلما سكنت الياء وانفتح ما قبلها قُلبت أَلْفًا فقالوا وفاةً ولهذا لما جمعوه رجعوا به إلى أصله فقالوا وَفِيَّاتٍ بفتح الواو والفاء والياء كما قالوا شجرة وشجرات، وقالوا في الفعل منه تَوَفَّى زيدٌ بضم التاء والواو وكسر الفاء وفتح الياء فبنوه على ما لم يسم فاعله لأن الإنسان لا يَتَوَفَّى نفسه فعلى هذا الله المتوفى بكسر الفاء أو أحد الملائكة وزيد المتوفى بفتح الفاء وقد حُكي أن بعضهم حضر جنازة فسأل بعض الفضلاء وقال من المتوفى بكسر الفاء فقال له الله تعالى فأنكر ذلك إلى أن بين له الغلط وقال قُلْ مَنْ المتوفى بفتح الفاء.

«منهم يتعين ههنا ذكره» الأجل أجل واحد ليس إلا فإن بعض الناس من حكماء المسلمين كأبي الهذيل العلاف المعتزلي ومن تابعه وقال بقوله وافقوا غيرهم على القول بالأجل الطبيعي والأجل الاخترامي أما الطبيعي فهو نفاذ الحارّ الغريزي وذهاب الرطوبة والاخترامي فهو ما يحصل من الغرق والحرق والتردي وتفرق الاتصال بالسيف وغيره أو دخول المنافي للحياة كالسموم أو فساد المزاج من غلبة بعض الأخلاط أو عدم التنفس من خنق أو غيره واحتج بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَيا أَجَلا وَأَجَلا مُّسمًى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام: ٢].

والصحيح ما ذهب إليه أهل السنة من أن الأجل واحد لا يزيد ولا ينقص كما قال تعالى ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤] ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة، والجواب عن الآية على ما تمسك به الخصم أن الأجل الأول إما المراد به آجال الماضين والأجل الثاني آجال الباقين الذين لم يموتوا أو الأجل الأول الموت والأجل الثاني أجل البعث يوم النشور للقيامة أو الأول ما بين خلقه إلى موته والثاني مدة لبثه في البرزخ أو الأول النوم والثاني الموت أو الأول مقدار ما مضى من عُمر كل أحد والثاني مقدار ما بقي له من الحياة.

الفصل التاسع

في فوائد التاريخ

منها واقعة رئيس الرؤساء^(١) مع اليهودي الذي أظهر كتاباً فيه أن رسول الله ﷺ أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فحمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ووقع الناس به في حيرة فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد فتأمله وقال إن هذا مُزَوَّرٌ فقليل له من أين لك ذلك فقال فيه شهادة معاوية رضي الله عنه وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر ستة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد رضي الله عنه يوم بني قريظة قبل خيبر بستين ففرج ذلك عن المسلمين غمّاً^(٢).

وروي عن إسماعيل بن عيَّاش أنه قال كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث فقالوا ههنا رجل يحدث عن خالد بن معدان فأتيته فقلت: أي سنة كتبت عن خالد بن معدان فقال سنة ثلاث عشرة يعني ومائة فقلت إنك تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين لأن خالداً مات سنة ست ومائة^(٣).

وروي عن الحاكم أبي عبد الله أنه قال لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي بالشين والسين معاً وحديث عن عبد بن حميد سأله عن مولده فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين فقلت لأصحابنا هذا سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة. وذكر قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله قال: وجدت في كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين وذكر طائفة من الثقات الأتبات أن هؤلاء الثلاثة تواصلوا على قلب الدول والتعرض لإفساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها وارتاد كل واحدٍ منهم قُطُراً أما الجنابي^(٤) فأكناف الإحساء وابن المقفّع^(٥) توغل في أطراف بلاد الترك وارتاد الحلاج^(٦) بغداد فحكم عليه صاحبه بالهلكة والقصور عن درك الامنية لبعد أهل العراق عن الانخداع، هذا آخر كلام إمام الحرمين ثم قال

(١) هو علي بن الحسين بن أحمد وزير القائم بأمر الله انظر هذه الواقعة في «المنتظم» لابن الجوزي (٢٦٥/٨)، و«المنتخل من تاريخ بغداد» لابن قاضي شهبة (١٣٩).

(٢) لقد احتلَّ التاريخ عند أهل الحديث مكانة هامة جداً لمعرفة اتصال الأسانيد وانقطاعها، وفي الكشف عن أحوال الرواة وفضح الكذابين. قال سفيان الثوري: «لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ». وقال حفص بن غياث: «إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين» انظر: «منهج النقد في علوم الحديث» لفضيلة أستاذنا الدكتور نور الدين عتر (ص ١٤٣).

(٣) انظر: «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ص ١١٩)، ورواه أيضاً عن عفير بن معدان الكلاعي.

(٤) هو أبو سعيد الحسن بن بهرام أحد زعماء القرامطة توفي سنة (٣٠١هـ) مقتولاً.

(٥) هو عبد الله بن المقفّع رائد حركة إحياء التراث الفارسي توفي سنة (١٤٥هـ) انظر: «الفهرست» لابن النديم (١١٨/١) له الأدب الصغير والكبير.

(٦) هو الحسين بن منصور شيخ الصوفية في عصره توفي سنة (٣٠٩هـ). انظر: «الكامل» لابن الأثير (٥/٤١ - ٦٩).

شمس الدين ابن خلكان وهذا لا يستقيم عند أرباب التواريخ لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد وأما الحلاج والجنابي فيمكن اجتماعهما ولكن لا أعلم هل اجتماعا أو لا، وذكر وفاة الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة وذكر وفاة الجنابي في سنة إحدى وثلاثمائة وذكر ابن المقفع فقال كان مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور وكتب له واختص به وذكر أنه قتل في سنة خمس وأربعين ومائة ثم إن ابن خلكان قال: لعل إمام الحرمين أراد المقنع الخراساني وإنما الناسخ حُرّف عليه ثم فكرت في أن ذلك أيضاً لا يصح لأن المقنع الخراساني قتل نفسه بالسّم في سنة ثلاث وستين ومائة ثم قال: وإذا أردنا تصحيح ما ذهب إليه إمام الحرمين فلا يكون إلا ابن السلمغاني لأنه أحدث مذهباً غالباً في التشيع والتناسخ وأحرق بالنار في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

الفصل العاشر

في أدب المؤرّخ

نقلْتُ من خط الإمام العلامة الحجة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي ما صورته قال: يشترط في المؤرّخ الصدق وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى وأن لا يكون ذلك الذي نقله أخذه في المذاكرة وكتبه بعد ذلك وأن يسمي المنقول عنه فهذه شروط أربعة فيما ينقله، ويشترط فيه أيضاً لما يترجمه من عند نفسه ولما عساه يطول في التراجم من النقول ويقصر أن يكون عارفاً بحال صاحب الترجمة علماً ودينياً وغيرهما من الصفات وهذا عزيز جداً وأن يكون حسن العبارة عارفاً بمدلولات الألفاظ وأن يكون حسن التصوّر حتى يتصوّر حال ترجمته جميع حال ذلك الشخص ويعبر عنه بعبارة لا تزيد عليه ولا تنقص عنه وأن لا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبّه والتقصير في غيره بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى وهو عزيز وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويسلك طريق الإنصاف فهذه أربعة شروط أخرى ولك أن تجعلها خمسة لأن حسن تصوّره وعلمه قد لا يحصل معهما الاستحضار حين التصنيف فيجعل حضور التصوّر زائداً على حسن التصوّر والعلم فهي تسعة شروط في المؤرّخ وأصعبها الاطلاع على حال الشخص في العلم فإنه يحتاج إلى المشاركة في علمه والقرب منه حتى يعرف مرتبته.

وما ذكرت هذا الكلام إلا بالنسبة إلى تواريخ المتأخرين فإنه قلّ فيها اجتماع هذه الشروط وأما المتقدمون فإنني أتأدّب معهم لكنني رأيت حال كتابتي هذه شيئاً لا بأس بذكره هنا وهو أن أبا الوليد الباجي المالكي حكى في كتابه المسمّى تاريخ الفقهاء عن غيره أن يحيى بن معين ضعف الشافعيّ فبلغ ذلك أحمد بن حنبل فقال هو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما يقول انتهى. قلت هذه الشروط تلزم الذي يعمل تاريخاً على التراجم، أما من يعمل تاريخاً على الحوادث فلا يشترط فيه ذلك لأنه ناقل الوقائع التي يتفق حدوثها فيشترط فيه أن يكون مثبّتاً عارفاً بمدلولات الألفاظ حسن التصوّر جيّد العبارة.

الفصل الحادي عشر

في ذكر شيء من أسماء كتب التواريخ المؤلفة لمن تقدم من أرباب هذا الفن

تاريخ المشرق وبلاده:

تاريخ بغداد للخطيب أبي بكر، الذيل عليه للسمعاني، الذيل عليه لابن الدُبَيْثي وفيه ما لم يذكره السمعاني وذكر من أغفله أو كان بعده، والذيل عليه لابن القطيعي، والذيل لمحب الدين ابن النجار، والذيل لأبي بكر ابن المارستاني، والذيل لابن الساعي، تاريخ البصرة لابن دَهْجَان، تاريخ الكوفة لابن مجالد، تاريخ واسط للدُبَيْثي، تاريخها أيضاً لبُحْشَل، الذيل عليه لابن الجَلَّابِي، تاريخ العراق لابن القاطولي، تاريخها أيضاً لابن اسفنديار الواعظ، تاريخها لأحمد بن أبي طاهر وهو أول من وضع لبغداد تاريخاً، أخبار الموصل للخالديين، تاريخ حرّان لمحاسن بن خليفة الحرّاني، المشرق في أخبار المشرق لابن سعيد المغربي، تاريخ مَيافارقين لابن الأزرق، تاريخ اربل^(١) لابن المستوفي، تاريخ دُنَيْسِر^(٢) لعمر بن اللّمش، التاريخ الخاص لتكريب^(٣) تاريخ الأنبار لابن الأنباري، تاريخ الموصل لابن باطيش، تاريخ سامرا لابن أبي البركات، تاريخ سمرقند للإدرسي، والذيل عليه لأبي حفص النسفي، تاريخ خوارزم لمطهر الدين الكاشي، تاريخ خراسان للأبيوردي، تاريخها أيضاً للحاكم، تاريخ مرو لابن سيار، تاريخها أيضاً للسمعاني، تاريخ بيهق لعلي بن زيد، تاريخ جرجان للسهمي، تاريخ لعلي بن محمد الجرجاني، تاريخ ابوردد لأبي الفتيان الشاعر، تاريخ مازندران لابن أبي مسلم، تاريخ استراباد لأبي سعد، تاريخها لحمزه السهمي، تاريخ الري لأبي منصور الآبي، تاريخ أذربيجان لابن أبي الهيجاء الروادي، تاريخ أصبهان لحمزة، الطبقات الأصفهانية لأبي الشيخ ابن حيّان، تاريخها أيضاً لأبي نعيم، تاريخها أيضاً لابن مردويه، تاريخها أيضاً ليحيى بن منده، تاريخ قزوین لإمام الدين الراعي، تاريخ همذان لشيرويه، تاريخها لصالح بن أحمد الحافظ، طبقات همذان لعبد الرحمن بن أحمد الأنماطي، تاريخ مراغة لابن المثنى، تاريخ نسف للحافظ المستغفري النسفي، تاريخ آران للبردعي، تاريخ هراة لأبي إسحق البرّاز، تاريخها أيضاً لأبي النصر الفامي، تاريخ بخارى للحافظ غنّجار، تاريخ شیراز لأبي عبد الله القصّار، تاريخها أيضاً لهبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، تاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم ابن عساكر وهو ثماني مائة جزء يدخل في ثمانين مجلدة وهو

(١) قال في «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/٢١٧): «تاريخ إربل» لأبي البركات مبارك بن أحمد بن المستوفي الإربلي المتوفي سنة (٦٣٧هـ) وهو كبير في أربع مجلدات سماه «نبأه البلد الخامل بمن ورده من الأمثال».

(٢) دُنَيْسِر: بضم أوله. بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردین بينهما فرسخان ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢/٣١٨).

(٣) لعلّ الصواب: تكريت.

تاريخ عظيم، وذيل عليه ولده القاسم ولم يكمل، وذيل عليه صدر الدين البكري، وذيل عليه أيضاً عمر بن الحاجب، وتاريخ أبي شامة الدمشقي، وذيل عليه عَلم الدين البرزالي، تاريخ حلب للصاحب كمال الدين ابن العديم، تاريخ حمص لابن عيسى، تاريخها لعبد الصمد بن سعيد، معادن الذهب في تاريخ حلب لابن أبي طي.

تاريخ مصر:

تاريخ مصر لابن يونس، تاريخ مصر للأمير المسيحي، الذيل عليه لابن مُيسر، تاريخ مصر لأبي عمر الكندي، أخبار مصر الكبير للموفق عبد اللطيف البغدادى الإفادة له في أخبار مصر، تاريخ مصر لقطب الدين عبد الكريم، تاريخ القاهرة لأبي الحسن الكاتب، تاريخ أسوان لابن الزبير، تاريخ مصر لابن أبي طي، تاريخ الصعيد لعلي بن عبد العزيز الكاتب، تاريخها لمحمد بن عبد العزيز الإدريسي.

تاريخ المغرب وبلاده:

المقتبس لابن حيان يدخل في عشرة أسفار، المتين في تاريخ الأندلس أيضاً للمذكور وهو يدخل في ستين مجلداً، تاريخ الأندلس للحافظ الحُميدي، تاريخ ابن الفَرَضِي، كتاب الصلة عليه لابن بشكوال، الذيل على ابن بشكوال لابن فرتون، والذيل أيضاً لابن الأبار، والذيل أيضاً لأبي جعفر ابن الزبير الغرناطي، ولابن بشكوال تاريخ صغير في أحوال الأندلس، تاريخ قرطبة للزهراوي، تاريخ صقلية لأبي زيد الغمري، تاريخ الأندلس لأبي عبد الله الحُشَنِي القيرواني، وله تاريخ القيروانيين، تاريخ المصامدة ولمتونه وصنهاجه، تاريخ القيروان لابن رشيق، تاريخ القيروان لأبي العرب الصنهاجي، تاريخها لإبراهيم الرقيق، تاريخ أفريقية لأبي محمد المالكي، تاريخ بلَنْسِيَه لمحمد بن الخلف الصدي، المغرب في أخبار أهل المَغْرِب لابن سعيد المغربي، المُعْجَب في أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي المراكشي.

تاريخ اليمن والحجاز:

تاريخ اليمن للحميري، تاريخ الرشيد له أيضاً، تاريخ عُمارة اليمَنِي، تاريخ تاج الدين عبد الباقي اليميني، أخبار تهامة والحجاز لأبي غالب.

التواريخ الجامعة:

تاريخ ابن جرير الطبري، الذيل عليه لأبي محمد الفرغاني، تاريخ المسعودي، تجارب الأمم لابن مسكويه، الذيل عليه لمحمد بن عبد الملك الهمداني، وللوزير أبي شجاع، الكامل لابن الأثير، الذيل عليه لابن أنجب، المنتظم لابن الجوزي، مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، الذيل عليه لقطب الدين اليونيني، الجامع لابن الساعي، ترجمان الزمن لجمال الدين ابن المهني العلوي، الدول لعلي بن فضال المجاشعي النحوي، جمل تاريخ الإسلام للحافظ الحُميدي، جامع التواريخ للقاضي عياض، التعريف بصحيح التاريخ لأحمد بن الجزار القيرواني الطبيب، دُرّة

الإكليل لابن الجوزي، المعارف لابن قتيبة، تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي على نمط المعارف، تاريخ ابن هلال الصابئ، الدول المنقطعة لابن ظافر، عيون السير في محاسن البدو والحضر لابن عبد الملك الهمداني، تاريخ العميد ابن القلانسي، تاريخ ابن العميد الكاتب، شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ولغيره، المظفرى وهو تاريخ كبير للمظفر ابن الأفتس، المبدأ والمآل لياقوت الحموي، الدول له أيضاً، تاريخ إبراهيم ابن أبي الدم الحموي، تاريخ إسماعيل بن علي الخطبي، تاريخ ابن زولاق، تاريخ ابن قانع المرتب على السنين، تاريخ الأشراف الكبير والصغير للهيثم بن عدي، تاريخ البلاذري، الأغاني الكبير لأبي الفرج الأصبهاني يقال إنه جمعه في خمسين سنة وقد اختاره جماعة منهم الوزير المغربي والقاضي جمال الدين بن واصل الحموي وابن الزبير وابن نايقا الكاتب في مجلد وابن المكرم ورتبه على الحروف، ووفيات الأعيان للقاضي شمس الدين ابن خلكان، وتاريخ الإسلام لشيخنا شمس الدين الذهبي وهو كتاب علم نافع جداً قرأت عليه المغازي التي له وسيرة النبي ﷺ وإلى آخر أيام الحسن رضي الله عنه وحوادثه إلى آخر سنة سبعمائة ولم انتفع بشيء مثله وعليه العمدة في هذا الكتاب وهو القطب لهذه الدائرة واللب لهذه الجملة السائرة، وله أيضاً تاريخ النبلاء، ودول الإسلام مجلدة، وله غير ذلك، وتاريخ الشيخ عَلم الدين البرزالي، وقد هذبه الشيخ شمس الدين الذهبي وزاده أشياء من عنده، تاريخ الدوادار وهو في خمس وعشرين مجلدة، تاريخ شمس الدين الجزري.

تواريخ الخلفاء:

للشيخ شمس الدين الذهبي في أخبار الخلفاء الراشدين الأربعة كل واحد منهم رضي الله عنه مجلدة تخصه، سيرة العمرين، تاريخ العجم وبنو أمية للهيثم بن عدي، أخبار الأمويين لعلي بن مجاهد، أخبار الأمويين لأبي عبد الرحمن خالد بن هشام الأموي، الإيناس في تواريخ بني العباس، الأوراق للصولي في أخبار بني العباس وأشعارهم، الدولة العباسية لمحمد بن صالح بن النطّاح، أخبار العباسيين لأحمد بن يعقوب المصري، مناقب بني العباس لليزيدي النحوي، سيرة الخلفاء لأبي بكر محمد بن زكرياء الطبيب الرازي، سيرة المأمون، سيرة المعتصم، سيرة القاهرة، سيرة المستضىء لابن الجوزي، سيرة الناصر، سيرة المستنصر، تواريخ الخلفاء للقضاعي، من احتكم من الخلفاء إلى القضاة لأبي هلال العسكري، تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس، أخبار الخلفاء للدولابي، تاريخ الخلفاء لابن أبي الدنيا.

تواريخ الملوك:

سيرة الملوك للثعالبي، أخبار الديلم، نُصرة الفطرة وعُصرة القطرة في أخبار السلجوقية للعماد الكاتب، كتاب اليميني للعتبي، سيرة السلطان جلال الدين خوارزم شاه، سيرة السلطان صلاح الدين بن أيوب للقاضي بهاء الدين بن شدّاد، الفتح القدسي للعماد الكاتب، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة، مفرّج الكرب في دولة بني أيوب للقاضي جمال الدين بن واصل الحموي، المُعلّم الأتابكي لابن أنجب، تاريخ الموحدّين أولاد

عبد المؤمن بن علي لأبي الحجاج يوسف بن عمر الإشبيلي، تاريخهم أيضاً لابن صاحب الصلاة، سيرة أحمد بن طولون لابن الداية، وسيرة ابنه خمارويه وابنه له أيضاً، سيرة الملك الظاهر طغرل بك السلجوقي لعلي بن أبي الفرج البصري، سيرة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحي، صاحب مصر والشام للقاضي محيي الدين بن عبد الطاهر، سيرة الظاهر بيبرس لابن شداد عز الدين، سيرة الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي لمحيي الدين، سيرة ولده السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل له أيضاً.

تواريخ الوزراء والعَمال:

الوزراء للضولي، الوزراء للصايء، الوزراء للجيشياري، الوزراء لإبراهيم بن موسى الواسطي، الوزراء للصاحب ابن عباد، الوزراء لعلي بن أنجب، الوزراء لأبي الحسن علي ابن الماشطة، الوزراء لابن الهمداني، أخبار البرامكة لابن الجوزي، سيرة آل الفُرات، الوزراء للمطوق علي بن أبي الفتح، تاريخ عَمال الشُرط لأمرء العراق للهيثم بن عدي.

تواريخ القضاة:

أخبار القضاة لابن المندائي، أخبار قضاة مصر لابن زُولاقي ذيلاً على كتاب محمد بن يعقوب الكندي، أخبار قضاة قرطبة لابن بشكوال، تاريخ ابن ميسر المصري، أخبار القضاة ببغداد وعدولها لعلي بن أنجب، أخبار قضاة دمشق للشيخ شمس الدين الذهبي.

تواريخ القراء:

أفواج القراء لأبي الحسين ابن المُنادي، طبقات القراء لأبي عمرو الداني، طبقات القراء لأبي العلاء الهمداني في عشرين مجلداً، طبقات القراء للشيخ شمس الدين الذهبي.

تواريخ العلماء:

الطبقات لابن سَعْد، طبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي، أخبار العلماء لابن عَبْدُوس، أخبار علماء خراسان لأبي نصر المروزي، طبقات أصحاب الشافعي لابن باطيش، طبقات الفقهاء للشيخ أبي إسحق، طبقات الفقهاء لعبد الملك بن حبيب القرطبي المالكي، طبقات الفقهاء لأبي عاصم محمد العبادي الشافعي، تاريخ علماء نيسابور للحاكم، جُذوة المقتبس في علماء الأندلس^(١) لابن عبد البر، طبقات الفقهاء الشافعية للشيخ محيي الدين التَّووي، طبقات الفقهاء المالكية للقاضي عياض، طبقات الفقهاء الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى القراء، طبقات الفقهاء الحنفية لصلاح الدين عبد الله بن المهندس، تاريخ العلماء لابن أبي طي.

(١) هو عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري النحوي المشهور توفي سنة (٥٧٧هـ). له: «أسرار العربية» و«نزهة الألباء في طبقات الأدباء» وغيرهما كثير. انظر: «معجم الأدباء» لياقوت (٤٨/١).

تواريخ الشعراء:

البارع في أخبار الشعراء لهارون بن المنجّم، أخبار الشعراء مرتّب على المعجم للصُولي، شعراء الجزيرة لابن القُطّاع، طبقات الشعراء لصاحب حَمَاة، طبقات الشعراء لابن المَرْزُبَان، الشعر والشعراء لابن السَّرَاج النحوي، شعراء الأندلس لابن الفَرَضِي، طبقات الشعراء لمحمد بن سَلَام البصري، طبقات الشعراء لابن قُتَيْبَة، النساء الشواعر لأبي الفرج الشلحي العُكْبَرِي الكاتب، الإمام الشواعر لأبي الفرج الأصفهاني، معجم الشعراء لياقوت الحموي، الإشارة في أخبار الشعراء لُعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، طبقات الشعراء لابن المُعْتَز، يتيمة الدهر للشعالبي، دمية القصر للباخْزَري، زينة الدهر للحَظِيرِي، الخريدة للعماد الكاتب، الذيل عليها له، قلائد العقيان، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بَسَام، أنموذج الشعراء لابن رَشِيق، تحفة القادم لابن الأَبَار، روضة الأزهار لابن قَلَاقِص، الحديقة لابن أبي الصَّلْت، شعراء الزمان لابن الساعي، عقود الجُمان لابن الشَّعَار، جنى الجنان لابن الزُّبَيْر، شعراء المائة السابعة لابن عبد الظاهر، الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة لابن الفُوطِي، أخبار شعراء الشيعة لابن أبي طَي.

تواريخ مختلفة:

حلية الأولياء لأبي نُعيم الحافظ، ولَخْصه ابن الجوزي وسمّاه صفوة الصفوة، طبقات النُّسَاك لأبي سعيد بن الأعرابي، طبقات الصوفية لأبي سعيد النقاش، طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السُّلَمِي، أخبار صلحاء الأندلس لابن الطيلسان القُرْطُبي، تاريخ الوُعَاظ لناصح الدين الحنبلي الواعظ، عُبَاد إفريقية لمحمد بن أحمد بن تميم الأفريقي، طبقات أهلها له، تاريخ الأطباء لابن أبي أَصْنِيعَة، طبقات الحكماء لأبي القاسم بن صاعد القرطبي، أخبار الأطباء لابن الداية، أخبار المنجّمين له أيضاً، تواريخ الخوارج للهشيم بن عدي، الأوائل للعسكري، أخبار النحاة لابن درستويه، أخبار النحاة للمَرْزُبَانِي، أخبار النحاة لابن الأنباري، أخبار النحاة للصّابِي، أخبار النحاة واللغويين بالشرق والغرب لأبي بكر الزبيدي، أخبار المتكلمين للمَرْزُبَانِي، طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبّار فيما أظنّ، الفهرست في أخبار الأدباء لمحمد بن إسحاق النديم، نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري، تحفة الألباء في أخبار الأدباء لياقوت، الفهرست في تواريخ الأدباء لمحمد بن إسحاق النديم.

وأما كتب المحدثين في معرفة الصحابة رضي الله عنهم مثل الاستيعاب لابن عبد البر، وأسَد الغاب لابن الأثير، وغيرهما وكتب الجرح والتعديل والأنساب ومعاجم المحدثين ومشیخات الحفاظ والرواة فإنها شيء لا يحصره حد ولا يقصره عدّ ولا يستقصيه ضبط ولا يستدنيه ربط لأنها كاثرت الأمواج أفواجاً وكابرت الأدرّاج اندراجاً فلهذا لم أذكر منها هاهنا شيئاً وإذا جاء ذكر شيء منها في ترجمة من يأتي ذكره ذكرته هناك إن شاء الله تعالى. وقد آن الشروع فيما بنيت عليه هذا الكتاب من ذكر التراجم بعون الله ومثّه لا قوة إلاّ به ولا استعانة إلاّ بحوله.

الترجمة الشريفة النبوية

باب محمد

المُسْمُون بِمُحَمَّدٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ جَمَاعَةٌ، كَانَ النَّصَارَى وَبَعْضُ الْعَرَبِ يُخْبِرُونَ بِظُهُورِ نَبِيِّ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ الْعَرَبِ وَكَانُوا يُسَمُّونَ أَبْنَاءَهُمْ مُحَمَّدًا رَجَاءً أَنْ تَكُونَ النَّبُوءَةُ فِيهِ، فَمِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ مُجَاشِعٍ بْنِ دَارِمِ التِّيمِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ وَبَرٍ أَخُو بَنِي عَتَوَارَةَ مِنْ بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أُخَيْحَةَ بْنِ الْجَلَّاحِ الْأَوْسِيِّ أَخُو بَنِي جَحْجَبَا، وَمُحَمَّدُ بْنُ خُرَاعِي السَّامِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمَرَانَ بْنِ مَالِكِ الْجُفْفِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ.

وَأَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ مُحَمَّدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلَدَ بِالْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الْأُولَى، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ عُبَيْةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التِّيمِيِّ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَلَدَ مِنَ الْأَنْصَارِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَزَرِ بْنِ قَيْسٍ مِنَ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ قَيْسٍ بْنِ شِمَاسٍ مِنَ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ خَزَمٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ مُحَمَّدُ بْنُ أَنَسٍ بْنِ فَضَالَةَ وَلَدَ عَامَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ.

محمد رسول الله ﷺ

سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا وَحَبِيبُنَا نَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَهَادِي الْأُمَّةِ

قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِسِيرِهِ وَأَخْبَارِهِ هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ وَأَبُو إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فَهْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسٍ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ [البسيط]:

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ دُرَى شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدْنَانُ^(١)

هَذَا هُوَ الْمُتَّفَقُ عَلَى صَحَّتِهِ، وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدِ الْغَنِيِّ وَغَيْرُهُ عَدْنَانُ بْنُ أَدَدَ بْنِ الْمُقَوِّمِ بْنِ نَاحُورٍ بْنِ تَيْرَحَ بْنِ يَشْحَبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ يَشْحَبَ بْنِ نَابِتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بْنُ تَارَحَ وَهُوَ آزَرُ بْنُ نَاحُورٍ بْنِ سَارُوحَ بْنِ رَاعُو بْنِ فَالَخَ بْنِ عَيْيَرَ بْنِ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحَ بْنِ لَامَكَ بْنِ مَثُوشَلَخَ بْنِ خَثُوحَ وَهُوَ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يَزْعُمُونَ -

(١) البيت لابن الرومي في مدح إسماعيل بن بلبل في ديوانه (١٧٩/٦)؛ «خزانة الأدب» للبغداد (٣٨/١١)؛

و«مغني اللبيب» لابن هشام (١١٨/١). والتتمثيل (النحوي) به في قوله: «كما علت برسول الله عدنان» حيث

أثَّ الفعل «علت» لأنَّه قصد بـ «عدنان» القبيلة لا الجدَّ.

وهو أول بني آدم أعطي النبوة وَخَطَّ بالقلم - بن يَزْد بن مهَلِيل بن قَيْتَيْن^(١) بن يانش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهذا النسب ذكره محمد بن إسحاق بن يسار المدني في إحدى الروايات وإلى عدنان متفق على صحته من غير اختلاف، وما بعده مختلف فيه، وقرش فيه أقوال أشهرها هو فهر بن مالك وقيل النضر، وأمه عليه السلام أَمَة بنت وَهَب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأول من عام الفيل قيل ثانيه وقيل ثالثة وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك وقال بعضهم بعد الفيل بثلاثين وقيل بعده بأربعين يوماً. وروى ابن معين بإسناد حسن أنه ولد يوم الفيل والصحيح أنه عام الفيل^(٢) [الكامل]:

يَوْمَ أَضَاءَ بِهِ الزَّمَانُ وَفَتَّحَتْ فِيهِ الْهَدْيَاءُ زَهْرَةَ الْأَمَالِ

ومات أبوه عبد الله ورسول الله ﷺ قد أتى له ثمانية وعشرون شهراً وقيل وهو حَمَلٌ وقيل وله شهران وقيل سبعة وقال بعضهم مات أبوه في دار النابغة وقيل بالأبواء بين مكة والمدينة وقال أبو عبد الله الزُّبَيْر بن بَكَار الزُّبَيْرِي: تُوَفِّي عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة ورسول الله ﷺ ابن شهرين، وماتت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل ست، ومات جدّه عبد المطلب - وكان قد كفله بعد وفاة أبيه - ورسول الله ﷺ له ثماني سنين وشهران وعشرة أيام فَوَلِّيَ كَفَالَتَهُ عُمُه أبو طالب، وأرضعته خَلِيمَة بنتُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّغْدِيَّةِ وعندها شقَّ صدره ومُلِيَءَ حِكْمَةً وإيماناً بعد أن استُخْرِجَ حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ وروى البخاري شقَّ صَدْرِهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ واستشكله ابن حَزْم، وأرضعته أيضاً تُوْبَيْتَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب وأبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أرضعتهم بلبن ابنها مَسْرُوح، وحَضَنَتْهُ أُمُ أَيْمَن بَرَكَةُ الْحَبَشِيَّةِ وكان ورثها من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها زيد بن حارثة، ولما بلغ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام فلما بلغ بُضْرَى رآه بحيراً^(٣) الراهب فعرفه بصفته فجاءه وأخذ بيده وقال هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين إنكم حين أقبلتم من الْعَقَبَةِ لم يبق حجر ولا شجر إلا خَرَّ ساجداً ولا يسجدان إلا لَنَبِيِّ وَإِنَّا نَجِدُهُ فِي كِتَابِنَا وَقَالَ لِأَبِي طَالِبٍ لَأَنْ قَدِمْتَ بِهِ إِلَى الشَّامِ

(١) المشهور: مهلائلي بن قينان.

(٢) اختلف في مولده ﷺ، فذكر أنه كان في ربيع الأول، وهو المعروف. وقال الزبير: كان مولده في رمضان، وهذا القول موافق لقول من قال: إن أمه حملت به في أيام التشريق. ويذكرون أن الفيل جاء مكة في المحرم، وأنه ﷺ ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً. وكانت ولادته ﷺ بالشعب، وقيل بالدار التي عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حُجَّت. انظر: «الروض الأنف» للسهيلى، و«الطبقات الكبرى» لابن سعد، و«الأمم والملوك» للطبري.

(٣) واسم بحيرى بحيرى بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصوراً وقيل ممدوداً: هو جرجيس «بكسر الجيمين» ويقال: سرجس، كما يقال: جرجس، وكان حبراً من أحبار يهود تيماء: كما قيل إنه نصرانياً من عبد القيس، وهو ما ذهب إليه ابن إسحاق، ويقال: إنه سُمِعَ قبل الإسلام بقليل هاتِفٌ يهتف: ألا أن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى، ورباب الشنى، والثالث المتظر، فكان الثالث رسول الله ﷺ. انظر: «المعارف» لابن قتيبة، و«مروج الذهب» للمسعودي، و«الإصابة» لابن حجر العسقلاني، و«الروض الأنف» للسهيلى، و«شرح المواهب» للزرقاني.

لقتلته اليهود فردّه خوفاً عليه منهم، ثم خرج مرّة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد في تجارة لها قبل أن يتزوّجها فلما قدم الشام نزل تحت ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب^(١) فقال الراهب ما نزل تحت ظلّ هذه الشجرة قطّ إلا نبي^(٢)، وكان ميسرة يقول إذا كان الهاجرة واشتدّ الحرّ نزل ملكان يُظَلّانّه، ولما رجع من سفره تزوّج خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام وقيل غير ذلك، ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة^(٣) ووضع الحجر الأسود بيده، ونشأ رسول الله ﷺ في قومه وقد طهره الله تعالى من دنس الجاهليّة ومن كلّ عيب ومنحه كلّ خلُقٍ جميل حتى لم يكن يُعرف من بينهم إلاّ بالأمين لما رآوه من أمانته وصدق لسانه وطهارته، ولما بلغ أربعين سنة ويوماً ابتعثه الله تعالى بشيراً ونذيراً وأتاه جبرئيل عليه السلام بغار حراء فقال: اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال رسول الله ﷺ فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْدَ ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فقال في الثالثة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] إلى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وقالت عائشة رضي الله عنها أوّل ما بُدِيَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وحُبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبّدُ اللَّيالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاء الحقّ رَوَاهُ البخاري ومسلم^(٤)، وكان مبدأ النبوة فيما ذُكِرَ: يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول، ثم حاصره أهل مكّة في الشَّعْبِ فأقام محصوراً دون الثلاث سنين هو وأهل بيته وخرج من

(١) وكان اسم هذا الراهب نسطورا، وليس هو بحيرى المتقدم ذكره.

(٢) يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي، ولم يرد ما نزل تحتها قطّ إلا نبي، لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك، وإن كان في لفظ الخبر «قطّ» فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفي، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل، حتى يدري أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أو غيره من الأنبياء عليهم السلام. ويبعد في العادة أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجيء نبي، إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث: لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، وهي رواية عن غير ابن إسحاق، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية انظر: «الروض الأنف» للسهيلى.

(٣) بُنيت الكعبة خمس مرات الأولى حين بناها شيت بن آدم. والثانية حين بناها إبراهيم عليه السلام، والثالثة حين بنتها قريش هذه المرة، وكان ذلك قبل الإسلام لخمس سنين. والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير فلما قام عبد الملك بن مروان هدمها، لأنه لم يعجب بما فعل ابن الزبير في بنائها، وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ - وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ثم زاد فيه عثمان ثم زاد ابن الزبير في إيقاعه لا في سعته ثم زاد عبد الملك في ارتفاع المسجد. انظر: «تاريخ مكة» للأزرقي، و«الروض الأنف» للسهيلى. وراجع «بغية الأريب في مسائل القبلة والمحارب» ليوسف البنوري (ص ١٥٨ - ١٦٠) فإنه حقق نقلاً عن العلماء كابن كثير في «التفسير»، و«التاريخ»، وجمال الدين القرشي في كتابه «الجامع اللطيف» وإبراهيم رفعت باشا في «مرآة الحرمين» حيث قال والحق أن الكعبة بنيت ثلاث مرات.

(٤) رَوَاهُ البخاري في «صحيحه» (٢٩٥/٤)، و«مسلم» (١٤٢) رقم (١٦٠)، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي (ج ١/ ص ١٣٩ - ١٤٢). والحديث في «سيرة ابن هشام» (٢٧٠/١ - ٢٧١).

الحصار وله تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بثمانية أشهر وأحد وعشرين يوماً مات عمه أبو طالب، وماتت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، وكانت أول من آمن بما جاء به، ثم آمن أبو بكر رضي الله عنه ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن حارثة وبلال ثم أسلم بعد هؤلاء عمرو بن عبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان ثم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه تمام الأربعين إسلاماً ذكر ذلك ابن حزم في مختصر السيرة، ولما بلغ خمسين سنة وثلاثة أشهر قديم عليه جن نصيبين فأسلموا، ولما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أُسري به من بين زمزم والمقام إلى البيت المقدس روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك أن نبياً الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم واليقظان إذ أتاني آت قال فسمعتة يقول فشق ما بين هذه إلى هذه فليل للجارود ما يعني به قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعتة يقول من قصه إلى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطسب من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبي ثم حشي ثم دعي بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة فقال أنس نعم يضع خطوه عند أقصى طرفه فحُمِلْتُ عليه فانطلق بي جبرئيل عليه السلام حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فليل من هذا قال جبرئيل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً فنعلم المجيء جاء^(١) الحديث بطوله ورأى الأنبياء صلوات الله عليهم ورأى من آيات ربه الكبرى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وأوحى إليه ما أوحى وفُرضت الصلاة تلك الليلة ولما أصبح قصص على قريش ما رأى، وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لما كذبتني قريش قمت إلى الحجر الأسود فجلا الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»^(٢)، وقد اختلف الناس في كيفية الإسراء فالأكثر من طوائف المسلمين متفقون على أنه بجسده ﷺ والأقلون قالوا بروحه، حكى الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك رؤيا وحكى هذا القول أيضاً عن عائشة وعن معاوية رضي الله عنهما ومنهم من قال بجسده إلى البيت المقدس ومن هناك إلى السموات السبع بروحه، قلت والصحيح الأول لأنه قد صرح أن قريشاً كذبتة ولو قال رسول الله ﷺ رأيت رؤيا لما كُذِّب ولا أنكر ذلك على غيره فضلاً عنه لأن أحاد الناس يرون في منامهم أنهم ارتقوا إلى السموات وما ذلك ببدع، أنشدني لنفسه الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء

(١) رواه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٢٠٧)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة عليهم السلام، و(٣٨٨٧) كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، ومسلم في «صحيحه» رقم (٦٤) كتاب الإيمان، باب الإسراء، والترمذي في «سننه» رقم (٣١٣١) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل (الإسراء)، والنسائي في «سننه» (١/ ٢١٧) كتاب الصلاة، باب فرض الصلاة.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٤٣٣) كتاب تفسير سورة الإسراء، باب قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده...﴾ (ج ٣ / ص ١٦٣٦ - ١٦٣٧)، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٧٢) كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال (ج ١ / ص ١٥٦ - ١٥٧).

محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الكاتب رحمه الله قراءةً مَنِي عليه من جملة قصيدة طويلة من جملة مجلدة فيها مدحُ النبي ﷺ [الكامل]:

أَسْرَى إِلَى الْأَقْصَى بِجَسْمِكَ يَقْظَةً لَا فِي الْمَنَامِ فَيَقْبَلُ التَّأْوِيلَا
إِذَا أَنْكَرْتُهُ قَرِيشُ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ لِتَرَى الْمَهُولُ مِنَ الْمَنَامِ مَهُولَا

ولما بلغ ثلاثاً وخمسين سنةً هاجر إلى المدينة ﷺ ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومولى أبي بكر عامر بن فُهَيْرَة ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي، قال الحافظ عبد الغني وغيره وهو كافر ولم نعرف له إسلاماً، فأقام بالمدينة عشر سنين وكان يصلي إلى بيت المقدس مدة إقامته بمكة ولا يستدير الكعبة يجعلها بين يديه وصلى إلى بيت المقدس بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهراً أو ستة عشر شهراً. ولما أكمل في المدينة عشر سنين ساءت توفّي وقد بلغ ثلاثاً وستين وقيل غير ذلك وفيما تقدم من التواريخ خلاف، وكانت وفاته يوم الاثنين حين اشتدّ الضحاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ومرض أربعة عشر يوماً ودفن ليلة الأربعاء، ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يُدْخِلُ يده فيه ويمسحُ وَجْهَهُ ويقول (اللهم أعني على سكرات الموت)^(١)، وسُجِّي بِبُرْدٍ جَبَرَةٍ وقيل إن الملائكة سَجَّتْهُ، وكَذَّبَ بعض أصحابه بموته دهشةً تُخَكِّلِي عن عمر رضي الله عنه وأُخْرِسَ عثمان رضي الله عنه وأُقْعِدَ علي رضي الله عنه ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر، ثم إن الناس سمعوا من باب الحجرة لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر ثم سمعوا بعد ذلك اغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر وعزاهم فقال أن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حُرْمِ الثواب^(٢)، واختلفوا في غسله هل يكون في ثيابه أو يجزئ عنها فوضع الله عليهم النوم فقال قائل لا يُدْرَى مَنْ هُوَ (اغسلوه في ثيابه) فانتبهوا وفعلوا ذلك، والذين ولوا غسله علي والعباس وولداه الفضل وقثم وأسامة وشُقران مَوْلِيَاهُ وحضرهم أوس بن خُوَلي من الأنصار ونفضه علي فلم يخرج منه شيء فقال صلى الله عليك لقد طبَّتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَكُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ بَلْ لِفَائِفٌ مِنْ غَيْرِ خِيَاطَةٍ، وَصَلَّى الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ أَفْذَاذًا لَمْ يَوْمَهُمْ أَحَدٌ، وَفُرِشَ تَحْتَهُ فِي الْقَبْرِ قَطِيفَةٌ حُمْرَاءُ كَانَ يَتَغَطَّى بِهَا، نَزَلَ شُقران، وَخَفِرَ لَهُ وَالْجَدُّ وَأُطِيقَ عَلَيْهِ تَسْعُ لَبَنَاتٍ،

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» رقم (٩٧٨) كتاب الجنائز، باب ما جاء في التشديد عند الموت، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» رقم (١٠٩٣) كتاب عمل اليوم والليلة باب ما يقول عند الموت، وابن ماجه في «سننه» رقم (١٦٢٣) كتاب «الجنائز»، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٨/١٠) - (٢٥٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (٦٤/٦، ٧٠، ٧٧، ١٥١)، وابن سعد في «طبقاته» (٤٧/٢)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (رقم ٤٥١٠، ٤٦٨٨)، والحاكم في «مستدرکه» (٤٦٥/٢)، (٥٦/٣ - ٥٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٢٠٧/٧).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٣٩/٣ - ١٤٠)، والشافعي في «المسند» رقم (٣٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٠/٤)، وفي أسانيد ضعف. وانظر «مجمع الزوائد» للهيتمي (٣٤/٩)، و«البدایة والنهایة» للحافظ ابن كثير (٢٧٦/٥ - ٢٧٧).

واختلفوا أَيُلْحَدُ له أم يُضْرَحُ وكان بالمدينة حَقَّاران أحدهما يُلْحَدُ وهو أبو طلحة والآخر يُضْرَحُ وهو أبو عبيدة فَاتَّفَقُوا أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْهُمَا أَوَّلًا عَمِلَ عَلَيْهِ فَجَاءَ الَّذِي يُلْحَدُ فَلَحْدَ لَهُ وَنُحِيَ فَرَاشَهُ وَحُفِرَ لَهُ مَكَانُهُ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَقَالَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ حَوْلَ فَرَاشِهِ، وَكَانَ ابْتِدَاءَ وَجَعِهِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ وَاشْتَدَّ أَمْرُهُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَطَلَبَ مِنْ نَسَائِهِ أَنْ يُمَرِّضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَكَانَ مَا ابْتَدَأَ بِهِ مِنَ الْوَجَعِ صَدَاعَ وَتَمَادَى بِهِ وَكَانَ يَنْقُثُ فِي عِلَّتِهِ شَيْئًا يُشْبِهُ أَكْلَ الزَّبِيبِ وَمَاتَ بَعْدَ أَنْ خَيَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا وَلِقَاءِ رَبِّهِ فَاخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ تَعَالَى.

اصطفاهُ: روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونٍ كُنْتُ مِنْهُ»^(١)، وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كَنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قَرِيشًا مِنْ كَنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»^(٢)، أَنَشِدْنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ فَتَحَ الدِّينَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى [السريع]:

مَحَمَّدُ خَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ فَمَنْ تَمِيمٌ وَيَنُودَارِمُ
وَهَاشِمٌ خَيْرُ قَرِيشٍ وَمَا مِثْلُ قَرِيشٍ فِي بَنِي آدَمِ

فضله: روى الترمذي عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن الله تبارك وتعالى اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلًا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَقَالَ آخِرُ مَاذَا بَأْعَجِبَ مِنْ كَلَامِ مُوسَى كَلِمَةً تَكْلِيمًا وَقَالَ آخِرُ مَاذَا بَأْعَجِبَ مِنْ جَعَلَهُ عِيسَى كَلِمَةً اللَّهُ وَرُوحَهُ وَقَالَ آخِرُ مَاذَا بَأْعَجِبَ مِنْ آدَمَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ - زَادَ رَزِيزٌ وَخَلَقَهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ - ثُمَّ اتَّفَقُوا: فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ وَقَالَ: «قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَإِنْ مُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَإِنْ عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ وَإِنْ آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا حَامِلُ لُؤَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ عَلَى اللَّهِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُسْقَعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَحْرُكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلْنِيهَا وَمَعِيَ فَقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا فَخْرَ»^(٣).

أسماءه: روى البخاري والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قَرِيشٍ وَلَعْنَتَهُمْ يَشْتُمُونَ مُذْمَمًا وَيَلْعَنُونَ مَذْمَمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»^(٤)،

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣٥٥٧) كتاب «المناقب»، باب صفة النبي ﷺ.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٢٧٦) كتاب «الفضائل»، باب فضل نسب النبي ﷺ، والترمذي في «سننه» رقم (٣٦٠٥) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» رقم (٣٦١٦) كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٣٣) كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، والنسائي =

قال البخاري في سفر السعادة قيل لعبد المطلب بم أسميت ابنك فقال بمحمد فقالوا له ما هذا من أسماء آبائك فقال أردت أن يُحَمَّدَ في السماء والأرض، وأحمد أبلغ من محمد كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمّر ومصفر، وروى البخاري ومسلم والترمذي عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بيّ الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»^(١)، والعاقب الذي ليس بعده نبيّ وقد سمّاه الله رؤوفاً رحيماً.

أنشدني لنفسه قراءةً مني عليه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري فيما وافق من أسماء الله الحسنى لأسماء رسول الله ﷺ من قصيدة له في مدحه [الطويل]:

وحلّه من حسنى أساميه جملةً	أتى ذكرها في الذكر ليس يبيدُ
وفي كُتُبِ اللّهِ المقدّسِ ذكرها	وفي سنّة تأتي بها وتفيدُ
رؤوفٌ رحيمٌ فاتحٌ ومقدّسٌ	أمينٌ قويٌّ عالمٌ وشهيدُ
وليّ شكورٌ صادقٌ في مقاله	عفوٌ كريمٌ بالنوال يعودُ
ونورٌ وجبارٌ وهادي من اهتدى	ومولّى عزيزٌ ليس عنه مَحيدُ
بشيرٌ نذيرٌ مؤمنٌ ومهيمنٌ	خبيرٌ عظيمٌ بالعظيم يَجودُ
وحقٌّ مبينٌ آخرٌ أوّلٌ سَمّا	إلى ذروة العلياء وهو وليدُ
فآخرٌ أغني آخر الرُّسل بعثه	وأوّل من ينشق عنه صعيدُ
أسام تلذّ السمع إن هي غُدّدت	نعوتُ ثناءً والثناء عديدُ

وقد قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه [الطويل]:

فَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

ومن أسمائه الْمُقَفِّي ونبيّ التوبة ونبيّ الرحمة، وفي صحيح مسلم ونبيّ الملحمة^(٢)، ومن أسمائه طه ويس والمزمل والمدثر وعبدٌ في قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وعبد الله في

= في «سننه» (١٥٩/٦) كتاب الطلاق، باب الإبانة والإفصاح بالكلمة الملفوظ بها. قوله (مذمما) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢٥٠/٧): كان الكفار من قريش من شدة كراهم بالنبي ﷺ لا يسمونه باسمه الدال على المدح فيعدلون إلى ضده فيقولون مذمّم.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٥٣٢)، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٣٥٤) كتاب الفضائل، باب أسمائه ﷺ، والترمذي في «سننه» رقم (٢٨٤٠) كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، وفي «الشمائل» رقم (٣٦٧)، والنسائي في «التفسير من الكبرى» رقم (٦١٠).

(٢) لم نجده في «صحيح مسلم» بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: ... نبي الرحمة، والحديث برقم (٢٣٥٥)، ولفظ المصنّف موجود عند ابن أبي شيبة في «مصنّفه» (٤٥٧/١١ - ٤٥٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩٩/٥ - ١٠٠)، والحاكم في «مستدرکه» (٦٠٤/٢)، وصححه وأقرّه الحافظ الذهبي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] ومذكّر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] وقد ذكر غير ذلك.

صفته: كان ﷺ رُبْعَةً^(١) بعيد ما بين المنكبين أبيض اللون مُشْرِباً حُمْرَةَ يَبْلُغُ شعره شحمة أذنيه^(٢) وقالت عائشة رضي الله عنها: كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ وكان له شعر فوق الجُمَّة^(٣) ودون الوفرة^(٤) رواه أبو داود والترمذي^(٥)، وقالت أم هانئ رضي الله عنها قدم رسول الله ﷺ مكة وله أربع غداثر زَوِيَّاهُ أيضاً، وكان سبط الشعر في لحيته كثافة ومات ﷺ ولم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة، ظاهر الوضأة يتلألاً وجهه كالقمر ليلة البدر، روي عن عائشة أنها وصفته فقالت: كان والله كما قال شاعره حسان بن ثابت الأنصاري [الطويل]:

مَتَى يَبْدُ فِي الدَّاجِي الْبَهِيمِ جَبِيئُهُ يَلُخْ مِثْلَ مَصْبَاحِ الدُّجَى الْمَتَوَقَّدِ
فَمَنْ كَانَ أَوْ مَنْ قَدْ يَكُونُ كَأَحَدٍ فَطَامَ لِحَقَّ أَوْ نَكَالٍ لِمُعْتَدِ
وروي عن أنس بن مالك قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا رأى النبي ﷺ يقول [الوافر]:

أَمِيْنٌ مُصْطَفَى بِالْخَيْرِ يَدْعُو كَضَوْءِ الْبَدْرِ زَايِلَهُ الظَّلَامُ
وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا رآه ينشد قول زهير في هَرَمِ بن سنان [الكامل]:

لَوْ كُنْتُ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتُ الْمُضِيِّ لَلَّيْلَةِ الْبَدْرِ
أزهر^(٦) اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، أفتى العزّين^(٧) سهل الخدّين أزج^(٨) الحاجبين أقرن أدعج^(٩) العين في بياض عينيه عروق حمر رقاق، حسن الخلق، معتدله، أطول من المربع وأقصر من المشدّب دقيق المسربة^(١٠) كأن عنقه إبريق فضّة، من لَبَتِهِ إلى سِرَتِهِ شعرٌ

(١) قوله (ربعة): ما بين المنكبين والقصير.

(٢) قوله (شحمة أذنيه): شحمة الأذن الجزء اللين من أسفلها وهو مكان تعليق القرط للنساء.

(٣) قوله (فوق الجُمَّة): الجُمَّة من شعر الرأس ما طال حتى يسقط على الكتفين.

(٤) قوله (دون الوفرة): الوفرة شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

(٥) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم (٤١٨٧) كتاب الترجل، باب ما جاء في الشعر، والترمذي في «سننه» رقم (١٧٥٥) كتاب اللباس، باب ما جاء في الجُمَّة واتخاذ الشعر، وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه في «سننه» رقم (٣٦٣٥) كتاب اللباس، باب اتخاذ الجُمَّة والذوائب، وكلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد - به.

(٦) أزهر: أبيض بياضاً نيراً مشرقاً.

(٧) أفتى العزّين: أفتى من القنى وهو طول الأنف مع تقوس في وسطه إلى أعلى. والعزّين الأنف.

(٨) أزج: دقيق شعر الحاجبين طويلهما إلى مؤخر العين مع تقوس.

(٩) أدعج: شديد سواد الحدقة.

(١٠) المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة.

مجري كالفضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره، شثن^(١) الكفّ والقدم ضليع الفم أشنب مفلج^(٢) الأسنان بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر ضخم الكراديس^(٣) أنور المتجرد^(٤) أشعر الذراعين والمنكبين^(٥) عريض الصدر طويل الزندين رَحْبَ الراحة^(٦)، سائل الأطراف^(٧)، سبط القضيب خمضان، بين كتفيه خاتم النبوة قال جابر بن سمرة مثل بيضة الحمام يشبه جسده إذا مشى كأنما يتحدّر من صلب^(٨) وإذا مشى كأنما يتقلّع من صخر إذا التفت التفت جميعاً، كأنما عرقه اللؤلؤ ولريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر وقال عند أم سليم فغرق فجاءت بقارورة فجعلت تسكب العرق فيها فاستيقظ النبي ﷺ فقال يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت هذا عرقك نجعله في طينا وهو أطيب الطيب، (وفي وصف أم معبد له وفي صوته سهل وفي عتقه سطع إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاء من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب حلو المنطق)، وفي وصف هند بن أبي هالة (خافض الطرف نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام)^(٩)، وفي وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس بذيعة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة^(١٠) هابه ومن خالطه أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ^(١١).

شرح الغريب ممّا في صفته ﷺ

الوضاء الحسن والجمال، والأزهر الأبيض، والأمهق الشديد البياض ليس بنير ولا تخالطه حمرة، والآدم من الناس الأسمر، والقنا احديداً في الأنف، والزجج دقّة في الحاجبين وطول؛ الرّجل أزج، والدّعج: شدة سواد العين، المشدّب الطويل، والمسربة بضم الراء الشعر الذي يأخذ من الصدر إلى السرة وهو مستدق، واللّبة المنحر، الشثن بتحريك الثاء مصدر شثنت كفّه إذا خشنت وغلظت، وضليع الفم قال أبو عبيد أراد أنه كان واسع الفم وقال القتيبي ضليع الفم

(١) الشثن: الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين.

(٢) مفلج الأسنان: أي منفرجها، وهو خلاف متراس الأسنان.

(٣) ضخم الكراديس: الكراديس رؤوس العظام، واحدا كرديس، وكل عظمين التقيا في مفصل فهو كرديس، فكان - ﷺ - ضخم المفاصل كالركبتين والمرفقين والمنكبين، أراد أنّه ضخم الأعضاء.

(٤) أنور المنجرد: أي نير العضو العاري عن الشعر.

(٥) أشعر الذراعين والمنكبين: أي غزيرة في هذه المواضع.

(٦) رَحْبَ الراحة: أي واسع الكف.

(٧) سائل الأطراف: أي طويلها وممتدها.

(٨) يتحدّر من صلب: أي كأنما ينزل من منحدر، لشدة سرعته.

(٩) أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية» برقم (٨ - ٢٢٦ - ٣٣٧ - ٣٥٢)، وإسناده ضعيف جداً.

(١٠) بديهة: مفاجأة من غير رؤية أي أول وهلة.

(١١) أخرجه الترمذي في «سننه» رقم (٣٦٣٨) باب ما جاء في صفة النبي ﷺ.

عظيمه، والشنب حدة في الأسنان، والبادن السمين، المتماسك المستمسك اللحم، الكراديس جمع كردوس وهو كل عظمين التقياً في مفصل، سواء البطن والصدر يريد أن بطنه غير مستفيض فهو مساوٍ لصدره، أنور المتجرد يعني شديد بياض ما جرد عنه الثوب، رجب الراحة واسع الكف، والخمصان الأخصص ما ارتفع عن الأرض من باطن القدم، الصهل - والصلح في رواية - شبه البهجة وهو غلظ في الصوت لأنه مأخوذ من سهيل الفرس، والسطع طول العنق.

أخلاقه ﷺ:

سئلت عائشة^(١) رضي الله عنها عنه فقالت: كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ولا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمة الله فيغضب الله وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم ما سئل شيئاً فقال لا ولا يبيت في بيته دينار ولا درهم فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفجأة الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله عاماً فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام انتهى، وكان من أحلم الناس «وأشد حياءً من العذراء في خدرها»^(٢) خافض الطرف نظره الملاحظة، وكان أكثر الناس تواضعاً يجيب من دعاه من غني أو فقير أو حر أو عبد، وكان أرحم الناس يصغي الإناء للهرة وما يرفعه حتى تروى رحمة لها، وكان أعف الناس وأشدهم إكراماً لأصحابه لا يمدّ رجله^(٣) بينهم ويوسع عليهم إذا ضاق المكان ولم تكن ركبته تتقدمان ركة جليسه، له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا له وإن أمر تبادروا لأمره، ويتحمل لأصحابه ويتفقددهم ويسأل عنهم فمن مرض عاده ومن غاب دعا له ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له ومن تخوف أن يكون وجد في نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه في منزله، ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم ويتألف أهل الشرف ويكرم أهل الفضل ولا يطوي بشره عن أحد ولا يجفو عليه ويقبل معذرة المعتذر إليه، والضعيف والقوي عنده في الحق سواء ولا يدع أحداً يمشي خلفه ويقول «خلوا ظهري للملائكة» ولا يدع أحداً يمشي معه وهو راكب حتى يحمله فإن أبي قال «تقدمني إلى المكان الفلاني»، يخدم من خدمه وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم في مأكول وملبس، قال أنس بن مالك رضي الله عنه «خدمته نحواً من عشر سنين فوالله ما صحبتته في حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته إلي أكثر من خدمتي له وما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا»^(٤) وكان ﷺ في سفر فأمر بإصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله ذبحها عليّ طبخها وقال آخر عليّ سلخها وقال آخر عليّ طبخها فقال رسول الله ﷺ

(١) وقد سألها سعيد بن هشام، وهذا الحديث رواه بتمامه البيهقي في «دلائل النبوة».

(٢) رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري.

(٣) كما رواه الدارقطني في غريب مالك وضعفه.

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٣٣٠/٨١) كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين منته والتبرك بمسحه. والترمذي في «سننه» رقم (٢٠١٥) كتاب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ.

«وعليّ جمع الحطب» فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك فقال «قد علمت أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه»^(١) وقام فجمع الحطب، وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثم كرّ راجعاً فقليل يا رسول الله أين تريد فقال «أعقل ناقتي» فقالوا نحن نعقلها قال «لا يستعين أحدكم بالناس ولو في قُضْمَةٍ من سواك» وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم ﷺ حتى يقوم الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمرٌ فيستأذنه ولا يقابل أحداً بما يكره ولا يعجز السيئة بمثلها بل يعفو ويصفح، وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنازتهم ولا يحقر فقيراً لفقره ولا يهاب ملكاً لمُلْكِهِ يُعْظَمُ النعمة وإن قلت لا يذم منها شيئاً ما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه، وكان أكثر الناس تبسماً وأحسنهم بشراً، لا يمضي له وقت في غير عمل الله أو في ما لا بُدَّ منه وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه، يخصف نعله ويرقع ثوبه ويركب الفرس والبغل والحمار ويردّف خلفه عبده أو غيره ويمسح وجه فرسه بطرف كفه أو بطرف رداءه، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة^(٢) وإذا جاءه ما يحب قال «الحمد لله رب العالمين» وإذا جاءه ما يكره قال: «الحمد لله على كل حال» وإذا رُفِعَ الطعام من بين يديه قال «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين» وأكثر جلوسه مستقبل القبلة يُكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة وكان يُسَمِّعُ لصدره وهو في الصلاة أزيز كآزيز المِرْجَل من البكاء وكان يقوم حتى ترم قدماه وكان يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان، وفي الصحيحين^(٣) رواية أنس كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحي وإذا نام نفخ ولا يغط وإذا رأى في منامه ما يكره قال: «هو الله لا شريك له»^(٤) وإذا أخذ مضجعه قال: «ربّ قني عذابك يوم تبعث عبادك»^(٥) وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي

(١) قال القسطلاني في «المواهب اللدنية»: ذكر المحب الطبري (هذه القصة) وقال - أي القسطلاني -: ولم أر هذا بغير الطبري بعد التبع وأيدّه الزرقاني بقوله: وقد أنكره شيخه السخاوي وقال لا أعرفه انظر: «شرح العلامة الزرقاني على المواهب» (٤٨/٦).

(٢) الطيرة: ما يُتَشَاءُ به من الفأل الرديء.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٩٧٢) كتاب الصوم، باب ما يذكر من صوم النبي ﷺ وإفطاره، ومسلم في «صحيحه» رقم (١١٥٨) كتاب الصيام، باب صيام النبي في غير رمضان.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١١٠٣) كتاب التهجد، باب فضل من تعازّى من الليل فصلّى.

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٥٠٤٥) كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم، وهو حديث صحيح. وأخرجه الترمذي من حديث حذيفة رضي الله عنه رقم (٣٣٩٥) كتاب الدعوات، باب رقم (١٨).

أحيانا بعدما أمانتا وإليه الشور»^(١)، وكان لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يتأنق في مأكل ويعصّب على بطنه الحجر من الجوع، وآتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فلم يقبلها واختار الآخرة، وأكل الخبز بالخلّ وقال «نعم الإدام الخلّ»^(٢) وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان يأكل ما وجد ولا يرّد ما حضر ولا يتكلف ما لم يحضر ولا يتورع عن مطعم حلال، إن وجد تمرّاً دون خبز أكله وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بُرّ أو شعير أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله وكان أحبّ الشراب إليه الحلوى البارد وقال للهيثم بن التيهان: «كأنك علمت حُبنا للحم» لا يأكل متكئاً ولا على حَوَانٍ، لم يشبع من خبز بُرّ ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله عز وجل إثارة على نفسه لا فقراً ولا بخلاً، يجيب الوليمة ويجيب دعوة العبد والحرّ ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب، وكان يحبّ الدُّبَاءَ والذراع من الشاة وقال: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، منديله باطن قدميه، وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحبّ الحلوى والعسل ويشرب قاعداً وربما شرب قائماً ويتنفس ثلاثاً مُبيناً للإناء ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه وشرب لبناً، وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه»^(٣) وقال: «ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن»^(٤) قال ابن حزم وشرب النبيذ الحلوى قلت تفسيره الماء الذي ينبذ فيه التمرات اليسيرة ليحلو.

وكان يلبس الصوف ويتعل المخصوف ولا يتأنق في ملبس وأحبّ اللباس إليه الحبرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض وأحبّ الثياب إليه القميض ويقول إذا لبس ثوباً استجده «اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنّع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنّع له» وتُعجبه الثياب الخضراء وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفه بين كتفيه، ويلبس يوم الجمعة بُرده الأحمر ويعتم ويلبس خاتماً من فضة نقشه «محمد رسول الله» في خصره الأيمن وربما في الأيسر ويحبّ الطيب ويكره الرائحة الكريهة ويقول: «إن الله جعل لذتي في النساء والطيب وجعل قُرّة عيني في الصلاة» وكان يتطيب بالغالية والمسك أو المسك وحده ويتبخّر بالعود والكافور ويكتحل بالإثمد وربما اكتحل وهو صائم ويكثر دهن رأسه ولحيته ويدهن غباً ويكتحل وثرأ ويحبّ التيمن في ترجله وتنغله وفي طهوره وفي شأنه كله وينظر في المرأة ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرأة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط، ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده وعند القيام لورده وعند الخروج لصلاة الصبح وكان يحتجم.

وكان يمزح ولا يقول إلّا حقاً؛ جاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال: «أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقني قال لا أحملك إلّا على ولد الناقة» قالت لا يطيقني فقال لها الناس وهل الجمل إلّا ولد الناقة، وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض وهو

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٥٩٥٣) كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام.

يدعوك فقال: «لعلّ زوجك الذي في عينيه بياض» فرجعت وفتحت عين زوجها فقال ما لك قالت أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضاً فقال وهل أحد إلا في عينيه بياض، وقالت له أخرى: يا رسول الله ادعُ الله لي أن يدخلني الجنة فقال: «يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز» فولّت المرأة وهي تبكي فقال ﷺ: أخبروها أنها لا تدخل وهي عجوز إن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]. قد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال وحسبك ما أثنى عليه به في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وآتاه الله علم الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز وهو أمّي لا يكتب ولا يقرأ ولا معلّم له من البشر نشأ في بلاد الجهل والصحارى وآتاه ما لم يؤت أحداً من العالمين واختاره على الأولين والآخرين.

بعوثة:

نحواً من خمسين، بعث عبدة بن الحارث بن المطلب أسفل ثنية المرأة، وبعث حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص وهذان البعثان متقاربان جداً فاختلف^(١) في أيهما كان أول وهما أول بعوثة وأول راية عقدها، وبعث سعد بن أبي وقاص إلى الحِزَار^(٢)، وبعث عبد الله بن جحش إلى نخلة^(٣)، وبعث زيد بن حارثة مولاه إلى القردة^(٤)، وبعث محمد بن مسلمة الأنصاري إلى قتل كعب بن الأشرف^(٥)، وبعث مرثد بن أبي مرثد العنوي إلى الرجيع، وبعث المنذر بن عمرو الأنصاري إلى بئر معونة، وبعث عبدالله بن عتيك إلى قتل سلام ابن أبي الحقيق^(٦) بخيبر، وبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة من طريق العراق، وبعث عمر بن الخطاب إلى ثربة من أرض بني عامر، وبعث علي بن أبي طالب إلى اليمن، وبعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الكديد إلى بني الملوّح من كنانة، وبعث علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك، وبعث ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم، وبعث عكاشة بن مَخْصَن الأسدي إلى الغمر وبعث أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قَطَن ماء لبني أسد بناحية نجد،

(١) انظر «الطبقات» لابن سعد (٦/٢)؛ و«المغازي» للواقدي (٩/١) و«الأمم والملوك» للطبري (٢/٢٥٩)؛ و«دلائل النبوة» لليهقي (٨/٣).

(٢) في «الكامل» لابن الأثير (١/٥٢٢): الأبواء.

(٣) نخلة: موضع بين مكة والطائف فيه نخل وكروم. انظر «معجم البلدان» لياقوت (٤/٣٨١).

(٤) القردة: ماء أسفل مياه الثلبوت بنجد في الرمة لبني نعام، ولعله ذو القردة بنجد أيضاً وانظر «الطبقات» لابن سعد، وهي أول سرية خرج فيها زيد أميراً وانظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/٣٠).

(٥) كعب بن الأشرف: هو أحد بني نهبان من طيء، وأمه من بني النضير، وكان كبير عليه قتل من قُتل بيد من قريش، وسار إلى مكة وحرض على رسول الله ﷺ وبكى أصحاب بدر، وكان يشب ببناء المسلمين حتى آذاهم، فلما عاد إلى المدينة قال رسول الله ﷺ من لي من ابن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصاري أنا لك به، أنا أقتله (ونفذت عملية الاغتيال كما أرادها رسول الله ﷺ). انظر «سيرة ابن هشام»، و«الأمم والملوك» للطبري، و«مغازي الواقدي»، و«الكامل» لابن الأثير (١/٥٤٣ - ٥٤٥).

(٦) «الكامل» لابن الأثير (٥/٥٤٦).

وبعث محمد بن مسلمة الأنصاري إلى القُرطاء من هوازن، وبعث بشير بن سعد الأنصاري من بني الحارث بن الخزرج إلى ناحية خيبر، وبعث زيد بن حارثة إلى الجُموم من أرض بني سليم، وبعث زيداً أيضاً إلى جُذام بأرض حِسْمَى وبعث زيداً أيضاً إلى الطرف من ناحية نخل من طريق العراق، وبعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى فزارة، وبعث أبا عامر الأشعري عم أبي موسى إلى أوطاس، وبعث زيد بن حارثة إلى وادي القرى فلقى هنالك قوماً من فزارة فقاتلهم فارتث زيد من بين القتلى، وبعث زيداً أيضاً إلى فزارة فقتل أم قِرْفَةَ وغيرها، وبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، وبعثه إليها مرة أخرى، وبعث عبد الله بن أنيس الجهني لقتل خالد بن سفيان الهذلي فقتله عبد الله بعثه عليه السلام لذلك وحده، وبعث الأمراء عليهم زيد بن حارثة فإن قُتل فعليهم جعفر بن أبي طالب فإن قتل فعليهم عبد الله بن رواحة فقتلوا كلهم رضوان الله عليهم بمؤته في أول الشام لقوا هنالك عساكر النصارى من الروم والعرب وأخذ الراية خالد بن الوليد فانهز بالمسلمين، وبعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح من أرض الشام، وبعث عُيَيْنَةَ بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري إلى بني العنبر من بني تميم، وبعث غالب بن عبد الله الليثي إلى أرض بني مرة فأصابوا في الحرقات من جهينة، وبعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من بني كنانة، وبعث خالداً أيضاً إلى اليمن، وبعث عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة وأمدّه بجيش عظيم عليهم أبو عبيدة، وبعث عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي إلى بطن أضم، وبعثه أيضاً إلى الغابة، وبعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، وبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى قتل أبي سفيان فلم يمكنه ذلك، وبعث زيد بن حارثة إلى مدين، وبعث سالم بن عمير إلى أبي عَفْكَ من بني عمرو بن عوف فقتله، وبعث عمير بن عدي الخطمي إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد فقتلها، وبعث بعثاً أسير فيه ثمامة بن أثال الحنفي، وبعث علقمة بن مُجَزَز المدلجي، وبعث كرز بن جابر خلف الذين قتلوا الرعاء وسملوا عيونهم، وبعث أسامة بن زيد إلى الشام وهو آخر بعثه مات ﷺ ولم يُنفذه فأنفذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

حَجَّجْهُ وَعُمِّرْهُ:

قال الحافظ عبد الغني روى همام بن يحيى عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك كم حجَّ النبي ﷺ من حجة قال: «حجة واحدة واعتمر أربع عُمَرُ عمره النبي ﷺ حيث صدّه المشركون عن البيت والعمرة الثانية حيث صالحوه من العام المقبل وعمرته من الجعرانة حيث قسم غنيمة حنين في ذي القعدة وعمرته مع حَجَّته»^(١) صحيح متفق عليه، هذا بعد قدومه المدينة، وأما ما

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (١٦٨٧ - ١٦٨٨) كتاب العمرة، باب كم اعتمر النبي ﷺ (ج ١/ ص ٥٨٢ - ٥٨٣) ومسلم في «صحيحه» رقم (١٢٥٣) كتاب الحج، باب عدد عُمَرُ النبي ﷺ (ج ٢ ص ٩١٦).

الحديبية: هي قرية كبيرة على مرحلة من مكة مما يلي المدينة، سميت ببئر هناك.

الجعرانة: مكان بين مكة والطائف، وهي إلى مكة أقرب.

حَجَّ بمكة واعتمر فلم يحفظ^(١) والتي حَجَّ حجة الوداع^(٢) ودَّع الناس فيها وقال: «عسى أن لا تَرَوْنِي بعد عامي هذا» انتهى. قلت: ولا بن حزم في حجة الوداع مصتَفَ عظيم، وخرج في حجة الوداع نهاراً بعد أن تَرَجَّل واذن وتطَيَّب فبات بذي الحليفة وقال: «أتاني الليلة آت من ربي فقال صلَّ في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة» فأحرَمَ بهما قارناً ودخل مكة يوم الأحد بكرة من كداء من الشنية العليا وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً ثم أمر من لم يسق الهذلي بفسخ الحج إلى العمرة ونزل بأعلى الحَجُّون فلما كان يوم التروية توجه إلى منى فصلَّى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبات بها وصلَّى بها الصبح فلما طلعت الشمس ساروا إلى عرفة وضربت قَبَتَه بنمرة فأقام بها حتى زالت الشمس فخطب الناس وصلَّى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين ثم راح إلى الموقف فلم يزل يدعو ويهلل ويكبر حتى زاغت الشمس ثم دفع إلى المزدلفة بعد الغروب وبات بها وصلَّى الصبح ثم وقف بالمشعر الحرام حتى أسفر ثم دفع قبل طلوع الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصياتٍ، وثلاثة أيام التشريق كان يرمي في كل يوم منها الجمرات الثلاث ماشياً بسبع سبع يبدأ بالتي تلي الحَيْفَ ثم بالوسطى ثم بجمرة العقبة ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ونحر يومَ نزوله منى، وأفاض إلى البيت فطاف به سبعا ثم أتى إلى السقاية فاستسقى ثم رجع إلى منى ونفر في اليوم الثالث فنزل المحصب وأعمر عائشة من التنعيم ثم أمر بالرحيل ثم طاف للوداع وتوجه إلى المدينة.

زوجاته^(٣):

تزوج خديجة بنت خويلد قبل البعثة وقد مر ذكرها، ثم تزوج سودة بنت زمعة بن قيس بن

(١) قال جابر: حجَّ النبي ﷺ (حَجَّتَيْنِ)، حَجَّة قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة، وقال ابن عمر: اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر، وقالت عائشة: أربع عمر، وروي مثل ذلك عن ابن عمر. وفي «الطبري» بروايته عن جابر: أن النبي ﷺ حجَّ ثلاث حجج حججتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة. وهو قول مجاهد. قال ابن جريج: هذا هو المحفوظ مرسلًا. علق البيهقي على قول جابر قال: وقد بلغني عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال: هذا حديث خطأ وإنما روي عن الثوري عن أبي إسحاق عن مجاهد عن النبي ﷺ مرسلًا. قال البخاري: وكان زيد بن الحباب إذا روى حفظاً ربما غلط الشيء. وقال البيهقي: وأما قوله: وحجة معها عمرة، فإنما يقول ذلك أنس بن مالك، ومن ذهب من الصحابة إلى أن النبي ﷺ قرن، فأما من ذهب إلى أنه فرد فإنه لا تكاد تصح عنده هذه اللفظة لما في إسناده من الاختلاف وغيره والله أعلم. انظر «الكامل» لابن الأثير (٦٥٣/١) و«الأمم والملوك» للطبري.

(٢) انظر في حجة الوداع «الطبقات» لابن سعد (١٧٢/٢) و«صحيح مسلم بشرح النووي» (١٧٠/٨) و«الأمم والملوك» للطبري (١٦٧/٣) و«سيرة ابن هشام» (٢٤٨/٤) و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٩/٥)، و«المغازي» للواقدي (١٠٨٨/٣).

(٣) انظر في عدد أزواجه ﷺ وأسمائهن: «الطبقات» لابن سعد (٥٢/٨) وما بعدها، و«الأمم والملوك» للطبري (١٧٥/٣) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢٨٢/٧)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (٣٩٦/١) و«عيون الأثر» لابن سيد الناس (٣٠٠/٢)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٧٧/١)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢٩٣/٢)، و«تسمية أزواج النبي ﷺ» لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ص ٤٤) وما بعدها، و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣٤١/٢/١).

عبد شمس بن عبد وذ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وكبرت عنده فأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة وقالت: لا حاجة لي في الرجال وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك وانفردت به ﷺ ما بين وفاة خديجة إلى أن دخل بعائشة رضي الله عنها، ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوجها بمكة قبل الهجرة بستين وقيل بثلاث وهي بنت ست أو سبع وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقيل غير ذلك ولم يتزوج بكراً غيرها، ثم تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما روي أنه طلقها فنزل جبريل فقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوامة قوامة وفي خبر قال رحمة لعمر، وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان أخت معاوية رضي الله عنهما وهي بالحبيشة فأصدقها النجاشي أربعمائة دينار وولي نكاحها عثمان بن عفان ولم يصح وقيل خالد بن سعيد بن العاص وتوفيت سنة أربع وأربعين، وتزوج أم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وماتت سنة اثنتين وستين وهي آخرهن موتاً وقيل ميمونة، وتزوج زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه وهي ابنة عمته أُميمة توفيت بالمدينة سنة عشرين وهي أولهن وفاةً وأول من حُمل على نعش وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها فزوجها الله إياه من السماء ولم يعقد عليها قال الحافظ عبد الغني وصح أنها كانت تقول لأزواجه زوجكن أبأؤكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات^(١)، وتزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق، سُبيت في غزوة بني المصطلق ف وقعت لثابت بن قيس بن شماس فكايتها فأثت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها وكانت امرأة ملاحه فقال لها رسول الله ﷺ: «أَوْ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْذِي عَنْكَ كِتَابَتِكَ وَأَتَزَوَّجُكَ»^(٢) فقبلت ففُضِيَ عنها وتزوجها وأطلق من أجلها جميع أسراء بني المصطلق وتوفيت سنة ست وخمسين، وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب بن أبي يحيى بن كعب بن الخزرج النضرية من ولد هارون عليه السلام سُبيت من خير فاعتقها وجعل عتقها صداقها توفيت سنة خمسين^(٣)، وتزوج ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهُزَم بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عامر خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وهي آخر من تزوج وتوفيت سنة إحدى وخمسين وقيل سنة ست وستين فإن ثبت ذلك فهي آخرهن موتاً، وتزوج زينب بنت خزيمه أم المساكين سنة ثلاث من الهجرة ولم تلبث عنده إلا يسيراً شهرين أو ثلاثة وماتت، وتزوج فاطمة بنت الضحّاك وخيرها حين نزلت آية التخيير^(٤) فاختارت الدنيا فطلقها ثم كانت بعد ذلك تلقط

(١) حيث أنزل الله تعالى أمر زواجها من السماء بقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. انظر في قصة زواجها من رسول الله ﷺ «أسد الغابة» لابن الأثير (١٢٥/٦)، و«الطبقات» لابن سعد (٨٤/٨)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٥٧/٦).

(٢) في «الكامل» لابن الأثير (٦٥٦/١): توفيت سنة ست وثلاثين.

(٣) وقيل سنة: ست وثلاثين. انظر في ترجمتها: «الطبقات» لابن سعد (٨٥/٨)، و«المعارف» لابن قتيبة (١٣٨)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (١٦٩/٦ - ١٧٠).

(٤) ونص الآية قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَمِنْهَا أَمْ تَرْضَوْنَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَكِيلٌ﴾

البرع وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا^(١)، وتزوج شراف^(٢) أخت دحية الكلبي، وخولة بنت الهذيل وقيل بنت حكيم وهي التي وهبت نفسها له وقيل تلك أم شريك، وأسماء بنت كعب الجونية، وعمرة بنت يزيد وطلقها قبل الدخول، وامرأة من غفار فرأى بها بياضاً فألحقها بأهلها، وامرأة تميمية فلما دخل عليها قالت أعوذ بالله منك فقال: «منع الله عائذته الحقي بأهلك» وغالية^(٣) بنت ظبيان طلقها حين أدخلت عليه، كذا أخبرني به الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس، وقال ابن حزم: ولم يصح أنه عليه السلام طلق امرأة قط إلا حفصة بنت عمر ثم راجعها وقد طلق عمرة بنت يزيد المذكورة آنفاً وبنت الصلت وماتت قبل أن يدخل عليها، ومُلكة الليثية فلما دخل عليها قال: «هبي لي نفسك» فقالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة فسرّحها، وخطب امرأة من أبيها فوصفها له وقال أزيدك أنها لم تمرض قط فقال: «ما لهذه عند الله من خير»، وكان صداقه لنسائه خمسمائة درهم لكل واحدة هذا أصح ما قيل إلا صفية فإنه أعتقها وتزوجها وأم حبيبة، وأولم على زينب بنت جحش بشاة واحدة فكفّت الناس قال أنس ولم نره أولم على امرأة من نسائه بأكثر من ذلك وأولم على صفية وليمة ليس فيها شحم ولا لحم إنما كان السويق والتمر والسمن وأولم على بعض نسائه - ولم تُسم - بمُدّنين من شعير وثماني وسقاً من تمر، قال ابن حزم: «هكذا رويناه من طريق في كل سنة عشرين وسقاً من شعير وثمانين وسقاً من تمر، قال ابن حزم: «هكذا رويناه من طريق في غاية الصحة وروينا من طريق فيها ضعف أن هذا العدد لكل واحدة في العام والله أعلم، فقد كانت كل واحدة لها الإماء والعبيد والعتقاء في حياته ﷺ» انتهى كلام ابن حزم، قلت الوُسق ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلاث بالبغدادي والرطل مائة وثلاثون درهماً والدرهم عشرة أمثاله سبعة مثاقيل والفرق - بتحريك الراء - زنبيل يسع خمسة عشر صاعاً.

أولاده ﷺ:

القاسم وبه كان يكنى وعبد الله ويسمى الطيب والظاهر وقيل الطيب غير الطاهر، وإبراهيم وُلد له بالمدينة من مارية وعاش عامين غير شهرين ومات قبل موت أبيه ﷺ بثلاثة أشهر يوم كَسَفَتِ الشمس^(٤)، والقاسم أكبر أولاده وُلد له قبل النبوة وعاش أياماً يسيرة، وقال ابن حزم: رويانا من طريق هشام بن عروة عن أبيه أنه كان له ولد اسمه عبد العزى قبل النبوة وهذا بعيد والخبر مرسل

= وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَّاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتِ تَرَدْنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

(١) قال ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢٢٨/٦): هذا باطل لأن الحديث الصحيح عن عائشة أن رسول الله ﷺ حين خيّر أزواجه بدأ بها، فاخترت الله ورسوله، وتتابع أزواج النبي ﷺ كلهن على ذلك. والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢٧٦ - ٢٧٧) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الإسراء، الآيتين [٢٨ - ٢٩].

(٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١٦١/٧).

(٣) في «أسد الغابة» لابن الأثير (١٨٨/٧): العالية.

(٤) حيث قال الناس كُسِفَتِ الشمس لموت إبراهيم، فقال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» أخرجه البخاري ومسلم، ومالك في «الموطأ» (١٨٦/١ - ١٨٧).

ولا حجة في مرسل انتهى، قلت: قال ابن الجوزي في كتاب «تلقيح فهم أهل الأثر» قال الهيثم بن عدي حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: ولدت له خديجة عبد العزى وعبد مناف والقاسم قلت لهشام فأين الطيب والطاهر قال هذا ما وضعتم أنتم يا أهل العراق فأما أشياخنا فقالوا عبد العزى وعبد مناف والقاسم، قال ابن الجوزي: الهيثم كذاب لا يلتفت إلى قوله، قال لنا شيخنا ابن ناصر لم يُسم رسول الله ﷺ عبد مناف ولا عبد العزى قط.

بناته:

أكبرهن زينب^(١) تزوجها أبو العاص واسمه القاسم بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف وكانت أمها خديجة خالة أبي العاص ولم يكن لزينب زوج غيره ومات سنة ثمان من الهجرة وأولدها عليا فمات مراهقاً وأولدها أيضاً أمامة التي حملها النبي ﷺ في الصلاة تزوجها علي بن أبي طالب بعد فاطمة فلم تلد ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فماتت عنده ولم تلد له قاله ابن حزم، وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: فولدت له يحيى ومات أبو العاص في خلافة عمر بن الخطاب، ورقية^(٢) تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يكن لها زوج غيره فولدت له عبد الله، وفاطمة^(٣) تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له الحسن والحسين ومحسناً مات صغيراً، وأم كلثوم تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولدت له زيداً، وزينب تزوجها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فولدت له علياً وأعقب علي بن عبد الله بن جعفر ولم يعقب زيد بن عمر بن الخطاب ولم يكن لفاطمة زوج غير علي، وأم كلثوم بنت رسول ﷺ وهي أصغرهن كانت مملكة بعتبة بن أبي لهب فلم يدخل بها وطلقها فتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فماتت عنده في حياة النبي ﷺ ولم تلد له، قال ابن حزم: قاله^(٤) ابن خياط، قال الحافظ عبد الغني البنات أربع بلا خلاف والصحيح في البنين أنهم ثلاثة وأول من وُلد القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم في الإسلام عبد الله ثم إبراهيم بالمدينة وأولاده كلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية وكلهم ماتوا قبله إلا فاطمة فإنها عاشت بعده ستة أشهر^(٥).

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/٦٥٨ - ٦٥٩)، و«الطبقات» لابن سعد (٨/٣٣)، وأبو داود في «سننه» رقم (٢٣٢٤٠)، وابن ماجه في «سننه» رقم (٢٠٠٩).

(٢) انظر: «الطبقات» لابن سعد (٨/٣٦).

(٣) فاطمة رضي الله عنها هي آخر بنات النبي ﷺ.

(٤) وهذا ما أجمع عليه أصحاب هذا الشأن في أولاد رسول الله ﷺ، بينما ذهب بعض المغالين إلى أن النبي ﷺ لم يلد له سوى فاطمة رضي الله عنها، وهذا تزوير لحقائق التاريخ، ومخالفة للسنة النبوية الشريفة التي جاءت في الصحاح مؤكدة لعدد أولاد الرسول ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٦٢٣)، ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٤٥٠)، وأبو داود في «سننه» رقم (٥٢١٧).

أعمامه:

كان له من العمومة أحد عشر، منهم الحارث^(١) وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى، ومن ولده وولد ولده جماعة لهم صحبة، وقُتِمَ هلك صغيراً وهم أخو الحارث لأُمّه، والزبير بن عبد المطلب وكان من أشرف قريش وابنه عبد الله بن الزبير شهد مع رسول الله ﷺ حنيناً وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين وروي أنه وُجد إلى جانب سبعة قتلهم وقتلوه، وضُباعة بنت الزبير لها صحبة وأم الحكم بنت الزبير لها رواية، وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة أسلم قديماً وهاجر إلى المدينة وشهد بدرًا وقُتِلَ يومَ أحد شهيداً ولم يكن له إلا ابنة، وأبو الفضل العباس بن عبد المطلب أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وكان أكبر من النبي ﷺ بثلاث سنين وكان له عشرة من الذكور، ولم يسلم من أعمامه إلا حمزة والعباس لا غير، «ومن عماته صفية على الصحيح^(٢)»، وأبو طالب بن عبد المطلب واسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبي رسول الله ﷺ وله من الولد طالب مات كافراً وعقيل وجعفر وعليّ وأم هانئ لهم صحبة واسم أم هانئ فاختة وقيل هند، وجُمّانة، وأبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب كناه أبوه بذلك لحسن وجهه ومن ولده عتبة ومعتب ثبتا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ودُرّة لهم صحبة، وعتيبة قتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام على كفره بدعوة النبي ﷺ، وعبد الكعبة، وحجل واسمه المغيرة، وضرار أخو العباس لأُمّه، والغيداق وإنما سُمّي الغيداق لأنه كان أجود قريش وأكثرهم طعاماً.

وعَمّاته:

ست: صفية، وعاتكة، وأروى، وأميمة، وبرّة، وأم حكيم البيضاء، أما صفية فأسلمت وهاجرت وهي أم الزبير بن العوام وهي أخت حمزة لأُمّه، وأما عاتكة قيل إنها أسلمت وهي صاحبة الرؤيا في بدر^(٣) وكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة وزهيراً وقُرَيْبَةُ الكبرى، وأما أروى فإنها كانت عند عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي فولدت له طليب بن عمير وكان من المهاجرين الأولين وشهد بدرًا وقُتِلَ بأجنادين شهيداً ولا عقب له، وأما أميمة فكانت عند جحش بن رثاب فولدت له عبد الله المقتول بأحد شهيداً وأبا حمزة الأعمى الشاعر واسمه عبد وزينب زوج النبي ﷺ وحبّية^(٤) وحمّنة وكلهم له صحبة وعبيد الله بن جحش أسلم ثم تنصّر ومات بالحبيشة كافراً، وأما برة فإنها كانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له أبا سلمة واسمه عبد الله وكان زوج أم

(١) انظر «جمهرة النسب» للكلبي (ص ٢٨).

(٢) انظر «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٣٩٠/٢).

(٣) انظر: رؤيا عاتكة في «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٣٧٩/١).

(٤) وفي «الشجرة النبوية» لابن الميزد (٧١): أم حبّية، وهي المستحاضة، أي كانت تستخاض، وحديثها في «صحيح مسلم» رقم (٣٣٤) كتاب الحيض، باب المستحاضة، عن عائشة رضي الله عنها.

سلمة قبل النبي ﷺ وتزوجها بعد عبد الأسد أبو رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس فولدت له أبا سيرة بن أبي رهم، وأما أم حكيم البيضاء فإنها كانت عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فولدت له أروى بنت كريز وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أمرؤه:

بازان بن ساسان بن يلابش بن الملك جاماسب بن الملك فيروز بن الملك يزدجرد بن بهرام جور الفارسي على اليمن كلها فلما مات باذان ولي رسول الله ﷺ ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها فقط، وولى المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة كندة والصدف، وولى زياد بن لبيد البياضي الأنصاري حضرموت، وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن ورمع والساحل، وولى معاذ بن جبل الجند، وعتاب بن أبي أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس مكة وإقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان وهو دون العشرين سنة في سنه، وولى أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس نجران، وولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب على تيماء، وولى خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس على صنعاء بعد قتل شهر بن باذان قتل شهراً رحمه الله الأسود العنسي الكذاب، وولى أخاه عمرو بن سعيد على وادي القرى، وولى أخاهما الحكم بن سعيد على قرى عرينة وهي فذك وغيرها، وولى أخاهم أبان بن سعيد على مدينة الخط بالبحرين وهي التي تنسب إليها الرماح، وولى العلاء بن الحضرمي حليف بني سعيد بن العاص على القطيف بالبحرين، وولى عمرو بن العاص على عُمان وأعمالها، وولى عثمان بن أبي العاص الثقفي على الطائف، وولى محمثة بن جزء بن عبد يغوث بن عَرَفَج بن عمر بن زبيد الزنيدى على الأخماس التي بحضرته قيل وهو حليف بني جُمَح، وولى علي بن أبي طالب على الأخماس باليمن والقضاء بها، وولى معيقب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني أمية بن عبد شمس على خاتمه، وولى عدي بن حاتم على صدقات بني أسد وطيء، وولى مالك بن نويرة اليربوعي على صدقات بني حنظلة، وولى قيس بن عاصم المنقري على صدقات منقر، والزبرقان بن بدر السعدي على صدقات بني سعد بن تميم، وولى عمر بن الخطاب على بعض الصدقات أيضاً، وولى ابن اللثبية الأزدي على بعض الصدقات أيضاً، وولى جماعة كثيرة على الصدقات أيضاً لأنه كان على كل قبيلة وإل يقبض صدقاتها، وولى أبا بكر الصديق أيضاً رضي الله عنه على موسم سنة تسع وخليفته على ولاية الأمور كلها.

رسله إلى الملوك:

أرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي^(١) واسمه أصحمة ومعناه عطية فأخذ كتاب رسول الله ﷺ ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض وأسلم وحسن إسلامه إلا

(١) انظر: «الأمم والملوك» للطبري (٨٩/٣).

أن إسلامه كان عند حضور جعفر بن أبي طالب وأصحابه ورؤي أنه كان لا يزال النور يرى على قبره، وأرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر^(١) ملك الروم واسمه هرقل فسأل عن النبي ﷺ وثبت عنده صحة نبوته فهمم بالإسلام فلم توافقه الروم وخافهم على ملكه فأمسك، وأرسل عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس فمزق كتاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ «مزق الله ملكه»^(٢) فمزق الله ملكه وملك قومه، وأرسل حاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس^(٣) ملك الإسكندرية ومصر فقال خيراً وقارب الأمر ولم يسلم وأهدى إلى النبي ﷺ مارية القبطية وأختها شيرين فوهبها لحسان بن ثابت الأنصاري فولدت له عبد الرحمن بن حسان، وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان جيفر وعبد ابني الجُلندي وهما من الأزدي والملِك جيفر فأسلما وصدقا وخليا بين عمرو والصدقة والحكم فيما بينهم فلم يزل عندهم حتى توفي رسول الله ﷺ، وأرسل سليط بن عمرو العامري إلى اليمامة إلى هُوذة بن علي^(٤) الحنفي فأكرمه وأنزله وكتب إلى النبي ﷺ ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومي وشاعرهم فاجعل لي بعض الأمر فأبى النبي ﷺ ولم يسلم ومات زمن الفتح، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني^(٥) ملك البلقاء من أرض الشام قال شجاع فانتبهت إليه وهو بغوطة دمشق فقرأ كتاب النبي ﷺ ورمى به وقال أنا سائر إليه وعزم على ذلك فمنعه قيصر، وأرسل المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث الحميري^(٦) أحد مقاولي اليمن، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي^(٧) ملك البحرين وكتب له كتاباً يدعو به إلى الإسلام فأمن وصدق، وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل الأنصاري^(٨) رضي الله عنهما إلى جملة اليمن داعيين إلى الإسلام فأسلم عامة أهل اليمن وملكوهم طوعاً.

نبذة من معجزاته وآياته ﷺ:

منها القرآن العظيم وهو أكبرها الذي دعا به بلغاء قريش وهم ما هم قاله البلاغة ولسن الفصاحة لهم:

من آفاق ذلك قمرها والنجوم والطوالع

- (١) انظر: «صحيح البخاري» رقم (٤١٦٢) كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، و«الكامل» لابن الأثير (٨١/٢).
- (٢) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني «شرح الزرقاني» (٣/٣٩٣).
- (٣) «حسن المحاضرة» للسيوطي (٤٣/١)، و«الخطط» للمقريزي (٢٩/١).
- (٤) انظر «السيرة الحلبية» لابن برهان (٣٧٤/٢).
- (٥) انظر: «السيرة الحلبية» لابن برهان (٣٧٦/٢)، و«المواهب اللدنية» «شرح الزرقاني» (٣/٤٠٧).
- (٦) انظر: «الأمم والملوك» للطبري (٨٨/٣)، و«السيرة الحلبية» لابن برهان (٣٧٦/٢).
- (٧) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٣٨٠/٢)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (٧٧ - ٧٨).
- (٨) انظر: «كتاب الخراج» لأبي يوسف (٥٦)، و«فتوح البلدان» للبلاذري (٨٨).

ودعا غيرهم مذ بعثه الله تعالى قرناً فقرنا وجيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا وإلى يوم البعث والنشور على أن يأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات وتنازلَ معهم إلى الإتيان بسورة من مثله وفي السور ما هو ثلاث آيات وتحذى به الإنس والجن فلم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ونكصوا على أعقابهم خائبين، وذهب كلُّ نبيٍّ بمعجزاته ولم يبقَ لها أثر ظاهر خلا الروايات عنها والأخبار وأبقى لنا ﷺ معجزاً خالداً بين ظهرانينا إلى يوم القيامة بعد ذهابه لا تنكسف شموسه ولا تذوي زهراته، وانشقاق القمر روى مسلم والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلتقتين فستر الجبلُ فلقّةً وكانت فلقّةً فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ اللهم أشهد وروى الترمذي عن جبيرة بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله فصار فرقتين فقالت قريش: سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم - وزاد ززين -: فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم، وما أحقّه ﷺ بقول أبي الطيب [الطويل]:

متى ما يُشِيرَ نحو السماء بطرفه تَخِرُّ له الشُّعْرَى وينكسف البَدْرُ

وإن الملاء من قريش تعاقدوا على قتله فخرج عليهم فحفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب وقال: «شاهت الوجوه» وحبسهم فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصباء إلا قُتل يوم بدر، ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمهم الله تعالى، ونسج العنكبوت في الغاز وما كان من أمر سُرّاقة بن مالك إذ بُعث خلفه في الهجرة فساخت قوائمه فرسه في الأرض الجلد^(١)، ومَسَحَ على ظهر عَنَاقٍ لم يَنْزُ عليها الفحل فدرّت، وشاة أم معبد^(٢)، ودعوته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يعزّ الله به الإسلام^(٣) ودعوته لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يذهب عنه الحرّ والبرد^(٤)، وتقله في عينيه وهو أرمَد فعوفي من ساعته ولم يرمد بعد ذلك^(٥)، ورذّ عين قتادة بن النعمان بعد أن سألت على خذّه فكانت أحسن عينيه وأحدهما^(٦)، ودعاؤه لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين^(٧) وكان يسمّى الحبر

(١) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذري (٧٨).

(٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١٧٩/٢ - ١٨١).

(٣) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (٢٣٨)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٢٨٢/٦ - ٢٨٣).

(٤) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٦٤٤/٣).

(٥) انظر: «تحفة الأحوذى» للمباركفوري رقم الحديث (٣٨٠٨) أبواب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ج ١٠ ص ٢٢٨ - ٢٢٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢٦/٢/٣)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (١٢٧٤/٣ - ١٢٧٥) رقم الترجمة (٢١٠٧).

(٧) انظر: «تحفة الأحوذى» للمباركفوري، كتاب المناقب (ج ١٠ ص ٣٢٧)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٨) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٠٧/١).

والبحر لعلمه، ودعاؤه لجمل جابر فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً^(١)، ودعاؤه لأنس بن مالك بطول العُمُر وكثرة المال والولد فعاش مائة سنة أو نحوها وُوِلِدَ له مائة وعشرون ولداً ذكراً لصلبه وكان نخله يحمل في السنة مرتين^(٢)، وفي تمر جابر بالبركة فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقاً، واستسقاؤه عليه السلام فمطّروا أسبوعاً ثم استصحّاه فأنجابت السحاب [الكامل]:

وإذا النوائب أظلمت أحداثها لبسّ بوجهك أحسن الإشراق

ودعاؤه على عتبة بن أبي لهب فأكله الأسد^(٣) بالزرقاء من الشام، وشهادته الشجرة له بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام فقال هل من شاهدٍ على ما تقول فقال: «نعم هذه الشجرة»^(٤) ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثاً ثم رجعت إلى منبتها، وأمره شجرتين فاجتمعتا ثم افتترقا^(٥)، وأمره أنساً أن ينطلق إلى نخلات فيقول لهن أمركن رسول الله ﷺ أن تجتمعن فاجتمعن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود إلى أماكنهن فعُذِّنَ ونام فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذُكِرَتْ له فقال: «هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلّم عليّ فأذِنَ لها»^(٦)، وسلام الحجر والشجر عليه ليالي بُعِثَ السلام عليك يا رسول الله، وقوله: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث»^(٧)، وحنين الجذع^(٨) إليه وتسبيح الحصى في كفّه وكذلك الطعام، وإعلامه الشاة بسمها^(٩)، وشكوى البعير إليه كثرة العمل وقلة العلف، وسؤال الظبية له أن يخلصها من الجبل لترضع ولديها وتعود فخلصها فتلفظت بالشهادتين^(١٠)، وإخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يَغْدُ أحدٌ منهم مصرعه، وإخباره أنَّ طائفةً من أمته يغزون في البحر وإن أم حرام بنت ملحان منهم فكان كذلك^(١١)، وقوله لعثمان رضي الله عنه «تصيبه بلوى شديدة»^(١٢) فكانت وقُتِلَ، وقوله للأنصار:

(١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/١٥١).

(٢) عتبة بن أبي لهب أسلم هو وأخوه مُعْتَبٌ يوم الفتح، وكانا قد هربا من النبي ﷺ، فبعث النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب عمهما إليهما، فأتى بهما، فأسلما، فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامهما، وشهدا مع رسول الله ﷺ حينئذ، وكانا ممن ثبت ولم ينهزما، وشهدا الطائف ولم يخرججا عن مكة، ولم يأتيا المدينة، ولهما عقب.

انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/٤٦٥)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر (٣/١٠٣١).

(٣) انظر: «دلائل النبوة»، لأبي نعيم الأصبهاني (٣٣٣).

(٤) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٣٣). (٥) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٣٢).

(٦) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٤٠). (٧) انظر: المصدر السابق، (ص ٣٤٤).

(٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٢١٦٥) كتاب المغازي، باب الشاة التي سُمِتَ للنبي ﷺ.

(٩) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (٣٢٠).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤٢٣/١٦).

(١١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٦٨٤) كتاب الفتن، باب الفتن التي تموج كموج البحر، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان رقم (٣٤٩٢) و(٣٤٩٦). ومسلم في «صحيحه» رقم (٢٤٠٣) كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان رضي الله عنه، وأحمد في «مسنده» (٣٩٣/٣ - ٤٠٦).

(١٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (١٨٤٥) كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستثارهم.

«إنكم ستلقون بعدي أثره»^(١) فكانت زمن معاوية وقوله في الحسن: «أن ابني هذا سيد وأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢)، وإخباره بقتل العنسي الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله وبمن قتله، وقوله لثابت بن قيس: «تعيش حميداً وتُقتل شهيداً»^(٣) فقتل يوم اليمامة، ولما ارتد رجل من المسلمين ولحق بالمشركون بلغه أنه مات فقال: «إن الأرض لا تقبله» فكان كذلك، وقوله لرجل يأكل بشماله: «كل يمينك» فقال لا أستطيع فقال له: «لا استطعت» فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد، ودخوله مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها به ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل»^(٤) وهي تتساقط، وقصة مازن بن الغضوبة الطائي^(٥) وسواد بن قارب^(٦) وأمثالهما، وشهادة الضب بنبوته، وإطعام ألف من صاع شعير بالخندق^(٧) فشبعوا والطعام أكثر مما كان وأطعمهم من تمر يسير وجمع فضل الأزواد على النطع ودعا لها بالبركة ثم قسمها في العسكر فقامت بهم وأناه أبو هريرة بتمرات قد صفهن في يده: وقال ادع لي فيهن بالبركة قال أبو هريرة فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان، ودعاؤه أهل الصفة لقصة ثريد قال أبو هريرة فجعلت أطاول ليدعوني حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها فجمعها رسول الله ﷺ فصار لقمة ووضعها على أصابعه وقال: «كل باسم الله» فوالذي نفسي بيده ما زلت أكل منها حتى شبع، وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربع مائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه كما كان، ونبع الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضؤوا وهم ألف وأربع مائة، وأتي بقدر فيه ماء فوضع أصابعه في القدر فلم يسغ فوضع أربعة منها وقال: «هلموا فتوضؤوا أجمعين» وهم من السبعين إلى الثمانين، وورد في غزوة تبوك على ماء لا يروي واحداً والقوم عطاش فشكوا إليه فأخذ سهماً من كنانته فغرسه فيها ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً، وشكا إليه قوم ملوحة في مائهم فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على بثرهم فنفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين، وأتته امرأة بصبي لها أقرع فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه فسمع أهل اليمامة بذلك فأنت امرأة إلى مُسَيِّلَمَة بصبي فمسح على رأسه فتصلع وبقي الصلح في نسله، وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه جذلاً من حطب فصار في يده سيفاً ولم يزل بعد ذلك عنده، وعزت كذبة بالخندق عن أن يأخذها المعول فضر بها فصارت كثيراً

- (١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٦٦٩٢) كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي: إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين.
- (٢) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١/ ٢٧٥ - ٢٧٦).
- (٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٤٠٣٦) كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، ومسلم في «صحيحه» رقم (١٧٨٠) كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة.
- (٤) انظر قصته في: «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/ ١٣٠ - ٤٤) رقم (٢٣٣٣).
- (٥) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (٣٢١ - ٣٢٢).
- (٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم (٣٨٧٦) كتاب المغازي، باب غزوة الخندق.

أَهْيَلْ، ومسح على رجل أبي رافع وقد انكسرت فكأنه لم يشكها قط، وقوله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» وصدق الله قوله بأنَّ مُلْكَ أَمَّتِهِ بلغ أقصى المشرق والمغرب ولم ينتشر في الجنوب ولا في الشمال، وأخبر عن الشيماء بنت بقلية الأزدية أنها رُفِعَتْ له في خمار أسود على بغلةٍ شهباء فأخذت في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في جيش خالد بن الوليد بهذه الصفة، وقال لرجل ممن يدعي الإسلام وهو معه في القتال «أنه من أهل النار» فصَدَّقَ الله قوله بأن ذلك الرجل نحر نفسه وهذا لا يُعْرَفُ البتَّةُ بشيءٍ من النجوم ولا بخط ولا بزجر ولا بالنظر في الكف ولا بتصويت الوزغ وأبطلَ الله تعالى بيعته الكهانة فانقطعت وكانت ظاهرة موجودة، ودعا اليهود الى تمّني الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونوه فحيل بينهم وبين النطق بذلك، وأخبر بأن عمّاراً تقتله الفئة الباغية فكان مع علي بن أبي طالب وقتله جماعة معاوية، وأنذر بموت النجاشي وخرج هو وأصحابه الى البقيع فصلّوا عليه فورد الخبر بموته بعد ذلك في ذلك اليوم، وخرج على نفر من أصحابه مجتمعين فقال: «أحدكم في النار ضرسه مثل أخذ» فماتوا كلّهم على الإسلام وارتدّ منهم واحد وهو الدجال الحنفي فقتل مرتدّاً مع مسلمة وقال لآخرين منهم (آخركم موتاً في النار) فسقط آخرهم موتاً في نارٍ وهو سَمُرَةُ بن جندب، وأخبر بأنه يقتل أمية بن خلف الجُمَحِيّ فخدشه يوم أحد خدشاً لطيفاً فكانت منيته منه وأخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها أنها أول أهله لحاقاً به فكان كذلك، وأخبر نساءه أن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به وكانت زينب بنت جحش الأسدية لأنها كانت كثيرة الصدقة، وحكى الحكم ابن أبي العاص مشيته مستهزئاً فقال: «كذلك فكن» فلم يزل يرتعش الى أن مات، وخطب أمامة بنت الحارث بن أبي عوف وكان أبوها أعرابياً حافياً فقال إن بها بياضاً فقال «لتكن كذلك» فبرصت من وقتها فتزوجها ابن عمها يزيد بن حمزة فولدت له الشاعر شبيب بن يزيد وهو المعروف بابن البرصاء، وليلة ميلاده اضطرب إيوان كسرى حتى سُمِعَ صوته وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة، ومن علائم نبوته حراسة السماء بالشهب التي تقذف الشياطين فلا تسترق السمع، وبشرى الكهان به والهواتف، وإخبار الأبحار بظهوره، وفراصة بحيرا الراهب فيه ومعرفته آيات النبوة وأمارات البعثة [الكامل]:

ورأوك وضاح الجبين كما يُرى قَمَرُ السماء السعد ليلة يكمل

وولادته مختوناً مسروراً، وسجع شقّ وسطيح، ورؤيا الموبدان إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة والامارات الباهرة والدلالات الزاهرة والمعجزات القاهرة والسيرة التي:

شُهِرَتْ شُهْرَةَ النجوم وسارَ الذكر منها في الناس سير القوافي

غزواته:

غزا رسول الله ﷺ خمساً وعشرين غزوةً بنفسه هذا هو المشهور قاله محمد بن إسحاق وأبو معشر وموسى بن عقبة وغيرهم وقيل سبعاً وعشرين غزوة، غزوة الأبواء وهي أول غزاة غزاها بنفسه، غزوة بواط وهي من ناحية رضوى، غزوة العشيرة من بطن ينع، غزوة بدر الأولى يطلب

كرز بن جابر، بدر الثانية وهي أكرم المشاهد، غزوة بني سليم حتى بلغ ماء الكدر، غزوة السويق يطلب أبا سفيان بن حرب غزوة ذي أمر، غزوة بُحْران، غزوة بني قينقاع [غزوة أحد]، غزوة حمراء الأسد، غزوة بني النضير، غزوة ذات الرقاع، غزوة بدر الثالثة، غزوة دومة الجندل، غزوة الخندق، غزوة بني لُحَيَّان، غزوة ذي قرد، غزوة بني المصطلق، غزوة الحديبية، غزوة خيبر، غزوة مؤتة، غزوة فتح مكة، غزوة حنين، غزوة الطائف، غزوة تبوك، قاتل ﷺ من هذه الغزوات في سبع بدر وأحد والخندق وبني قريظة وبني المصطلق وخيبر والطائف وقيل قاتل أيضاً بوادي القرى والغابة وبني النضير ولم يكن في غير ما قاتل فيه قتال.

مواليه:

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، وابنه أسامة بن زيد وكان يقال له الحُبُّ بن الحُبِّ، وثوبان بن بُجْدَد وكان له نسب في اليمن، وأبو كبشة من مولدي أرض دُوس شهد بدرًا وأعتقه واسمه سُلَيْم^(١) وتوفي يوم استخلف عمر، وأنيسة من مولدي السراة وأعتقه، وصالح^(٢) شقران ورثه من أبيه وقيل اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه، ورياح أسود^(٣)، ويسار نوبي، وأبو رافع^(٤) واسمه أسلم وقيل إبراهيم وهبه له العباس فأعتقه حين بشره بإسلام العباس وزوجه سلمى مولاة له فولدت له عبيد الله كَتَبَ لعلِّي، وأبو مويهبة^(٥) من مولدي مزينة وأعتقه، وفضالة^(٦) مات بالشام، ورافع كان مولى لسعيد بن العاص فورثه ولده فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم فجاء رافع إلى النبي ﷺ يستعينه فوهب له وكان يقول أنا مولى رسول الله ﷺ، ومدعم أسود وهبه له رفاعة الجذامي قتل بوادي القرى، وكركرة^(٧) نوبي أهداه له هوزة بن علي وأعتقه وكان على ثقل النبي ﷺ، وزيد جد هلال بن يسار بن زيد، وعبيد، وطهمان أو كيسان أو مهران أو ذكوان أو

(١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٢٦١/٦).

(٢) واسمه صالح بن عدي، انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور.

(٣) كان يأذن على رسول الله ﷺ انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٣٠١/٢).

(٤) ويقال: رافع.

(٥) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣١٦/٢).

(٦) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٦٣/٤) وفيه: أنه كان من أهل اليمن.

(٧) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٠٧/٢ - ٣٠٨).

(٨) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٣٠٥/٢)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٩٩/٣).

(٩) وكان خصيًا.

(١٠) روى عن رسول الله ﷺ حديثاً هو: «مَنْ أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلَّتْ صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومَنْ عصى الله فلم يذكره، وإن كثرت، صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن». انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٤٣٣/٥).

(١١) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١٧٧/٦) وفيه: أن رسول الله ﷺ كتب له كتاباً، ولأهل بيته كتاباً، أوصى المسلمين بهم خيراً. وانظر الكتاب في: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٣١٤/٢).

مروان^(١)، ومابور القبطي أهده له المقوقس^(٢)، وواقد^(٣) وأبو واقد، وهشام، وأبو ضميرة^(٤) من الفتي وأعتقه، وحنين، وأبو عسيب^(٥) واسمه أحمر، وأبو عبيد^(٦)، وسفينة كان لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم النبي ﷺ حياته فقال لو لم تشرطي علي ما فارقتك وكان اسمه رباحاً وقيل مهران، وأبو هند وأعتقه، وأنجشة الحادي، وأبو لبابة وأعتقه، هؤلاء هم المشهورون وقد عُدوا أكثر من ذلك.

وإماؤه:

سلمى أم رافع^(٧)، وبركة أم أيمن^(٨) حاضته ورثها من أبيه، ومارية^(٩)، وريحانة سبية من قريظة، وميمونة^(١٠) بنت سعد، وخضرة^(١١) ورضوى^(١٢).

خدمه:

أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، وهند وأسماء ابنا حارثة^(١٣)، وربيعة بن كعب^(١٤) الأسلميون، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه كان إذا قام ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وكان بلال بن رباح المؤذن، وكذلك عمرو بن قيس الأعشى المدعو ابن أم مكتوم، وأبو محذورة أقره مؤذناً بمكة، وسعد القرظ مؤذن بالمدينة، ومن خدمه سعد^(١٥) مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر ابن أخي النجاشي ويقال ابن أخته ويقال ذو مخبر، وبكير^(١٦) بن شدّاخ الليثي، وأبو ذر الغفاري، وخطيبه ثابت بن قيس بن الشماس، وفارسه أبو قتادة الأنصاري، وكانت أم أيمن دايتها، وبلال بن رباح على نفقاته، وقيس بن سعد بن عبادة بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير، وذؤيب بن حنبله والد الفقيه قبيصة صاحب بُدنه التي أهدها والناظر عليها، وحججه أبو طيبة.

(١) له صحبة ورواية.

(٢) روى حديثه الإمام أحمد في «المسند» (٤٨٥/٣) وأوله: «ناولني ذراعها». وانظره في «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٣١٤/٢).

(٣) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١٤٧/٧)، وفيه: وكانت قابلة بني فاطمة، وقابلة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وشهدت خبير مع رسول الله ﷺ.

(٤) وهي بركة بنت ثعلبة. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٦/٧).

(٥) تقدّمت ترجمتها في أزواج النبي ﷺ.

(٦) ذكرها الإمام أحمد، وأخرج لها أبو نعيم وابن مندة.

(٧) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٨٦/٧).

(٨) انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١١٠/٧).

(٩) انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٤٠٧/٢).

(١٠) المصدر السابق.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) ويقال: بكر. انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٤٠٧/٢).

حرسه:

سعد بن معاذ يوم بدر^(١)، وذكوان بن عبد قيس ومحمد بن مسلمة بأحد، والزبير يوم الخندق، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص وأبو أيوب^(٢) بخيبر، وبلال بوادي القرى فلما نزلت: ﴿وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك الحرس، ووقف المغيرة بن شعبه الثقفي على رأسه بالسيف يوم الحديبية، وكان الضحّاك بن سفيان الكلابي سيّافه، وكان عمرو بن عبّسة السلمي صديق رسول الله ﷺ في الجاهلية، وكان عياض بن حمار بن عقّال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم حرمي رسول الله ﷺ في الجاهلية ومعنى ذلك أن قريشاً كانت من الخمس وكانت بنو مجاشع من الحلة وهما دينان من أديان العرب في الجاهلية وكان الحلّي لا يطوف بالبيت إلا عريان إلا أن يعيره رجل من الحمس ثياباً يطوف فيها وكان عياض يطوف في ثياب رسول الله ﷺ وعياض هذا ابن عم الأقرع بن حابس بن عقّال لحاً.

كتّابه:

كتب له عليه السلام أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأبيّ بن كعب، وثابت بن قيس بن الشماس، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، وزيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار، ومعاوية ويزيد أخوه ابن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنّة^(٣)، وكان معاوية وزيد بن ثابت دون هؤلاء يلازمون الكتابة بين يديه في الوحي وغيره لا عمل لهما سواه.

وكان علي والزبير ومحمد بن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح والمقداد يضربون الأعناق بين يديه ﷺ.

النجباء من أصحابه:

أبو بكر وعمر وعلي وحزمة وجعفر وأبو ذرّ والمقداد وسلمان وحذيفة وابن مسعود وعمّار وبلال.

العشرة المشهود لهم بالجنة:

هم الخلفاء الأربعة، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح رضي الله عنهم.

الذين أشبهوه:

الحسن بن علي بن أبي طالب، وعمه جعفر بن أبي طالب، وقثم بن العباس بن عبد

(١) في العريش، انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/٤١٤).

(٢) وذلك عندنا تزوج صفية، انظر: المصدر السابق.

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير، ولم يذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه.

المطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، والسائب بن عبيد جد الشافعي، وقد جمعهم الشيخ الإمام فتح الدين بن سيد الناس اليعمري أنشدني من لفظه لنفسه [البسيط]:

لخمسَةِ شَبَّةِ المختار من مضر يا حُسْنَ ما حُؤَلُوا من شَبْنِهِ الحَسَنِ
لجعفر وابن عم المصطفى قُتِمَ وسائب وأبي سفيان والحَسَنِ
وشبهُه ﷺ مقتسم بين الحسن والحسين فالأعلى للحسن والأسفل للحسين، وممن أشبهه مسلم بن مُعتَب، وكابس بن ربيعة السامي.

دوايقه:

من الخيل^(١) عشرة على خلاف في ذلك بزيادة ونقص، وهي السَّكَبُ^(٢) وكان عليه يوم أحد وكان أغزَّ محجلاً طلق اليمين وهو أول فرس غزا عليه اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشر أواق، والمرْتَجَزُ^(٣) وهو الذي شهد به له خزيمة بن ثابت، ولِزَازُ^(٤) وهو الذي أهدها إليه المقوقس، واللَّحِيفُ^(٥) وهو الذي أهدها له ربيعة بن أبي البراء، والظَّرْبُ^(٦) وهو الذي أهدها فروة الجذامي، والورد^(٧) وهو الذي أهدها له تميم الداري، والضرس وملاوح^(٨) وسبحة^(٩) اشتراه من تجار من اليمن فسبق عليه ثلاث مَرَّات فمسح عليه السلام وجهه وقال (ما أنت إلا بحر) وقد جمع من أسماء خيله ﷺ في أبيات من قصيدة يمدحه بها الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري أنشدني لنفسه قراءةً مني عليه [مجزوء الكامل]:

لَمْ يَزَلْ فِي حَرْبِهِ ذَا	وَتَبَّاتٍ وَتَبَّاتٍ
كَلِيفاً بِالطَّعْنِ وَالضَّر	ب وَحُبِّ الصَّافِنَاتِ
مَنْ لَزَازٌ وَلُحَايِف	وَمَنْ السَّكَبُ الْمُؤَاتِي
وَمَنْ الْمَرْتَجَزُ السَّا	بِقُ سَبِقِ الذَّارِيَاتِ
وَمَنْ الْوَرْدُ وَمَنْ سَبْ	حَةَ قَيْدِ الْعَادِيَاتِ

(١) انظر: خيله عليه الصلاة والسلام في «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/٤٢٠ - ٤٢١).

(٢) شبه في سرعته بفيض الماء وانسكابه.

(٣) المرتَجَزُ: سمي بذلك لحسن صهيله. وهو الذي شهد به فيه خزيمة بن ثابت، فجعل شهادته رجلين، كما في

«صحيح البخاري» (٤٧٨٤)، وأبي داود (٣٦٠٧)، والحاكم في «المستدرک» (١٨/٢).

(٤) لِزَازُ: من قولهم: لا ززته، أي لاصقته، كأنه يلتصق بالمطلوب لسرعته.

(٥) اللحييف: فُعِيل بمعنى فاعل، كأنه يلحف الأرض بذنبه.

(٦) الظَّرْبُ: واحد، الظَّراب، وهي الروابي الصغار، سمي به لكبره وسيمه، وقيل: لقوته وصلابته.

(٧) الوزد: لَوْنٌ بين الكَمَيْتِ والأشقر.

(٨) ملاوح: الضامر الذي لا يسمن.

(٩) سبحة: من قولهم: فرس سابح إذا كان حسن مَدَّ اليدين.

ومن البغال ثلاثة وهي الدلدل^(١) التي أهداها له المقوقس وهي أول بغلة رُكِبَتْ في الإسلام وعاشت بعده إلى أن زالت أسنانها وكان يُجشَّ لها الشعر، وفضة أتهبها من أبي بكر، والأيلية أهداها له ملك أيلة، وكان له حمار يقال له عُفَيْر^(٢) وقيل يعفور وهو الأشهر، وأما النعم فلم ينقل أنه اقتنى من البقر شيئاً، وكان له بالغابة عشرون لقحة^(٣) يُراح إليه كل ليلة بقرتين عظيمتين من لبن وكان فيها لقاحٌ غَزُرَ الحنَّاء والسمراء والعُريس والسعدية والبُغوم^(٤) واليسوم والزباء وكانت له لقحة تسمّى بردة أهداها له الضحّاك بن سفيان كانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان وكانت له مهرة أرسل بها سعد بن عباد من نعم بني عقيل، والشقراء والعضباء ابتاعها أبو بكر من نعم بني الحريش والقصواء^(٥) وهي التي هاجر عليها إلى المدينة وكانت إذ ذاك رباعية وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرها، والجعداء وهي التي سُبِّت فشقّ على المسلمين فقال ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلّا وضعه» وقيل المسبوق غيرها، وكان له من الغنم مائة وكان له منافع سبع من غنم عُجْرة وزمزم وسُقيا وبركة وورسة والطلال وأطراف وكان له شاة يختصّ بشرب لبنها تُدعى غيثة، وكان له ديك أبيض.

سلاحه:

تسعة أسياف ذو الفقار تنفّله يوم بدر من بني الحجاج السهميين ورأى في النوم في ذبابه ثُلْمَةً فأزّلتها هزيمة وكانت يوم أحد، وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف سيفٌ قلعي بفتح اللام وسيف يدعى بئاراً وسيف يدعى الحتف^(٦) وكان له المخدّم^(٧) والرّسوب أصابهما من الفُلس وهو صنم لطّي، وآخر ورثه من أبيه والعضب أعطاه إياه سعد بن عباد والقضيب وهو أول سيف تقلّد به ﷺ، وقال أنس بن مالك كان نعل سيف رسول الله ﷺ فضة وقبيعته فضة وما بين ذلك حلق فضة، وأربعة رماح المتشني وثلاثة من بني قينقاع وعُزْزَة تحمل بين يديه في العيدين ومحجن قدر الدراع ومخصرة تسمّى العرجون وقضيب يسمّى الممشوق، وأربعة قسيّ قويس اسمها الروحاء وقوس شَوْحَط وقوس صفراء يدعى الصفراء وجعبة وترس كان فيه تمثال عقاب أهدي له فوضع يده على العقاب فذهب وقيل تمثال رأس كبش فكره مكانه فأصبح وقد أذهب الله عز وجل، ودرعان من سلاح بني قينقاع درع يقال له السعدية^(٨) ودرع يقال لها فضة ودرع تسمى ذات

(١) ويقال لها: الشهباء.

(٢) كان أشهب، ونفق في حجة الوداع، والغفرة: الغيرة. انظر: «السيرة الحلبية» لابن برهان (٤٣٢/٣).

(٣) هي الناقة الحلوب، وهي التي أغار عليها القوم بالغابة. انظر: «الطبقات» لابن سعد (٤٩٤/١).

(٤) وقيل: البغوم.

(٥) وروي عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه قال: إنما كان له ناقة واحدة موصوفة بهذه الصفات الثلاث. قال ابن كثير: وهذا غريب جداً، حكاه النووي. انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣٦١/١ - ٣٧).

(٦) في «السيرة الحلبية» لابن برهان (٤٢٧/٣): الحيف، بفتح الحاء وسكون الياء، وهو الموت.

(٧) المِخْدَم: القاطع.

(٨) ويقال: السُغدية.

الفضول^(١) ليسها يوم حنين ولبس يوم خبير ذات الفضول وفضة، ومغفر يقال له السبوغ ولواء أبيض، ومنطقة من أديم مشور فيها ثلاث حلق فضة والإبزيم فضة والطرف فضة، ومن القصيدة الثائية التي للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس المذكورة آنفاً أبيات فيها أيضاً ذكر شيء من أسماء سلاحه وهي [مجزوء الكامل]:

هزّه حتف الكُماة	وإذا هزّ حساماً
راسب في الضربات	من قضيب ورسوب
فلّ حدّ الباترات	وانتضى البتار فيهم
من سناذي الفقرات	خلت لمع البرق يبدو
ضي لهيب الجمرات	ولنار المخذم الما
ب طهور الفجرات	وبماء الحتف والعض
بل حرّ الفعلاث	وله بالأسمر الذا
مثل رقص الراقصات	يتثنى المتثني
مثل نظم الخزرات	ناظماً منهم رؤوساً
بسهام مصميات	وعن الروحاء يرمي

واتخذ ﷺ خاتم ذهب ثم رماه وتبرأ منه^(٢) واتخذ خاتم فضة فضة منه نقشه محمد رسول الله في ثلاثة أسطر قيل إنه كان حديداً ملوياً بفضة كان يحبسه في خنصره في يساره وربما في يمينه يجعل فضة إلى باطن كفه^(٣) ونهى أن ينقش أحد على نقشه كما نهى أن يكتني أحد بكنيته ولم يزل الخاتم في يده إلى أن مات ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان فلما كان في السنة السادسة من خلافته سقط في بئر أريس فتزحت البئر وأخرج منها أكوام طين فلم يوجد الخاتم.

أثوابه وأثائه:

ترك ﷺ يوم مات ثوبي حبرة وإزاراً وعمامة وثوبين ضحارئين وقميصاً ضحارياً وآخر سحولياً وجبة يمينية وخميصة وكساء أبيض وقلانس صغاراً لاطية ثلاثاً أو أربعاً وملحفة مؤرسة وكانت له ربعة فيها مرآة ومشط عاج ومكحلة ومقراض وسواك، وكان له فراش من آدم حشوه

(١) سميت بذلك لطولها.

(٢) انظر: «الشمائل» للترمذي رقم (٩٨).

(٣) كان ﷺ يتختم به في يمينه. انظر: «الشمائل» للترمذي رقم (٩٠ - ٩٤) ورقم (٩٥) وفيه: أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من فضة وجعل فضة مما يلي كفه ونقش فيه (محمد رسول الله) .. وهو الذي سقط من معيقب في بئر أريس كما سيذكر الصفدي.

ليف، وقدح مضبَّب بفضة في ثلاثة مواضع وقدح آخر وتَوَّر من حجارة ومخضب من شبيه تعمل فيه الحناء والكتم ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة وقدح زجاج ومغتسل من صفر وقصعة وصاع يخرج به زكاة الفطر ومُدّ وسرير وقطيفة، وأهدى له النجاشي خفَّين ساذجين فلبسهما وكان له كساء أسود وعمامة يقال لها السحاب فوهبها علياً فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وهي عليه (أتاكم عليّ في السحاب) وله ثوبان للجمعة غير ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء.

ومدحه بالشعر جماعة من رجال الصحابة ونسائهم جمعهم الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس اليعمري في قصيدة ميمية ثم شرحها في مجلدة «سمّاها مَنَح المدح» ورتبهم على حروف المعجم فأربى في هذا الجمع على الحافظ ابن عبد البر لأنه ذكر منهم ما يقارب المائة والعشرين أو ما يزيد على ذلك والشيخ فتح الدين قارب بهم المائتين ولا أعلم أحداً حصل من الصحابة الذين مدحوا النبي ﷺ هذا القَدْر وقد كتبت هذا المصنّف بخطي وسمعت من لفظه ما يقارب نصفه وأجازني البقية، وأما شعراؤه الذين كانوا بصدد المناضلة عنه والهجاء لكفّار قریش فإنهم ثلاثة حسان بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن رواحة الأنصاري وكعب بن مالك الأنصاري، وكان حسان يُقبل بالهجو على أنسابهم وعبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر وكعب بن مالك يخوفهم الحرب فكانوا لا يبالون قبل الإسلام بأهاجي ابن رواحة ويألمون من أهاجي حسان فلما دخل مَنْ دخل منهم الإسلام وجد ألم أهاجي ابن رواحة أشدّ وأشقّ، ومن أشهر الصحابة بالمدح له كعب بن زهير بن أبي سلمى السعدي وقصيدته (بانت سعاد)^(١) مشهورة وما من شاعر في الغالب جاء بعده ومدح رسول الله ﷺ إلا وقد نظم في وزنها وزويّها، والقاضي محيي الدين عبد الله بن [عبد] الظاهر حيث يقول [الطويل]:

لقد قال كعب في النبي قصيدة وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وقلت أنا أمدحه بقصيدة متيماً بوجهه الأغز وكعبه المبارك راجياً أن أحشر في زمرة مَنْ مدحه فأولاه برّه يوم القيامة ومَنَحَه وهي [البسيط]:

سَلُوا الدموع فإنّ الصبّ مشغول ولا تملّوا ففي إملائها طول
واستخبروا صادحات الأيك عن شجني هل في الغرام الذي تُبديه تبديل
وهل لِمَا ضَمّت الأحشاء بعدكم من الجوى عندما تحويه تحويل
أحبّتي لا وعيشٍ مرّ لي بكم وربّع لهويّ باللذات مأهول
ما كان لي مذ عرفت الوجد قطّ ولا يكون في غيركم قصد ولا سؤل

(١) شرحها ابن هشام (جمال الدين عبد الله) بعنوان «قصيدة بانت سعاد في مدح خير العباد ﷺ» و«حاشية الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري.

هيهات ما راق طرفي غيرُ حَسَنِكُمْ
 وحَقُّكُمْ إِنَّ عَذْرِي فِي مَحَبَّتِكُمْ
 ما لي أَنِيَّ لَتَقْضُوا أَنَّ لِي رَمَقاً
 فليت جَسَمِي إِذْ أَبْلَاهُ حُبُّكُمْ
 عقدتُمْ هُذْبَ أَجْفَانِي بِحَاجِبِهَا
 هَبُّوا مِنَ الْغَمْضِ مَا أَلْقَى الْخِيَالُ بِهِ
 وخَفَّفُوا إِنِ ارْتَمَ مِنْ ضَنْيِ جَسَدِي
 إِنِ تَحْكُمُوا لِي بِأَنْ أَبْكِي عَلَى أَرْقِي
 يا بَرَقْ لَا تَتَشَبَّهْ لِي بِمَبْسَمِهِمْ
 وليت تُغْرِكَ فِيهِ مِنْهُمْ شَنْبُ
 ويا نَسِيمَ الصَّبَا بَرِّدْ لَظِي كَبْدِي
 واحمل رسائلِ أَشْوَاقِي لِطِيبَةِ لَا
 سَلِّمْ عَلَى رِبْعِهَا الْمَحْرُوسِ إِنَّ لَهَا
 مُحَمَّدٍ خَيْرَ مَبْعُوثٍ لِأَمْتِهِ
 سَادَتِ قَرِيشٌ بِهِ الْأَعْرَابُ قَاطِبَةً
 أَضْحُوا وَفَرِّعْ مَعَالِيَهُمْ إِذَا فَخَرُوا
 وَكَانَ يُدْعَى نَبِيّاً حَيْثُ آدَمُ لَمْ
 وَالْبَيْتُ صَارَ حَمِيّاً إِذْ كَانَ مَظْهَرُهُ
 فَصَانُ سَاحَتِهِ مِنْ كَيْدِ أَبْرَهَةَ
 بَادُوا بِأَحْجَارِ سَجِيلٍ وَمَا رَجَعُوا
 وَمَا شَكَّتْ أُمُّهُ مِنْ حَمْلِهِ أَلَمّاً
 وَانْشَقَّ إِيوَانُ كَسْرَى عِنْدَ مَوْلَدِهِ
 وَرُؤْيَا الْمُوْبِذَانِ الْخَيْلَ فِي حُلْمٍ
 وَنَارُ فَارَسٍ مِنْ بَعْدِ اللَّهَيْبِ خَبَثٌ
 وَكَمْ بِهِ بَشَّرَ الْأَحْبَارُ مِنْ بِيْشَرٍ
 وَكَمْ لَهُ آيَةٌ فِي النَّاسِ قَدْ ظَهَرَتْ
 وَشَقَّ فِي آلِ سَعْدٍ صَدْرُهُ مَلَكٌ
 حَتَّى رَمَى مَغْمَزَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ فَلَمْ

لَأَنَّهُ بِسُوَيْدَا الْقَلْبِ مَجْبُولُ
 عِنْدَ الْعَوَازِلِ بَعْدَ الْيَوْمِ مَقْبُولُ
 هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَيْسَ مَدْلُولُ
 لَمْ تَبْقَ مِنْ سَقَمِي عِنْدِي عَقَابِيلُ
 فَلَمْ أَنْمَ وَنَطَاقُ الدَّمْعِ مُحْلُولُ
 إِذَا سَرَى فَلِقَاءُ الطَّيْفِ تَخْيِيلُ
 أَوْ لَا فَمَا أَحَدٌ عَنْ ذَلِكَ مَسْؤُولُ
 فَإِنَّ هَذَا عَلَى عَيْنِي مُحْمُولُ
 فَمَا ابْتَسَمْتَ بِشُغْرِ يُخْجَلُ اللَّوْلُو
 وَلَيْتَ قَطْرُكَ مِثْلَ الرِّيقِ مَعْسُولُ
 فَإِنَّ ذَيْلَكَ بِالْأَنْدَاءِ مَبْلُولُ
 زَالَتْ تَحْتَ لَهَا النُّجُبُ الْمَرَايِلُ
 مَجْداً لَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ تَأْنِيلُ
 فِي الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ تَقْدِيمٌ وَتَفْضِيلُ
 فَكَمْ لَهَا مِنْهُ تَنْوِيَةٌ وَتَنْوِيلُ
 بِهِ عَلَى هَامَةِ الْجُوزَاءِ مَهْدُولُ
 يَكُنْ لَهُ قَبْلَ خَلْقِ الطِّينِ تَشْكِيلُ
 فَكُلَّ مَنْ رَامَهُ بِالسَّوْءِ مَخْذُولُ
 لَمَّا أَتَاهُ وَفِي أَصْحَابِهِ الْفَيْلُ
 لَمَّا رَمَتْهُمْ بِهَا الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ
 وَكَيْفَ وَهُوَ بِلُطْفِ اللَّهِ مُحْمُولُ
 وَارْتَجَّ مِنْ جَانِبِيهِ الْعَرَضُ وَالطُّولُ
 مِنْهُ وَسَجَّعَ سَطِيحٌ فِيهِ تَطْوِيلُ
 فَرَّاحٌ كُلُّ بِهِذَا وَهُوَ مَشْغُولُ
 بِحَيْثُ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَخْبَارِ تَأْوِيلُ
 لِسَرْدِهَا جَمَلٌ فِينَا وَتَفْصِيلُ
 مِنَ السَّمَاءِ وَهَذَا الْقَوْلُ مَنْقُولُ
 يَكُنْ لَهُ فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ مَأْمُولُ

عليه ظلُّ السحابِ الغُرِّ إكليل
 هذا به حَدُّ أهل الكفر مفلول
 وكل ما قَدَّر الرحمن مفعول
 إليه من عند ربِّ العرش جبريل
 فعقلهم عن سراج الحق معقول
 شكُّ على أنه لم يبق تضليل
 عليه في كل حين منه تنزيل
 بظُلْمها من توحي الحق مشمول
 وما سواه على التكرار مملول
 وصَدَّهم عنه تنكيبٌ وتنكيل
 يُعْهَد لها قبلُ ترتيبٌ وترتيل
 كما علمناهم اللسنُ المقاويل
 على فصاحتهم تلك الأباطيل
 ونكست في الثرى تلك التماثيل
 سيفٌ على عنق الكفار مسلول
 أَنْ قُلَّ جمعهمُ منه وما ديلوا
 يوم الوَعْيِ فهُم الغُرُّ البهاليل
 مع الهدى منه ترحيبٌ وتأهيل
 فكلَّ صعب إذا راضوه تسهيل
 عِزِّينِه شَمَمٌ والكفر مهزول
 من بعد ما كان قَدْماً وهو مجهول
 إذ جوده لجميع الناس مبذول
 إذ مَنْ يُعَدُّ سواهم فهو مفضول
 في حشره غُرَّةٌ زانت وتحجيل
 لها الهدى والتقوى والعلم إكليل
 تُقضى المُتَى عندها والقصد والسول
 تَسْري إليك بِي العيس المراقيل
 وجوهمهم في دياجيتها قناديل

وقد رآه «بحيرا» حين واجهَهُ
 فقال يا عَمُّ احْفَظْ ما خُصِصَتْ به
 فعاد حتى أراد الله بِغُثَّتِهِ
 كم قد تحنَّت يوماً في جَرَى فأتى
 وقال قم فأتِ هذا الخلق تُنذرهم
 فجاءهم بكتاب ليس يدخله
 وحيٌ إليه من الله العظيم له
 حبلٌ من الله قد أضحت هدايته
 باقٍ على الدهر غَضٌّ في تلاوته
 به تحدى الورى طُراً فأعجزهم
 بلاغةً قصرت عنها الأنام ولم
 أعى قريشاً وهم في الحفل إن نطقوا
 إذا تلا آيةً في جمعهم زهقت
 وجاء أصنامُ أهل الشرك فاضطربت
 فكان منه لدين الله حين دعا
 ولم يزل في جهاد المشركين إلى
 وقام في الله أقوام إذا ذُكِرُوا
 واقوا يلبونه طوعاً فقابلهم
 لا يآلمون إذا أنكَث جراحهم
 حتى لقد ظهر الدين الحنيف وفي
 وصار أشهر من نارٍ على عَلَمٍ
 فيا لها أمةً بالمصطفى رُحمت
 وفضل أمته لم تخف رتبته
 كلُّ يجيء وآثار الوضوء له
 أعمالهم تشبه التيجان فوقهم
 يا خاتم الرسل هل لي وقفةً بمني
 وهل أזור ضريحاً أنت ساكنه
 في عُصبةٍ يقطعون البید في ظُلَمٍ

حتّى أروّي بلثم التُّرْبِ فيك حشاً
 وأُكْجِلُ العَيْنَ من ذاك التراب على
 قد أثقلتني على ضعفي الذنوب وما
 فكن شفيعي فإنّ تشفع فإني من
 مالي سوى حبّك المرجو من عمل
 عليك صلّى إله الخلق ما نفحت
 وما حكى فيك ربُّ النظم ممتدحاً
 هيهات يشفي الظما من حرّها النيل
 قرب ولا فرسخٌ دوني ولا ميل
 لي في سوى جاهك المقبول تأميل
 لحدي إلى جنّة الفردوس منقول
 أنفقتُ عمري وهذا فيه محصول
 ريح الشمال وروض الحزن مطلول
 بانّت سعاد فقلبي اليوم متبول
 تمت القصيدة ويتمامها تمت الترجمة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.



محمد بن محمد

كما بدأت بالمحمدين في هذا الكتاب تبركاً باسم النبي ﷺ كذلك بدأت بمن اسم أبيه محمد أيضاً لأن البركة تضاعفت والهمة تساعفت ولأن صاحب هذه الترجمة تقمص حلة بطرازين، ودخل إلى حقيقة هذا الترتيب من مجازين، واتسم بحمل علم علامته لها زين، ثم من بعد ذلك ارتب أسماء الآباء على الحروف، وأسرد منها نقوداً يكون لها عند المتأمل أو الكاشف صروف، وبالله الإعانة إنه البرّ الرؤوف.

١ - «الحافظ ابن الباغندي» محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث. الحافظ أبو بكر بن الباغندي، قال أبو بكر الإسماعيلي لا أتهمه بالكذب لكنه خبيث التدليس ويصتف أيضاً، وقال الخطيب: كافة شيوخنا يحتجون به، وقال الدارقطني: كثير التدليس^(١)، توفي في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

٢ - «أبو الحسن النفاح محدث» محمد بن محمد بن عبد الله. النفاح بالحاء المهملة هو أبو الحسن الباهلي البغدادي نزلي مصر، قال ابن يونس: كان ثباتاً ثقة صاحب حديث متقللاً من الدنيا، توفي سنة أربع عشرة وثلاثمائة.

٣ - «أبو جعفر الشيباني الكوفي» محمد بن محمد بن عتبة. أبو جعفر الشيباني شيخ الكوفة، كان السلطان يختاره والقضاة وما قال فهو القول وكان ثقة كثير النفع ومكث الناس يتتابون قبره نحو السنة وختم عنده ختمات كثيرة، وتوفي سنة تسع وثلاثمائة.

٤ - «النسوي الشافعي» محمد بن محمد بن إبراهيم أبو الفضل النسوي الفقيه الشافعي، سكن بغداد ودرس بها وكانت له حلقة للمناظرة وكان مقدماً على أقرانه، حدث عن أبي محمد عبد الله بن محمد الدامغاني والقاضي أبي الفرج المعافى النهرواني والصاحب بن عباد وغيرهم، وروى عنه القاضي أبو القاسم المحسن التنوخي وأبو منصور محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين العكبري وأبو نصر عبد الكريم بن محمد بن أحمد بن هارون الشيرازي، قال الشيخ أبو إسحاق في «طبقات الفقهاء»: النسوي من أصحاب أبي الحسين القطان، وكان نظاراً فصيحاً سكن بغداد، وتوفي بأرجان.

٥ - «أبو الحسين الخزاعي النحوي» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان أبو الحسين

١ - «الكامل» لابن الأثير (٥/٩٠)، و«المغني في الضعفاء» للذهبي (رقم ٥٩٤٥) (ص ٦٢٩).

(١) وقال فيه ابن عدي: «أرجو أنه كان لا يتعهد الكذب».

٢ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٢/٢٦٩).

٥ - «بغية الوعاة» للسيوطي (١/٢١٨).

الخزاعي النحوي، حَدَّثَ عن أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري وأبي بكر أحمد بن العباس بن عبد الله بن عثمان صاحب ثعلب وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الحسن بن العلوي، رَوَى عنه خَتَنُهُ إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن موسى السكوني الموصلي وأبو بكر مكرم بن أحمد بن محمد بن مكرم، كَتَبَ أحمد بن علي بن أحمد البتي عن أبي الحسين الخزاعي إملاءً في صفر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة.

٦ - «الوزير بن بقية» محمد بن محمد بن بقية. بالبلاء الموحدة والقاف على وزن هديّة، الوزير أبو الطاهر نصير الدولة وزير عَزَ الدولة بختيار بن مُعَزَ الدولة بن بُويّه كان من جَلّة الوزراء وأكابر الرؤساء وأعيان الكرماء يقال إن راتبه في الشمع كان في كل شهر ألف مَنًا^(١)، وكان من أهل أوانا من عمل بغداد، وفي أول أمره توصّل إلى أن صار صاحب مطبخ معز الدولة، ثم تنقّل في غير ذلك من الخدم، ولما مات معز الدولة حسنت حاله عند ولده عَزَ الدولة ورعى له خدمته لأبيه فاستورزه في ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فقال الناس: من الغضارة إلى الوزارة، وستر عيوبه كرمه خَلَعَ في عشرين يوماً عشرين ألف خلعة، وقال أبو إسحاق الصابئ: رأيت في ليلة شرب كلما لبس خلعة خلعها على أحد الحاضرين فزادت على مائة فقالت له مغنية: في هذه الخلع زناير ما تدْعُك تلبسها فضحك وأمر لها بحقّة حلّي، ثم إنه قُبِضَ عليه لسبب يطول ذكره حاصله أنه حمله على محاربة ابن عمه عضد الدولة فالتقى على الأهواز وكُسِرَ عَزَ الدولة وفي ذلك يقول أبو عنان الطبيب بالبصرة [الطويل]:

أقام على الأهواز خمسين ليلةً يدبّر أمر المُلْك حتى تدمّرا
فدبّر أمراً كان أوله عمى وأوسطه بلوى وآخره خرى

ولما قبض عليه بمدينة واسط سَمَلَ عينيه، ولزم بيته إلى أن مات عَزَ الدولة، ولما ملك عضد الدولة بغداد طلبه لما كان يبلغه عنه من الأمور القبيحة منها أنه كان يسميه أبا بكر الغُددي تشبيهاً له برجل أشقر أنمش يبيع الغُد للسنانير والظاهر أن أعداء كانوا يفعلون به ذلك ويفعلونه فلما حضر ألقاه تحت أرجل الفيلة فلما قتله صلبه بحضرة البيمارستان العضدي ببغداد وذلك يوم الجمعة لست خَلَوْنَ من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عمره قد نيف على الخمسين، ورثاه أبو الحسن محمد بن عمر بن يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بقصيدة لم أر في مصلوب أحسن منها وأولها [الوافر]:

عُلُو في الحياة وفي الممات بحق أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حَوْلَكَ حين قاموا وفودُ نَدَاكَ أيام الصّلات
كأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة

٦ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٩١/٢).

(١) المَنّا: مكيال.

مددت يديك نحوهم احتفاءً
ولما ضاق بطن الأرض عن أن
أصاروا الجوّ قبرك واستنابوا
لعظّمك في النفوس تبيّت تُزعى
وتشعل عندك النيران ليلاً
ركبت مطيّة من قبل زيد
ولم أر قبل جذعك قطّ جذعاً
أسأت إلى التّوائب فاستثارت
وكنّت تُجير من صرّف الليالي
وصير دهرك الإحسان فيه
وكنّت لمعشر سعداً فلما
غليل باطن لك في فؤادي
ولو أنّي قدرت على قيام
ملاّت الأرض من نظم القوافي
وما لك تربة فأقول تُسقى
عليك تحية الرحمن تثيراً

كمدكهما^(١) إليهم بالهبات
يضمّ غلاك من بعد الممات
عن الأكفان ثوب السافيات
بخفاظ وحراس ثقات
كذلك كنت أيام الحياة
علاها في السنين الماضية^(٢)
تمكّن من عناق المكرّمات
فأنت قتيل ثار النائبات
فعاد مُطالباً لك بالترات
إلينا من عظيم السيئات
مضيت تفرّقوا بالمنحسات
يخفف بالدموع الجاريات
بفرضك والحقوق الواجبات
ونخت بها خلاف النائحات
لأنك نصب هطل الهاطلات
برخمات غواد رائحات

وكتبها الشاعر المذكور ورمى بها نسخاً في شوارع بغداد فتداولها الأدباء إلى أن وصل خبرها إلى عضد الدولة وأنشدت بين يديه فتمنى أن يكون هو المصلوب دونه وقال عليّ بهذا الرجل فطلّب سنة كاملة وأتصل الخبر بالصاحب بن عباد فكتب له إلى عضد الدولة بالأمان فحضر إليه فقال له الصاحب أنشدنيها فلما بلغ [الوافر]:

ولم أر قبل جذعك قطّ جذعاً
تمكّن من عناق المكرّمات
قام إليه وقبّل فاه وأنفذه إلى عضد الدولة فقال له ما حملك على رثاء عدوّي قال حقوق وجبت وأياد سلفت فجاش الحزن في قلبي فرثيت وكان بين يديه شموع تزهر فقال هل يحضرك شيء في الشموع فأنشد [المتقارب]:

(١) في الأصل «كمدهم» تحريف، والمثبت من «وفيات الأعيان» (٩١/٢)، و«أسرار البلاغة» (٢٨٠).

(٢) في «وفيات الأعيان» و«أسرار البلاغة» بعد هذا البيت بيت وهو

وتلك فضيلة فيها تأس
تباعد عنك تغبير العداة

وقوله: (ركبت مطية من قبل زيد): يقصد زيد بن الدثنة الأنصاري المصلوب في مكة عندما أسلمه أهل ماء الرجيع لأهل مكة.

كَأَنَّ الشَّمُوعَ وَقَدْ أَظْهَرَتْ مِنْ النَّارِ فِي كُلِّ رَأْسٍ سَنَانَا
أَصَابِعُ أَعْدَائِكَ الْخَائِفِينَ تَضَرَّعُ تَطَلُّبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ فِرْسًا وَبَذَرَةً وَلَمْ يَزَلْ ابْنُ بَقِيَّةٍ مَصْلُوبًا إِلَى أَنْ تُوْفِيَ عَضْدُ الدَّوْلَةِ فَأَنْزَلَ
وَدُفِنَ، فَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ الْمَذْكُورُ يَرِثِيهِ أَيْضًا [البسيط]:

لَمْ يُلْجِقُوا بِكَ عَارًا إِذْ صُلِبْتَ بَلَى بَاؤًا بِإِثْمِكَ ثُمَّ اسْتَرْجَعُوا نَدَمًا
وَأَيَقِنُوا أَنَّهُمْ فِي فَعْلِهِمْ غَلِطُوا وَأَنَّهُمْ نَصَبُوا مِنْ سُؤْدَدٍ عَلَمًا
فَاسْتَرْجَعُوكَ وَوَارِثًا مِنْكَ طُودَ عَلَى بِدَفْنِهِ دَفَنُوا الْإِفْضَالَ وَالْكَرَمَا
لِئِنْ بَلِيَّتَ فَمَا يَبْلَى نَدَاكَ وَلَا يُنْسَى وَكَمْ هَالِكٌ يُنْسَى إِذَا عُدِمَا
تَقَاسَمَ النَّاسُ حُسْنَ الذِّكْرِ فَيْكَ كَمَا مَا زَالَ مَالُكَ بَيْنَ النَّاسِ مَقْتَسَمَا

وما أحسن قول ابن حمديس في مصلوب [الطويل]:

وَمَرْتَفَعُ فِي الْجَذَعِ إِذْ حُطَّ قَدْرُهُ أَسَاءَ إِلَيْهِ ظَالِمٌ وَهُوَ مُخْسِنٌ
كُذِّي غَرَقِي مَدَّ الذَّرَاعَيْنِ سَابِحًا مِنَ الْجَوْ بِحَرًّا عَوْمُهُ لَيْسَ يَمَكِنُ
وَتَحَسُّبُهُ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ دَائِبًا يُعَانِقُ حُورًا مَا تَرَاهُنَّ أَغْيُنُ
وقول الآخر [البسيط]:

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى تَوْدِيْعٍ مَرْتَحِلِ
أَوْ قَائِمٌ مِنْ نُعَاسٍ فِيهِ لُؤْثُهُ مُوَاصِلٌ لَتَمَطِّيهِ مِنَ الْكَسَلِ
وقول عمر الخراط [الكامل]:

أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ مُتَّظَلِّمٌ فِي جَذَعِهِ لَحَظَ السَّمَاءِ بِطَرْزِهِ
بَسَطَ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهُ يَدْعُو عَلَى مَنْ قَدْ أَشَارَ عَلَى الْعَدُوِّ بِحَتْفِهِ
وقول الآخر [الكامل]:

أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ فِي الْجَذُوعِ كَأَنَّهُمْ قَدْ فَوَّقُوا يَرْمُونَ بِالنُّشَابِ
أَوْ غُضْبَةً عَزَمُوا الْفِرَاقَ فَتَكَسَّوْا أَعْنَاقَهُمْ أَسْفًا عَلَى الْأَحْبَابِ
وقول أبي تمام الطائي [الكامل]:

سُودَ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نُسِجَتْ لَهُمْ أَيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعًا مِنْ قَارِ
بَكُرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَزْبُطِ النَّجَارِ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ أَبْدَأَ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
وقوله أيضاً [الكامل]:

أَهْدَى لِمَتْنِ الْجَذَعِ مَتْنِيهِ كَذَا مَنْ عَافَ مَتْنَ الْأَسْمْرِ الْعَسَالِ

لا كعب أسفل في العلى من كعبه
مع أنه عن كل كعب عالٍ
سام كأن الجذع يجذب ضبعه
وسموه من ذلة وسفالٍ
وقول البحتري [الكامل]:

مُسْتَشْرِفاً للشمس مُنْتَصِباً لها
فَتَرَاهُ مُطْرِداً على أغواده
وقوله أيضاً [الخفيف]:

تحسد الطير منه ضبع البوادي
وهو في غير حالة المحسود
وكان أمتداد كفيه فوق الجـ
ذع من محفل الردى المشهود
طائر مد مستريحاً جناحـ
ته استراحات مُتَعَبٍ مكدود

٧ - «الملطي النحوي» محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلم. أبو بكر الحميري مولاهم المصري النحوي المعروف بالملطي إمام جامع عمرو بن العاص، كان يعلم أولاد الملوك النحو، توفي سنة ثلاثين وثلاثمائة.

٨ - «القاضي الجذوعي» محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد. أبو عبد الله الأنصاري الجذوعي كان صالحاً ورعاً ديناً ثقة، حدث عن علي بن المديني وغيره، وروى عنه المَحَامِلِي وغيره وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين ومائتين، دخل مع الشهود على المعتمد في دين كان اقترضه عند الإضافة وأنفقه على صاحب الزنج وقرأ عليه إسماعيل بن بُلَيْل الكتاب وقال يشهد الجماعة على أمير المؤمنين قال نعم فشهدوا واحداً بعد واحد حتى انتهى الأمر إلى الجذوعي فأخذ الكتاب بيده وقال أشهد عليك قال نعم قال لا يصح حتى تقول أشهد فقال أشهد فلما خرجوا سأل عنه فأخبر فقال أعمال أم بطل قيل بطل فقلده القضاء على واسط وكان بها الموفق فاستدعاه يوماً فجاء وعلى رأسه دَنِيَّةٌ طويلة وكان قصير الرقبة فدخل فوجده غلاماً مخموراً وهو مكين عند الموفق فكبس الدَنِيَّةَ فغاص رأسه فيها ففتقها غلامه وأخرج رأسه منها فثنى رداءه على رأسه وعاد إلى داره وسلم قَمَطَرَ القضاء إلى الشهود وصرفهم وأغلق بابه فلما علم الموفق بالقضية قال لوالي الشرطة جَرَدَ الغلام واحمله إلى باب القاضي واضربه ألف سوط وكان والد الغلام من جلة القواد فمشوا مع والده وتضرعوا للقاضي فقال للوالي لا تضربه فقال ما أقدر أخالف الموفق فركب إلى الموفق وسأله فقال لا بد من ضربه فقال الحق لي وقد تركته له فسكت الموفق وعاد الجذوعي إلى بغداد.

٩ - «أبو الحسن بن الورد الزاهد» محمد بن محمد بن محمد بن عيسى. أبو الحسن البغدادي المعروف بابن أبي الورد جدّه عيسى مولى سعيد بن العاص مولى عتاقة صحب محمد هذا بشر الحافي وسري السقطي والحارث المحاسبي وأسند الحديث عن الهيثم بن القاسم وغيره، وروى عنه عبد الله بن محمد البخوي ولم يزل مشهوراً بالزهد والورع والخلو، توفي سنة ثلاث وستين ومائتين.

١٠ - «الطويري وإلي مظالم القيروان» محمد بن محمد بن خالد. هو أبو القاسم القيسي الطويري ولي بلد القيروان على المظالم فامتحنه الله تعالى على يد محمد بن عمر المروزي قاضي الشيعة فضربه في الجامع وحبسه، توفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

١١ - «أبو نصر الفارابي» محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ. بالألف والواو الساكنة والزاي المفتوحة واللام المفتوحة والغين المعجمة، أبو نصر التركي الفارابي الحكيم فيلسوف الإسلام، هكذا رأيت الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي قد أثبتته أعني محمد بن محمد ومن خطه نقلت، ورأيت ابن خلكان قد قال محمد بن طرخان قدم بغداد وأدرك بها متى بن يونس الفيلسوف فأخذ عنه وسار إلى حران فلزم يوحنا بن حبلان النصراني وأخذ عنه وأتقن ببغداد اللغة وقيل إنه ما أخذ الفلسفة إلا من اللغة اليونانية لأنه كان بها وبغيرها من اللغات عارفاً، وكان قد برع في الحكمة ومهر في الموسيقى ويقال إنه أول من وضع الآلة المعروفة بالقانون وركبها هذا التركيب، وذكر القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان حكايته التي جرت له مع سيف الدولة ابن حمدان وأنه دخل عليه بزّي الأتراك وكان لا يفارقه فقال له أقعد فقال حيث أنا أو حيث أنت فقال حيث أنت فتخطى الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة وزحمة فيه حتى أخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة مماليك له معهم لساناً خاصاً يسأروهم به فقال لهم بذلك اللسان هذا الشيخ أساء الأدب فأخروا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان إن الأمور بعواقبها فعجب سيف الدولة وقال أتحسين هذا اللسان فقال أحسن أكثر من سبعين لساناً، وأنه ناظر من كان في المجلس من أئمة كل فن فلم يزل كلامه يعلو وهم يستقلون إلى أن صمت الجميع فعرض عليه سيف الدولة بعد انصراف الفضلاء الأكل والشرب فامتنع فقال له ولا تسمع قال نعم فأحضر القيان فلم يحرك أحد آله إلا وعابه أبو نصر ثم أخرج من وسطه خريطة وأخرج منها عيداناً ركبها ولعب بها فأضحك كل من في المجلس ثم فكها وركبها غير ذلك التركيب الأول وحركها فأبكى كل من في المجلس ثم فكها وركبها غير ذلك التركيب ولعب بها وحركها فأنامهم حتى البواب وخرج، قلت وهذه الواقعة ممكنة من مثل أبي نصر لأنه إذا غنى السامعين مثلاً بما لابن حجاج من ذلك المجنون الحلو في نغم فإن السامع يضحك وإذا غنى بأشعار متيبي العرب والرقيق من فراقياتهم وحزنياتهم في نغم النوى وما أشبه ذلك فإن السامع يبكي، وكذا حاله إذا أراد أن يشجع أو أن يسمح أو غير ذلك، وكان كثير الانفراد بنفسه. ولما قدم دمشق كان يلازم غياض السفرجل وربما صتف هناك وقد ينام فتحمل الريح تلك الأوراق وتنقلها من مكان إلى مكان، وقيل إن السبب في وجود بعض مصنفاته

- ١١ - «الفهرست» لابن النديم (٢٦٣/١) و«الكامل» لابن الأثير (٢٩٦/٥)، و«عيون الأنباء» لابن أبي أصيبعة (٢/ ٣٤ - ١٤٠)؛ و«وفيات الأعيان» لابن خلكان (١٠٠/٢ - ١٠٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٢٢٤/١١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٣٥٠/٢ - ٣٥٤) و«مرآة الجنان» لسبط ابن الجوزي (٣٢٨/٢ - ٣٣١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٥٢ - ١١/ ١٢٦٥ - ٤٨)، و«روضات الجنات» للخواصاري (١٧١ - ١٧٣) و«مفتاح السعادة» لطاش كبري (٢٥٩/١ - ٢٦١) و«هدية العارفين» للبغدادي (٣٩/٢ - ٤٠) و«الفارابيان» لعمرو فروخ (ص ٣ - ١٨) و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٩٤/١١ - ١٩٥).

فيها نقص هو ذلك لأن الريح ربما أطارت تلك الأوراق بعضها من بعض، وكان لا يصنّف إلا في الرقاع لا في الكرايس، وكان أزهّد الناس في الدنيا، وأجرى عليه سيفُ الدولة في كل يوم أربعة دراهم، وتوجّه من دمشق إلى مصر ثم عاد إليها وقيل إنه لما عاد من حرّان أقام ببغداد وأكبّ على مصنفات أرسطو حتى مهر وأتقن الحكمة، يقال إن نسخةً وُجدت لكتاب النفس لأرسطو وعليها بخط أبي نصر الفارابي: قرأتُ هذا الكتاب مائتي مرّة، وكان يقول: قرأت السماع الطبيعي لأرسطو أربعين مرّة وأنا محتاج إلى معاودته وسئل أأنت أعلم بهذا اللسان أم أرسطو فقال لو أدركته لكنت أكبر تلامذته وقال ابن صاعد القرطبي: بذّ جميع الإسلام وأربى عليهم في تحقيق الفلسفة وشرح غامضها وكشف سرّها وقزّب تناولها وهو صحيح العبارة لطيف الإشارة نَبّه على ما أعمى على الكندي وغيره من صناعة التحليل وأنحاء التعاليم وأوضح مواد المنطق الخمسة وأفاد وجوه الانتفاع بها وعزّف طرق استعمالها وكيف تصرّف صور القياس في كل مائة فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهائية الفاضلة انتهى، وألف ببغداد معظم كتبه، وتوفي بدمشق في سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة وصلى عليه سيفُ الدولة في أربعة من خواصّه وقد ناهز الثمانين ودفن في مقابر باب الصغير، وفاراب بفتح الفاء والراء وبينهما ألف وبعدها باء موحّدة وهي من بلاد الترك وتسمّى الآن أطرار بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وبين الرّائين ألف ساكنة، وكان أبوه قائد جيش.

وقال ابن سينا: سافرت في طلب الشيخ أبي نصر وما وجدته وليتني وجدته فكانت حصلت إفادة، وقال: قرأت كتاب ما بعد الطبيعة فما كنت أفهم ما فيه والتبس عليّ غرض واضعه حتى قرأته أربعين مرّة وصار محفوظاً وأيسّئت من فهمه وقلّت لا سبيل إلى فهمه فبينما أنا يوماً بعد صلاة العصر في الوراقين وإذا بدال ينادي على مجلّد فعرضه عليّ فرددته ردّ متبرّم به معتقِد أن هذا العلم لا فائدة فيه فقال اشتريه فإنّي أبيعك إياه بثلاثة دراهم فاشتريته فإذا هو من تصانيف أبي نصر في أغراض ذلك الكتاب فرجعت إلى بيتي وأسرعّت قراءته فانفتح عليّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب وفهمته وفرحت فرحاً شديداً وتصدّقت ثاني يوم على الفقراء بشيء كثير انتهى.

ومن تصانيفه آراء المدينة الفاضلة^(١) وهو كتاب مليح، شرح كتاب المجسطي لبطلميموس، شرح كتاب البرهان لأرسطو، شرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لأرسطو، شرح كتاب المغالطة لأرسطو، شرح كتاب القياس لأرسطو وهو الشرح الكبير، شرح كتاب بارمينياس لأرسطو على جهة التعليق، كتاب المختصر الكبير في المنطق، كتاب المختصر الصغير في المنطق على طريقة المتكلمين، كتاب المختصر الأوسط في القياس، كتاب التوطئة في المنطق، شرح كتاب إيساغوجي لفرفوروس إملاء في معاني إيساغوجي، كتاب القياس الصغير ووُجد كتابه

(١) إنّ المدينة الفاضلة الفارابية ليست على غرار مدينة أفلاطون، بل كما قرأها الفارابي من خلال المجتمع الإسلامي وتطلعات قوى التغيير فيه، مما جعل منها مدينة تعكس الهموم السياسية في المجتمع العربي الإسلامي أكثر من أي شيء آخر.

هذا مترجماً بخطه، إحصاء القضايا والقياسات التي تستعمل على العموم في جميع الصنائع القياسية، كتاب شروط القياس، كتاب البرهان، كتاب الجدل، كتاب المواضع المنتزعة من المقالة الثامنة في الجدل، كتاب المواضع المغلطة، كتاب اكتساب المقدمات، كلام في المقدمات المختلطة من وجودي وضروري، كلام في الخلاء، صدر لكتاب الخطابة، شرح لكتاب السماع الطبيعي لأرسطو على جهة التعليق، شرح كتاب السماء والعالم لأرسطو، شرح كتاب الآثار العلوية لأرسطو، شرح مقالة الإسكندر الأفروديسي في النفس، شرح كتاب الأخلاق لأرسطو، كتاب في النواميس، كتاب إحصاء العلوم وترتيبها، كتاب الفلسفتين لأفلاطون وأرسطو مخروم الآخر، المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المتدنية والمدينة الضالة، كتاب الألفاظ والحروف^(١)، كتاب الموسيقى الكبير ألفه للوزير أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي، كتاب في إحصاء الإيقاع، كلام له في النقلة مضافات إلى الإيقاع، كلام في الموسيقى مختصر، فصول فلسفية منتزعة من كتب الفلاسفة، كتاب المبادئ الإنسانية، كتاب الرد على جالينوس فيما تأوله من كلام أرسطو، الرد على ابن الراوندي في أدب الجدل، الرد على يحيى النحوي فيما رده على أرسطو، الرد على الرازي في العلم الإلهي، كتاب الواحد والوحدة، كلام في الحيز والمقدار، كتاب في العقل صغير، آخر في العقل كبير، كلام في معنى اسم الفلسفة، الموجودات المتغيرة الموسوم بالكلام الطبيعي، شرائط البرهان، شرح المستغلق من مصادرة المقالة الأولى والخامسة من إقليدس، اتفاق آراء أبقراط وأفلاطون، التنبيه على أسباب السعادة، كلام في الجزء وما يتجزأ، كلام في اسم الفلسفة وسبب ظهورها وأسماء المبرزين فيها وعلى من قرأ منهم، كلام في الجن، كلام في الجوهر، الفحص المدني، كتاب السياسات المدنية، كلام في الملة والفقه المدني، كلام جمعه من أقاويل النبي ﷺ يشير فيه إلى صناعة المنطق، كتاب في الخطابة كبير عشرون مجلدة، رسالة في قود الجيوش، كلام في المعاش والحروب، كتاب في التأثيرات العلوية، مقالة في الجهة التي يصح عليها القول بأحكام النجوم، كتاب في الفصول المنتزعة للاجتماعات، كتاب في الحيل والنوانيس، كلام له في الرؤيا، كتاب في صناعة الكتابة، شرح كتاب البرهان^(٢) لأرسطو أملاه على إبراهيم بن عدي تلميذه بحلب، كلام في العلم الإلهي، شرح المستغلق من قاطيغورياس لأرسطو ويُعرف بتعليقات الحواشي، كلام في أعضاء الحيوان، كتاب مختصر جمع الكتب المنطقية، المدخل إلى المنطق،

(١) إن كتاب «الحروف» للفارابي هو كتاب في الفلسفة الأولى على غرار كتاب أرسطو (ما بعد الطبيعة)، شرح فيه المصطلحات الفلسفية التي حلها أرسطو مع مراعاة الفروق بين اللغة العربية واللغة اليونانية. هذا بالإضافة إلى المقالة التي تناول فيها نشأة العلوم وتطورها والتي يصدر فيها عن إشكالية خاصة هي إشكالية تأسيس الفلسفة في الثقافة العربية.

(٢) صحيح أن الفارابي تبنى «البرهان» الأرسطي منهجاً ورؤية، في الثقافة العربية الإسلامية، لكنه وظفه ككل وكأجزاء في خدمة أهداف لم تكن بالضرورة منحصرة في المعرفة من أجل المعرفة، كما كان الشأن عند أرسطو، بل لقد وظفه لخدمة اهتماماته الدينية والإيديولوجية.

التوسط بين أرسطو وجالينوس، غرض المقولات، كلام في الشعر والقوافي، شرح كتاب العبارة لأرسطو على جهة التعليق، تعاليق على كتاب القياس، كتاب في القوة المتناهية وغير المتناهية، تعليق له في النجوم، الأشياء التي يحتاج أن تعلم قبل الفلسفة، فصول جمعها من كلام الأقدمين، أغراض أرسطو في كل واحد من كتبه، كتاب المقاييس، مختصر كتاب الهُدى، كتاب في اللغات، كتاب في الاجتماعات المدنية، كلام في أن حركات الفلك دائمة، كلام فيما يصلح أي يذم المؤدب، كلام في لوازم الفلسفة، مقالة في وجوب صناعة الكيمياء والرد على مُبطلِها، مقالة في اعتراض أرسطو طاليس في كل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف وهو تحقيق غرضه في كتاب ما بعد الطبيعة، الدعاوى المنسوبة إلى أرسطو في الفلسفة مجردة على بياناتها وحججها، تعاليق في الحكمة، كلام أملاه في معنى ذات ومعنى جوهر ومعنى طبيعة، جوامع السياسة، المدخل إلى الهندسة الوهمية مختصر، عيون المسائل على رأي أرسطو وهي مائة وستون مسألة، جوابات لمسائل سئل عنها وهي ثلاث وعشرون مسألة، أصناف الأشياء البسيطة التي تنقسم إليها القضايا في جميع الصنائع القياسية، جوامع كتاب النواميس لأفلاطون، كلام من إملائه وقد سئل عما قال أرسطو في الحارّ، تعليقات أنالوطيقا الأولى لأرسطو، شرائط اليقين، ماهية النفس، السماع الطبيعي.

ومن دعائه أورده ابن أبي أصيبعة في «تاريخ الأطباء»: اللهم إني أسألك يا واجب الوجود ويا علّة العِلَل يا قديماً لم يَزَلْ: أن تعصمني من الزلل، وأن تجعل لي من الأمل، ما ترضاه لي من عمل، اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب، وارزقني في أموري حُسن العواقب، نجح مقاصدي والمطالب، يا إله المشارق والمغرب [الكامل]:

ربّ الجوّاري الكُنُس السَّبْع التي أنبَ جَسْتُ عن الكون انبجاس الأنهر

هُنَّ الفواعِلُ عن مشيَّته التي عَمَّت فضائلها جميعَ الجواهر

أصبحتُ أرجو الخيرَ منك وامتري زُحلاً ونفس عطارِدَ والمشتري

اللهم ألبسني حُلَّ البهاء، وكرامات الأنبياء، وسعادة الأغنياء، وعلوم الحكماء، وخشوع الأنقياء، اللهم أنقذني من عالم الشقاء والفناء، واجعلني من لخوان الصفاء، وأصحاب الوفاء، وسكّان السماء، مع الصديقين والشهداء، أنت الله الذي لا إله إلا أنت علّة الأشياء، ونور الأرض والسماء، امنحني قِيضاً من العقل الفعّال، يا ذا الجلال والإفضال، هذب نفسي بأنوار الحكمة، وأوزعني شكر ما أوليتني من نعمة، أرني الحق حقاً وألهمني اتّباعه والباطل باطلاً واحرمني اعتقاده هذب نفسي من طينة الهيولى^(١)، إنك أنت العلة الأولى [الكامل]:

يا علّة الأشياء جمعاً والذي كائنٌ به عن فيضه المشعنجِر

(١) الهيولى: المادة التي خلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للشكل في شتى الصور.

رب السموات الطباق ومركز
إني دعوتك مُستجيراً مُذنباً
هَذَبَ بفيضٍ منك رب الكل مِنْ
في وسطهنّ من الثرى والأبحر
فاغفر خطيئة مُذنبٍ ومُقصرٍ
كَدَّرِ الطبيعة والعناصر عنصري

اللهم ربّ الأشخاص العلوية، والأجرام الفلكية، والأرواح السماوية، غلبت على عبدك الشهوة البشرية، وحبّ الشهوات والدنيا الدنية، فاجعل عصمتك مِجَنِّي من التخليط، وتقواك حِصْنِي من التفريط، إنك بكلّ شيء محيط، اللهم أنقِذني من أسر الطابَع الأربع، وانقُلني إلى جنابك الأوسع، وجوارك الأرفع، اللهم اجعل الكفاية سبباً لقطع مدموم العلائق التي بيني وبين الأجسام الترابية، والهجوم الكونية، واجعل الحكمة سبباً لاتحاد نفسي بالعوالم الإلهية، والأرواح السماوية، اللهم طهّر بروح القدس الشريفة نفسي، وأنزّ بالحكمة البالغة عقلي وجسّي، واجعل الملائكة بدلاً من عالم الطبيعة أنسي، اللهم ألهمني الهدى، وثبّت إيماني بالتقوى، وبغضّ إلى نفسي حُبّ الدنيا، اللهم قوِّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية، وألحق نفسي بمنازل النفوس الباقية، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة العالية في جتّة عالية، سبحانهك اللهم سابق الموجودات التي تنطق بالسنة الحال والمقال إنك معطي كلّ شيء منها ما هو مستحقّه بالحكمة، وجاعل الوجود لها بالقياس إلى عدمها نعمة ورحمة، فالذوات منها والأعراض مستحقّة بالآلث، شاكرة فضائل نعمائك، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، سبحانهك اللهم وتعاليت، إنك الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، اللهم إنك قد سجنّت نفسي في سجن من العناصر الأربعة ووكلت بافتراسها سباعاً من الشهوات، اللهم جُدْ لها بالعصمة وتعظّف عليها بالرحمة التي هي بك أليق، وبالكرم الفاضل الذي هو منك أجدر وأخلق، وامننّ عليها بالتوبة العائدة بها إلى عالمها السماوي، وعجل لها بالأوبة إلى مقامها القدسي، وأطلع على ظلماتها شمساً من العقل الفعال، وأمط عنها ظلمات الجهل والضلال، واجعل ما في قواها بالقوة كائناً بالفعل، وأخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الحكمة وضياء العقل، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، اللهم أر نفسي صُورَ الغيوب الصالحة في منامها، وبَدِّلها من الأضغاث برؤيا الخيرات والبشرى الصالحة الصادقة في أحلامها، وطهرها من الأوساخ التي تأثرت بها عن محسوساتها وأوهامها، وأمط عنها كدَرِ الطبيعة، وأنزلها في عالم النفوس المنزلة الرفيعة، الله الذي هداني وكفاني وأواني، وأورد له أيضاً من شعره [مخلع البسيط]:

لما رأيت الزمان نكساً
كل رئيس به ملالاً
لزمْتُ بيتي وصنْتُ عرضاً
أشربُ ممّا اقتنيت راحاً
لي من قواريرها ندامى
ليس في الصحبة انتفاع
وكلّ رأسٍ به ضُداً
به من العزّة امتناع
لها على راحتي شعاع
ومن قراقيرها سماع

وأَجْتَنِي من حديث قومٍ
ومن شعر أبي نصر الفارابي [المتقارب]:
أخي خَلَّ حَيَزٌ ذي باطل
فما الدار دار مُقامٍ لنا
يُنَافِسُ هَذَا لهذا على
وهل نحنُ إِلَّا خُطوطٌ وَقَفَ
محيطُ العوالمِ أولى بنا
ومن نظمه أيضاً [الرجز]:

مَلَّتْ وأيُمُ اللّهِ نفسي نفسي
أول سَعدي وزوالٍ نحسي
يا حَبْذا يومَ حُلُولِ رَمَسي
إذ كلَّ جنسٍ لاحقٌ بالجنسِ

١٢ - «أبو عثمان ابن الإمام الشافعي» محمد بن محمد بن إدريس. أبو عثمان الشافعي، وَلِي قضاء الجزيرة وحَدَّث هناك واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل فقال: أبوك من الستة الذين أَدْعُو لهم وقت السحر، سمع أباه وأحمد بن حنبل وغيرهما وكان ثقةً، وللشافعي رحمه الله تعالى ولدٌ آخرُ اسمه محمدٌ أيضاً توفي صغيراً بمصر سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وتوفي صاحب هذه الترجمة سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

١٣ - «ابن القاهر أمير المؤمنين» محمد بن محمد. هو ابن القاهر، كان محبوساً في دار الخليفة فأُخرج إلى داره بالحريم الظاهري، وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وعمره ثمان وخمسون أو اثنان، ودفن إلى جانب قبر أبيه، وقال ابن النجار حكايةً عن خط هلال بن المحسن الصابئ: توفي سنة خمس وتسعين وثلاثمائة عن نيفٍ وسبعين سنة.

١٤ - «أبو جعفر الحمال المحدث» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حمزة بن جميل. أبو جعفر الحمال البغدادي المحدث، قال الحاكم هو محدث عصره بخراسان وأكثر مشايخنا رحلةً وأثبتهم أصولاً، توفي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

١٥ - «الحاكم الكبير المحدث» محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق. الحافظ الحاكم الكبير النيسابوري الكرابيسي أبو أحمد، صاحب التصانيف، سمع بنيسابور وبغداد والكوفة وطبرية ودمشق ومكة والبصرة وحلب والثغور وروى عنه الجماعة، قال أبو عبد الله: الحاكم أبو أحمد الحافظ إمام عصره في الصنعة وكان من الصالحين الثابتين على الطريق السلفية ومن المُنصفين فيما يعتقده

١٥ - «المنتظم» لابن الجوزي (٤٦/٧)، و«الكامل» لابن الأثير (٢٠/٩ - ٢١) و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٧٤/٣ - ١٧٦)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (١٥٤/٤) و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (١٣٢/٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٤٠٨/٢)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٩٣/٣)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٣٧٨ - ١٣٩١)؛ و«هدية العارفين» للبغدادي (٥٠/٢ - ٥١)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٨٠/١١).

في أهل البيت والصحابة تقلد القضاء في مُدُن كثيرة وصنّف على كتابي البخاري ومسلم وعلى جامع الترمذي، وله كتاب «الأسماء والكنى» و«كتاب العلل» و«المخرج على كتابي المزني» و«كتاب الشروط» وكان بها عارفاً، وصنّف «الشيوخ والأبواب»، وقلّد قضاء الشاش وحكم بها أربع سنين ثم قضاء طوس وكان يحكم بين الخصوم وإذا فرغ أقبل على التصنيف بين يديه ثم قدم نيسابور سنة خمس وأربعين وأقبل على العبادة والتأليف وكفّ بصره سنة سبعين وكان حافظ عصره وتغيّر حفظه لما كفّ ولم يختلط قط، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وله ثلاث وتسعون سنة.

١٦ - «أبو منصور الأزهري الشافعي» محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين. القاضي أبو منصور الأزدي الهروي، أحد الأعلام محدث فقيه، رحل وسمع وحذّث وكان إمام الشافعية في عمره واسع الرواية، توفي فجأة بهراة في المحرم سنة عشر وأربعمائة.

١٧ - «الشيخ المفيد الشيعي» محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم. المعروف بالشيخ المفيد كان رأس الرافضة صنّف لهم كتباً في الضلالات والطعن على السلف إلا أنه كان أوحّد عصره في فنونه، توفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وعليه قرأ المرتضى وأخوه الرضي وغيرهما وكانت وفاته بالكرك دفن بداره ثم نقل إلى مقابر قريش ولما مات رثاه الشريف الرضي فقال [الخفيف]:

مَنْ لِفَضْلِ أَخْرَجَتْ مِنْهُ خُبْنًا وَمَعَانٍ فَضُضَتْ عَنْهَا خَتَامًا
مَنْ يُثِيرُ الْعُقُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَكُنُّ هَمُودًا وَيَفْتَحُ الْأَبْهَامَا
مَنْ يُعِيرُ الصَّدِيقَ رَأْيًا إِذَا مَا سَلَّهُ فِي الْخُطُوبِ كَانَ حُسَامَا

١٨ - «ابن الدقاق الشافعي الأصولي» محمد بن محمد بن جعفر. القاضي أبو بكر الشافعي ويعرف بابن الدقاق صاحب الأصول، ولد سنة ست وثلاثمائة وتفقه وقرأ القرآن وسمع الحديث، وتوفي ببغداد في رمضان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

١٩ - «أبو الفرج الشلحي الكاتب» محمد بن محمد بن سهل. أبو الفرج الشلحي العكبري الكاتب أحد الفضلاء الكبار، له «كتاب الخراج» و«النساء الشواعر» و«المجالسات» و«أخبار ابن قريعة» و«الرياضة» و«الإنشاء» و«تحف المجالس»، و«بدائع ما نجم من متخلفي كتاب العجم»، توفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة.

٢٠ - «ابن المأمون» محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن يعقوب بن الحسين. ابن المأمون أبو تمام بن أبي الفضائل يعرف بابن الزوال أخو أبي العباس أحمد، سمع الشريف أبا نصر محمد الزينبي وأبا الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقر وحذّث بالسير روى عنه أبو المعمر الأنصاري في معجم شيوخته وكان فقيهاً فاضلاً وعلق الخلاف وتوفي سنة ثمان وخمسين

١٨ - «الكامل» لابن الأثير (٥/٥٥٢).

١٩ - «الأعلام» للزركلي (٧/٢٤٥)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/٢٢٢).

وأربعمائة .

٢١ - «الخيشي النحوي» محمد بن محمد بن عيسى . ابن إسحاق بن جابر ، أبو الحسن الخيشي البصري النحوي ، قرأ النحو بالبصرة على أبي عبد الله النمري صاحب أبي ريش وسمع جماعة وبرع في النحو ، قال ابن النجار : كان من أئمة النحو المشهورين بالفضل والنبل وله شعر ، وقال ابن ماكولا : كان إماماً في حل المترجم ، وهو من شيوخ ابن ماكولا ، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

٢٢ - «أبو الحارث نقيب الأشراف بالكوفة» محمد بن محمد بن عمر العلوي . أبو الحارث نقيب العلويين بالكوفة ، كان شجاعاً جواداً ديناً رئيساً وكانت إليه النقابة مع تسيير الحاج فحج بالناس عشر سنين ينفق عليهم من ماله ويحمل المنقطعين ويؤذي الخفارة للعرب عن الركب من ماله ، وتوفي بالكوفة في جمادى الأولى في سنة ثلاث وأربعمائة .

٢٣ - «أبو الحسن البغدادي الحنفي» محمد بن محمد بن إبراهيم . ابن مخلص أبو الحسن البغدادي الفقيه الحنفي ، ولد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وسمع الحديث الكثير ورواه ولم يكن في زمانه أعلى إسناداً منه مع صدق وصلاح وثقة وفضيلة ، وكان يتجر وله مال عظيم خرج إلى مصر وأقام بها ثم عاد إلى بغداد فاتفقت المصادر بسبب الأتراك والتقسيم فأخذ جميع ماله وافتقر إلى أن توفي سنة تسع عشرة وأربعمائة فلم يكن له كفن حتى بعث له الخليفة إهاباً من عنده .

٢٤ - «شيخ الشرف العبدلي» محمد بن محمد بن علي . ابن عبد الله بن الحسين الأصغر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أبو الحسن العلوي الحسيني النسابة البغدادي شيخ الشرف ، ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وكان فريداً في علم الأنساب ولهذا لقب شيخ الشرف ، وله تصانيف كثيرة وشعر ، انتقل من بغداد إلى الموصل ثم رجع إليها ، يقال إنه توفي بدمشق سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، وروى عن صاحب الأغاني «كتاب الديارات» له ، من شعره وقد زوّج ابنته بمن موه عليه نسبه [المقارب] :

ضلالة شيخكم بالرشاد	آل أبي طالب داركوا
وشاب كما شاب قودي قواي	فإنني كبرث وضاع المئى
بدهية من علوج السواد	وزوجت آل أبي طالب
فلا زال يصلحه من فساد	رجوت لأصلح حالي به
بطول الذوائب لا بالتلاد	فلا تعدلوه فأنسابه

٢١ - «بغية الوعاة» للسيوطي (١/٢٣٢) .

٢٢ - «الكامل» لابن الأثير (٥/٦٠٠) .

٢٣ - «الكامل» لابن الأثير (٦/٢٣) ، و«الشقائق النعمانية» لطاش كبرى زاده (١/٦٠٨ - ٦١٠) .

وأقسم أنَّ فَعَالِي بِهِ فَعَالٌ مُعَاوِيَةٌ فِي زِيَاد

٢٥ - «الناصحي الشافعي» محمد بن محمد. العلامة أبو سعيد الناصحي النيسابوري أحد الأعلام الكبار من كبار الشافعية، تفقه على أبي محمد الجويني، وتوفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

٢٦ - «الشاماتي الأديب» محمد بن محمد بن أحمد. أبو جعفر الشاماتي النيسابوري الأديب، تخرّج به جماعة من المتأذّبين وله الخطّ المشهور المنسوب، روى وحّدث، وتوفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

٢٧ - «أبو طالب ابن غيلان البزاز» محمد بن محمد بن إبراهيم. ابن غيلان أبو طالب البزاز، ولد سنة ست وأربعين وثلاثمائة وسمع الكثير وعُمِّرَ حتى بلغ مائة وخمس سنين، وتوفي في شوال سنة أربعين وأربعمائة^(١) ودُفِنَ بداره بدرج عده في قطعة الربيع وأخرج له الدارقطني أحاديث مشهورة وسَمّاها «الغيلانيات» وسمِعها عليه خلق كثير، وكان ثقة صالحاً صدوقاً، قال أبو عبد الله محمد بن محمود الرشيدي: أردت الحجّ فقلت لأبي منصور بن حيدر: أريد أن أسمع من ابن غيلان فقال إنه مريض مبطون قلت ومَنْ لي أن يعيشَ حتى أعودَ وهو ابن مائة وخمس سنين فقال اذهب فانا ضامنٌ لك حياته فقلت وكيف فقال له ألف دينار حمر جعفرية كل يوم يقلبها ويتقوى بها فحججْتُ وعُدْتُ وهو في الحياة وسمعتُ عليه.

٢٨ - «أبو الحسن البصري الشاعر» محمد بن محمد بن أحمد. أبو الحسن البصري وبُصري قرية بدجيل دون عُكْبَرَا، كان شاعراً فصيحاً مطبوعاً، له نوادر: منها أنه قال له رجل لقد شربت البارحة كثيراً فاحتجت للقيام للبول كل ساعة كَأَنِّي جُدِّي فقال له لِمَ تُصَغِّرُ نَفْسَكَ يَا سَيِّدَنَا، وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، ومن شعره [الوافر]:

نرى الدنيا وزهرتها فنصبو	وما يخلو من الشبهات قلب
فضول العيش أكثرها هموم	وأكثر ما يضرّك ما تُحب
فلا يغرُزك زخرف ما تراه	وعيش لئن الأطراف رطب
إذا ما بُلغَةُ جاءتك عفواً	فخذها فالغنى مرعى وشرب
إذا حَصَلَ القليل وفيه سلّم	فلا تُردِ الكثير وفيه حرب

٢٩ - «أبو الفتح الكاتب البغدادي ابن الأديب» محمد بن محمد. أبو الفتح الكاتب البغدادي

(١) إذا ولد سنة ست وأربعين ومات سنة أربعين وأربعمائة يكون له من العمر (٩٤) سنة فكيف عمّر (١٠٥) سنين؟ (والظاهر والله أعلم أن كلمة (ست) بدل أن يضعها التاريخ في تاريخ سنة الوفاة وضعها في تاريخ الولادة فإذا وضعناها نحن على هذا الوصف تكون ولادته سنة (٣٤٠) هـ ووفاته سنة (٤٤٦) هـ فيصبح كون عمره (١٠٥) سنين.

الفاضل، ولد سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وتوفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، ومن شعره
[البسيط]:

ما لي وللبرقي مُجتازاً على إَصْمٍ يُبدي تَأْلُفَهُ عن ثَغْرِ مُبْتَسِمِ
سهرتُ والليلُ مكحولُ الجفون به كأنه ضَرَمَ قد دبَّ في فَحَمِ
أُخْبِرني أنت عن وادي العقيق وهل حَلَّتْ مجاورةً سلمى بذِي سَلَمِ
حملتُكَ العِباءَ من شوقي لتحملهُ رسالةً لم تكن فيها بِمُتَّهَمِ

٣٠ - «النقيب أبو تمام الزينبي» محمد بن محمد بن علي. ابن الحسن، النقيب الأفضل أبو تمام الهاشمي الزينبي أخو طراد وأبي نصر وابن منصور والحسين، ولي نقابة الهاشمين بعد أبيه وروي عن المخلص وغيره، توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

٣١ - «أبو الحسن البضاوي الشافعي ختن الطبري» محمد بن محمد بن عبد الله. ابن أحمد القاضي أبو الحسن البضاوي البغدادي الفقيه، قاضي الكرخ، ختن القاضي أبي الطيب الطبري وعليه تفقه حتى صار من كبار الأئمة وكان خيراً صالحاً، قال الخطيب: كتبت عنه وكان صدوقاً، توفي سنة ثمان وستين وأربعمائة.

٣٢ - «مسند العراق أبو نصر العباسي» محمد بن محمد بن علي. ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سلمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو نصر الهاشمي العباسي الزينبي، مُسند العراق في زمانه وآخر من حدث عن المخلص، توفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

٣٣ - «ابن سنده المطرز» محمد بن محمد بن أحمد. ابن سنده الأصبهاني المطرز أبو سعد خازن الرئيس أبي عبد الله، سمع جماعة وروى عنه السلفي، وتوفي سنة ثلاث وخمسمائة.

٣٤ - «الوزير فخر الدولة ابن جهير» محمد بن محمد بن جهير. الوزير فخر الدولة، أبو نصر الثعلبي مؤيد الدين، ناظر ديوان حلب ووزير ميفارقين من رجالات العالم حزماء ودهاء ورأياء، سعى إلى أن قدم بغداد، وولي وزارة القائم بأمر الله ودامت دولته مدة، ولما بويق المقتدي أقره على الوزارة واستدعاه السلطان ملكشاه فعقد له على ديار بكر وسارَ ومعه الأمير أرتق بن أكسب صاحب خلوان في جماعة مع الأمراء والتركمان والأكراد، ففتح ولده أبو القاسم زعيم الرؤساء مدينة آمد وفتح أبوه المذكور ميفارقين وكان أخذاً من ناصر الدولة واستولى على الأموال، وكان مما بعث من الأموال لولده عميد الدولة وهو عند السلطان مائدة بلور دوزها خمسة أشبار وقوائمها

٣٠ - «الكامل» لابن الأثير (٥/٤٥٤)، (٦/١٥٨ - ١٥٩ - ١٧٠).

٣١ - «الكامل» لابن الأثير (٦/٢٧٠)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١١٣).

٣٢ - «الكامل» لابن الأثير (٦/٣٠٨)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/٣٠٨).

٣٤ - «الكامل» لابن الأثير (٦/٣٢١).

منها وزبادي وأقداح بلور وبعث إليه حُقّاً من ذهب فيه سُبْحَةٌ كانت لنصر الدولة مائة وأربعون حبة لؤلؤ وزن كل حبة مثقال وفي وسطها الجبل الياقوت وقَطَعَ بلخش بما قيمته ثلاثمائة ألف دينار، واستولى على أموال ديار بكر جميعها، ومن عجيب الاتفاق أن منجماً حضر إلى ناصر الدولة بن مروان وحكم له بأشياء وقال له يخرج على دولتك رجل أحسنت إليه فيأخذ الملك من أولادك فرفع رأسه إلى فخر الدولة وقال إن كان هذا صحيحاً فهو هذا الشيخ ثم أقبل عليه وأوصاه بأولاده فكان الأمر كما قال، وكان رئيساً جليلاً خرج من بيته جماعة من الرؤساء، ومدحهم أعيان الشعراء، منهم أبو منصور المعروف بصردز كتب إليه من واسط لما تقلد الوزارة قصيدته المشهورة، أولها [الطويل]:

لجاجة قلبٍ ما يفيق غرورها وحاجة نفسٍ ليس يُقضى سِيرُها
وقفنا صفوفاً في الديار كأنها صحائفُ ملقاةٍ ونحن سطورُها
منها:

ووالله ما أدري غداةً نظرَنا أتلک سهاً أم كؤوسٌ تُديرُها
فإن كُنَّ من نبيلٍ فأين حَفيفُها وإن كُنَّ من خمرٍ فأين سرورها
منها [الطويل]:

أراك الحِمَى قُل لي بأيّ وسيلةٍ توسّلتَ حتّى قبَلتَكَ ثُغورُها
منها في مديحه [الطويل]:

أعدتَ إلى جسمِ الوزارةِ روحَه وما كان يُرجى بعثُها ونُشورها
أقامتَ زماناً عند غيرِكَ طامِثاً وهذا الزمانُ قرؤُها وطهورُها

قلت القُرءُ^(١) من الأضداد يصدق على الحيضة والطهر ولهذا وقع الخلاف فيه بين الأئمة وهو هنا محمول على الطهر ولا يجوز حملة على الحيض لفساد المعنى، وجاز العطف لتغاير اللفظين. رجع [الطويل]:

إذا ملك الحسناء من ليس أهلها أشار عليه بالطلاق مُشيرُها
ولما عزله الخليفة من الوزارة وأعاده إليها نظم فيه ابن صردز القصيدة المشهورة وأولها [الرجز]:

(١) القرء: فيه لغتان:

١- الفتح، وجمعه: (قروء) و(أقرؤ) مثل فلس وفلوس وأفلس.

٢- الضم، ويجمع على (أقراء) مثل قفل وأقفال.

ويطلق على الطهر والحيض والقرء على الحيض، وهو الجديد الأظهر عند الشافعية. انظر «الروضة» للنووي (٨/٤٢٥)، و«المصباح المنير» (٥٠١).

قد رجع الحق إلى نصابه
ما كنت إلا السيفَ سلَّتهُ يدُ
وأنت من دون الوري أولى به
ثم أعادته إلى قرابه
منها [الرجز]:

تيقنوا لما رأوها ضيعةً
إن الهلال يُرتجى طلوعه
أن ليس للجور سوى عُقابه
بعد السَّرارِ ليلةً احتجابه
والشمسُ لا يُؤَيَّسُ من طلوعها
وإن طَواها الليلُ في جنابه

كتب أبو إسحاق الصابئ لما أعيد الوزير بهاء الدولة سابور عن الوزارة وأعيد إليها
[الكامل]:

قد كنتَ طَلَّقت الوزارةَ بعد ما
فغدت بغيرك تستحلّ ضرورةً
زَلَّتَ بها قدماً وساءَ صنيعُها
كيما يحلّ إلى ثراك رجوعُها
فالآن قد عادت وآلت حلفَةً
أن لا تبیت سواك وهو ضجيعها

ولما أعيد عميد الدولة ولد فخر الدولة بن جهير إلى الوزارة بعد عزله وكان قد تزوج أولاً
ببنت الوزير نظام الملك وهي زبيدة ابنة الحسن نظم ابن الهبارية فيه قوله [البسيط]:

قل للوزير ولا تُفزعك هيبتُهُ
لولا ابنة الشيخ ما استُوزرت ثانيةً
وإن تعاظم واستعلى بمنصبه
فاشكر جرأ صرت مولانا الوزير به

وفي الوزير فخر الدولة ابن جهير نظم ابن صردر الأبيات المشهورة وهي [المنسرح]:

يا قاله الشعر قد نصحتكم
قد ذهب الدهر بالكرام وفي
وأنتم تَمْدَحُونَ بالحُسن والظ
وتطلبون السماح من رجلٍ
من أجلِ ذا تُخَرِّمُونَ كَدُّكُمْ
صونوا القوافي فما أرى أحداً
وإن شككتكم فيما أقول لكم
سوى الوزير الذي رئاسته
وليس أدهى إلا من التُّضح
ذاك أمورٌ طويلة الشرح
زف وجوهاً في غاية القبح
قد طُبعت نفسه على الشخ
لأنكم تكذبون في المدح
يعثر فيه الرجاء بالنجح
فكذبوني بواحدٍ سمح
تعرك أذن الزمان بالملح

قلت هذه الأبيات مع عذوبتها ورقتها وانسجام تراكيبها قد أتى فيها باستعارتين مليحتين إلى
الغاية وهي عثور الرجاء بالنجح وعرك الرئاسة أذن الزمان بالملح كأنها تؤدِّبه وتهذِّبُه، وأما قوله
(فكذبوني بواحد سمح) فمأخوذ من النادرة المشهورة، وتوفي بالموصل في شهر رجب وقيل في
المحرم سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة، ودفن في تلّ توبة وهو تلّ قبالة الموصل، وولد بها سنة

ثمان وتسعين وثلاثمائة.

٣٥ - «أبو نصر الرامشي» محمد بن محمد بن أحمد. ابن هميماء أبو نصر الرامشي النيسابوري المقرئ ابن بنت الرئيس منصور بن رأمش، قال الحافظ ابن عساكر: كان عارفاً بالنحو وعلوم القرآن، توفي سنة تسعين وأربعمائة طلب القراءات والحديث وارتحل واجتمع بجماعة وتخرج به جماعة، قال أبو سعد السمعاني: أنشدنا أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي إجازة أنشدني أبو نصر محمد بن محمد بن أحمد لنفسه [السريع]:

إِنْ تُلِقِكَ الْغُرْبَةَ فِي مَعْشَرٍ	قَدْ أَجْمَعُوا فِيكَ عَلَى بُغْضِهِمْ
فِدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ	وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ
قلت: يشبه قول محمد بن شرف القيرواني [مجزوء الرجز]:	
يَا خَائِفاً مِنْ مَعْشَرٍ	قَدْ اصْطَلَى بِنَارِهِمْ
إِنْ تَخْشَ مِنْ شَرِّهِمْ	عَلَى يَدَيِّ شَرِّهِمْ
أَوْ تُزِمَ مِنْ أَحْجَارِهِمْ	وَأَنْتَ فِي أَحْجَارِهِمْ
فَمَا بَقِيَتْ جَارِهِمْ	فَفِي هَوَاهِمِ جَارِهِمْ
وَأَرْضِهِمْ فِي أَرْضِهِمْ	وِدَارِهِمْ فِي دَارِهِمْ

وقال السمعاني: وأنشدنا سعيد بن محمد الملقاباذي قال: أنشدنا محمد بن محمد بن أحمد النحوي إملاءً لنفسه [الطويل]:

وَكُنْتُ صَاحِباً وَالشَّبَابُ مُنَادِمِي	وَأَنْهَلَنِي صَفْوُ الشَّبَابِ وَعَلْنِي
وَزَادَتْ عَلَى خَمْسِ ثَمَانِينَ حَجَّةً	فَجَاءَ مَشِيبِي بِالضَّنَا وَأَعْلَنِي
سَمِئْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَعَيْلَتِي	وَمَا فِي ضَمِيرِي مِنْ عَسَى وَلَعْلَنِي

ولقي في طوافه أبا العلاء المعري وروى عنه في شعره.

٣٦ - «ابن عيشون المنجم الشاعر» محمد بن محمد بن الحسن. ابن عيشون موفق المُلْك أبو الفضل المنجم، كان رأساً في صناعته في النجامة بالعراق وله شعر، توفي سنة ست وخمسمائة، قال [الكامل]:

القاريء التشريحَ أَجْدَرُ بِالتَّقَى	مَنْ رَاهِبٍ فِي قُوسِهِ مُتَقَوِّسٍ
وَمُرَاقِبُ الْأَفْلَاكِ كَانَتْ نَفْسُهُ	بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ أَحْرَى الْأَنْفُسِ
وَالْمَاسِيحُ الْأَرْضِينَ وَهِيَ رَحِيبَةٌ	مَسَحَ الْأَنَامِلَ فِي أَكْفِ اللَّمَسِ
أُولَى بِخِيفَةِ رَبِّهِ مِنْ جَاهِلٍ	بِمَثَلِثٍ وَمَرْبِعٍ وَمَخْمَسٍ

٣٧ - «الفلنقي المقرئ» محمد بن محمد بن عبد الله. ابن مُعَاذ أبو بكر اللخميّ الإشبيلي المعروف بالفلنقي، كان إماماً في صناعة الإقراء مجوداً مُسْتَنْدِداً مشاركاً في العربية مليح الخط، له تأليف سَمَاهُ «الإيماء إلى مذاهب السبعة القراء»، توفي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

٣٨ - «قُرْطُف ابن الأديب الشاعر» محمد بن محمد بن عمر. ابن قُرْطُف بالقاف والراء والطاء المهملة والفاء على وزن قُطْرُب، أبو الفتح النعمان الشاعر المشهور ويعرف بابن الأديب، وكان من ظرفاء بغداد وله كتابة حسنة، روى عنه من شعره ابن السمعاني، توفي سنة ستين وخمسمائة، ومما أورد له ابن النجار من قصيدة [البسيط]:

كِلَا السَّوَادَيْنِ مِنْ قَلْبِي وَمِنْ بَصْرِي	فَدَاءُ مَا بَيَّضَ الْفَوْدَيْنِ مِنْ شَعْرِي
صَبَّغَ عَلَى الرَّأْسِ مَوْقُوفَ قَضِيئُ بِهِ	مَا شِئْتُ مِنْ لَذَّةٍ تُلْهِي وَمِنْ وَطَرٍ
مَرَّ الْجَدِيدُ بِهِ حِينًا فَأَخْلَقَهُ	وَأِنَّمَا ذَلِكَ الْإِخْلَاقُ لِلْعُمَرِ
مَا سَاعَةً تَنْقُضِي إِلَّا وَقَدْ أَخَذْتُ	شَطْرًا مِنَ السَّمْعِ أَوْ شَطْرًا مِنَ الْبَصَرِ
لَوْ فَكَّرَ الْمَرْءُ فِي أَطْوَارِ خَلْقَتِهِ	مَا كَانَ فِي غَيْرِهَا يَوْمًا بِمَعْتَبِرٍ

٣٩ - «محمد بن محمد الشاعر الأديب الأندلسي» محمد بن محمد بن عبد الحميد. ابن الحارث أبو عبد الله وأبو بكر البعمرى الأندلسي الشاعر، روى عن ابن أبي الخصال، توفي في سنة تسع وثمانين وخمس مائة.

٤٠ - «الواعظ الحريمي» محمد بن محمد بن علي. أبو الفتح الحريمي الواعظ، كان مليح الإيراد، قدم بغداد سنة تسع وخمسمائة، حَدَّثَ عَلَى الْمَنبَرِ عَنْ الْقَشِيرِيِّ قَالَ: تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً فَرَأَى بِكَشْحِهَا بَيَاضاً فَرَدَّهَا وَقَالَ: «الْحَقِّي بِأَهْلِكَ» وَزَادَ فِي الْحَدِيثِ: فَتَزَلَّ جَبْرِيلُ فَقَالَ «الْعَلِيُّ الْأَعْلَى يَقْرُنُكَ السَّلَامُ وَيَقُولُ لَكَ بِنَقْطَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعَيْبِ رَدَدْتُ عُقْدَةَ النِّكَاحِ وَنَحْنُ بِعُيُوبِ كَثِيرَةٍ لَا نَفْسِيخُ عُقْدَ الْإِيمَانِ مَعَ أَمْتِكَ لَكَ نِسْوَةٌ تَمْسُكُهُنَّ لِأَجْلِكَ أَمْسِكْ هَذِهِ لِأَجْلِي»، وَهَذَا كَذِبٌ فَاحْشُ، مَرَضَ بِالرَّيِّ مَرَضَةً مَوْتَهُ فَاشْتَدَّ جُزْعُهُ عِنْدَ الْمَوْتِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ الْقُدُومُ عَلَى اللَّهِ شَدِيدٌ، قُلْتُ لَا سَيِّمًا قَادِمٌ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى جَبْرِيلَ، وَتُوفِي فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدُفِنَ إِلَى جَانِبِ إِبْرَاهِيمَ الْخَوَاصِ، قُلْتُ مِنَ الْعَجَبِ دَفَنَهُ إِلَى جَانِبِ هَذَا، سَمِعْتُ الشَّيْخَ الْحَافِظَ جَمَالَ الدِّينِ الْمِزِّيَّ يَقُولُ وَقَدْ ذَكَرَ فِي حَدِيثٍ جَاءَ فِي طَرِيقَةِ اللَّهِ لَقَدْ كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاصِ وَرَوَى الْحَرِيمِيُّ عَنْ الْقَشِيرِيِّ وَنَظَرَاتِهِ.

٤١ - «أبو الحسن الحجاجي المحدث» محمد بن محمد بن يعقوب. أبو الحسن النيسابوري من ولد الحجاج بن الجراح، قرأ القرآن وسمع الكثير وكان صالحاً حافظاً ثقة صدوقاً، صنف «العلل»

٣٧ - «تكملة الصلة» لابن الأَبَّار (٢٠٦ - ٢٠٧)، و«طبقات القراء» لابن الجزري (٢/٢٤٢)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢١٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٩٣/٢).

و«الشيخ» و«الأبواب» وكان نسيب الحاكم أبي عبد الله أثنى عليه وقال في حقّه: العبد الصالح الثبت الصدوق كان من الصالحين المجتهدين في العبادة صحبته نيماً وعشرين سنة ليلاً ونهاراً ما علمتُ الملائكة كتبت عليه خطيئة، توفي سنة ثمان وستين وثلاثمائة.

٤٢ - «ابن عروس الكاتب» محمد بن محمد بن عروس. الشيرازي الكاتب الشاعر نزيل سامراً، له نظم، وتوفي في عشر الثمانين ومائتين، من شعره قوله: [مرفل الكامل]:

ولقد تأملت الحيا ة بُعيد فقدانِ التصابي
فإذا المصيبة بالحيا ة هي المصيبة بالشبابِ
وله في أبي العيناء: [السريع]:

طرفُ أبي العيناء مَغْسُولٌ^(١) وديئُهُ لا شكَّ مَدْخُولُ
وليس ذا علمٍ بشيءٍ ولا له إذا حصلتْ محْصُولُ
ما هو إلا جملَةٌ غَئَّةٌ وليس للجملَةِ تفْصِيلُ

قال محمد بن محمد بن عروس: اجتمعتُ أنا وعليّ بن الجهم في سفينة ونحن غير متعارفين فتذاكرنا ووجدت له مذاكرةً حلوةً وكان في بعض ما قاله أنا أشعر الناس فقلت: بماذا؟ فقال بقولي [الطويل]:

سقى الله ليلاً ضَمَنَّا بعد هَجَعَةٍ وأدنى فؤاداً من فؤادِ معْدِبِ
فَبِثْنًا جميعاً لو تُراقَ زجاجةٌ من الخمر فيما بيننا لم تَسْرِبِ
فقلت له: والله لقد أحسنتَ ولكنني أشعر منك، قال: بأي شيء؟ قلت بقولي [البسيط]:
لا والمنازل من نجدٍ وليلتنا بفيْدَ إذ جسدانا بيننا جَسَدُ
كم رام فينا الكَرَى من لطف مَسْلَكه نوماً فما انفك لا خدٌ ولا عضدُ

فقال: أحسنتَ ولكن بـم صِرْتَ أشعرَ مني؟ قلتُ: لأنك منعتَ دخولَ جسدٍ بين جسدَيْنِ وأنا منعتُ دخولَ عَرَضٍ بين جسدَيْنِ، فقال: مَنْ أنت؟ فقلتُ: بل تقول أنت أولاً، قال: عليّ بن الجهم، قلت: وأنا ابنُ عروس.

٤٣ - «المفجع النحوي الشيعي الشاعر» محمد بن محمد بن عبد الله. البصري النحوي من كبار النحاة، كان شاعراً مُفْلَقاً وشيعياً متحرّقاً وبينه وبين ابن دريد مهاجاة، وصنف «كتاب الترجمان»

٤١ - «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٣/ ١٤٦ - ١٤٧)، و«مرآة الجنان» للياضي (٢/ ٣٩٠ - ٣٩١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٣/ ٦٧)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٩٢١)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/ ٦١٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/ ٤٩)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/ ٣١٠).

(١) في «فوات الوفيات» للكتبي (٢/ ١٥٥): معلول.

و«عرائس المجالس» و«المتقدمين في الإيمان»، توفي سنة عشرين وثلاثمائة وقال ياقوت: محمد بن أحمد ومن شعره [الخفيف]:

لِيْ أَيْرُ أَرَا حَنِي اللهُ مِنْهُ صَارَ حُزْنِيْ بِهِ عَرِيضاً طَوِيلاً
نَامَ إِذْ زَارَنِي الْحَبِيبُ عَنَاداً وَلَعَهْدِيْ بِهِ يَنْيَكُ الرِّسُولَا
حُسِبَتْ زُورَةٌ عَلَيَّ لِحْنِي وَافْتَرَقْنَا وَمَا شَفِيَتْ الْغَلِيْلَا
وَمِنْهُ أَيْضاً قَوْلُهُ [السريع]:

لَنَا سِرَاجٌ نَوْرُهُ ظَلَمَةٌ لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الْأَرْضِ
كَأَنَّهُ شَخْصُ الْإِمَامِ الَّذِي يَبْغِي الْهُدَى مِنْهُ أَوَّلُو الْفَرْضِ
وَقَالَ اللَّحَامُ يَهْجُوهُ [الكامل]:

إِنَّ الْمُفْجَعَ فَالْعَنُوهُ بِزَيْتِ يَغْلِيْ يَدَيْنُ بَبْغُضِ أَهْلِ الْبَيْتِ
يَهْوَى الْعُلُوقَ وَإِنَّمَا يَهْوَاهُمْ بِمُؤْخَّرِ حَيٍّ وَقُبْلِ مَيِّتِ

وله من التصانيف «كتاب الترجمان» و«الشعر ومعانيه» و«كتاب المنقذ من الأيمان» يشبه «كتاب الملاحن» لابن دريد وهو أجود منه «كتاب أشعار الجواري» «غرائب المجالس» شعر زيد الخيل الطائي «قصيدته في أهل البيت»، وشعره كثير أورد له ياقوت جملةً منه.

٤٤ - «أبو بكر اللباد المالكي» محمد بن محمد بن وشاح. أبو بكر اللباد اللخمي مولاهم الفقيه المالكي الإفريقي، صنّف «فضائل مكة» و«عصمة النبيين» و«كتاب الطهارة» وعليه نَقَّهَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

٤٥ - «ابن الهبارية الشاعر» محمد بن محمد. وقيل ابن صالح وقيل محمد بن علي بن صالح، أبو يعلى الشريف العباسي ابن الهبارية البغدادي الشاعر، قدم أصبهان وبها ملكشاه ووزيره نظام الملك فدخل على الوزير ومعه رقعتان إحداهما فيها هجو الوزير والأخرى فيها مدحه فأعطاه التي فيها هجوه وهو [مجزوء الكامل]:

٤٣ - «الفهرست» لابن النديم (٨٣/١)، «معجم الشعراء» للمرزباني (٤٦٤ - ٤٦٥)، و«الفهرست» للطوسي (ص ١٥٠)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (ص ١٣)، و«معجم الأدباء» لياقوت (١٧/١٩٠ - ٢٠٥)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٠٤ - ٣٩٧ - ١١٣١ - ١٨٦٩)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٢/٣٣٩)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/٣١)، و«أعيان الشيعة» للعاملي (٤٣/٢٦٤ - ٢٦٥)، و«فوائد الرضوية» لعباس قمي (ص ٣٨٨)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٨/٢٧٩).

٤٤ - «الدباج» لابن فرحون (ص ٢٤٩ - ٢٥٠)، و«الأعلام» للزركلي (٧/٢٤٢)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/٣٠٩).

٤٥ - «سير أعلام النبلاء» للذهبي. و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٠/٨٢).

لا غَرَوْا إِنْ مَلَكَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ
وَصَفَّاءَ لِدَوْلَتِهِ وَخَصَّ
فَالِدَهُ كَالِدَوْلَابِ لِيَسْ
حَاقٍ وَسَاعَدَهُ الْقَدَرُ
أَبَا الْمُحَاسَنِ بِالْكَدَرِ
سَ يَدُورُ إِلَّا بِالْبَقَرِ

يعني بقر طوس، فكتب على رأسها يطلق لذا القواد رسمه مضاعفاً، وأبو المحاسن هذا هو صهر نظام الملك وكانت بينهما منافرة وهو الذي حمله على هجوه وله مع نظام الملك وقعات من الغضب والرضى عليه ومن شعره فيه [الكامل]:

وَإِذَا سَخِطْتُ عَلَى الْقَوَافِي صُغْتُهَا
وَإِذَا رَضِيتُ نَظَمَتَهَا لَجَلَالِهِ
وَمِنْ شِعْرِهِ [مرفل الكامل]:

قَدْ قَلْتُ لِلشَّيْخِ الرَّئِيسِ
ذَكَرَ مَعِينِ الدِّينِ لِي
وَمِنْ شِعْرِهِ [البسيط]:

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ عِزْسِي وَهِيَ مَمْسُوكَةٌ
مَعْوَجُ الرَّأْسِ مُسَوِّدٌ بِهِ نُقْطٌ
وَلَمْ يَزَلْ بِيَدَيْهَا وَهِيَ تَنْطَلُنِي
حَتَّى تَنْبَهَتْ مُحَمَّرُ الْقَذَالِ وَلَوْ
وَمِنْ شِعْرِهِ [البسيط]:

كَمْ لَيْلَةٍ بَثُّ مَطْوِيّاً عَلَى حُرْقٍ
وَالصَّبْحُ قَدْ مَطَّلَ الشَّرْقُ الْعَيُونََ بِهِ
وَمِنْ شِعْرِهِ [السريع]:

لُذْ بِنِظَامِ الْمَلِكِ فَهُوَ الرِّضَى
وَاجِلٌ بِهِ عَنِ نَاطِرِيكَ الْقَدَى
وَاصْبِرْ عَلَى وَحْشَةِ غُلْمَانِهِ

وهي قافية صعبة لأنه التزم الشين، ومن شعره أيضاً [الكامل]:

وَجَلَالُهُ وَكَمَالُهُ بُسْتَانٌ
فِيهِ الْمَدِيحُ وَطَوْفُهَا الْإِحْسَانُ
وَالْعَبْدُ فِيهِ حَمَامَةٌ تَغْرِيدُهَا

ومنه [الكامل]:

خُذْ جُمْلَةَ الْبُلُوَى وَدَعْ تَفْصِيلَهَا مَا فِي الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا إِنْسَانُ
وَإِذَا الْبَيَازِقُ فِي الدُّسُوتِ تَفَرَّزَتْ فَالرَّأْيُ أَنْ يَتَّبِعَ الْفِرْزَانُ
وَمِنْهُ أَيْضاً [الكامل]:

هَلْ لِأَيْرِي مِمَّا عَرَاهُ طَبِيبُ أَمْ لَهُ فِي هَوَى الْمَلَاكِ نَصِيبُ
يَا فِقَاحَ الْمَلَاكِ مَا لِقَضِيْبِي كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَيْهِ عَصِيبُ
إِنَّ جَلْدِي عُمِيرَةٌ قَدْ بَرَانِي فَأَنَا مَغْرَمٌ سَقِيمٌ كَثِيبُ
وَبَأَيْرِي لَا أَيْرِ غَيْرِي غَزَالَ أَنْسُ نَافِرٌ بَعِيدٌ قَرِيبُ
تَحْسُدُ الشَّمْسُ وَجْهَهُ وَيَنَادِي آلَ أَمِنْ مِنْ قَدِّهِ الْقَضِيبُ الرَطِيبُ

وشعره ثلاث مجلدات غالبه سَخَفٌ ومجون أراد يحكي طريقة ابن حجاج ولكن فاته الشُّبُّ، وله «نتائج الفطنة في نظم كليله ودمنة» وله: «كتاب الصادح والباغم» ألفا بيت ادعى في آخره أنه نظم في عشر سنين عمله لسيف الدولة صدقة، وله «كتاب فلك المعاني»، وتوفي قبل سنة أربع وقيل سنة تسع وخمسمائة وهو الصحيح.

٤٦ - «العماد الكاتب» محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله. بفتح الهمزة وضَمَّ اللام وهو العقاب بالعجمي عماد الدين أبو عبد الله بن صفى الدين أبي الفرج بن نفيس الدين أبي الرجاء الكاتب الأصفهاني المعروف بابن أخي العزيز، ولد بأصبهان سنة تسع عشرة وخمسمائة وقدم بغداد وهو ابن عشرين سنة أو نحوها ونزل النظامية وبرع في الفقه على أبي منصور سعيد بن الرزاز وأتقن الخلاف والنحو والأدب وسمع الحديث من أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خَيْرُون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وأبي بكر أحمد بن علي الأشقر وغيرهم، وروى وسمع من السَّلَفِيَّ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ، وكان شافعي المذهب، ولما مهر تعلق بالوزير عون الدين بن هُبَيْرَةَ فَوَلَّاهُ نَظَرَ الْبَصْرَةَ ثم نظر واسط، فلما مات الوزير ضعف أمره فقدم دمشق سنة اثنتين وستين وتعرّف بمُدَبِّرِ الدَّوْلَةِ الْقَاضِي كَمَالِ الدِّينِ الشَّهْرَزُورِيِّ واتصل بطريقه بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين وكان يعرف عمّه العزيز من تكريت فاستخدمه كمال الدين عند السلطان نور الدين الشهيد في الإنشاء فَجَبُنَ أَوَّلًا وَكَانَ يَنْشِئُ بِالْعَجْمِيَّةِ وَتَرَقَّتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ نُورِ الدِّينِ وَجَهَّزَهُ رَسُولًا إِلَى بَغْدَادِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْجِدِ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ تَدْرِيسَ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْعِمَادِيَّةِ بِدِمَشْقَ وَرَتَّبَهُ فِي إشراف الديوان، فلما مات نور الدين وقام ولده ضُويْقُ مِنَ الَّذِينَ حَوَّلَهُ فَسَافَرَ إِلَى الْعِرَاقِ، ولما بلغه وصول صلاح الدين إلى دمشق وأخذها عاد إلى الشام وصلاح الدين على حلب فمدحه ولزم ركابه إلى أن استكتبه ومال إليه وأطلعه على سرّه وكان يضاهي الوزراء، وإذا انقطع الفاضل بمصر لمصالح صلاح الدين

قام مقامه ولم يزل كذلك إلى أن توفي صلاح الدين فاختلفت أحواله ولم يجد في وجهه باباً فلزم بيته وأقبل على التصنيف إلى أن توفي مستهل شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسائة ودُفن بمقابر الصوفية بدمشق، وكان بينه وبين القاضي الفاضل سَنَةً في الوفاة، ولعمري لقد كان ذا قدرة على النظم والنثر أكثر منه وأرى أن شعره ألطف من نثره لأنه أكثر من الجناس فيه وبالغ حتى يعود كلامه كأنه ضرب من الرقي والعزائم وإنما لطف نظمه بالنسبة إلى نثره لأن الوزن كان يضايقه فلا يدعه يتمكن من الجناس، وقد عاب الناسُ ممن له ذوقٌ وفطرةٌ سليمة كثرة التجنيس لأنه دليل التكلف وقالوا كلما قلَّ كان أحسن ورؤي كالطراز في الثوب والخال الواحد في الوجنة [الكامل]:

والخذْ بهجته بخالٍ واحدٍ وتقلُّ فيه بكثرة الخيلان

وَأين مرماه من مرمى القاضي الفاضل، ويا بُعدما بين المتزعين، ويا فرقاً ما بين الطريقين [الكامل]:

إني رأيت البدرَ ثم رأيتها ماذا عليّ إذا عَشِقتُ الأحسنا

وانظر إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة والسلف هل تجد الجناس في ذلك كله إلا أقلَّ من غيبة الرقيب، ووصل الحبيب، ولم أقل هذا غَضاً من قدره، ولا فُضاً لختم سرّه، إذ هو البحر العجاج وفارس الكتابة الذي يفرج بأنابيب أقلامه مضائق العجاج؛ ولكن لما زاد في استعمال الجناس، ضاقت بتردده الأنفاس، وأصبح الكلام من القلوب وحشياً، ومن الأسماع حوشياً، ألا ترى قوله: «فلما أراد الله الساعة التي جلاها لوقتها، والآية التي لا أخت لها فتقول هي أكبر من أختها، أفضت الليلة الماطلة إلى فجرها، ووصلت الدنيا الحامل إلى تمام شهرها، وجاءت بواحدتها الذي تُضافُ إليه الأعداد، ومالكها الذي له الأرض بساط، والسماء خيمة والحُبُك أطناب والجبال أوتاد، والشمس دينار والقطر دراهم والأفلاك خدم والنجوم أولاد»، لما كان هذا خالياً من الجناس عذب في السمع وقعه، واتسع في الإحسان صُقعُه، ورَشَفَه اللَّبُّ مُدَامَةً، وكان عند من له ذوق أطرب من تغريد حمامة، وقوله: «ورد الكتاب الكريم الأشرف الذي كَرَمَ وشَرَفَ، وأسعد وأسعف، وأجنى العزَّ وأقطف، وأوضح الجدَّ وعزَفَ، وقوى العزم وصَرَفَ، وألهج بالحمد وأشغف، وجمع شمل الحُبى وألَفَ، فوقف الخادم عليه وأفاض في شكر فيض فضله المستفيض، وتبلَّج وجهه وجاهته وتآرَجَ نَبَا نباهته، ما عرفه من عوارفه البيض، وأُمِنَتْ بمكارمه المكاره، وزاد في قدر التائه قدره النابه، وافترت مباسم مراسمه عن ثنايا مناجحه، ورفد طلائع صنائعه، فسَرَّ بِمِئْنٍ منائحه»، واستمرَّ على هذا النهج إلى آخره فانظر إلى قلق هذا الترتيب وكل كلامه من هذا النمط وغالب ما يُنشئه إذا تحامل السمع له سقط، ولم يكفه هذا [بل] إنه يكثر من ردِّ العجز على الصدر كقوله: «وسرَّ أوليائه وأولى مسرَّته، وأقدر يده وأيد قدرته، وأزر دولته وأدال مؤازرته، وبسط مكتبته ومكَّن بسطته، وأسعد جدّه وأجدَّ سعادته، وأراد نجاحه وأنجح إرادته، وأجلَّ جيله وسرَّ أسرته، وحاط حماه وحَمَى حوطته، ولا زال معروفه موالياً ومواليه معروفاً، ووصفه حسناً وإحسانه موصوفاً، وإلفه بازاً وبازَه مألوفاً، وعطفه كريماً

وكرمه معطوفاً» وقد اقتصرت على هذا القدر وقلما يخلو كلامه من هذا النوع الغث، والضرب
الرث، وله رسائل التزم في واحدة الدال في كل كلمة والضاد في الأخرى والميم في الأخرى
والشين في أخرى وأشياء من هذا النمط الذي يقذفه السمع ويمجّه، ويقطعه الإنكار ويحتجّه،
وديوانه يدخل في أربع مجلدات كبار ومن نظمه [الرملة]:

وهضيم الكشّح في حُبّي له
كَرُمَ العاشق فيه مثل ما
بقوام علّم الهزّ القنّا
أثراه إذ تثنّى ورنّا
خذه يجرّحه لحظّ الوزّي
ويُريك الخطّ منه دائراً
وكثيب الرمل قد أخجله
ويعجبني قوله في أترجه [الطويل]:

وأترجّة صفراء لم أذر لونها
بحقّ عرّتها صفرة بعد خضرة
ومثله قول الآخر [البسيط]:

أمسيّت أرحّم اترجاً وأحسبّه
عجبت منه فما أدري أضفرّته
ومن هذه المادّة قول الغزّي [البسيط]:

كالشمع يبكي ولا يُدري أعبّرتّه
ويعجبني قوله أيضاً أعني العماد [الخفيف]:

هي كُتّبي فليس تصلح من بَغ
هي إمّا مزاوّد للعقاقير

قال ابن ظافر في «بدائع البداية»: أخبرني الشريف فخر الدين أبو البركات العباس بن محمد
العباسي الحلبي قال: أخبرني القاضي الأجلّ عماد الدين أبو حامد محمد الأصفهاني كاتب الملك
الناصر نور الله ضريحه قال: كنت أعشق بالموصل صبيّاً سراجاً وكان يواصلني فكلمنا استويّت
على عرشه قال لي: اكتم عليّ ولا تنطق بحرف، ويزيد في ذلك فصنعت في بعض الأيام بديهاً
[السريع]:

فديت سراجاً إذا لم يَرُج
يقول لي أركبني ولا تُفْشِه
للوصل عندي أحد راج هو
يريد إلجامي وإسراجه

وكتب إليه النشؤ أحمد بن نفاذة يستدعيه أيام المشمش [الطويل]:

دعا الناس للذات مِشمِشٌ جَلَقَ فقد أسرعوا من كلِّ غرب ومشرق
فقم يا عماد الدين تحظَّ بأكله ولا تثنِ عنه عزيمة السير تُسبِقِ
وقل حين يبدو أحمر اللون مشرقاً ويا حسنه من أحمر اللون مُشرقِ
لأكلك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللتوت ما لم يبقَ مَني وما بقي
فأجاب العماد عن ذلك [الطويل]:

تغنم زمان الجود في اللهو واسبق وفز باجتماع الشمل قبل التفرقِ
هلموا إلينا نحو مشمش جَلَقِ وثم لِمَا نهوى على الأكل نلتقي
تصفّر شوقاً لانتظار قدومنا ومن يتشوّق ذا الفضائل يشتقي
وما رمقت للشوق رُمد عيونه فإن تَترمّئ منه تَنظُر وتَرمُقي
نواظر أحداقٍ لها في حدائق نواضر إن يحدق بها المرء يَحْدَقِ
إذا حضرت أطباقه غاب رشدنا لما نتلاقى من مشوقٍ وشيقِ
لأنّ مذاب الشهد فيه مجسّد أجدلّه عهد الرحيق المعثّقِ
وما اصفرّ إلا خوف أيدي جناته فليس له أَمْنٌ من المتطرّقِ
حكى جراتٍ بالأضى قد تعلّقت فيا عجباً من جمرة المتعلّقِ
كأنّ نجوم الأرض فوق غصونه فيا حيرتا من نجمه المتألّقِ
وحبّاتها محمّرة وجنّاتها فمن يَرها مثلي يحبّ ويعشّقِ
بدّت بين أوراق الغصون كأنّها كُراتٌ نُصارٍ في لُجَيْنٍ مطرّقِ

فلما أنشّدت للسلطان صلاح الدين قال تشبيه الورق باللجين غير موافق فإن الورق أخضر فقال العماد «بالزمرّد محذوق» [الطويل]:

تساقطها أشجارها فكأنّها دنانير في أيدي الصيارف ترتقي

وكتب العماد إليه أيضاً جواباً من أبيات [المنسرح]:

مصوّرٌ بل مدوّرٌ عجبٌ ترى به وهو جامدٌ شُعلا
ففي قلوب الأشجار منه جذى وفي ظهور الغصون منه حُلَى
طلّوا بماء النُّصار ظاهره لباطنٍ في حشاه نارٌ طلا
حُلِيّ تَبَرٍ على عرائس أغص إن تشكّث من قبلها عَطلا
هُمَرٌ حِسانُ الوجوه قد لبست من خُضر أوراقها لها حُللا
عرائسٌ من خُذورِها برزت تحسبُ أشجارها لها كِللا

وَهِيَ كَشْهَبِ السَّمَاءِ رَاجِمَةٌ
عِيُونُهَا الرُّمْدُ فِي تَرْقُبِنَا
وَمِنْ شَعْرِ الْعِمَادِ الْكَاتِبِ [الكامل]:

مَتَلَوْنَ كَمَدَامَعِي مَتَعَفَّفُ
أَنَا فِي الضَّنَى كَالْخَضِرِ مِنْهُ أَشْتَكِي
وَمِنْ شَعْرِهِ يَمْدَحُ الْمُسْتَجِدَّ بِاللَّهِ [الطويل]:

وَمَا كُلُّ شَيْعِرٍ مِثْلَ شَيْعِرِي فِيكُمْ
وَمَا عَزٌّ حَتَّى هَانَ شَيْعُرُ ابْنِ هَانِيٍّ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً [البسيط]:

أَفْدِي الَّذِي خَلَبَتْ قَلْبِي لَوَاحِظُهُ
صِفَاتُ نَاضِرِهِ سَقَمٌ بِلَا أَلَمٍ
مُعَشَّقُ الدَّلِّ مِنْ تِيهِ وَمَنْ صَلَفَ
عَلَى مُحْيَاهِ مِنْ نَارِ الصَّبَى شَعْلُ

ويحكى عنه أنه قال يوماً للفاضل «سر فلا كبا بك الفرس» فأجابه القاضي «دام علاء العمداد»، وهذا الجواب أول مصراع للقاضي ناصح الدين الأرجاني فإن كان الفاضل استحضره فحسن وإن كان اخترعه فأحسن وكلا الكلامين مما يقرأ مقلوباً، واجتمعا يوماً في موكب السلطان وقد انتشر الغبار لكثرة الفرسان بما سدَّ الفضاء فأنشده العمداد في الحال [مرفل الكامل]:

أَمَّا الْغُبَارُ فَلِإِنَّهُ
وَالْجَوَّ مِنْهُ مَظْلَمٌ
يَا دَهْرُ لِي عَبْدُ الرَّحِيمِ
مِمَّا أَثَارَتْهُ السَّنَابِكُ
لَكِنْ أَنْارَ بِهِ السَّنَابِكُ
يَمْ فَلَسْتُ أَخْشَى مَسَّ نَابِكُ

قلت: ليس بين الثالث وما قبله علاقة وإنما الجناس اضطره إلى ذلك، ولما مات الوزير عون الدين اعتقل العمداد في جملة من اعتقل لأنه كان ينوب عنه في نظر واسط فكتب إلى عماد الدين ابن رئيس الرؤساء أستاذ دار «المستجد بالله أمير المؤمنين» [الكامل]:

قُلْ لِلْإِمَامِ عَلَامٌ حَبَسَ وَلِيَّكُمْ
أَوْ لَيْسَ إِذْ حَبَسَ الْغَمَامُ وَلِيَّهِ
أُولُوا جَمِيلَكُمْ جَمِيلٌ وَلَانِهِ
خَلَّى أَبُوكَ سَبِيلَهُ بِدَعَائِهِ

وهذا المعنى في غاية الحسن لأنه أشار إلى قصة العباس في الاستسقاء ودعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس فأمطروا، وكان إذا دخل عليه من يعوده في مرضه ينشد [مجزوء الخفيف]:

أَنَا ضَيْفٌ بِرَبِّعِكُمْ
أَيْنَ أَيْنَ الْمَضْيِفُ

أُنْكِرْتَنِي مَعَارِفِي مَاتَ مَنْ كُنْتُ أَعْرِفُ

قال شمس الدين محمود المروزي: كنت بحضرة القاضي الفاضل رحمه الله وكان العماد الكاتب حاضراً عنده فلما انفصل قال الفاضل للجماعة: بم تشبهون العماد وكان عنده فترة عظيمة وجمود في النظر والكلام فإذا أخذ القلم أتى بالثر والنظم فكلهم شبهه بشيء فقال: ما أصبتم هو كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار، ومن شعر العماد الكاتب [السريع]:

إِقْنَعْ وَلَا تَطْمَعْ فَإِنَّ الْفَتَى كَمَالِهِ فِي عِزَّةِ النَّفْسِ
وإنما ينقص بدر الدجى لأخذه النور من الشمس

ومنه أيضاً [مجزوء الرجز]:

أَبْصَرْنِي مُبْلَبِلًا (و) فِي الْغَرَامِ مُمْتَحِنًا
فَقَالَ مَنْ قَاتِلُهُ قُلْتُ لَهُ قَاتِلُ مَنْ

أخذه من قول الأول وهو مشهور [الرجز]:

قَالَتْ لَتِزِبَ مَعَهَا مُنْكَرَةٌ لَوَقَفْتِي هَذَا الَّذِي نَرَاهُ مَنْ
قَالَتْ فَتَى يَشْكُو الْهَوَى مَتِيماً قَالَتْ بَمَنْ قَالَتْ بَمَنْ

ومنه قول أبي الطيب [الكامل]:

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتْ أَصْفَرَارِي مَنْ بِهِ وَتَنْهَدْتُ فَأَجَبْتُهَا الْمَتْنَهْدُ

ومن شعر العماد [الطويل]:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ نُوْرُخٌ فِيهَا ثَمُّ ثُمْحَى وَثُمْحُوْ
وَلَمْ أَرْ فِي دَهْرِي كَدَائِرَةَ الْمُئْتَى تَوْسَعُهَا الْأَمَالُ وَالْعَمْرُ ضَيْقُ

وصنف «البرق الشامي» وهو مجموع تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه واتصاله بخدمة نور الدين وصلاح الدين وسمّاه بذلك لأنه شبه تلك الأيام لطيبيتها وسرعتها بالبرق وهو في سبع مجلدات و«الفتح القدسي» ويقال إنه لما عرضه على الفاضل قال سمّه «الفتح القسّي في الفتح القدسي»، قلت ولو قال: «الفتح القدسي في الفتح القدسي» لكان أحسن لأن رسول الله ﷺ قال لحسان: «روح القدس ينفث في رُوعك»^(١)، و«نصرة الفترة وعصرة القطرة» تاريخ الدولة السلجوقية و«البرق الشامي» في أخبار صلاح الدين وفتوحه وأحواله وحوادث الشام في أيامه و«كتاب خطفة البارق وعطفة الشارق» وكتاب «عتب الزمان في عقبى الحداث» و«أخبار الملوك السلجوقية» و«نحلة الرحلة وحلية العطلة» و«خريدة القصر وجريدة العصر» و«الذيل عليها ورأيها بخطه» ويقال إنه لما فرغ منها جهّزها إلى القاضي الفاضل في ثمانية أجزاء فلما وقف عليها ما أعجبته وقال أين الآخراّن لأنه قال خَري دَهْ يعني خَري عشرة لأن دَهْ بالعجمي عشرة ومن هنا أخذ ابن سناء

الملك^(١) قوله فيها [السريع]:

خريدة أفيّة من نثنها كأنها من بعض أنفاسه
فَنِضْفُهَا الأوّل في ذقنه ونصفها الآخر في رأسه

ورأيت مكاتبات القاضي الفاضل إليه جزءاً، والعماد رحمه الله طويل الثّقب في رسائله وقصائده، وله ديوان دُوبيت، ولما التقى العمادُ الفاضلَ على حمص مدحه بقصيدة فدخل على صلاح الدين وقال له: غداً تأتيك تراجم الأعاجم وما يحلّها مثل العماد فقال له مالي عنك مندوحة أنت كاتبني ووزيري ورأيت على وجهك البركة فإذا استكتبتُ غيرك تحدّث عنك الناس فقال هذا يحلّ التراجم وربما أغيب أنا فإذا غيبَ قام مقامي وقد عرفت فضله وخدمته لنور الدين فاستخدمه.

٤٧ - «عزالدين بن القيسراني» محمد بن محمد بن خالد. ابن محمد بن نصر بن صغير بن داعر عز الدين أبو حامد المخزومي الحلبي ابن القيسراني الكاتب المشهور، مولده بحلب الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وخمسائة، سمع بحلب من ابن طبرزد وحدث عنه وتقدّم عند الملك الناصر صلاح الدين الصغير وخدمه مدّة وولاه نظر دواوين الشام ووزر له، وكان رئيساً مبعّلاً مقدّماً سليم الصدر دَمَتْ الأخلاق حَسَنَ الظَّنِّ بالفقراء والصلحاء، توفي بدمشق في تاسع عشرين شهر رمضان سنة ست وخمسين وستمائة ودفن بجبل قاسيون.

٤٨ - «ابن ظفر» محمد بن محمد بن محمد بن ظفر. الصقلي حجة الدين أبو عبد الله، أحد الأدباء الفضلاء، وُلِدَ بصقلية ونشأ بمكة واستوطن بحماة وتوفي بها سنة خمس وستين وخمسائة ولم يزل يكابد الفقر إلى أن مات، زوّج ابنته من الضرورة بغير كفؤ فسافر بها وأباعها في البلاد، وكان ابن ظفر قصير القامة ذميم الخلق غير أنه صبيح الوجه جرت بينه وبين الشيخ تاج الدين الكندي مناظرة في النحو واللغة فأورد عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها فقال: الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة فقال تاج الدين الكندي: الأوّل مسلّم والثاني ممنوع، ومن تصانيفه: «سلوان المطاع» صتفه لأحد القواد بصقلية سنة أربع وخمسين وخمسائة و«كتاب أنباء نجباء الأبناء» و«خير البشر بخير البشر» و«الحاشية على درة الغواص» و«شرح المقامات الحريرية» شرحين كبيراً وصغيراً و«كتاب تفسير القرآن» اثنا عشر مجلداً، «كتاب الاشتراك اللغوي والاستنباط المعنوي»، «كتاب ينبوع الحياة»، «أساليب الغاية في أحكام آية»، «الجنة من فرق أهل السنة» في الاعتقاد، «كتاب المعادات» في الاعتقاد أيضاً، «كتاب التشجّين في أصول الدين»، «كتاب معاتبة

(١) هو القاضي هبة الله بن سناء الملك المضري، توفي سنة (٦٠٨هـ).

٤٨ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦٦٠/١ - ٦٦١)، و«معجم الأدباء» لياقوت (١٩ - ٤٨ - ٤٩)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٣٧١/٥ - ٣٧٢)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٥٢/٣)، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (١٨٨/١)، و«بغية الوعاة» للسيوطي، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٠١ - ١٢٦ - ١٧١ - ٧٢٧ - ٧٤١ - ٩٩٨ - ١٧٢٣ - ١٧٨٨ - ٢٠٥٢)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٦٨/١ - ٢٤٤/٢) و«هدية العارفين» للبغدادي (٩٦/٢)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٠/٢٤١ - ٢٤٢).

الجرىء على معاقبة البريء»، «كتاب مُلَح اللغة» فيما اتفق لفظه واختلف معناه على حروف المعجم، «كتاب كشف الكسف في نقض الكتاب المسمى بالكسف» و«الإنباء عن الكتاب المسمى بالإحياء»، «كتاب مالك الأذكار في مسالك الأفكار»، «الحَوْدُ الواقية والعَوْدُ الراقية»، في الوعظ، «كتاب نصائح الذكرى»، «أرجوزة في الفرائض والولاء»، «كتاب إكسير كيمياء التفسير»، «كتاب الإشارة إلى علم العبارة»، «كتاب القواعد والبيان»، «مختصر في النحو»، ومن شعره [الخفيف]:

أَيُّهَا الْمُسْتَجِيشُ مِنْ أَلْسِنِ الْوِ عَاظٍ قَدْ أَسْهَبُوا وَمَا أَيْقَظُوكَا
هَآكَ بَيْتًا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ سَجْعٍ وقريض كانوا به وعظوكَا
لَا تَشَاغَلْ بِالنَّاسِ عَنْ مَلِكِ النَّا سِ فُلُولًا تُغْمَاهُ مَا لِحَظُوكَا
ومنه [المقارب]:

بِبَاءِ الْبَرَاءَةِ عِنْدَ الْغُلُوِّ وسين سروري بالمعرفة
وبالميم من مَرَحِي عِنْدَ مَا تُبَشِّرُنِي آيَةً أَوْ صِفَّةً
أَقْلَ عَبْدَكَ الْمُذْنِبِ الْمُسْتَجِيرِ بعفوك من سوء ما أسلفه
وتصانيفه مليحة، ومن شعره [الطويل]:
حَمَلْتُكَ فِي قَلْبِي فَهَلْ أَنْتَ عَالَمٌ بأنك محمول وأنت مقيم
أَلَا إِنَّ شَخْصًا فِي فَوَادِي مَحَلِّهِ وأشتاقه شخص علي كريم

ورأيت بعضهم يقول ابن ظُفَر بضم الظاء والفاء والأول أشهر والله أعلم.

٤٩ - «الشریف المرتضى ليس أخ الرضي» محمد بن محمد بن زيد بن علي بن موسى بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الشریف أبو الحسن وأبو المعالي ذو الشرفين العلوي الحسيني، وُلِدَ ببغداد وسمع بها من أبي القاسم الخُرقِي وأبي عبد الله المَحَامِلِي والبرقاني وطلحة الكِنَانِي ومحمد بن عيسى الهمداني وابن شاذان وابن بشران وطائفة وتخرج بالخطيب ولازمه وروى الخطيبُ شيخه عنه، ورُزِقَ حُسْنَ التصنيف، وسكن آخر عمره سمرقند، وقدم بغداد وأملى بها، وكان كثير الإيثار يُنفد في كل سنة إلى جماعة من العلماء ألف دينار أو خمسمائة دينار أو أكثر أو أقل ويقول هذه زكاة مالي وكان يملك قريباً من أربعين قرية، قبض عليه ملك سمرقند الخضر خاقان واصطفى أمواله وضياعه فصبر وحمد الله وقيل مُنِعَ من الطعام إلى أن مات جوعاً، قال أبو العباس الجوهري: رأيت السيد المرتضى أبا المعالي بعد موته وهو في الجنة وبين يديه طعام وقيل له ألا تأكل فقال لا حتى يجيء ابني فإنه غداً يجيء فلما انتهت وذلك في رمضان سنة بياض وتسعين وأربعمائة قُتِلَ ابنه أبو الرضا ذلك اليوم، وتوفي المرتضى المذكور سنة ثمانين وأربعمائة، وسيأتي ذكر ولده الأظهر بن محمد بن محمد في حرف الهمزة إن شاء الله تعالى.

٥٠ - «الفرضي البغدادي» محمد بن محمد بن أبي حنيفة. الفرضي البغدادي، نقلت من خط

مستوفى إربل قال: هو مؤدبي ورد إربل ومدح والدي فنقله لتأديبي عليه فأقام بها مدة، وتوجه مع المغيث والقاهر وَلَدَيَّ الملك العادل أبي بكر بن أيوب وركب البحر بالإسكندرية فهبت ريح سوداء مُتَنَّة مرض منها جماعة وكان منهم فمات بالقاهرة سنة اثنتين وستمائة، وَذَكَرَ أنه كان أولاً مع الْفَتَاكَ الشُّطَار^(١) وأنه حُبِسَ مدة سبعة عشر سنة وأنه كتب في الحبس نيفاً وستين مصحفاً وكتب للوزير ابن هُبَيْرَة مصحفاً لطيفاً وقدمه فقال: ينبغي قطع يده لكتابته هذا في هذا القدر وأورد له شعراً كثيراً منه قوله [الرملة]:

إِنَّمَا كَانَ وَلَوْ عِي طَمَعَا وَالرَّدَى لَا شَكَّ عُقْبَى الطَّمَعِ
إِنَّ مِنْ أَسْكَتْهُمْ فِي كَيْدِي وَاَنْطَوْتُ صَوْنًا عَلَيْهِمْ أَضْلَعِي
عَرَفُوا مَوْضِعَهُمْ مِنْ مُهْجَتِي فَأَضَاعُوا بِالتَّجَافِي مَوْضِعِي

٥١ - «صاحب الأربعين الطائفة» محمد بن محمد بن علي بن علي بن محمد. أبو الفتح بن أبي جعفر الطائي الهمداني صاحب «الأربعين الطائفة»، توفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

٥٢ - «القاضي أبو الوفاء الأصبهاني» محمد بن محمد بن أبي الوفاء. القاضي الأصبهاني، ولي القضاء بعسكر مكرم ودرس بالنظامية وكان حَسَنَ السَّيْرَةِ فاضلاً، من شعره [المتقارب]:

إِذَا لَاحَ مِنْ أَرْضِكُمْ بَرْقَةٌ شَمِمْتُ الْوَصَالَ بِإِقْبَالِهَا
وَلَوْ حَلَسَنِي الصَّبَا نَحْوَكُمْ تَعَلَّقَ رُوحِي بِأَذْيَالِهَا

توفي سنة ست وقيل سبع وثلاثين وخمسمائة:

٥٣ - «ابن قزمي» محمد بن محمد بن الحسن. أبو المظفر الخطيب الإسكافي يعرف بابن قَزَمِي بالقاف والزاي وبعدها ميم وياء، قال ابن النجار: هكذا رأيته مقيداً بخط ابن الخشاب، قلت بفتح القاف والزاي والميم المشددة، قال صاحب «أنموذج الأعيان»: هو من أهل القرآن والأدب، له شعر رائق ولفظ مطبوع، كان يؤم بالوزير أبي القاسم علي بن طراد بن محمد الزينبي، من شعره [مجزوء الرمل]:

لِي حَبِيبٌ لَأَنْ عَطْفَا لَيْتَهُ لَوْلَا أَنْ عَطْفَا
إِنَّ قَلْبِي فِي هَوَا فِي حَرِيقٍ لَيْسَ يُطْفَا
مُنِيَّتِي تَقْبِيلَ عَيْنِي وَصَحْنِ الْخَذِّ أَلْفَا
وأورد له ابن النجار [مجزوء الكامل]:

إِنَّ لِي زَوْجَةً سَوَاءً بِخُلَيْقِي مَا كَسْتَنِي
فَإِذَا احْتَجْتُ إِلَيْهَا لِفَرَاشِي مَا كَسْتَنِي

(١) الشُّطَار: منظمة شبه عسكرية تظهر في حال غياب أو تضعف السلطة الشرعية.

٥١ - «بروكلمان» (١/٢٢٣)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/١٨).

وتوفي ابن قَزَمِي سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .

٥٤ - «ابن الخراساني» محمد بن محمد بن الحسين . ابن الخراساني أبو عبد الله من أهل باب المراتب ومن أولاد المحدثين، سمع في صباه من عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وسمع الكثير من أبي السعادات نصر الله بن عبد الرحمن القزّاز ومن بعده من أصحاب أبي القاسم بن الحصين وأبي غالب بن البناء وأبي العزّ بن كاذش وأمثالهم وقرأ بنفسه وكتب بخطه وهو خط حسن، قال ابن النجار: كتب لي كثيراً وتوفي سنة ست وستمائة، قال: رأيت كَأَنِّي في المنام أنشد لنفسي [الخفيف]:

غَزَدْتُ فِي الْأَرَاكِ أَيْكَةَ سَلْعٍ فَوْقَ غُضَنِ سَقِيئِهِ مَاءٌ دَمْعِي
فَاعْتَرَانِي إِلَى الْحَبِيبِ اشْتِيَاقٌ وَتَذَكَّرْتُ مَوْقِفِي بِالرَّبْعِ
يَا عَذُولِي دَغْ عَنْكَ لَوْ مَيَّ فِلَانِي عَنْ مَلَامِ الْعَذُولِ قَدْ صُمِّ سَمْعِي

٥٥ - «ابن النرسي الشاعر» محمد بن محمد بن أبي حرب بن عبد الصمد . أبو الحسن بن النرسي البغدادي الكاتب الشاعر، وُلِدَ سنة أربع وأربعين وتوفي سنة ست وعشرين وستمائة، سمع وروى وله ديوان شعر وله نثر ونوادر سائرة، وكان من ظرفاء بغداد وأقعد الزمان ومسه الفقر وكسدت سوقه، قال ابن النجار: كان ناظراً على عقار الخليفة، ومن شعره [البسيط]:

لَيْتَ الْعَوَاذِلَ لِلْعَذَالِ مَا خُلِقُوا كَمْ عَذَبُوا بِأَلِيمِ اللَّوْمِ مُشْتَاقَا
أَشْجَاهُ نَوْحِ هَامَاتٍ فَصَاغَ لَهَا مِنْ أَسْوَدِ الْعَيْنِ يَوْمَ الْبَيْنِ أَطْوَاقَا
وَبَاتَ يَزْعَى أَحْمَرَارَ النِّجْمِ يَحْسِبُهُ فِي اللَّيْلِ سَقَطَ زِنَادٍ مَسَّ حُرَّاقَا
وَالْأَزْرَقَ اللَّوْنِ كَالْكَبْرِيتِ ذِي شُعْبٍ أَطْرَقَنَّ عِنْدَ اقْتِبَاسٍ مِنْهُ إِطْرَاقَا
وَقَالَ يَرْنِي أَمْرَاتُهُ [الكامل]:

لَمَّا تَعَذَّرَ أَنْ أَكُونَ بِهَا الْفِدَا فَتَعَيْشَ بَعْدِي أَوْ نَمُوتَ جَمِيعَا
أَتَبَعْتُهَا حُلَلَ الشَّبَابِ فَمَا بَقِيَ فَسَوَادُ عَيْنِي قَدْ أَذِيبَ دَمُوعَا

٥٦ - «أخو الرافي» محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل . أبو الفضائل الرافي القزويني نزيل بغداد أخو الإمام العلامة إمام الدين الرافي صاحب «شرح الوجيز» وُلِدَ في حدود الستين وخمسمائة، وسمع من جماعة وولي مُشَارَفَةَ النِّزَامِيَةِ وَأَوْقَافَهَا وَنَقَّذَ رَسُولاً إِلَى بَعْضِ النُّوَاحِي، وكتب الكثير بخطه من الفقه والحديث والتفسير والأدب، وكان ضعيف الخط جداً صدوقاً وله معرفة حسنة بالحديث .

٥٧ - «الوزير القمي» محمد بن محمد بن عبد الكريم بن بَرَز . الوزير مؤيد الدين أبو الحسن القمي البليغ الكاتب، قال ابن النجار: قدم بغداد صحبة الوزير ابن القصاب وكان به خُصِيصاً فلما توفي قدم بغداد وقد سبقت له معرفة بالديوان، وَرُتِّبَ ابْنُ مَهْدِي فِي الْوِزَارَةِ وَنَقَابَةِ الطَّالِبِيْنَ اخْتَصَّ بِهِ أَيْضاً وَكَانَا جَارِئِينَ فِي قُمْ وَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبِ بْنِ زِيَادَةَ كَاتِبَ الْإِنْشَاءِ رُتِّبَ الْقَمِّي مَكَانَهُ

ولم يغيّر هيئة القميص والشربوش على قاعدة العجم ثم ناب أبو الوليد بن أمسينا في الوزارة وعُزل في سنة ست وستمئة فرُدّت النيابة وأمور الديوان إلى القمي ونُقل إلى دار الوزارة، ولما ولي الظاهر الخلافة أقرّه على حاله وكذلك المستنصر قرّبه ورفع قدره وحكّمه في البلاد والعباد ولم يزل في سَعده إلى أن عُزل وسُجن هو وابنه بدار الخلافة، فمات الابن أولاً وأبوه بعده في سنة ثلاثين وستمئة، وكان كاتباً بليغاً فاضلاً كامل المعرفة بالإنشاء يكتب بالعربي والعجمي كيف أراد ويحلّ المترجم المُغلّق وكان حسن الأخلاق مليح الوجه تخافه الملوك وترهبه الجبابرة وله يد باسطة في النحو واللغة ومشاركة في العلوم.

٥٨ - «أبو الخطاب الطبيب» محمد بن محمد بن أبي طالب. أبو الخطاب، قال ابن أبي أصيبعة: مقامه ببغداد قرأ صناعة الطب على أبي الحسن سعيد بن هبة الله، وكان متميزاً في الطب وعمله ورأيت خطّه على كتاب من تصانيفه قد قرئ عليه وهو كثير اللحن يدلّ على أنه لم يستعمل شيئاً من العربية وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسمائة، وله «كتاب الشامل في الطب» جعله على طريق المسألة والجواب في العلم والعمل وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة.

٥٩ - «ذو المناقب» محمد بن محمد بن القسم بن أحمد بن خذيو الأخسيكتي^(١). أبو الوفاء المعروف بذي المناقب أخو الأكبر ذي الفضائل وسيأتي ذكر أخيه أحمد، قال السلفي: كان أديباً فاضلاً عالماً وقوراً بهيئاً صالحاً صائناً عارفاً بالأدب حسن الشعر أكثر شعره في الحكمة وكان يعرف التواريخ وأحوال الرجال وصنّف فيها شيئاً، ومات سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ومن شعره [الكامل]:

مالي وللظلّ المحيل بمنعج	ولذكر مُلْتَفَتِ العَزالِ الأدعج
بيني وبين اللهو منذ عرفته	حَرَجَ العَفيفِ وعَقّة المتهرج
غيري يشقّ على الغيور جواره	ويحول حول البين كالمتولج
جرت القضية بالسوية بيننا	لا صدره حَرَجٌ ولا قلبي شج

٦٠ - «ابن السكون الكاتب الحلبي» محمد بن محمد بن ثابت بن السكون. الكاتب الحلبي، أورد له صاحب «أنموذج الأعيان» قصيدة أنشدها له، أولها [الطويل]:

نَعَمْ هذه أطلال مَيّ دَوارسُ فدمعي لها جارٍ وطرفي ناكِسُ
منها [الطويل]:

٥٨ - «عيون الأنبياء» لابن أبي أصيبعة (٢٥٥/١).

٥٩ - «كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢٨١)، وإيضاح المكنون» للبغداد (٢١٢/١)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٢٥٩/١٢).

(١) الأخسيكتي: نسبة إلى أخسيكت قصبة في ناحية فرغانة.

بنفسي مَنْ هام الفؤادُ بذكرها وناقَسنِي فيها الغُيُورُ المنافِسُ
كَأَنَّ بِفِيهَا قَرْقَفاً وَكَأَنَّهَا حياءُ إِذَا ما غَضَّتِ الطَّرْفَ نَاعِسُ
لَهَا فَاجِمٌ ضَافٍ عَلَى الْحِجْلِ سَابِغٌ وَوَجْهٌ يَضَاهِي الْبَدْرَ لِلْعَقْلِ خَالِسُ

٦١ - «ابن مشق» محمد بن محمد بن المبارك بن محمد بن مَشَق. بفتح الميم وكسر الشين المعجمة المشددة والقاف، أبو نصر ابن المحدث أبي بكر البغدادي، توفي شاباً سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

٦٢ - «الخاتوني البغدادي» محمد بن محمد بن الحسين. أبو المظفر الخاتوني الأصبهاني البغدادي الكاتب أحد الشعراء، سمع وروى، توفي سنة خمس وتسعين وخمسمائة، قال ابن النجار: مِنْ ساكني دار الخلافة كان كاتباً فاضلاً أديباً حسن الأخلاق خدَمَ عِدَّةً من الأمراء ثم نظر في أعمال قوسان وبعدها في دُجَيْل ثم انعزل ولزم بيته، وأورد له من أبيات [المقارب]:

لَقَدْ هَاجَ لِي الْبَيْنُ حَزْناً طَوِيلاً وَحَمَلَنِي الْبَيْنُ عِبْثاً ثَقِيلاً
وَأَذْكُرَنِي الْبَرْقُ سَفْحَ الْغَوِيْزِ وَتِلْكَ الْقَفَارَ وَتِلْكَ الْهُجُولَا
وَمَثَّلَ لِي وَقَفَاتِ الْحَجِيجِ وَجَوْبَ الْقَلَا عَنَقاً أَوْ دَمِيلاً
فَأَذْرَيْتُ دَمْعِي لَعْلَ الدَّمُوعِ تَبُلُّ غَلِيلاً وَتُرَوِّي عَلِيلاً
فَمَا بَلَغْتَ بَعْضَ مَا نَلْتُهُ وَمَا هُوَ أَمْرٌ أَرَاهُ مُنِيلاً
لَأَتِي أَرُومَ شِفَاءِ الْجَوَى وَقَدْ أَوْحَشَ الْبَيْنُ تِلْكَ السَّبِيلاً

٦٣ - «ابن الأنباري الكاتب» محمد بن محمد بن الأنباري. ابن الأنباري أبو الفرج صاحب ديوان الإنشاء ببغداد، ناب في الوزارة وكتب الإنشاء سبعة عشر عاماً وأشهرها، وكان ناقص الفضيلة ظاهر القصور في الترسل وإنما زُوعي لأجل والده سديد الدولة محمد بن عبد الكريم - وسيأتي ذكر سديد الدولة -، توفي محمد المذكور سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

٦٤ - «ابن مواهب الشاعر» محمد بن محمد بن مواهب. أبو العز بن الخراساني البغدادي الشاعر، صاحب «العروض» ومصنّف «النوادر المنسوبة إلى حذّة الخاطر» قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، وله ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً^(١) - قاله العماد الكاتب - ومدح الخلفاء والوزراء وله مصنفات أدبية، وتغيّر ذهنه آخر عمره، وتوفي سنة ست وسبعين وخمس مائة وله اثنان وثمانون سنة، أورد له ابن النجار ما يُكْتَبُ على كمران [مجزوء الرمل]:

أَنَا مُحْسُودٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ عَجِيبٍ

٦٤ - «معجم الأدباء» لياقوت (٤٦/١٩ - ٤٧)، و«وفات الوفيات» للكتبي (١٤٥/٢ - ١٤٦)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٤٠٥/٣)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٣٧٠/٥ - ٣٧١) و«بغية الوعاة» للسيوطي (١٠١ - ١٠٢)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٧٦٥) و«شذرات الذهب» لابن العماد (٢٥٧/٤ - ٢٥٨) و«هدية العارفين» للبغدادي (٩٨/٢)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١٠٠/٢)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٣٠٤/١١).

أنا ما بين قضيب ينثنني فوق كثيب
وقوله [الخفيف]:

أنا راضٍ منكم بأيسر شيء يرتضيه لعاشقٍ معشوقٍ
بسلامٍ على الطريق إذا ما جمعنا بالاتفاق الطريق
وقوله [مخلع البسيط]:

إن شئت أن لا تُعدَّ عُمْراً فخلّ زيدا معاً وعُمْراً
واسْتغن بالله في أمورٍ ما زلن طولَ الزمانِ إُمْراً
ولا تخالف مَدَى الليالي - حتى المماتِ أُمْراً
واقنع بما راج من طعامٍ والبس إذا ما عريتِ طُمْراً

٦٥ - «قوس الندف ابن القلاس» محمد بن محمد بن سعد الله بن القلاس. بالقاف والسين المهملة البغدادي الكرخي الشاعر المعروف بابن ملاوي ويلقب قوس الندف، عاش دهرًا ومدح المستنجد وحكي أنه رجل تائه مُعجب بنفسه وجوده شعره وهو خارج الشكل والمعنى والحديث ذو طبع جافٍ ورُبَّ عافٍ وربما ندر له الجيد من شعره، توفي سنة تسعين وخمسمائة، قال من قصيدة يمدح برهان الدين الواعظ الغزنوي [الكامل]:

يا مُوقظَ العَرَماتِ من سِنَةِ الكَرَى بنواله والباخلونَ نيامٍ
ومبصّرَ الجهلاءِ مَنهَجَ رُشدِهِم من بعد ما اقتحموا الضلالَ وعامُوا
خَلَبَتُهُم منك المواعظُ مثل ما خَلبت فؤادَ العاشِقِ الآرامِ
فهِمُوا بفهمك مغَ بلادة فهمهم ما لا تُحيط ببعضه الأوهامِ

٦٦ - «النجاد المقرئ» محمد بن محمد بن أحمد. أبو طالب النجاد المقرئ بغدادي سافر إلى شيراز واستوطنها إلى حين وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، حَدَّثَ عن أبي القاسم عبد الله البغوي وأبي محمد بن يحيى بن صاعد وأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني وأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نَقَطُوهُ النحوي وغيرهم، وروى عنه يحيى بن أحمد بن جعفر الشرايبي أبو الحسن المحتسب وعبد العزيز بن عبد الله الشيرازي.

٦٧ - «أبو علي بن المسلمة» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن المُسْلِمَة. أبو علي بن أبي جعفر من أولاد المحدثين هو وأبوه وجدّه وجدّ أبيه، وكان أبو علي زاهداً متعبداً له كراماتٌ، سمع جدّه أحمد وهلال بن محمد الحفار وعلي بن محمد بن بشران وأخاه أبا القاسم عبد الملك وأبا علي الحسن بن شاذان وأبا الحسن علي بن أحمد بن عمر الحمامي، وروى عنه

(١) في «مرآة الجنان» لليافعي (٤٠٥/٣): له ديوان شعر في مجلدين.

٦٥ - «بغية الوعاة» للسيوطي (٢٣٥/١ - ٢٣٦).

أبو غالب أحمد بن الحسن بن البتاء وأبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي وأبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام، توفي سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

٦٨ - «ابن الشبلي» محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن الشبلي. القصار أبو بكر بن أبي الغنائم المدير من أهل باب البصرة، سمع أبا علي الحسن بن شاذان وأبا القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الخُرَفي وأبا بكر أحمد بن غالب البرقاني، وروى عنه أبو القاسم بن السمرقندي وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وأبو محمد المبارك بن أحمد بن بركة الكندي، توفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

٦٩ - «ابن الحساس» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الجبّان. أبو عبد الله بن أبي الحسن المعروف بابن اللخاس من أهل الحريم الظاهري، روى شيئاً يسيراً عن عمّه منصور بن أحمد وعن أبي علي بن الشبلي، وروى عنه ولده أبو المعالي.

٧٠ - «ابن المهدي الخطيب» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهدي بالله. أبو عبد الله أخو الشريف أبي الغنائم، كان أحد الخطباء ببغداد، توفي سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

٧١ - «أبو الغنائم بن المهدي» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن المهدي بالله. أبو الغنائم ابن أبي الحسن الشاهد أخو الخطيب المذكور، وخطب بجامع المنصور، وكان من أعيان الشهود، سمع أباه وأبا الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد والقاضي أبا الطيّب الطبري وأبا القاسم عبيد الله بن لؤلؤ الورّاق وأبا محمد الحسن الجوهري وأبا إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، وروى عنه الأئمة والحفاظ من سائر البلاد كأبي نصر الحسن بن محمد اليونازتي وأبي طاهر السلفي وأبي الفضل بن ناصر وأبي المعتمر الأنصاري وأبي القاسم ذاكر الخفاف وأبي طاهر بن المعطوش وهو آخر من حدّث عنه، توفي سنة سبع عشرة وخمسمائة.

٧٢ - «ابن الرسولي الفقيه» محمد بن محمد بن أحمد بن القسم بن الرسولي. أبو السعادات البغدادي، سافر إلى خراسان وجال في البلاد وسكن إسفرايين بأخرة إلى حين وفاته سنة أربع وأربعين وخمسمائة، كان فقيهاً شافعيّاً يتكلم في الخلاف، وله معرفة بالأدب وله النظم، سمع أبا محمد جعفر بن أحمد السراج وأبا القاسم علي بن أحمد بن بيان، وحدّث بنيسابور، روى عنه أبو القاسم ابن عساكر وأبو سعد السمعاني، ومن شعره [البسيط]:

يا سادتي ما سلا قلبي محبتكم	ولست في زمرة السالين معدودا
أيام عمري ما زالت بقربكم	بيضاً فحين نأيتم أصبحت سودا
فقد رثي لي عدوي بعد فرقتكم	وطالما كنت مغبوطاً ومحسودا
دَمَمْتُ عَيْشِي مذ فارقتُ قُربكم	من بعد ما كان مشكوراً ومحمودا

قلت هو شعر فوق المنحط ودون الوسط والثاني أخذه من ابن زيدون حيث يقول [البسيط]:
حالت لفقدكم أيامنا فغدث سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

٧٣ - «أبو الخطاب البطائحي» محمد بن محمد بن أحمد المضري . أبو الخطاب الشاعر من أهل البطائح، قدم بغداد كتب عنه المبارك بن كامل وروى عنه في معجم شيوخه، وروى عنه عبد الرحيم ابن الأخوة، من شعره ما أورده ابن النجار [السريع]:

يا قاتلي ظلماً بلا زلة ما كان أولاك بأن تزحما
جعلت خذي ظالماً في الهوى للدمع أرضاً وجفوني سما
شربت من فيك بلا رقبة كأساً دهاقاً من سلاف اللمى
ولست أزوى من شراب إذا شربته زدت إليه ظما
لا اكتحلت عيناى أن أبصرث غيرك في العالم إلا عمى
وأورد له بسند متصل به قوله [البسيط]:

يا راقد العين عيني فيك ساهرة وفارغ القلب قلبي منك ملائ
إني أرى منك عذب الشجر عذبني وأيقظ الجفن جفنك من سنائ

قلت هذان البيتان في الذروة من النظم والأبيات المتقدمة في الحضيض ومن العجب أنهما تنازعهما الشعراء وتجادبوا هذابهما وأغاروا عليهما فقال ابن التعاويذي من قصيدته المشهورة [البسيط]:

غالٍ من الهم في خلخاله حرج فقلبه فارغ والقلب ملائ
يذكى الجوى بارداً من ريقه شيم ويوقظ الطرف طرف منه وسنائ

وأبو الخطاب متقدم الزمان على ابن الساعاتي لأن ابن النجار روى شعره عن ثلاثة عنه وروى شعر ابن التعاويذي عن واحد عنه، أنشدني الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى من لفظه قال أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازي قصيدته التي أولها [البسيط]:

دمي بأطلال ذات الخالٍ مطلول وجيش صبري مهزوم ومفلول
منها [البسيط]:

يا راقد العين عيني فيك ساهرة وفارغ القلب قلبي منك مشغول
فغير القافية لا غير.

٧٤ - «الهام المرتب الحروي» محمد بن محمد بن أحمد . الحزبي المعروف بالهام مرتب المدرسة النظامية، روى عنه ابن النجار قوله في مثاقف [المنسرح]:

قد سل سيف الثقاف منتضياً من بعده مرهفاً من النظر
مثاقف من سيوف مقلته قد أصبحت مهجتي على خطر
ما هم في شد عقد مثزره إلا وقد حل عقد مصطبري

يكاد في حفي مَن يثاقفه
كأَتما تُزسُهُ لُمُبَصِرِهِ
بالسيف يُحصي مَغَارِزَ الشَّعْرِ
في وجهه غِيَمَةٌ عَلَى قَمَرٍ
توفي الهمام المرتب سنة عشرة وستمائة وكان شاباً.

٧٥ - «ابن لنكك» محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك. بكافين بعد النون واللام، أبو الحسين من أهل البصرة، كان من النحاة الفضلاء والأدباء النبلاء، روى قصيدة دعلب التائية التي مدح بها أهل البيت وأولها [الطويل]:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ عَلِمَ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ^(١)
رواها عنه أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي المعروف بِجُحْجُجْ، ولما قدم بغداد روى عنه العلماء بها، ومن شعره [الوافر]:

زَمَانٌ قَدْ تَفَرَّغَ لِلْفُضُولِ
إِذَا أَحْبَبْتُمْ فِيهِ ارْتِفَاعاً
فَسَوَّدَ كُلَّ ذِي حُمُقٍ جَهُولِ
فَكُونُوا جَاهِلِينَ بِلا عَقُولِ
ومنه [الوافر]:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلَّهُمُ الزَّمَانَا
نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا
وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا^(٢)
ذَنَابٌ كُلُّنَا فِي خَلْقِ نَاسٍ
لَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ إِذَا هَجَانَا
يَعَافُ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ
فَسَبْحَانَ الَّذِي فِيهِ بَرَانَا
ويأكل بعضنا بعضاً عِيَانَا
قلت شعر متوسط.

٧٦ - «الشعباني» محمد بن محمد بن جمهور. أبو الحسن الشعباني، أديب شاعر، مدح الإمام القادر بالله^(٣)، وروى عن أبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي شيئاً من تصانيفه، روى عنه أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران الواسطي، ومن شعره قصيدة مدح بها القادر [الطويل]:

إِلَيْكَ انْتَهَى مَجْدُ الْخِلَافَةِ وَالْفَخْرِ
بِمَفْرِقِكَ التَّاجُ اسْتَطَالَ تَرْقِعاً
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَشْرَفْ لِمَمْلَكَةٍ قَدْرُ
وَذَلَّتْ لَكَ الْأَيَّامُ فَهِيَ خَوَاضِعُ
وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي تَرْقِعِهِ خَطَرُ
تَدِينُ لَيْيَالِيهِ لِأَمْرِكَ طَاعَةٌ
وَأَضْبَحَ^(٢) مُنْقَاداً لِسُطُوتِكَ الدَّهْرُ
لَكَ الشَّرَفُ الْمَلْحُوظُ فِي سَابِقِ الدُّرَى
فَلَوْ تَجْتَوِي يَوْماً لَمَا ضَمَّهُ شَهْرُ
فَمَنْ رَامَهُ أَرَادَهُ مَسْلُوكَهُ الْوَعْرُ

٧٥ - «بغية الوعاة» للسيوطي (١/٢١٩ - ٢٢٠).

(١) موجودة في ترجمته في «معجم الأدباء».

(٢) للإمام الشافعي رحمه الله أبيات تقارب هذه الأبيات.

(٣) هو الإمام القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد، كثير الصدقات متهجداً ديناً، =

يَخَافُكَ مَنْ إِسْكَندَرِيَّةُ دَارُهُ وَأَنْدَلُسُ الْقُصُوى وَمَنْ ضَمَّهُ مُضَرُّ
فَمَا مِنْهُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْكَ بِقَلْبِهِ بَلَابِلُ لَا يَخْبُو لِجَاحِمِهَا جَمْرُ
وَأَنْتَ إِمَامُ الْحَقِّ تَدْعُو إِلَى الْهُدَى فَمَا لِمَرِيٍّ عَنْكَ انْثَنَى حَائِداً عُذْرُ
فَطَاعَتُكَ الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَعَصِيَانُكَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَالْكَفْرُ

٧٧ - «ابن الجنيْد الأصْبَهَانِي» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْجَنِيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْجَنِيْدِ . أَبُو مُسْلِمٍ
بْنِ أَبِي الْفَتْوحِ مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ وَالِدِ أَبِي الْفَتْوحِ مُحَمَّدٍ ، قَدِمَ بَغْدَادَ حَاجِباً فِي شِبَاهِ سَنَةِ عِشْرِينَ
وخمسمائة مع خاله أَبِي غَانِمٍ بِنِ زَيْنَةَ وَسَمِعَ بِهَا مِنْ شُيُوخِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَحَدَّثَ بِهَا وَلَهُ نَيْفٌ
وعشرون سنة عن أَبِي سَعْدٍ مُحَمَّدٍ بِنِ مُحَمَّدٍ بِنِ مُحَمَّدٍ الْمَطْرُزِ وَأَبِي الْفَتْحِ أَحْمَدَ بِنِ مُحَمَّدٍ
الْحَدَّادِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ أَحْمَدَ بِنِ نَجْوَكِهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَكُتِبَ عَنْهُ أَبُو بَكْرُ الْمُبَارَكُ
بِنِ كَامِلِ الْخَفَّافِ وَعَاشَ هَذَا بَعْدَ هَذَا التَّارِيخِ سِتِينَ سَنَةً وَحَدَّثَ بِالْكَثِيرِ بِأَصْبَهَانَ وَكُتِبَ النَّاسُ
عَنْهُ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَخمسمائة .

٧٨ - «الدِّينَارِيُّ النَّحْوِيُّ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ الدِّينَارِيِّ . أَبُو الْفَتْحِ النَّحْوِيُّ ، ذَكَرَ
مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْمُقَدِّسِيِّ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ دِينَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الرَّائِي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، سَمِعَ كَثِيراً وَقَرَأَ
بِالرَّوَايَاتِ السَّيِّعِ وَعَرَفَ الْأَدَبَ وَحَدَّثَ بِالْأَخْبَارِ الْمُوَفِّقَاتِ لِلزَّيْبِ بِنِ بَكَّارٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَاتِبِ
سَمِعَهَا مِنْهُ عَيْسَى بْنُ أَبِي عَيْسَى الْقَاسِي وَكُتِبَ عَنْهُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بِنِ الصَّقْرِ الذَّهْلِيِّ ، وَالْخَطِيبِ
أَبُو بَكْرٍ عَلَّقَ عَنْهُ شَيْئاً فِي الْمَذَاكِرَةِ ، تُوفِيَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعَمِائَةٍ .

٧٩ - «ابن حُسَيْنُ الْفَارِسِيُّ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ الْحُسَيْنِ بِنِ حُسَيْنُكُوهِ بِنِ مَرْدُوهِ
بِنِ هَنْدُوهِ الْفَارِسِيِّ . أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِنِ أَبِي نَصْرٍ مِنْ أَهْلِ فَارَسٍ ، سَمِعَ بِكَارِزُونَ أَبَا الْفَتْحِ عَبْدِ السَّلَامِ بِنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَاكِمِ بِهَا وَبَارْجَانَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ أَحْمَدَ بِنِ بَلْخِ الْأَرْجَانِيِّ
وَبِأَصْبَهَانَ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بِنِ الْحَسَنِ بِنِ مَاجَةِ الْأَبْهَرِيِّ ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ شَاباً وَاسْتَوطنَهَا إِلَى
حِينَ وَفَاتِهِ سَنَةَ سَبْعٍ وَخمسمائة ، وَتَفَقَّهَ عَلَى أَبِي إِسْحَاقَ الشِّيرَازِيِّ وَسَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ مِنْ أَبِي
الْحُسَيْنِ بِنِ الثَّقُوفِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الصَّرِيفِيِّ وَأَبِي الْقَاسِمِ عَلِيِّ الْبُشَيْرِيِّ وَخَلَقَ غَيْرَهُمْ وَلَهُ
تَأْلِيفٌ وَمَجْمُوعَاتٌ وَتَخَارِيجٌ ، وَكَانَ فَقِيْهاً فَاضِلاً ، رَوَى عَنْهُ أَبُو عَامِرٍ الْعَبْدَرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ
وَأَبُو مَعْمَرٍ الْأَنْصَارِيُّ وَأَبُو طَالِبٍ بِنِ خُضَيْرٍ .

٨٠ - «أَبُو مَنْصُورِ بِنِ الْمَعْوُجِ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ الْحُسَيْنِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ السَّكَنِ . أَبُو مَنْصُورٍ
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمَعْوُجِ وَيُلَقَّبُ بِزَعِيمِ الْكُفَاةِ كَانَ حَاجِباً بِالْديوانِ مَدَّةً ثُمَّ وَلِيَ حِجْبَةَ بَابِ النُّوبِيِّ فِي
أَيَّامِ الْمُقْتَدِيِّ^(١) وَقُلَّدَ الْمِظَالِمَ وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ وَالشَّرْطَةَ وَبَرَزَ خَطُّ الْخَلِيفَةِ بِتَقْلِيدِهِ ذَلِكَ وَصُورَتُهُ :
«وَلَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا اجْتَمَعَ فِي مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ مِنَ الْعَفَافِ وَالدِّينَانَةِ وَالثِّقَةِ
وَالصِّيَانَةِ قُلَّدَهُ الْمِظَالِمَ وَقَدْ أَخَذَ عَلَيْهِ تَقْوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَطَاعَتَهُ وَالسَّعْيَ فِي كُلِّ مَا يُزَلِّفُهُ عِنْدَهُ

= صَنَّفَ كِتَاباً فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ وَتَكْفِيرِ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْقَاتِلِينَ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ .

٧٨ - «بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ» لِلْسَّيُوطِيِّ (١/٢٢١) .

وَيُحْظِيهِ وَيَقْرَبُهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُدْنِيهِ» وَكَانَ أَبُو مَنْصُورٍ يَقْضَى حَازِماً وَفِيهِ شَجَاعَةٌ وَقُوَّةُ نَفْسٍ وَلَهُ رَغْبَةٌ فِي حَسَنِ الذِّكْرِ، تَوَفِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِمِائَةٍ.

٨١ - «أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْقَلْعِيِّ الْكَاتِبِ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَوَانِيِّ. أَبُو الْحَسَنِ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَلْعِيِّ، سَمِعَ أَبَا الْغَنَائِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَأْمُونِ وَأَبَا عَلِيٍّ بْنِ الشَّيْلِ الشَّاعِرَ، وَكَتَبَ عَنْهُ أَبُو طَاهِرِ السَّلْفِيِّ، وَرَوَى عَنْهُ سَعْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الدَّقَاقِ، وَتَوَفِيَ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَخَمْسِمِائَةٍ.

٨٢ - «أَبُو الْحُسَيْنِ ابْنِ أَبِي يَعْلَى الْحَنْبَلِيِّ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ بْنِ الْفَرَاءِ. أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْقَاضِي أَبِي يَعْلَى الْفَقِيهِ الْحَنْبَلِيِّ، صَنَّفَ فِي الْأَصُولِينَ وَالْخِلَافِ وَالْمَذْهَبِ وَطَبَقَاتِ الْحَنْبَالَةِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ فِي صِبَاهٍ عِنْدَ وَالِدِهِ وَجَدِّهِ لِأَمِّهِ جَابِرِ بْنِ يَاسِينَ وَأَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ وَعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَأْمُونِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الصَّرَفِيْنِي وَمُحَمَّدِ بْنِ وَشَّاحِ الزَّيْنَبِيِّ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْأَنْبُوشِيِّ وَأَبِي الْحُسَيْنِ ابْنِ النُّقُورِ وَجَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ، وَحَدَّثَ بِأَكْثَرِ مَسْمُوعَاتِهِ وَمَجْمُوعَاتِهِ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقاً، رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ وَأَبُو عَامِرٍ الْعَبْدَرِيُّ وَابْنُ أَخِيهِ أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرُونَ، وَلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَتَوَفِيَ سَنَةَ سِتٍّ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

٨٣ - «أَبُو خَازِمِ بْنِ أَبِي يَعْلَى الْحَنْبَلِيِّ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ بْنِ الْفَرَاءِ. أَبُو خَازِمِ بْنُ أَبِي يَعْلَى الْحَنْبَلِيِّ أَخُو أَبِي الْحُسَيْنِ الْمَذْكُورِ أَنْفَاءً كَانَ أَصْغَرَ سَنَاءً، دَرَسَ الْفَقْهَ عَلَى أَبِي عَلِيٍّ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبَرْزِيَانِي تَلْمِيزاً وَالدَّامَغَانِي، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ فِي صِبَاهٍ مِنْ ابْنِ الْخِلَافِ، وَصَنَّفَ «التَّبَصُّرَةَ فِي الْخِلَافِ» وَ«رُؤُوسَ الْمَسَائِلِ» وَ«شَرْحَ كِتَابِ الْخُرْقِيِّ» وَشَهِدَ مَعَ أَخِيهِ أَبِي الْحُسَيْنِ عِنْدَ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الدَّامَغَانِي، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ فِي صِبَاهٍ مِنْ ابْنِ النُّقُورِ وَجَدِّهِ لِأَمِّهِ جَابِرِ بْنِ يَاسِينَ وَأَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْمُسْلِمَةِ وَأَبِي الْغَنَائِمِ بْنِ الْمَأْمُونِ وَحَدَّثَ بِالْيَسِيرِ، وَرَوَى عَنْهُ أَوْلَادُهُ أَبُو يَعْلَى مُحَمَّدٌ وَأَبُو الْفَرَجِ عَلِيٌّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ، وَأَبُو الْمَعْمَرِ الْأَنْصَارِيُّ وَابْنُ نَاصِرٍ وَأَبُو النُّجْمِ الْبَاهَاوَرْدِيُّ وَابْنُ بُوْشٍ، وَكَانَ زَاهِداً وَرِعاً نَاسِكاً صَدُوقاً أَمِيناً، تَوَفِيَ سَنَةَ سَبْعٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

٨٤ - «أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنِ خَمِيسٍ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ خَمِيسٍ. أَبُو الْبَرَكَاتِ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصَلِ مِنْ بَيْتٍ مَشْهُورٍ بِالْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ، قَدَّمَ بَغْدَادَ وَحَدَّثَ بِهَا عَنْ أَبِي نَصْرِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِي بْنِ طُوقِ الْمَوْصِلِيِّ، سَمِعَ مِنْهُ أَبُو الْحُسَيْنِ هَبَةَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الدَّمَشَقِيِّ وَأَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّهْرَزُورِيِّ وَرَوَا عَنْهُ، تَوَفِيَ سَنَةَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

٨٥ - «زَيْنُ الْأَثَمَةِ الْحَنْفِيِّ الضَّرِيرِ» مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ صَالِحٍ. أَبُو الْفَضْلِ الضَّرِيرُ الْحَنْفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِزَيْنِ الْأَثَمَةِ، كَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْفَقْهِ، وَنَازِلٌ فِي التَّدْرِيسِ عَنْ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبِي

(١) حَكَمَ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ الْعَبَّاسِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الذَّخِيرَةَ بْنِ الْقَاسِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ (٤٦٧ - ٤٨٧هـ).

٨٣ - «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ» لِابْنِ الْعِمَادِ (٨٢/٤)، وَ«إِيضَاحُ الْمَكُونِ» لِلْبَغْدَادِيِّ (٤٤٨/٢ - ٤٤٩)، وَ«هُدْيَةُ الْعَارِفِينَ» لِلْبَغْدَادِيِّ (٨٦/٢).

القاسم الزينبي بمشهد أبي حنيفة ثم درّس بالمدرسة الغياثية، سمع أبا الفضل أحمد بن خيرون وأبا طاهر أحمد الكرجي وأبا علي أحمد البرداني الحافظ وغيرهم، وسمع منه أبو محمد ابن الخشاب وأبو بكر الخفاف، وتوفي سنة ست وأربعين وخمسمائة.

٨٦ - «ابن بطة والد عبيد الله» محمد بن محمد بن حمدان بن بطة بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة بن فرقد. صاحب رسول الله ﷺ أبو بكر العكبري والد عبيد الله الفقيه صاحب المصنفات، حدّث عن عبد الله بن الوليد بن جرير وغيره، وروى عنه ولده في مصنفاته.

٨٧ - «ابن أبي المليح الواعظ» محمد بن محمد بن خطاب بن عبد الله بن أبي المليح. أبو عبد الله الواعظ من أهل الحربية، سمع الكثير وطلب بنفسه وكتب وحصل، وكان فاضلاً يعظ الناس على الأعداء إلا أنه كان كذاباً ظهر عليه أشياء أنكرها أصحاب الحديث قال ابن النجار: رأيتهم مُجمعين على تركه ولم يرضه شيخنا ابن الأخضر، توفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

٨٨ - «الدباس» محمد بن محمد بن سفيان. الدباس أبو طاهر الفقيه إمام أهل الرأي بالعراق بغداد، درس الفقه على القاضي أبي خازم صاحب بكر العمي، قال ابن النجار: وكان من أهل السنة والجماعة صحيح المعتقد تخرّج به جماعة من الأئمة، قال بعض العلماء: ترك التدريس آخر عمره وجاور بمكة وفرغ نفسه للعبادة إلى أن أتاه أجله.

٨٩ - «ابن عباد المقرئ» محمد بن محمد بن عباد. أبو عبد الله المقرئ النحوي، قرأ على أبي سعيد السيرافي وجمع كتاباً في الوقف والابتداء وحدّث به، سمعه منه أحمد بن الفرج بن منصور بن محمد بن الحجاج بن هارون، توفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

٩٠ - «ابن الغزال المقرئ» محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله. الغزال أبو جعفر بن أبي بكر المقرئ من أهل أصبهان، سمع الكثير في صباه وقرأ القرآن بالروايات وصحب العلماء والصالحين وانقطع في بيته لا يخرج إلا لجمعة أو جماعة وتفتح بما يدخل له من ملكه، قدم بغداد وهو شاب حاجاً وحدّث بها، قال ابن النجار وسمعنا منه وكان صدوقاً وكان أجلّ عباد الله الصالحين، توفي بأصبهان سنة عشرين وستمائة.

٩١ - «أبو رشيد بن الغزال» محمد بن محمد بن عبد الله بن الغزال. أخو المذكور، سمع في صباه كثيراً ثم طلب بنفسه وجدّ واجتهد وسمع وقرأ شيئاً كثيراً على أصحاب أبي علي الحدّاد وأبي منصور بن الصيرفي وغانم البرجي وأبي عبد الله الدقاق وأمثالهم، وكتب بخطه وحصل الأصول، وقدم بغداد وحجّ، قال ابن النجار: وسمع من مشايخنا وكان يكتي أبا رشيد، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

٩٢ - «أبو بكر بن كوتاه» محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الواحد. أبو بكر المعروف بابن كوتاه من أصبهان، من أولاد المحدثين والحفاظ وكلهم محدّثون فضلاء ثقات، سمع الكثير من جدّه وأبي الوقت السجزي وجماعة، وسمع منه ابن النجار وكتبه مليحة الأصول، وكان ثقة،

توفي سنة اثنتي عشرة وستمائة.

٩٣ - «الشريف الإدريسي» محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بي عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. الشريف الإدريسي، مؤلف كتاب رُجَار^(١) وهو «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وسوف يأتي ذِكْرُ والده في ترجمة جدّه إدريس بن يحيى وَذِكْرُ جماعةٍ من بيته كلّ منهم في مكانه، نشأ محمد هذا في أصحاب رُجَار الفرنجي صاحب صقلية، وكان أديباً ظريفاً شاعراً مغرّباً بعلم جغرافيا، صنّف لرجار الكتاب المذكور وفي ترجمة رجار في حرف الراء شيء من ذكر هذا الكتاب وسبب تصنيفه، ومن شعر محمد هذا: [المجتث]

دَغْنِي أَجْلٌ مَا بَدَتْ لِي سَفِينَةٌ أَوْ مَطِيَّةٌ
لَا بَدَّ يَقْطَعُ سَيْرِي أَمْنِيَّةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ
ومنه [مجزوء الرمل]:

لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ قَبْرِي ضَاعَ فِي الْغُرْبَةِ عُفْرِي
لَمْ أَدْعُ لِلْعَيْنِ مَا تَشْ تَأَقَّ فِي بَرٍّ وَبَخْرٍ
وَحَبَزْتُ النَّاسَ وَالْأَزْ ضَلَّ لَدَى خَيْرٍ وَشَرٍّ
لَمْ أَجِدْ جَاراً وَلَا دَا رَأَى كَمَا فِي طَيِّ صَدْرِي
فَكَأَنِّي لَمْ أَسِرْ لَا بِمَنِيَّةٍ أَوْ بِقَفْرِ
ومنه [الخفيف]:

إِنَّ عَيْباً عَلَى الْمَشَارِقِ أَنْ أَر جَعَّ عَنْهَا إِلَى ذِيُولِ الْمَغَارِبِ
وَعَجِيبٌ يَضِيعُ فِيهَا غَرِيبٌ بَعْدَ مَا جَاءَ فِكْرُهُ بِالْغَرَائِبِ
وَيُقَاسِي الظُّمَاءَ خِلَالِ أَنْاسٍ قَسَمُوا بَيْنَهُمْ هُدَايَا السَّحَابِ
ومنه [الطويل]:

وَمِنْ قَبْلِ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَدَمِ الْمُئْتَى سَعَى قَلَمِي فِي الْمَدْحِ سَعِياً عَلَى الرَّأْسِ
ومنه [المتقارب]:

وَلَيْلٍ كَصَدْرِ أَخِي غَمَّةٍ قَطَعْنَاهُ حَتَّى بَلَغْنَا النِّجَاحَ

٩٣ - «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٩٤٧)، و«المجددون في الإسلام» للصعيد (٢٢٩ - ٢٣١)، و«الأعلام» للزركلي (٢٥٠/٧ - ٢٥١، ١٠/٢٢٤)، و«الشريف الإدريسي» لعبد الله كنون، و«هدية العارفين» للبغدادي (٩٤/٢ - ٩٥)، و«معجم المؤلفين» لكثالة (٢٣٦/١١ - ٢٣٧).

(١) رجار: ملك صقلية النورماندي، عاش الإدريسي في بلاطه وكتب له «نزهة المشتاق» توفي سنة (٥٥١ هـ). انظر: «الكامل» لابن الأثير (١١٣/٧ - ١١٤).

وبدر السماء بدا في النجوم كما لاح في الناس بدر السماح
قلت شعرٌ جيدٌ.

٩٤ - «أبو الفتح بن الخشاب» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن أحمد بن حمدان بن فضالة التغلبي. أبو الفتح الكاتب المعروف بابن الخشاب أحد الكتاب الفضلاء، قدم بغداد مراراً وروى بها، قال أبو سعد السمعاني: أنشدني لنفسه [المتقارب]:

أراك أَتَخَذْتُ سِوَاكَ أَرَاكَ لَكَيْمًا أَرَاكَ وَأَنْسَى سِوَاكَ
سِوَاكَ فَمَا أَشْتَهِي أَنْ أَرَى فَهَبْ لِي رُضَابًا وَهَبْ لِي سِوَاكَ
قلت من ههنا أخذ القائل قوله [الخفيف]:
مَا أُرِدْتُ الْأَرَاكَ إِلَّا لِأَتِي إِنْ ذَكَرْتَ الْأَرَاكَ قُلْتُ أَرَاكَ
وَهَجَرْتُ السِّوَاكَ إِلَّا لِأَتِي إِنْ ذَكَرْتَ السِّوَاكَ قُلْتُ سِوَاكَ

وكان حسن الخطّ والعبارة والترسل وله حظٌّ وافر من العربية واللغة غير أنه كان منهمكاً على الشرب مع كبر سنّه، وكان يُضرب به المثل في الكذب ووضع المُحالات وحكايات المستحيلات بين أصحاب الديوان مشهور بذلك، وللغزّي فيه أشعارٌ منها قوله [البسيط]:

أَوْصَى بِأَنْ يَنْجَحَ الْأَخْشَابُ وَالْدُّهُ فَلَمْ يَطْقُهَا وَأَضْحَى يَنْحَتِ الْكَذِبَا
توفي سنة أربعين وخمسمائة.

٩٥ - «الخطيب الكشميهني» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة. الخطيب الكُشْمِيهْنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ مَرُو، سَمِعَ أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ النَّمْلَانِيَّ وَأَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مَنْصُورِ السَّمْعَانِيَّ وَجَمَاعَةً كَثِيرَةً، وَحَدَّثَ بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ بِمَجْلِسِ الْوَزِيرِ عَوْنِ الدِّينِ بْنِ هَبِيرَةَ، وَحَدَّثَ بِحَلَبَ، وَمَاتَ بِمَرُو سَنَةَ ثَمَانٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ، وَكُتِبَ عَنْهُ ابْنُ النُّجَّارِ.

٩٦ - «أبو علي الخطيب بن المهدي» محمد بن محمد بن عبد العزيز بن العباس بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن المهدي بالله. أبو علي بن أبي الفضل الخطيب، أسمعُه والده في صباه الكثيرَ وعُمَرَ حَتَّى حَدَّثَ بِالْكَثِيرِ، وَرَوَى عَنْهُ الْحُقَاطُ وَالْكَبَارُ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ، وَتُوفِيَ سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ وَخَمْسِمِائَةَ.

٩٧ - «أبو البركات بن الطوسي» محمد بن محمد بن عبد القاهر بن هشام. ابن الطوسي أبو البركات، أخو أبي نصر أحمد، قرأ الفقه على أبي إسحاق الشيرازي وسمع الحديث من أبي الحسين بن النقور وأبي بكر محمد الناصحي النيسابوري وغيرهما، وانتقل إلى الموصل من بغداد وكان يتردد إليها وحدث، روى عنه أبو المعمر المبارك الأنصاري وإبراهيم بن علي الفقيه الشافعي الفراء وأبو القاسم ابن بوش، وبينه وبين الأبيوردي مكاتبات، توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة.

٩٨ - «ابن الضجة المقرئ الشافعي» محمد بن محمد بن عبد كان. أبو المحاسن المقرئ

المعروف بابن الضجة كان شافعي المذهب أشعرياً، صنف كتاباً في الأصول سماه «نور الحجة وإيضاح المحجة»، قرأ القرآن على أبي الخير المبارك الغسال وغيره، قال ابن النجار: سألت عنه ابن أبي الفنون النحوي فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفضل، وتوفي سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة.

٩٩ - «ابن الصباغ أخو الفقيه» محمد بن محمد بن عبد الواحد. ابن الصباغ أبو طالب بن أبي طاهر بن أبي أحمد، أخو أبي نصر عبد السيد الفقيه صاحب «الشامل في الفقه»، حدث باليسير عن أبي القاسم بن بشران، روى عنه إسماعيل بن أحمد بن السمرقندي، توفي سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

١٠٠ - «ابن الصباغ» محمد بن محمد بن عبد الواحد. ابن الصباغ أبو غالب بن أبي جعفر، كان من بيت العدالة والقضاء والفقه والحديث، ارتضى قاضي القضاة محمد بن جعفر العباسي على كتاب باطل أثبته وقال لأحمد بن البندنجي اكتب عليه غورض بأصله - ولم يكن له أصل - فقد رأيت أصله فركن إليه وكتب عليه وأتي بالكتاب إلى ابن الصباغ هذا فلما رأى خط البندنجي ركن إليه وكتب فلما ظهرت الحال عزل القاضي وأشهر الشاهدان على جملين بحريم دار الخلافة مكشوفتي الرأس، سمع أبو غالب من أبي بكر بن الزاغوني وأبي الوقت السجزي وغيرهم، وكتب عنه ابن النجار، وتوفي سنة خمس عشرة وستمائة.

١٠١ - محمد بن محمد بن عبد الوهاب بن علي بن علي بن عبيد الله. الأمي، ن أبو عبد الله ابن أبي منصور، قال ابن النجار: إن شيخنا المعروف بابن سكينه توفي والده وهو صغير وكفله جده ورياه، حفظ القرآن والتنبه وأتقنه وقرأ الأدب وسمع الحديث الكثير من جده، وكان والده أسمعته من ابن كليب وأخذ له إجازة من ابن شاتيل وأبي السعادات بن زريق، وناب عن ابن المجير وكيل الإمام الناصر وعلمت مرتبته وارتفع مقداره ولما ولي المستنصر^(١) رفع منزلته ثم إنه استعفى من الخدمة فأجيب وانقطع يُديم الصيام ويكثر القيام ويتلو القرآن، توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

١٠٢ - «ابن الشخير الصيرفي» محمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن الفتح بن عبيد الله بن يزيد بن عبد الله بن الشخير الصيرفي. أبو الطيب بن أبي بكر الشاعر، له قصيدة طويلة سماها ذات الهدى نقض بها قصيدة ابن بسام رواها عنه أبو القاسم علي بن المحسن الدقاق، من شعره [الطويل]:

رفعتُ إلى مولاي في الحب قصتي	وقلت له أنظر لضعفي في أمري
فوقع لي يُغفَى من الصد في الهوى	ويُخرَج حال القلب هل هم بالغدر
فجئتُ إلى ديوان وجدي أديره	على الهم والأحزان والشوق والذكر
فكل عليه علموا أنني به	أسير هوى ما أستفيق إلى الحشر

وَعُدْتُ إِلَيْهِ بِالْكِتَابِ فَقَالَ لِي أَلَا قَرَّ عَيْنًا قَدْ سَلِمْتَ مِنَ الْهَجْرِ

١٠٣ - «ابن الوزير ابن مقلة» محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن مُقَلَّة. أبو الحسن بن الوزير أبي علي، حَدَّثَ بالديار المصرية عن والده وعن أبي بكر بن دُرَيْد وأبي الحسن أحمد جَحْظَةَ^(١)، وروى عنه أبو زكرياء بن مالك الطرطوشي والقاضي أبو الحسن علي الدينوري.

١٠٤ - محمد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب. أبو تمام ابن أبي الحسن هو أحد الإخوة الخمسة أبي منصور محمد، وأبي نصر محمد، وأبي الفوارس طراد، وأبي طالب الحسين وكان الأكبر ويعرف بالأفضل، ولي النقابة على الهاشميين بعد وفاة أبيه^(٢) سمع في صباه من أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح وأبي طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص، قال ابن النجار: وما أظنه روى شيئاً، وتوفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة.

١٠٥ - «أبو المعالي الهيتي» محمد بن محمد بن علي بن الفارسي. أبو المعالي الهيتي، شاعرٌ اجتدى بالشعر، كتب عنه أبو طاهر السلفي ببغداد وبالجلَّة سنة سبع وتسعين وأربعمائة، ومن شعره رواية السلفي [الكامل]:

صَرَمْتُ بِلَا ذَنْبٍ خِيَالِي زَيْنَبُ	وَتَجَرَّمْتُ وَتَقُولُ أَنْتَ الْمُذْنَبُ
وَعَدْتُ تَضَنُّ بِوَصْلِهَا مِنْ تِيهِهَا	وَالْوَصْلُ أَحْسَنُ بِالْحَسَنِ وَأَصُوبُ
وَمَذْ أَعْرَضْتُ عَنِّي قَدْ أَضْرَمَ فِي الْحَشَا	نَارًا تَوَقَّدَ حَرُّهَا يَتْلَهَبُ
فَلْخُرْقَةِ الْبَيْنِ الْمَشْتَتِ لَوْعَةٌ	وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ مَا يَكُونُ وَأَصْعَبُ
يَا عَاذِلًا لَمْ يَدْرِ مَا صَنَعَ الْأَسَى	إِفْصِرْ فَإِنَّ مَلَامَ مِثْلِكَ يُغْطِبُ

وقال السلفي: كان من المجيدين، قلت هذا شعر رَدُلٌ منحطٌ إلى الغاية.

١٠٦ - «أبو الفتح الخُزَيْمي الواعظ» محمد بن محمد بن علي بن إسحاق بن خزيمة. أبو الفتح الخُزَيْمي الفَرَاوي الواعظ، قال ابن النجار: هكذا رأيت نسبة بخط الحسين بن خُسرو البلخي، قدم بغداد سنة تسع وتسعين منصرفاً من الحج وعقد بها مجلس الوعظ تارةً بجوامع القصر وتارةً بالنظامية وأملئ عِدَّةً مجالس استملاها أبو الفضائل بن الخاضبة وحَدَّثَ ببغداد أيضاً سنة تسع وخمسمائة، سمع عبد الغافر الفارسي وأبا القاسم القشيري وأبا الخير محمد الصقار وإسماعيل بن

(١) قوله (ولما ولي المستنصر): في هذا وَهْمٌ، لأنه تقدَّم معنا أنَّ الناصر تولى الخلافة بين عامي (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) ثم تولاها ابنه الظاهر أقل من سنة، ثم تولى المستنصر بين عامي (٦٢٣ - ٦٤٠). فلم يدرك المترجم خلافة المستنصر، بل ولادة المستنصر كانت سنة (٥٨٨هـ).

(٢) جحظة: هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك.

١٠٤ - «تقدمت ترجمته برقم (٣٠).

(٣) بياض في الأصل، والمثبت من «الكامل» لابن الأثير (٦/ ١٧٠).

علي الخطيب الرازي وأحمد بن محمد الناصحي الفقيه وأبا عبد الله عمر بن أحمد الفراوي وأبا الحسن بن همزة الدهستاني ومحمد بن أحمد بن محمد بن الحسن الكامخي الساوي، وروى عنه علي بن هبة الله بن عبد السلام الكاتب وابنه محمد وسعد الله بن محمد بن طاهر الدقاق، ومن شعره [الوافر]:

دَعَا لَوْ مِي فَلَوْ مَكِي مَا مُعَادُ وَقَتْلُ الْعَاشِقِينَ لَهُ مَعَادُ
وَلَوْ قَتَلَ الْهَوَى أَهْلَ التَّصَابِي لَمَا تَابُوا وَلَوْ رُذُّوا لَعَادُوا
ومنه أيضاً [الطويل]:

إِذَا كُنْتُ تَرْضَى بِالْتَمَنِّي مِنَ الْبَقَا فَإِنَّ التَّمَنِّي بَابُهُ غَيْرُ مُغْلَقِ
وَمَا يَنْفَعُ التَّحْقِيقُ بِالْقَوْلِ فِي التَّقَى إِذَا كَانَ بِالْأَفْعَالِ غَيْرَ مُحَقَّقِ
توفي سنة أربع عشرة وخمسمائة ودفن بالوردية.

١٠٧ - «ابن الباطوخ الواعظ» محمد بن محمد بن علي بن طالب. أبو عبد الله بن أبي الغنائم الواعظ الحنبلي المعروف بابن الباطوخ، سمع الكثير من أبي محمد يحيى بن الطراح ومحمد بن عبد الملك بن خَيْرُون وجماعة وله خُطْبٌ معروفة على الحروف كل خطبة ناقصة عن حرف، مختومة بخطبة ليس فيها نقطة، من شعره [الطويل]:

بِحَقِّكَ إِنْ عَايَنْتَ مَنْ أَنَا عَبْدُهُ فَقُلْ قَالَ ذَاكَ الْعَبْدُ قَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ
تَرْفُقْ بِصَبِّ فَيْكَ قَدْ عَزَّ صَبْرُهُ وَصِلْ دَنْفَاً قَدْ شَفَّهَ الْبُعْدُ وَالْهَجْرُ
أَعْلَلْ قَلْبِي فِي وَصَالِكَ بِالْمُنَى وَأَسْأَلُ عَنْ صَبْرِي وَقَدْ عُذِمَ الصَّبْرُ
فَكَيْفَ سُلُوِّي عَنْ حَبِيبٍ إِذَا بَدَثَ مُحَاسِنُهُ لِي غَابَ عَنْ حُسْنِهَا الْبَدْرُ
ذَلَّلْتُ لَهُ وَالْحُبَّ عَارَ وَذِلَّةً وَصِرْتُ لَهُ عَبْدًا وَفِي يَدِهِ الْأَمْرُ

قلت: شعر يكاد يكون متوسطاً، وتوفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

١٠٨ - «أبو عبد الله ابن المعوج» محمد بن محمد بن علي. ابن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السَّكَن التميمي أبو عبد الله بن أبي سعد الكاتب المعروف بابن المعوج^(١)، من أهل باب المراتب ومن أهل البيوت الكبار، كان كاتباً سديداً أديباً فاضلاً حسن العبارة له نظم ونثر وأضر في آخر عمره، وكان صالحاً حسن الطريقة، سمع أبا الخطاب نصر بن البطر وأبا عبد الله الحسين بن البشري وغيرهما، وروى عنه عبد الوهاب بن علي الأمين وأبو الفتوح بن الخضري وجماعة، ومن شعره [البسيط]:

اللَّهُ يُسَعِّدُ مَوْلَانَا وَدَوْلَتَهُ بِكُلِّ عَامٍ جَدِيدٍ وَافِدٍ أَبَدًا
وَلَا تَزَالُ لَهُ الْأَعْوَامُ خَادِمَةً تُؤْلِيهِ مَجْدًا وَتَحْبُوهُ سَدًا وَنَدَى
مَا لَاحَ بَرْقٌ وَمَا غَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى الْأَرَاكِ وَمَا أَوْلَى الْأَنَامِ يَدَا

قلت شعر منحط ركيك، وتوفي سنة خمس وستين وخمسائة.

١٠٩ - «الصاحب محيي الدين بن ندى الجزري» محمد بن محمد بن سعيد بن ندى. الصاحب الكبير محيي الدين بن الصاحب شمس الدين الجزري وسيأتي ذكر أبيه وذكر أولاده وذكر مماليكه، توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة إحدى وخمسين وستائة، استقل الصاحب محيي الدين بتدبير الملك بالجزيرة بعد وفاة والده شمس الدين، وكان فاضلاً محباً للفضلاء مقرباً مكرماً لهم يلزمهم أبداً، ويثقفونه بالفوائد ويؤلفون له التصانيف الحسنة، فممن كان عنده الإمام رشيد الدين الفرغاني والشيخ أثير الدين الأبهري وصدر الدين الخاصري وضياء الدين أبو طالب السنجاري والشيخ شرف الدين التيفاشي صاحب «فصل الخطاب» وهو في أربعة وعشرين مجلد والشيخ شهاب الدين أبو شامة ونور الدين بن سعيد المغربي الأديب ونجم الدين القمراوي وغير هؤلاء وهؤلاء كانوا أعيان ذلك العصر؛ كل منهم فرد زمانه في فنه، وله صنف ابن سعيد كتاب «المغرب في محاسن أهل المغرب» وكتاب المشرق في أخبار المشرق وذكره في أول كتابه وذكر له ترجمة طويلة، وكان مشغولاً بجمع المحاسن مؤلفاً بإحياء الرسوم البرمكية، ولما فتح الكامل بن العادل دمشق وعبر الفرات اجتمع به فاحبه وأقام يتدرج في الاجتماع به أربع سنين ثم فاوض صاحب الجزيرة فيه وأضافه إليه وخوله في نعمه وزاد في بره، وتمثل عندما اجتمع بالكامل وشرق غيره أنه قال [الطويل]:

وما شئتُ إلا أن أذلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صواب
وأعلمُ قوماً خالفوني وشرقوا وغربتُ أتّي قد ظفرتُ وخابوا

فاشتد اهتزاز الكامل لهذا الاستشهاد وقال: يا محيي الدين أنت والله أولى بهما من المتنبّي، قلت: ومن هنا نقل الاستشهاد بهما الناصر داود لما كتب إلى الكامل بمخالفة الأشرف وسيأتي ذلك في ترجمة الناصر، وكان والد محيي الدين فاضلاً وأولاد محيي الدين فضلاء شعراء ومماليكه فضلاء منهم إيدمر المحيوي الشاعر الفاضل المشهور وأبيك المحيوي الكاتب الفائق الفاضل وسيأتي ذكر كل منهم في مكانه.

وصنف محيي الدين مصنفات منها «لطائف الواردات» و«كتاب معالم التدبير»، و«كتاب مرشد المملك» و«كتاب ضوابط المملك» و«كتاب وظائف الرئاسة» و«كتاب التذكرة الملوكة».

ومن الشعراء الذين مدحوه جماعة منهم زكي الدين بن أبي الإصبع، وأكثر من أمداحه، وشرف الدين بن قديم، وبدر الدين بن المسجف، وأحمد بن منهال، وشرف الدين بن الحلاوي،

(١) تقدمت ترجمة رقم (٨٠) لأبي منصور بن المعوج محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن توفي سنة (٥٠١هـ) فلعله جدّ والد هذا. وإذا كان كذلك تبيّن أنّ هناك اسماً ساقطاً من نسب صاحب هذه الترجمة رقم (١٠٨) وهو «محمد» بين محمد وبين الحسين وقد يكون أخا جده علي بن محمد بن الحسين، وستأتي ترجمة برقم (١٨٠) لمحمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن والظاهر أنه ابن المترجم له برقم (٨٠).

ووجه الدين ابن العالمه، والوزير شرف الدين محمد بن نظيف وزير الحافظ صاحب جعبر، ويوسف بن علي القرشي، ونجم الدين بن المنفاح الطبيب، ومحمد بن عمار المكي، ومحمد بن محمد بن مسكين، وابن سعيد المغربي، وغيرهم.

وكان الصاحب محيي الدين يترسل جيداً من ذلك ما كتبه إلى أخيه الصاحب عماد الدين وقد طلب منه شيئاً من ملبوسه وهو: أين أنت مما نحن فيه أكتب إليك وتكتب إلي والغفلة شاملة والحيرة سابعة وقد رين على القلوب وزاد الولة حتى ألهى العقول وفاض حتى أعشى الأبصار ﴿قد كنا في غفلة من هذا﴾ [الأنبياء: ٩٧] فواعجباً كيف لا ينظر ما لا أسميه وينشق لكثرة ما أحوم حول القول فيه ولا أوفيه إن شرحْتُ فاضت نفوسٌ فضلاً عن عيون وترامت إلى مهاوي الإثم فيه ظنونٌ ولو أبديت بعضه أخاف أن يظن بعض الناس ولو أفضت فيه أخشى أن لا يحمله سمعٌ ولا يسعه قرطاس والرضا بالقضاء يمنع من استبطاء مُقدِّر اللقاء، ومن غرائب هذه الحال أنك تكون في شرق الأرض وأكون في غربها فتستدرج الآمال الأجسام حتى تجعلها كقاب قوسين أو أدنى ثم يَفْطَن بنا الزمان فيجعل أجسامنا سهاماً ويرمينا بقوسه إلى البعد الأقصى [الخفيف]:

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيَّ سُهَيْلاً عَمَرَكُ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

ولقد عام السابح في بحر الفكر ليستخرج من قعره ما يستعين به على هذا الدهر فلم يرَ إلا أثراً بعد غيب فبعث شعاراً بليَّةً واستدعى دثاراً ساميةً ليتلاقى فيها جسومٌ ما تلاقى، قانعا في الوقت الحاضر بقليل هو كثير راجياً من الله جمعَ الشمل ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ [الشورى: ٣٩] [الوافر]:

فَلَيْتَ هُوَ الْأَحْبَةُ كَانَ عَذْلاً فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقَا

وبالجملة أليس إذا صار المرء في غامض علمه يقال من حيث الصورة كان أمل بطانته وظهرته أن يصل منه نبأ يُقرَّ العين ويسرَّ السمع ويُبهِج النفس من كونه في نعيم وفي عُرف من عليين و﴿في جنة عالية طوفوها دانية﴾ [الحاقة: ٢٢ - ٢٣] و﴿أكلها دائم﴾ [الرعد: ٣٥] وبين أشجارٍ وأنهارٍ وأثمارٍ و﴿في جناتٍ ونهرٍ في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥] فصاحبكم وبعيدكم في هذه الحالة يتقلب وفي هذه النعمة يصلكم خبر التواتر عنه بهذه الخطوة فليرض بهذا المقدار في الاجتماع واحسبوه في غامض علم الله تعالى من حيث المعنى ولما توجه فلذة الكبد وسرَّ الروح وسواد الناظر وسويداء القلب وشارفنا ثنايا الوداع اهملت مشروع التشيع حذراً أن تفيض عيون وتتفرَّح جفون ويظهر مكتوم وتلجى ضرورة إلى ما لا يليق بذوي المرائر الآبئة والنحائر العظيمة [الطويل]:

وَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا إِلَى مَوْضِعِ الْأَسْرَارِ قَلْتُ لَهَا قَفِي
خَافَةٌ أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ دَخِيلُهَا فَيُظْهِرُ مَنِّي بَعْضَ مَا كَانَ قَدْ خَفِي

والله المشكور وبه المستعان في جميع الأمور وهو الخليفة عليكم لي وعليكم لكم والسلام.

١١٠ - «ابن الجتنان الشاطبي» محمد بن محمد. كذا قرأته على الشيخ أثير الدين أبي حيان، وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي ومن خطه نقلت أنه محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجتنان بتشديد النون بعد الجيم، الشيخ فخر الدين أبو الوليد الكنان الشاطبي الحنفي، ولد سنة خمس عشرة وستمائة بشاطبة وقدم الشام وصحب صاحب كمال الدين بن العديم وولده فاجتذباه بإحسانهما ونقلاه من مذهب مالك إلى مذهب أبي حنيفة، ودرّس بالإقبالية وكان أديباً فاضلاً وشاعراً مُحَسَّناً وكان يخالط الأكابر وفيه حسن العشرة والمزاج، توفي سنة خمس وسبعين وستمائة، أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: قال أخبرني والذي قال كذا عند القاضي شمس الدين أحمد بن خلّكان وهو ينوب في الحكم بالقاهرة والشيخ فخر الدين بن الجتنان حاضر وهو إلى جانبي فأنشد أبياتاً له وهي [الكامل]:

عَرَفَ النسيم بعَرَفكم يتعرّف	وأخو الغرام بحبّهم يتشرّف
شرف المتيم في هواهم أنّه	طوراً ينوح وتارة يتلهّف
لَطَفَتْ معانيه فهبّ مع الصبا	فرقيب بهبّوبه لا يغرف
وإذا الرقيب درى به فلاّته	أخفى لديه من النسيم وألطف
ولأنّه يعدو النسيم ديارهم	ولها على تلك الربوع توقّف

فقال القاضي شمس الدين: يا شيخ فخر الدين لَطَفَتْهُ لَطَفَتْهُ إلى أن عادَ لا شيء فالتفت إلي وقال بلسانه الكاضي حمار هُوَسْ مَالُو ذُوكْ شَيّ يعني القاضي حمار ماله ذوق، وأنشدني له الشيخ أثير الدين أبو حيان [المجتث]:

أفنانني القَبْضُ عَنّي	حتى تلاشى وجودي
وجاءني البسط يُحْيِي	روحي بفضّل وجودي
فقلتُ للنفس شكراً	لذاك بالنفس جُودي
وقمتُ أشطح سُكراً	فغبتُ عن ذا الوجود

وقال ابن الجتنان [الكامل]:

ذَكَرَ العُذِيبَ فمال من سُكر الهوى	صَبَّ على صُحُف الغرام قد انطوى
يبكي على وادي العقيق بمثله	ويميل من طرب بمُنْعَطَف اللوى
وجهتُ وجهي نحوهم فوحقهم	لا أبتغي غيراً ولا أرجو سِوى
وبمُهجتي معبودُ حسنٍ منهم	فلذا على عرش القلوب قد استوى
أوحى إلى قلبي الذي أوحى له	فعجبتُ كيف نطقَتْ فيه عن الهوى

وقال أيضاً [السريع]:

عليك من ذاك الحمى يا رسول
جنّت وفي عطفك منهم شذاً
يكفيك تشريفاً رسول الرضى
حللتُم قلبي وهو الذي

وقال أيضاً [الكامل]:

وأبيك لم يخفك حشاي وإنما
بالله قولوا من أكون لديهم
نطق الغرام بحالهم لما رأى
لا يدعي فيه الفؤاد خفوقه
قال - وفيه جناس معنوي - [الكامل]:

نزلوا حديقة مقلتي أو ما ترى
أغصان أهدابي بدمعي تزهّر

قلت: أراد يقول: «حديقة حدقتي» فما ساعده الوزن فعدل إلى ما يرادفه وهو المقلة، وقال أيضاً وهو لطيف جداً [المقارب]:

ودوح بدت معجزات له
جری النهر حتى سقى غرضه
وكف الصبا ضيعة حليّه
كساه الأصيل ثياب الضنى
وجاء النسيم له عائداً
تبين عليه وتدعو إليه
فمال يقبل شكراً يديه
فأضحى الحمام ينادي عليه
فحلّ طبيب الدياجي لديه
فقام له لائماً مغطّفيه

١١١ - «محمد القفصي» محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد الطائي. القفصي الأصل والمولد، قال الشيخ أثير الدين أبو حيان قراءة وأنا أسمع رأيته بالقاهرة وكان يستجدي بالشعر وله أدب وأنشدني المذكور لنفسه [الخفيف]:

أنكرتني لما رأث من سقامي
غادة غادرت فؤادي كئيباً
لا أبالي وإن غدا القلب منها
وبياض المشيب حال احتلامي
وجفوني بلا لذىذ المنام
وهو دام بناظر كالحسام

وأنشدني قال أنشدني أيضاً لنفسه [المقارب]:

سقى قبة الشافعي الإمام
له قبة تحتها سيّد
من الكوثر الأعين الجارية
وبحر له فوقها جارية

قلت: يعني بذلك صورة السفينة التي عُملت من الرصاص على قبة الضريح، وأحسن من هذا ما أنشدني من لفظه الشيخ أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه محمد بن سعيد بن حماد البوصيري [الطويل]:

بقبة قبر الشافعي سفينة رست من بناء محكم فوق جلمود
ومد غاض طوفان العلوم بموته أست توى القلک من ذاك الضريح على الجودي

١١٢ - «مذهب الدين الحاسب الشاعر» محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخضر. أبو نصر الحنبلي الحاسب ويعرف بالسُّطَيْل ولقبه مذهب الدين، كان والده يعرف بالبرهان المنجم الطبري وولد المذهب بحلب سنة ثمانين وخمسائة، وكان فاضلاً أديباً وله تاليف مفيدة، وصنف زيجاً ومقدمة في الحساب وغير ذلك، وشعره في مجلدين، واستوطن صرخد^(١) وتوفي بها يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة، قال النور الإسردي: أنشدني المذهب لنفسه [المجتث]:

أقول إذ نكث بغاً رأيت منه هوانا
إلام تُفدي فُساء فقال هاك بياناً
أطفأت بالماء ناري فقد أثار دُخاناً^(٢)

١١٣ - «جمال الدين الدباب» محمد بن محمد بن علي بن أبي الفرج بن أبي المعالي بن الدباب. العدل الواعظ جمال الدين أبو الفضل بن أبي الفرج البغدادي الباصري الحنبلي ويعرف أيضاً بابن الرزاز ولكنه بابن الدباب أشهر وسُمي جده الدباب لأنه كان يمشي على تُوْدَة، سمع الكثير وأجاز له خلقٌ وأول سماعه سنة ست عشرة وسمع المهروانيَّات الخمسة من أحمد بن صرما وسمع أشياء مليحة ووعظ في شببته، وأجاز لطائفة من دمشق منهم علم الدين البرزالي، وتوفي سنة خمس وثمانين وستمائة.

١١٤ - «الخوaja نصير الدين الطوسي» محمد بن محمد بن الحسن. نصير الدين أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف صاحب علوم الرياضي والرصد، كان رأساً في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد والمجسطي فإنه فاق الكبار، قرأ على المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي وغيره، وكان ذا حرمة وافرة ومترلة عالية عند هولاكو وكان يطيعه فيما يشير به عليه والأموال في تصريفه، فابتنى بمدينة مراغة^(٣) قبة ورصداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى تجمَّع فيها زيادة على أربعمائة ألف مجلد وقرَّر بالرصد المنجمين والفلاسفة والفضلاء وجعل لهم الجامكية، وكان حسن الصورة سمحاً كريماً جواداً حليماً حسن العشرة غزير الفضائل جليل القدر داهية، حُكي لي أنه لما أراد

(١) صرخد: بلدة كبيرة من نواحي الشام.

(٢) اعتاد الشعراء في هذا العصر على استخدام الكلمات الرذيلة وكأنها أصبحت عندهم «موضة». ونلمس ذلك عند

العمل للرصد رأى هولاء ما ينصرف عليه فقال له: هذا العلم المتعلق بالنجوم ما فائدته أيدفع ما قَدَّرَ أن يكون فقال أنا أضرب لمنفعته مثلاً القانُ يأمر من يطلع إلى أعلى هذا المكان ويدعه يرمي من أعلاه طست نحاس كبيراً من غير أن يعلم به أحدٌ ففعل ذلك فلما وقع ذلك كانت له وقعة عظيمة هائلة رَوَّعت كلَّ من هناك وكاد بعضهم يصعق وأما هو وهولاء فإنيهما ما تغَيَّرَ عليهما شيء لعلمهما بأن ذلك يقع فقال له: هذا العلم النجومي له هذه الفائدة يَعْلَمُ المتحدِّث فيه ما يحدث فلا يحصل له من الروعة والاكتراث ما يحصل للذاهل الغافل عنه فقال لا بأس بهذا وأمره بالشروع فيه أو كما قيل، ومن دهائه ما حُكي لي أنه حصل له غضبٌ على علاء الدين الجويني صاحب الديوان فيما أظنَّ فأمر بقتله فجاء أخوه إليه وذكر له ذلك وطلب منه إبطال ذلك فقال هذا القان وهؤلاء القوم إذا أمروا بأمر ما يمكن ردّه خصوصاً إذا برز إلى الخارج فقال له لا بدَّ من الحيلة في ذلك فتوجّه إلى هولاء وببده عُنْكَاز وسبحة وإسطرلاب وخلفه من يحمل مبخرة وبخوراً والنار تضرم فرآه خاصّة هولاء الذين على باب المخيم فلما وصل أخذ يزيد في البخور ويرفع الإسطرلاب ناظراً فيه ويضعه فلما رآوه يفعل ذلك دخلوا إلى هولاء وأعلموه وخرجوا إليه فقالوا ما الذي أوجب هذا فقال القان أين هو قالوا له جُؤاً قال طيَّبَ معافى موجودٌ في صحّة قالوا نعم فسجد شكراً لله تعالى وقال لهم طيَّبَ في نفسه قالوا نعم وكرّر هذا وقال أريد [أن] أرى وجهه بعيني إلى أن دخلوا إليه وأعلموه بذلك وكان وقتٌ لا يجتمع فيه به أحدٌ فأمر بإدخاله فلما رآه سجد وأطال السجود فقال له ما خبرك قال اقتضى الطالع في هذا الوقت أن يكون على القان قطعٌ عظيمٌ إلى الغاية فقامت وعملت هذا وبخرت هذا البخور ودعوتُ بأدعية أعرفها أسأل الله صرف ذلك عن القان ويتعيّن الآن أنَّ القان يكتب إلى سائر ممالكه ويجهّز الأليّة في هذه الساعة إلى سائر المملكة بإطلاق مَنْ في الاعتقال والعفو عمن له جناية أو أمرٌ بقتله لعلَّ الله يصرف هذا الحادث العظيم ولو لم أرَ وجه القان ما صدّقْتُ فأمر هولاء في ذلك الوقت بما قال وأطلق صاحب الديوان في جملة الناس ولم يذكره النصير الطوسي وهذا غاية في الدهاء بلغ به مقصده

= الشعراء الجاهليين الذين كانوا يقفون على الأطلال فيقلدون بعضهم بعضاً، فأصبحت الكلمات القبيحة تجري على ألسنة شعراء العصر العباسي المتأخرون أي ضابط أو مانع أدبي.

١١٤ - «البداءة والنهاية» لابن كثير (٢٦٧/١٣ - ٢٧٨)، و«السلوك» للمقرئزي (٦١٤/١)، و«وفات الوفيات» للكتبي (١٤٩/٢ - ١٥٢)، و«تاريخ مختصر الدول» لابن الجري (ص ٥٠٠ - ٥٠١)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٩/٤)، و«روضات الجنات» للخوانساري (ص ٦٠٥ - ٦١١)، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (٢٦١/١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٩٥ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٧ - ١٩١ - ٨٥٩ - ٨٩٦ - ٩٥٠ - ٩٦٨ - ١١٠٣ - ١٧٣٩)، و«إيضاح المكنون» للبغدادى (٢٤٣/٢ - ٣٥٢)، و«الأعلام» للزركلي (٢٥٧/٧ - ٢٥٨)، و«أعيان الشيعة» للعالمى (٤/٤٦ - ١٩) و«هدية العارفين» للبغدادى (١٣١/٢)، و«معجم المؤلفين» لكحلّالة (٢٠٨/١١).

(١) مراغة: بلدة مشهورة عظيمة. أعظم وأشهر بلاد أذربيجان وكانت تدعى أفرازهرود، فسماها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بهذا الاسم، حيث يكثر فيها السرجين، فكانت الدواب تمرّغ فيها فجعلوا يقولون ابنوا قرية المراغة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٢٣٨/٤).

ودفع عن الناس أذاهم وعن بعضهم إزهاق أرواحهم، ومن حلمه ما وقفَتْ له على ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها يقول له يا كلب يا ابن الكلب فكان الجواب وأما قوله كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار وأنا فمتصب القامة بادي البشرة عريض الأظفار ناطق ضاحك فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص وأطال في نقض كل ما قاله هكذا برطوبة وتأن غير متزعج ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة، ورأيت له شِعْراً كتبه لكمال الدين الطوسي على مصنف صنّفه المذكور وهو نظم منقط، ومن تصانيفه «كتاب المتوسطات بين الهندسة والهيئة» وهو جيّد إلى الغاية و«مقدمة في الهيئة» وكتاباً وضعه للتصنيّة^(١) وأنا أعتقد أنّه ما يعتقدّه لأنّ هذا فيلسوف وأولئك يعتقدون إلهية عليّ، واختصر «المحصل» للإمام فخر الدين وهذبه وزاد فيه، وشرح «الإشارات» وردّ فيه على الإمام فخر الدين في شرحه وقال هذا به جرح وما هو شرح قال فيه إني حرّزته في عشرين سنة وناقض فخر الدين كثيراً، ولقد ذكره قاضي القضاة جلال الدين القزويني رحمه الله يوماً وأنا حاضر وعظمه أعني الشرح فقلت: يا مولانا ما عمل شيئاً لأنه أخذ شرح الإمام وكلام سيف الدين الأمدّي وجمع بينهما وزاده يسيراً فقال ما أعرف للأمدّي في الإشارات شيئاً قلت نعم كتاب صنّفه وسمّاه «كشف التموهيات عن الإشارات والتنبيهات» فقال هذا ما رأيته، ومن تصانيفه «التجريد في المنطق»، و«أوصاف الأشراف»، و«قواعد العقائد»، و«التلخيص في علم الكلام»، و«العروض» بالفارسية، و«شرح الثمرة لبطلميوس»، و«كتاب مجسطي»، و«جامع الحساب في التخت والتراب»، و«الكرة والأسطوانة»، و«المُعْطَيَات» و«الظواهرات» و«المناظر» و«الليل والنهار» و«الكرة المتحركة»، و«الطلوع والغروب»، و«تسطيح الكرة»، و«المطالع» و«تربيع الدائرة»، و«المخروطات»، و«الشكل المعروف بالقطاع»، و«الجواهر»، و«الأسطوانة»، و«الفرائض على مذهب أهل البيت»، و«تعديل المعيار في نقد تنزيل الأفكار»، و«بقاء النفس بعد بوار البدن»، و«الجبر والمقابلة»، و«إثبات العقل الفعّال»، و«شرح مسألة العلم»، و«رسالة الإمامة»، و«رسالة إلى نجم الدين الكاتب في إثبات واجب الوجود»، و«حواشي على كليات القانون»، و«رسالة ثلاثون فصلاً في معرفة التقويم»، و«كتاب أكرمانالاوس»، و«أكرثاوذوسيوس»، و«الزيج الأيلخاني»، وله شعر كثير بالفارسية، وقال الشمس بن المؤيد العُرضي: أخذ النصير العِلْمَ عن الشيخ كمال الدين بن يونس الموصلي ومعين الدين سالم بن بدران المصري المعتزلي وغيرهما، قال: وكان منجّماً لأبغا بعد أبيه وكان يعمل

(١) التُّصْنِيَّةُ: تكلم النوبختي في كتابه «فرق الشيعة» عن فرقة من غلاة الشيعة تنسب إلى محمد بن نصير النيميري فقال في (ص ٧٨): وقد شدّت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقالت بنوة رجل يقال له محمد بن نصير النيميري، وكان يدّعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أنّ ذلك من التواضع والتذلّل وأنه من الشهوات والطيبات وأن الله عزّ وجل لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان يقوي أسباب هذا النيميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات. انظر: «فرق الشيعة» للنوبختي (٧٨)، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (٣٠٩/٢)، و«التعريفات» للجرجاني (١٦٣).

الوزارة لهولاكو من غير أن يُدخل يده في الأموال واحتوى على عقله حتى أنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمره به، ودخل عليه مرة ومعه كتاب مصور في عمل الدرياق الفاروق فقراه عليه وعظمه عنده وذكر منافعه وقال إن كمال منفعة أن تسحق مفرداته في هاون ذهب فأمر له بثلاثة آلاف دينار لعمل الهاون وولاه هولاكو جميع الأوقاف في سائر بلاده وكان له في كل بلد نائب يستغل الأوقاف ويأخذ عشرها ويحمله إليه ليصرفه في جامكيات المقيمين بالرصد ولما احتاج إليه من الأعمال بسبب الأرصاد وكان للمسلمين به نفع خصوصاً الشيعة والعلويين والحكماء وغيرهم وكان يبرهم ويقضي أشغالهم ويحمي أوقافهم، وكان مع هذا كله فيه تواضع وحسن ملتقى، قال شمس الدين الجزري: قال حسن بن أحمد الحكيم صاحبنا سافرت إلى مراغة وتفرجت في هذا الرصد ومتوليه صدر الدين علي بن الخواجا نصير الدين الطوسي وكان شاباً فاضلاً في التنجيم والشعر بالفارسية وصادفت شمس الدين محمد بن المؤيد العرضي وشمس الدين الشرواني والشيخ كمال الدين الأيكي وحسام الدين الشامي فرأيت فيه من آلات الرصد شيئاً كثيراً منها ذات الحلق وهي خمس دوائر متخذة من نحاس الأولى دائرة نصف النهار وهي مركوزة على الأرض ودائرة معدّل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل ورأيت الدائرة الشمسية يعرف بها سمت الكواكب وأصطربلاًباً تكون سعة قطره ذراعاً واصطربلابات كثيرة وكتباً كثيرة، قال وأخبرني شمس الدين بن العرضي أنّ نصير الدين أخذ من هولاكو بسبب عمارة هذا الرصد ما لا يحصىه إلا الله وأقل ما كان يأخذ بعد فراغ الرصد لأجل الآلات وإصلاحها عشرون ألف دينار خارجاً عن الجوامك والرواتب التي للحكماء والقومة، وقال الخواجا نصير الدين في الزيج الأيلخاني: إنني جمعت لبناء الرصد جماعة من الحكماء منهم المؤيد العرضي من دمشق والفخر المراغي الذي كان بالموصل والفخر الخلاطي الذي كان بتفليس والنجم دُبيران القزويني وابتدأنا ببنائه في سنة سبع وخمسين وستمئة في جمادى الأولى بمراغة والأرصاد التي بُنيت قبلي وعليها كان الاعتماد دون غيرها هو رصد برّجس وله مذ بُني ألف وأربعمائة سنة وبعده رصد بطلميوس بمائتي سنة وخمس وثمانين سنة وبعده في ملة الإسلام رصد المأمون ببغداد وله أربعمائة سنة وثلاثون سنة والرصد البناني في حدود الشام والرصد الحاكمي بمصر ورصد بني الأعلم ببغداد وأوفّقها الرصد الحاكمي ورصد ابن الأعلم ولهما مائتان وخمسون سنة وقال الأستاذون إن أرصاد الكواكب السبعة لا يتم في أقل من ثلاثين سنة لأنّ فيها يتم دور هذه السبعة فقال هولاكو إجهد في أن يتم رصد هذه السبعة في اثنتي عشرة سنة فقلت له أجهد في ذلك، وكان النصير قد قدم من مراغة إلى بغداد ومعه جماعة كثيرة من تلامذته وأصحابه فأقام بها مدة أشهر ومات، وخلف من الأولاد صدر الدين علي والأصيل حسن والفخر أحمد وولي صدر الدين علي بعد أبيه غالب مناصبه، فلما مات ولي مناصبه أخوه الأصيل وقدم الشام مع غازان وحكم تلك الأيام في أوقاف دمشق وأخذ منها جملةً ورجع مع غازان وولي نيابة بغداد مدة فأساء السيرة فعزل وصودر وأهين فمات غير حميد، وأما أخوهما الفخر أحمد فقتله غازان لكونه أكل أوقاف الروم وظلم، ومولد النصير بطوس سنة سبع وتسعين وخمسائة توفي في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمئة ببغداد وقد

نُيِّفَ على الثمانين أو قاربها وشيَّعه صاحب الديوان والكبار وكانت جنازة حفلة ودُفِنَ في مشهد الكاظم.

١١٥ - «قاضي قضاة حلب محيي الدين الأسدي» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبدالله بن علوان بن رافع. قاضي القضاة بحلب محيي الدين أبو المكارم الأسدي الشافعي، وُلِدَ بحلب خامس شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة، وسمع وحدث ودرس بالمدرسة المسروورية بالقاهرة، وتولَّى قضاء حلب وأعمالها إلى حين وفاته، وبيته معروف بالمعروف بالعلم والدين والتقدم والسنة والجماعة، توفي ثالث عشر جمادى الأولى بحلب سنة اثنتين وسبعين وستمائة ودفن بتربة جدّه وقيل في وفاته غير ذلك، وقد ولي قضاء حلب من بيتهم جماعة.

١١٦ - «ابن العلقمي الوزير» محمد بن محمد بن علي. أبو طالب الوزير المدبّر مؤيد الدين ابن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم، ولي الوزارة أربع عشرة سنة فأظهر الرفض قليلاً وكان وزيراً كافياً خبيراً بتدبير الملك ولم يزل ناصحاً لأستاذه حتى وقع بينه وبين الدوادار لأنه كان يتغالي في السّنة وعضدّه ابن الخليفة فحصل عنده من الضّعف ما أوجب له أنه سعى في دمار الإسلام وخراب بغداد على ما هو مشهور لأنه ضعف جانبه وقويت شوكة الدوادار بحاشية الخليفة حتى قال في شعره [الطويل]:

وزيرٌ رَضِيَ من بأسه وانتقامه بِطَيِّ رِقَاعٍ حَشَوُهَا النظم والنثرُ
كما تسجع الورقاء وهي حمائمٌ وليس لها نَهْيٌ يُطَاعُ ولا أمرُ
وأخذ يكاتب التتار إلى أن جرَّ هولاءكو وجَرَّأهُ على أخذ بغداد وقَرَّرَ مع هولاءكو أموراً
انعكست عليه وندم حيث لا ينفعه الندم وكان كثيراً ما يقول عند ذلك [الكامل]:

وجرى القضاء بعكس ما أمّلته

لأنه عومل بأنواع الهوان من أراذل التتار والمرتدة حُكي أنه كان في الديوان جالساً فدخل بعض التتار ممّن لا له وجاهة راكباً فرسه فساق إلى أن وقف بفرسه على بساط الوزير وخاطبه بما أراد وبال فرس على البساط وأصاب الرشاش ثياب الوزير وهو صابر لهذا الهوان يُظهر قوة النفس وأنه بلغ مراده، وقال له بعض أهل بغداد يا مولانا أنت فعلت هذا جميعه وحميت الشيعة حميةً لهم، وقد قُتل من الأشراف الفاطميين خلقٌ لا يُحصون وارثك من الفواحش مع نسائهم وافتضت بناتهم الأبيكار مما لا يعلمه إلا الله تعالى فقال بعد أن قُتل الدوادار ومَنْ كان على مثل رأيه لا مبالاة بذلك، ولم تطل مدته حتى مات غمّاً وغبناً في أوائل سنة سبع وخمسين وستمائة، مولده في شهر ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، بعث إليه المستعصم بالله شدة أعلام فكتب إليه قَبْلَ المملوك الأرض شكرياً للإنعام عليه بأقلام قَلَمْتَ أظفارَ الحدّاث، وقامت له في حرب الزمان، مقام عوالي المُرّان، وأجنته ثمار الأوطار من أغصانها، وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها، فيا لله كم عقد

ذمام في عُقْدَها وكم بحر سعادة أصبح جارياً من مداها ومددِها، وكم متأود خط استقام
بمُثَقَّاتِها، وكم صوارم قُلْتُ مضاربُها بمطوّرٍ من مُزَهِّقاتِها [البسيط]:

لم يُبَقِّ لي أملاً إلا وقد بلغت نفسي أقاصيَه بِرّاً وإنعاماً
لأَفْتَحَنَّ بها واللّه يُقدِّر لي مصاعباً أعجزت من قبلُ بهراماً
تُعْطِي الأقاليم من لم تبدُ مسألة له فلا عجب إن يُعْطِ أقلاماً

وكان قد طالع المستعصم في شخص من أمراء الجبل يعرف بابن شرفشاه وقال في آخر
كلامه وهو مدبر فوق المستعصم له [السريع]:

ولا تساعِدْ أبداً مذبراً وكن مع اللّه على المدبر
وكتب ابن العلقمي أبياتاً في الجواب منها [السريع]:

يا مالِكاً أرجو بحبِّي به نيل المُنَى والفوز في المَحْشَرِ
أرشدتني لا زلت لي مُرشداً وهادياً من رأيك الأنورِ
أَبْنَتَ لي بيتَ هُدًى قلَّتْهُ عن شرفٍ في بيتك الأطهرِ
فضلك فضلٌ ماله مُنْكَرٌ ليس لضوء الشمس من مُنْكَرِ
أن يُجَمَعَ العالَمُ في واحد فليسَ لِلّهِ بمستنكرِ

قُلْتُ قَلْبَ بَيْتِ أَبِي نواس فجعل عَجَزَهُ صَدْرًا وهو مشهور^(١)، واشتغل بالحِلَّةِ على عميد
الرؤساء أيوب وعاد إلى بغداد وأقام عند خاله عضد الدين أبي نصر المبارك ابن الضحّاك وكان
أستاذ الدار ولما قُبِض على مؤيد القمي وكان أستاذ الدار قُوِضت الأستاذ دارية إلى شمس الدين
بن الناقد ثم عُزِلَ وقُوِضت الأستاذ دارية إلى ابن العلقمي، فلما توفي المستنصر بالله وَوَلِيَ الخِلافةَ
أمير المؤمنين المستعصم وتوفي الوزير نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وَوَرَّ ابنُ العلقمي،
وكان قد سمع الحديث واشتغل على أبي البقاء العُكْبَرِيِّ، وَحُكِيَ أَنَّهُ لما كان يكاتب التتار تحيلاً
مَرَّةً إلى أن أخذ رجلاً وحلق رأسه حلقاً بليغاً وكتب ما أراد عليه بَوَخْزِ الإِبرِ كما يُفَعَّلُ بالوشم
ونفض عليه الكحل وتركه عنده إلى أن طلع شعره وغطى ما كتب فجَهِزَهُ وقال إذا وصلت مُرهم
بحلق رأسك ودعهم يقرأون ما فيه وكان في آخر الكلام قَطَعُوا الورقة فَضْرِبَتْ رقبته وهذا غاية في
المكر والخزي والله أعلم.

١١٧ - «سعد الدين بن عربي» محمد بن محمد بن علي بن العربي. الطائي الحاتمي سعد الدين
بن الشيخ محيي الدين بن العربي الأديب الشاعر، وُلِدَ بملطية في رمضان سنة ثمان عشرة وستمائة،
وسمع الحديث ودرس، وكان شاعراً مُجيداً أجاد المقاطيع التي نظمها في الغلمان وأوصافهم وله
ديوان مشهور، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة^(٢)، وقبره عند قبر أبيه بسفح قاسيون
بترية القاضي محيي الدين بن الزكي، ومن شعره في مليح رآه بالزيادة في دمشق [الخفيف]:
يا خليلي في الزيادة ظبي سَلَبْتُ مقلته جَفَنِي رُقَادَةً

كيف أرجو السُّلُوَّ عنه وطرفي
 وقوله في مليح قاضٍ [مخلع البسيط]:
 وربُّ قاضٍ لنا مليح
 إذا رمانا بسهمٍ لحظٍ
 وقوله في غلام لبس قاضياني [الخفيف]:
 قد روينَا أَنَّ القُضَاةَ بعَدَنٍ
 وأرى الأمرَ ظلَّ بالعكس
 ففؤادي في النار قاضٍ وفي
 وقوله في مليح قَوَّاسٍ [السريع]:
 قلت لقَوَّاسٍ له طُلْعَةٌ
 يا من له وجهٌ كبدر الدجا
 وقوله في مليح لبَّانٍ [الكامل]:
 كَلَّفِي بلبَّانٍ إذا عاينته
 قد ظلَّ يُسكرنا بخمرٍ لحاظه
 وقوله في مليح مَنَّاخِلِي [السريع]:
 مَنَّاخِلِي هِمْتُ في حبه
 قلت وقد عاينتُ من حوله
 ما هذه قال شמושٌ غدت
 وقوله في مليح أشقر الحاجب [الطويل]:
 وما أنكر العُدَّالَ شيئاً عرفته
 فقلتُ وقد أبديتُ منهم تعجباً
 وقوله في مليح يقطف مشمشاً [الطويل]:

أن يجمع العالم في واحد

(١) وبيت أبي نواس هو:
 وليس على الله بمستنكر

١١٧ - «فوات الوفيات» للكاتب (١٥٨/٢ - ١٦٠)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٢٨٣/٥)، و«إيضاح المكنون» للبخاري (٥٠/١، ٤٥٨/٢)، و«مجلة الثقافة» لصالح الدين المنجد (السنة الثانية - العدد ٦١٩ - ص ٢٢ - ٢٣)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٢٤٨/١١ - ٢٤٩).

(٢) في «فوات الوفيات» للكاتب (١٥٨/٢ - ١٦٠): توفي سنة (٦٨٦هـ).

كَلِفْتُ بِظَبِي وَهُوَ يَقْطِفُ مَشْمَشًا عَلَى سُلَمٍ فِيهِ أَعْتَصَامٌ لِهَارِبٍ
كَذَا الْبَدْرُ لَوْلَا أَنَّهُ فِي مَسِيرِهِ رَقَى دَرَجًا لَمْ يَتَّصِلْ بِالْكَوَاكِبِ
وغالب مقاطيعه التي في الغلمان من الحسن والجودة في هذه الطبقة وأكثر ديوانه في الغلمان، وما أحسن قوله مضمناً [الرجز]:

لَمَّا تَبَدَّدَا عَارِضَاهُ فِي نَمَطٍ قِيلَ ظِلَامٌ بِضِيَاءٍ اخْتَلَطَ
وَقِيلَ نَمَلٌ فَوْقَ عَاجٍ قَدْ سَقَطَ وَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهَا اللَّامُ فَقَطَّ
وقوله [الخفيف]:

لَسْتُ أَنْسَى غَدَاةَ قَوْلِي لِهِنْدٍ لَكَ تَحْتَ النِّقَابِ أَحْسَنُ خَدٍ
فَنُتِنْتُ عِطْفَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ أَنْقَاباً تَرَاهُ أَمْ غَيْمَ وَزِدْ
وقوله [الطويل]:

وَفِي حَلَبِ الْبَطِيخِ لَيْسَ كَجِلْقٍ فَمَا لِدِمَشْقٍ غَيْرُ زُورٍ وَتَلْبِيسِ
لَنَا ابْنُ كَثِيرٍ شَاهِدٌ مَعَ نَافِعٍ وَشَاهِدُهُمُ فِي الطَّيْبِ لَيْسَ سِوَى السُّوسِ
وقوله [الكامل]:

سَهْرِي مِنَ الْمَحْبُوبِ أَصْبَحَ مُزْسَلًا وَأَرَاهُ مَتَّصِلًا بِفَيْضِ مَدَامَعِي
قَالَ الْحَبِيبُ بَأَنَّ رِيقِي نَافِعٌ فَاسْمَعْ رَوَايَةَ مَالِكٍ عَنِ نَافِعِ

١١٨ - «النور الإسردي» محمد بن محمد. وقيل محمد بن عبد العزيز بن عبد الصمد بن رستم الإسردي نور الدين أبو بكر الشاعر، وُلِدَ سنة تسع عشرة وستمائة وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة، وكان من كبار شعراء الملك الناصر وله به اختصاص، وله ديوان شعر مشهور وغلب عليه المجون وأفرد هزلياته من شعره وجمعها وسمي ذلك «سُلافة الزرجون في الخلاعة والمجون» وضمَّ إليها أشياء من نظم غيره وكان شاباً خليعاً يجلس تحت الساعات، واصطفاه الناصر وحضر مجلس شرايه فخلع عليه ليلة قباء وعمامة بطرف مُذهَّب فأتى بهما من الغد وجلس تحت الساعات مع الشهود، أنشدني الشيخ شمس الدين وغيره من أشياخي قالوا: أنشدنا الشيخ شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدمياطي قال أنشدني النور الإسردي لنفسه [الكامل]:

وَلَقَدْ بُلِيتُ بِشَادِنٍ إِنْ لُمْتُه فِي قُبْحٍ مَا يَأْتِيهِ لَيْسَ بِنَافِعِ
مَتَبَذَّلَ فِي خَسَةِ وَجْهَالَةٍ وَمَجَاعَةٍ كَشُهُودِ بَابِ الْجَامِعِ

وحضر ليلة عند الناصر مجلس أُنس وكان فيه شرف الدين بن الشيرجي وكان أَلْحِي فقام ابن الشيرجي فقصَّ شغله وعاد فأشار إليه السلطان بصفع النور الإسردي فصفعه فلما فعل ذلك نزلت ذقنه على كتف النور لما انحنى لصفعه فأمسكها بيده وأنشد في الحال [الخفيف]:

قَدْ صُفِّعْنَا فِي ذَا الْمَحَلِّ الشَّرِيفِ وَهُوَ إِنْ كُنْتَ تَرْتَضِي تَشْرِيفِي

فَارِثٌ لِلْعَبِيدِ مِنْ مَصِيفِ صِفَاعٍ يَا رَبِيعَ السَّيِّدِ وَإِلَّا خَرِي فِي
 مَا أَحْسَنَ مَا أَتَى بِهَذَا الْمَنَادَى هُنَا لِيُرْشِحَ التَّوْرَةَ بَيْنَ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ وَقَوْلُهُ: وَإِلَّا خَرِي فِي
 مِنْ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الْإِشَارَةِ بِقَرِينَةٍ إِمْسَاكَه ذَقْنِ الصَّافِعِ لَهُ وَقَدْ ظَرَفَ غَايَةً. وَأَضْرَّ قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالَ
 [البسيط]:

قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَا طَرْفِي يَرُودُ لِقَلْبِي رَوْضَةَ الْأَدَبِ
 حَتَّى تَلْقَبْتُ نُورَ الدِّينِ فَانْعَمَشْتُ عَيْنِي وَحَوْلَ ذَاكَ النُّورِ لِلْقَبِ
 وَقَالَ فِي أَبْيَاتِ [الوافر]:

سَأَلْتُ اللَّهَ يَخْتُمَ لِي بِخَيْرٍ فَعَجَّلَ لِي وَلَكِنْ فِي عَيُونِي
 وَأَخَذَ مِنْهُ الْكَحَالَ ذَهَبًا بِنَاءً عَلَى أَنْ يَبْرِيءَ عَيْنَهُ مِنَ الْأَلَمِ فَلَمْ يَتَّفَقْ ذَلِكَ فَقَالَ [الكامل]:
 عَجَبٌ لَذَا الْكَحَالِ كَيْفَ أَضْلَنِي وَلَكِنْ أَضَلَّ بِمِثْلِهِ وَبِمَئِينِهِ
 ذَهَبَ اللَّئِيمُ بِنَظَرِي وَمَا رَثَى لِأَخِي الْأَسَى إِذْ رَاحَ مِنْهُ بَعِينُهُ
 أَأَصَابَ مِنْهُ فِي ثَلَاثَةِ أَعْيُنٍ هَذَا لِعَمْرِكُمُ الصَّغَارُ بَعِينُهُ
 الثَّالِثُ مَضْمَنُ أَوَّلِ بَيْتٍ مِنْ شَوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ تَمَامُهُ [الكامل]:

لَا أُمَ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ^(١)

وَالنُّورُ الْإِسْعَرْدِيُّ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ [المنسرح]:

رَجُلٌ تَوَكَّلَ لِي وَاكْحَلَنِي فَفُجِعْتُ فِي عَيْنِي وَفِي عَيْنِي
 وَقَالَ النُّورُ أَيْضًا [السريع]:

يَا سَائِلِي لَمَّا رَأَى حَالَتِي وَالطَّرْفُ مَثِي لَيْسَ بِالْمُبْصَرِ
 لَغَسْتُ أَحَاشِيكَ وَلَكِنِّي سَمَحْتُ بِالْعَيْنَيْنِ لِلْأَعُورِ
 أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِهِمْ تَصَدَّقْ بِنَظَرِهِ عَلَى ذِكْرِهِ، وَقَالَ أَيْضًا [السريع]:

- فِي هَذَا الْوَرَى جُكْمَةٌ وَأَنْعُمُ أَعْيَتْ عَلَى الْحَاصِرِ
 عَوْضَنِي - وَاللَّهُ ذُو رَحْمَةٍ - عَنْ نَظَرِي الْبَاصِرِ بِالْأَصَارِ
 وَقَالَ يَضْمَنُ قَوْلَ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ [الخفيف]:

قُلْتُ إِذْ نَامَ مِنْ أَحِبٍّ وَأَبْدَى ضَرْطَةً آذَنْتُ لِي شَمْلِي بِجَمْعِ
 فَاتَّنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرْفِي فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي

١١٨ - «فوات الوفيات» للكتبي (١٦١/٢ - ١٦٣)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٩٩٥)، و«إيضاح المكنون»

للبيгдаدي (٤٩٠/١)، و«معجم المؤلفين» لكتّالة (٢٣٤/١١)

وقال يَضْمَن قول أبي الطيّب [الطويل]:
سباني معسول المراهف عاسل آل
يروم على إردافه الخصر مُسْعِداً
وقال أيضاً [البسيط]:

سَمَخْتُ بيعاً لمملوكٍ يعاندني
قالوا أَيْتَسَبُّ للعلان قلت لهم
وقال مُلْغِزاً في الطست والإبريق وظَرْفَ ما شاء [مجزور الكامل]:

وذاتِ بـطـنٍ فارغٍ
حتى إذا فارق في الـ
يصب فيها ماءً
وقال وهو ظريف [الكامل]:

كم رامَ أيري جَرْحَ جُحْر مُعَذِّبي
حتى تجرح رأسه فاعجب له
وقال أيضاً [الخفيف]:

قلت يوماً للزين هل تُثبِت البَغ
قال أثبتُ قلت ذقنك في استي
وقال أيضاً [البسيط]:

لما ثنى جيدَه للسُكر مضطجعاً
دببتُ ليلاً عليه بعد هجعتَه

(١) البيت من الكامل وتامه:

هذا لعمر كُم الصُّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

وهو من أكثر الشواهد النحوية المختلف عليها، فهو لرجل من مذحج في «الكتاب» لسيبويه (٢/٢٩٢)، وهو لضمرة بن جابر في «خزانة الأدب» للبغدادي (٢/٣٨)، وهو لهمام أخي جساس ابن مرة في «تخليص الشواهد» لابن هشام (عبد الله بن يوسف) (٤٠٥)، ولرجل من بني عبد مناة في «الدرر» للشنقيطي (٦/١٧٥)، وهو لزرافة الباهلية في «لسان العرب» لابن منظور (٦١/٦) مادة (حيس)، وبلا نسبة في «مغني اللبيب» لابن هشام (٥٩٣). والشاهد فيه قوله: «ولا أب» حيث جاء «أب» مرفوعاً بالابتداء بعد «لا» النافية غير العاملة التي تلت «لا» النافية للجنس، أو أن «أب» معطوف على محل (لا واسمها) لأنهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه نظراً لصيرورتها بالتركيب كأنهما شيء واحد وتكون «لا» زائدة لتأكيد النفي وقيل قائله: عمرو بن الغوث بن طيء وقيل هذا ابن أحمر. وانظر: «شرح ابن عقيل» ١/٣١٤ - ٣١٥ (دار الفكر).

ورأى في المنام كأنه يُنشد فانتبه وهو يحفظه [الوافر]:

دببتُ على الخطيب قبيل نوم فقال اصبر إلى وقت الدبيب
فلما نام قمْتُ إليه سرّاً فقل فيمن يطيب على الخطيب
وقال أيضاً [الطويل]:

وريم جلى لي خُرة مزة جلّت همومي وقد عاينتُ في خذه سطرًا
وربوته الشقراء ناعمة غدت ويا حسنّها من برزة ليتها عذرا
جمع فيها أسماء أماكن وهي سطر^(١) والربوة^(٢) والشقراء^(٣) والناعمة^(٤) وبرزة^(٥)
وعذراء^(٦)، والمزة في الأول^(٧).

وقال أيضاً [الخفيف]:

لحية طال شُغرها وعلّتها صفرة ليتها تكون لهيبا
لو لوى شعرها إلى أنفه الها ثل عاينت منه جنكاً عجيبا
وقال في غلام يحرق [الكامل]:

يا حارثاً تُروى مقاماتُ الهوى عن طرفه الفتاك غير مؤوّل
أضحى يشقّ لحود من قتل الهوى في حبه ليست خطوطاً مُهمّلة
روحي الفداء لبدر تمّ سائق للثور ليس يروم غير السنبلة
وقال مُلغزاً في عثمان [الكامل]:

يا سائلي عمن هويث وحسنه ذو شهرة في الناس وهو يُصان
خوف الوُشاة أجبت عنه مُلغزاً هو ثالث من سبعة وثمان
وقال في مليح ضعيف الخطّ [الخفيف]:

وهلال شكّا من الخطّ ضعفاً بمعانيه تُضرب الأمثال
قلت إن رمت جودة الخطّ فاكتب بمثالٍ فقال مالي مثال

١١٩ - «ناصر الدين بن قرناص» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن علي بن الحسين. ابن قرناص الخزاعي الحموي ناصر الدين أبو عبد الله، ولد سنة ثلاث عشرة

(١) سطر: قرية من قرى دمشق.

(٢) الربوة: موضع بالقرب من دمشق تحت جبل قاسيون ويخترقها نهر بردى.

(٣) الشقراء: عين ماء بالقرب من دمشق.

(٤) الناعمة: قرية بالقرب من دمشق.

(٥) برزة: حي من أحياء دمشق.

(٦) عذرا: قرية من قرى دمشق.

(٧) وانظر: «معجم البلدان» لياقوت.

وستمائة وتوفي في شوال سنة اثنتين وستين وستمائة، كان عالماً فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً كريم الأخلاق حسن الأوصاف جميل العشرة جَمَ الفوائد، من نظمه في ترتيب حروف كتاب المحكم في اللغة لابن سيدة [الطويل]:

عليك حروفاً هنّ غير غوامض قيود كتاب جلّ شأناً ضوابطه
صراط سويّ زلّ طالب دَحْضه تزيد ظهوراً إذ تناءت روابطه
لذلكم نلتدّ فوزاً بمحكم مصنفه أيضاً يفوز وضابطه

١٢٠ - «عماد الدين بن العربي أخو سعد الدين» محمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عربي. عماد الدين أبو عبد الله، قال الشيخ قطب الدين اليونيني: كان فاضلاً سمع الكثير وسمع معناه صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدايم المقدسي، وتوفي بدمشق في شهر ربيع الأول سنة سبع وستين وستمائة ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين، ولما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين المقدّم ذكره آنفاً^(١) [البسيط]:

ما للنّوى رِقّةً ترثي لمكتئبٍ حرّانٍ في قلبه والدمعُ في حَلَبِ
قد أصبحت حَلَبٌ ذات العماد بكم وجَلَقَ إِرَمٌ هذا من العَجَبِ

١٢١ - «الكامل بن العادل» محمد بن محمد بن أيوب بن شادي بن مروان. السلطان الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي وأبو المظفر بن السلطان الملك العادل أبي بكر وسيأتي ذكر والده، ولد بمصر سنة ست وسبعين وخمسائة وأجاز له العلامة ابن بَرّي وأبو عبد الله بن صدقة الحرّاني وعبد الرحمن بن الخرقى وخزج له أبو القاسم بن الصفراوي أربعين حديثاً وسمعها جماعة، تملّك الديار المصرية أربعين سنة شطرها في أيام والده وعمر دار الحديث بالقاهرة في سنة إحدى وعشرين وستمائة وجعل ابن دحية شيخها والقبة على ضريح الشافعي وجَرَّ إليها الماء من بركة الحبش إلى حوض السبيل والسقاية وهما على باب القبة المذكورة، وله المواقف المشهودة في الجهاد بدمياط المدة الطويلة وأنفق الأموال الكثيرة وكان يُحبّ أهل العلم ويجالسهم، ويؤثر العدل، شكّا إليه ركيّدار أنّ أستاذَه استخدمه شهراً بلا جامكية فألبس الغلام قماش أستاذه وأركبه فرسه وألبس الأستاذ قماش الغلام وأمره بخدمة الركيّدار وحملَ مَدَاسِهِ ستة أشهر، وكانت الطرق آمنة في أيامه، وبعث ولده الملك المسعود أطيّس افتتح اليمن والحجاز ومات قبله وورث أموالاً عظيمة، ولما بلغه وفاة أخيه الأشرف سار إلى دمشق وقد ملكها أخوه الصالح فحاصره وأخذها منه واستقرّ بقلعتها فلم يمتع بها ومات بعد شهرين بها في سنة خمس وثلاثين وستمائة في بيت صغير ولم يشعر به أحد من هيئته مرض بالسعال والإسهال نيفاً وعشرين يوماً ولم يتحرّج الناس عليه ولحقهم بهتة وكان فيه جبروت، ومن عدله الممزوج بالعسف أنه شق جماعة من الأجناد في أكيال شعير أخذوها، ودُفِنَ بالقلعة في تابوت ونُقلَ إلى تربته المعروفة به بجانب الشميصاتية

وشبّاكها إلى صحن جامع دمشق، وخلف ولدين العادل أبا بكر والصالح أيوب والصاحبة، وكان عنده مسائل غريبة من النحو والفقه يوردها فمن أجابه حظي عنده، حضر عنده زين الدين بن معطٍ في جملة العلماء فسألهم الكامل فقال «زَيْدٌ ذُهِبَ بِهِ» يجوز في زيد النصب فقالوا لا فقال ابن معطٍ نعم يجوز النصب على أن يكون المرتفع بذهب المصدر الذي دلّت عليه ذُهِبَ وهو الذهاب^(١) وعلى هذا فموضع الجاز والمجرور الذي هو به النصب فيجيء من باب زيد مررتُ به ويجوز في زيد النصب كذلك ههنا فاستحسن الكامل جوابه وأمره بالسفر إلى مصر فسافر إليها وقرّر له معلوماً جيداً وكان لا يزال يحضر عنده جماعة من الفضلاء، وله نظم نقلت من خطّ ابن سعيد المغربي قال: أورد الصاحب كمال الدين بن العديم للملك الكامل [البسيط]:

إذا تحقّقْتُم ما عند عبدكُم من الغرام فذاك القدر يكفيه
أنتم سكنتم فؤادي وهو منزلكم وصاحب البيت أدري بالذي فيه
وقد مدحه ابن سناء الملك بقصيدة أولها [الطويل]:

على خاطري يا شُغْلَهُ منك أشْغَالُ وفي ناظري يا نورَهُ منك تَمْثَالُ
وفي كبدي من نار خذَكَ شَعْلَةٌ وموضع ما أخلَيْتَ منها هو الخال
منها في المدح [الطويل]:

جنى عسلَ الفتحِ المبينِ بمرحه ولا غروَ إن اسمَ الرديني عَسَالُ
له صولة الرئبال في مائسِ القنا ولا ريبَ أنّ ابنَ الغضنفر رثبَالُ
إذا صال في يوم النزال تفضّلت لا عدائه بالرعبِ والدُعزِ أوصالُ

ومن جُلّم الكامل ما حكاه صاحب «كتاب الأشعار بما للملوك من النوادر والأشعار» فإنه حكى أن بعض خواصّه كان قد صار بحيث يبدو من فلتات لسانه كلماتٌ فيها غلظة في حق الملك الكامل ودام على ذلك إلى أن مات ذلك الشخص فلما مات قال لبعض ثقاته إمضِ إليه بسرعة وأُتِني بما في كمرانه وأتى بشيءٍ مثل الذرور فأحضر الطبيب وقال بمحضِرٍ من خواصّه ما هذا فقال سمّ فقال لأصحابه لهذا مع هذا الشخص ثلاث سنين يترقّب أن يجعل منه وأنا أعلم به وما أحبيت أن أفصحه، وكان ليلة جالساً فدخل عليه مظفّر الأعمى فقال له أجز يا مظفّر وأنشد [مخلع البسيط]:

قد بلغ الشوق متناه

فقال مظفّر: وما درى العاذلون ما هو

فقال السلطان: ولي حبيب رأى هواني

فقال مظفّر: وما تغيّرتُ عن هواه

١٢١ - «شذرات الذهب» لابن العماد (١٧٢/٥ - ١٧٣).

(١) هذا مذهب الفراء على ما يُستفاد من «شرح ألفية ابن معطٍ» للشريشي في بحث نائب الفاعل.

فقال السلطان : رياضة النفس في احتمالي

فقال مظفر : وروضة الحسن في حلاه

فقال السلطان : أسمرُ لَدُنَّ القوامِ أَلْمَى

فقال مظفر : يعشقه كلُّ مَنْ يراه

فقال السلطان : ريقته كلُّها مُدَامٌ

فقال مظفر : ختامها المسك من لَمَاهِ

فقال السلطان : ليلته كلُّها رِقَادٌ

فقال مظفر : وليتي كلُّها انتباه

فقال السلطان : وما يرى أن يهين عبداً

فسكت مظفر ساعةً فقام وقال : بالملك الكامل احتماه

وكانت في يد الكامل ورقة يكتب فيها ما ينظمه فألقاها من يده إلى الزين الدمياطي وأمره

أن يكتب لثلاثين مديحه بيده، قال مظفر فقلت [مخلع البسيط]:

العالم العامل الذي في كل حُلاه ترى أباه

ليثٌ وغيثٌ ويسدُرُ تمَّ ومنصبٌ جَلُّ مُرتقاه

ولما استردَّ الكامل دمياط من الفرنج وطلبوا منه الأمان أرسل إليهم ابنه الصالح أيوب وابن

أخيه شمس الملوك وجاءت ملوك الفرنج إلى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام

ووصل الأشرف موسى والمعظم عيسى في تلك الحالة إلى المنصورة في ثالث شهر رجب سنة

ثمان عشرة وستمائة فجلس الكامل مجلساً عظيماً في خيمة كبيرة عالية ومدَّ سماً عظيماً وأحضر

ملوك الفرنج والخيالة ووقف أخواه الأشرف والمعظم في خدمته وقام راجح الحلي الشاعر وأنشد

قوله [الطويل]:

هنيئاً فإنَّ السعد راح مغلداً

حَبَانَا إِلَهَ الخلق فتحاً بَدَا لَنَا

تَهَلَّلَ وَجْهُ الدهر بعد قطوبه

ولما طغى البحر الخِضَمُ بأهله الـ

أقام لهذا الدين من سلِّ عزَمَه

فلم يَنْجُ إِلَّا كلُّ شَيْءٍ مُجَدِّلٍ

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً

أَعْبَادَ عيسى إِنَّ عيسى وَحِزْبَه

وقد أنجز الرحمن بالنصر موعداً

مبيناً وإنعاماً وعزّاً مؤبداً

وأصبح وجه الشرك بالظلم أسوداً

تطغاة وأضحى بالمراكب مُزبداً

صقيلاً كما سلَّ الحسامُ المُهَنِّداً

ثوى منهم أو مَنْ تراه مقيداً

عقيرته في الخافقين ومُنشِداً

وموسى جميعاً يَنْصُرَانِ محمداً

وأشار عند قوله عيسى إلى عيسى المعظم وعند قوله موسى إلى الأشرف موسى وعند قوله محمد إلى الكامل محمد، قال الأمير سيف الدين بن اللمطي: كتب بعض المغاربة إلى الملك الكامل رقعة في ورقة بيضاء إن قرئت في ضوء السراج كانت فضية وإن قرئت في الشمس كانت ذهبية وإن قرئت في الظل كانت حبراً أسود فيها هذه الأبيات [المقارب]:

لئن صدني البحر عن موطني وعيني بأشواقها ساهرة
فقد زخرف الله لي مكة بأنوار كعبته الزاهرة
وزخرف لي بالنبي يثرباً وبالمملك الكامل القاهرة
قال الأمير سيف الدين بن اللمطي فقال الملك الكامل قل [المقارب]:
وطيب لي بالنبي طيبة وبالمملك الكامل القاهرة

١٢٢ - «جمال الدين بن عمرو النحوي» محمد بن محمد بن أبي علي بن أبي سعد ابن عمرو. الشيخ جمال الدين أبو عبد الله الحلبي النحوي، ولد سنة ست وتسعين وخمسائة تقديراً وتوفي سنة تسع وأربعين وستمائة، سمع من ابن طبرزد وأخذ النحو عن الموفق بن يعيش وغيره وبرع في العربية وتصدر لإقائها وجالسه الإمام جمال الدين بن مالك وأخذ عنه الشيخ بهاء الدين ابن النحاس وحدث عنه الشيخ شرف الدين الدمياطي، وشرح «المفصل»^(١) شرحاً مطوّلاً.

١٢٣ - «الجدائي الكاتب» محمد بن محمد بن المبارك بن علي الشيرازي. أبو سعد المعروف بالجدائي، كان من الأدباء وله شعر وكان كثير الهجاء سمع الحديث من أبي طالب بن غيلان وأبي بكر الخطيب وغيرهما وحدث باليسير، ومن شعره يهجو غرس النعمة أبا الحسن بن الصابي صاحب التاريخ [الطويل]:

ألا قل لغرس النعمة اليوم مدحة تجاوزتها من قبل أن تبلغ الستا
فقد كتب التاريخ قبلك معشر ولسنا نرى فيهم لما قلته خدنا
فإن كان كذب يملأ العين وحدها فكذبك فيه يملأ العين والأذنا
ومنه أيضاً [الخفيف]:

أدب نازح وخسة نفس لوضيع جدوده من سرخس
إن يكن من مضى كسيدنا أن ت فحمل غداً على أم أمس

قلت شعر جيد.

١٢٤ - «ابن محرز الزهري البلنسي الشاعر» محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن، أبو بكر الزهري البلنسي ويعرف بابن محرز، سمع وروى وكان أحد رجال الكمال علماً وإدراكاً وفصاحة مع

التفتن في العلوم وحفظ اللغات، روى عنه ابن الزبير، ولد في سنة تسع وستين وتوفي سنة خمس وخمسين وستمائة، وله شعر رائق فمنه ما قاله مُلغزاً في نارنجة [الرجز]:

ما ذات حمل وهي حمل نفسها
كالبدور إلا أنها مَكْنَةُ
لا حُرَّة في جنسها ولا بَغِي
تُريك من جملتها فاعجب لها
أهْلَةٌ إبدازها لا ينبغي
ومنه [الوافر]:

سقى الله المعرَّس إذ سهرنا
قطعنا ليلةً والحال رفع
به والحادثات بحال غمض
نضاجع من نبات الماء أو من
يقر العين منه عيش خفض
يزوِّقك أو يروِّعك منه فاعجب
ومنه [الخفيف]:

إن لله مطلقين أسارى
عثروا إذ تحيروا فرأهم
طلبوا القرب مهتدين خيارى
قُبلت منهم الصلاة وهم لا
فجزاهم بأن أقال العشارا
وكتب مع قلنسوة أهداها [الكامل]:

خذها محدبةً مقعرة لها
أطلع بها الأسنى جبينك يُحتلى
من طرفها ما للسماء من الحُبك
وكتب مع تفاحة [مجزوء الوافر]:

بعثت بها على عجل
فخذ من لونها خجلي
وودّ خالص صدقك
وكتب مع حجل [الكامل]:

مَزَّقْ مُوشى بُردها ومفضلاً
خذها بما فيه مشّت غدراً ولا
من طوقها انثره وعقر جنبها
فاعجب من البازي له في جنسها
تَغْفِلْ خُطاها في الدماء وغبها
نُظِمَتْ ثلاث بدائع في خلقها
أثُرُ العدو ولا يزال مُجَبِّها
تَثَرَتْ بها في كل قلب حُبها
تمشي بمرجانٍ وتبلع أرقماً
وبحبة الرمان تُلْقَطُ حُبها

وقال يخاطب والي بلنسية لما صدر إليه من مراکش [الكامل]:

بُشْرَى الْإِيَاب أَفَادَهَا لَكَ حَالاً مَا سَاءَ لَيْلَةٌ أَرْمَعُوا التَّزْحَالاً

كَمْ مَنَحَةٍ مِنْ مَحَنَةٍ نَجَّتْ وَكَمْ أَجْمَالٍ بَغِيْتِنِ سَبَّبَتْ إِجْمَالاً

وله الأبيات الدالية المكسورة واللامية المضمومة في وصف مثال نعل النبي ﷺ.

١٢٥ - «الحافظ ضياء الدين المالقي» محمد بن محمد بن صابر بن محمد بن صابر بن مُنْدار. الحافظ المتقن ضياء الدين أبو جعفر القيسي الأندلسي المالقي، ولد بمالقة سنة خمس وعشرين وستمائة، وسمع الكثير ببلاد المغرب وحجّ وسمع بمصر وقدم دمشق وسمع من أصحاب يحيى الثقفي، وكتب الكثير بخطه وكان سريع الكتابة والقراءة كثير الفوائد ديناً فاضلاً جيد المشاركة في العلوم، كتب عنه الشريف عزّ الدين وأفاد الطلبة ومات شاباً في القاهرة سنة اثنتين وستين وستمائة.

١٢٦ - «زين الدين الكوفي المحدث» محمد بن محمد بن أبي بكر. المحدث المفيد زين الدين أبو الفتح الأبيوردي الكوفي الصوفي الشافعي، ولد سنة ستمائة أو سنة إحدى، وقدم دمشق وسمع من كريمة والضياء المقدسي وجماعة، وبمصر من أصحاب السلفي وابن عساكر ومن أصحاب البوصيري والخشوعي، وكتب الكثير وحصل جملةً سالحةً وكلف بالحديث وحرص وبالع في الإكثار وخزج المعجم وروى السير ولم يعمر ولا أفاق من الطلب وأدركته المنية وطلب وهو ابن أربعين، ووقف كتبه وأجزأه، وروى عنه الدمياطي وله شعر يسير، وكوفن بلدة قريبة من أبيورد.

١٢٧ - «بدر الدين الواعظ النيسابوري» محمد بن محمد بن أبي سعد بن أحمد. العالم الواعظ بدر الدين أبو حفص الكرمانلي الأصل النيسابوري التاجر، ولد بشاذياخ نيسابور في تاسع المحرم سنة سبعين كان يمكنه أن يسمع من ابن الفراوي وطبقته وإنما سمع في الكهولة من ابن الصفار القاسم بن عبد الله وحديث بدمشق ومصر وعمر دهرًا طويلاً وحفظ مقامات الحريري، قال الشيخ شمس الدين الذهبي: ولا نعلم أحداً روى بعده بالسماع عن ابن الصفار، روى عنه الدمياطي وإمام الحنابلة وابن الخباز وابن الزراد وقارب المائة، وتوفي سنة ست وستين وستمائة.

١٢٨ - «عماد الدين بن الشيرازي الكاتب» محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن مَمِيل. الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل بن القاضي شمس الدين بن الشيرازي الدمشقي صاحب الخط المنسوب، سمع أباه وابن ملاعب وابن الحرستاني، وروى عنه الخباز وابن العطار والشيخ جمال الدين الجزّي والشيخ علم الدين البرزالي وطائفة، وكان رئيساً محتشماً متمولاً مليح الشكل متواضعاً وقوراً وافر الحرمة، كتب على الولي الكاتب وانتهى إليه التقدم في براعة الخط لا سيما في المحقق والنسخ، ارتحل غير مرة للتجارة فسمع ولده المعمر أبا نصر من أصحاب السلفي، واتفق أنه قبل موته بأربعة أيام شهد عند ابن الصائغ في العادلة وهو طيب وركب وخرج فتغير عند

باب الجابية وأصابه فالج فركب الغلام خلفه وأمسكه إلى البستان واستمر به المرض إلى أن مات سنة اثنتين وثمانين ودفن بسفح قاسيون، وحُكي لي أنه بلغه أن ربيعةً في بغداد بخط ابن البواب كتبها بخفيف المحقق فاستعمل من ورق الطير جملةً وأخذها معه وتوجه إلى بغداد وأخذ تلك الربيعة جزءاً فجزءاً وكان يضع ورق الطير على خط ابن البواب فيشِف عما تحته ويجلي الكتابة له فيكتب عليها لا يخلُ بذرةٍ منها، وقد رأيت أنا من هذه الربيعة التي كتبها عماد الدين جزءاً وما في الورقة مكتوب إلا وجهةً واحدةً فكنت أتعجب لذلك فلما سمعت هذه الواقعة علمت السبب في ذلك والله أعلم، وحُكي أيضاً أنه توجه إلى الديار المصرية واتفق أنه ركب في النيل مع صاحب تاج الدين بن حنّا فكان معه جماعة من أصحابه المختصين به وكان فيها شخص يعرف بابن الفقاعي ممن له عناية بالكتابة فسأل صاحب بهاء الدين وقال: يا مولانا عندي لمولانا صاحب وهؤلاء الجماعة يوم كامل الدعوة، ومولانا يدعُ المولى عماد الدين يفيدني قطة القلم فقال والله ما في ذا شيء مولانا يتفضل عليه بذلك فأطرق عماد الدين مغضباً ثم رفع رأسه وقال أَوْخِرْ لك من ذلك قال وما هو قال أحملُ إليك ربيعة بخطي وتعفيني من هذا فقال صاحب لا والله الربيعة بخط مولانا تساوي ألفي درهم وأنا ما أكل من هذه الضيافة شيئاً يساوي عشرة دراهم أو كما قيل، وكان قد طُلب إلى الديار المصرية ورُتب ناظراً على الأملاك الظاهرية والتعلقات المختصة بالملك السعيد بن الظاهر وذلك في أواخر الدولة الظاهرية بعد وفاة الرئيس مؤيد الدين أسعد بن القلانسي، وكان والده القاضي شمس الدين أبو نصرٍ من كبار العلماء العارفين بالمذهب وولي نيابة الحكم بدمشق مدة زمانية.

١٢٩ - «الحافظ شمس الدين بن جعوان» محمد بن محمد بن عباس بن أبي بكر بن جعوان بن عبد الله. الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الأنصاري الدمشقي الشافعي النحوي، أحد الأئمة أخذ النحو عن جمال الدين محمد بن مالك وكان من كبار أصحابه ثم أقبل على الحديث وعُني به أتم عناية وسمع من ابن عبد الدائم وابن النشبي وابن أبي الخير وغيرهم وارتحل إلى مصر وسمع من عامر القلعي والعزّ الحزّاني وطائفة وكتب كثيراً بخطه وخزج المشايخ وقرأ المسند على ابن علان قراءة لم يسمع الناس مثلها في الفصاحة والصحة وحضره جماعة من الأئمة فما أمكنهم أن يأخذوا عليه لحنةً واحدةً، ومات في عنفوان الشبيبة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وهو أخو الفقيه الزاهد شهاب الدين، كتب ابن جعوان إلى أهله من تبوك^(١) [الطويل]:

كُتِبَتْ كتابي من تبوك لتسعة مضت بعد عشرٍ في المحرم ولت

وإني بحمد الله أرجو لقاءكم إذا صفرُ عشرون منه تبقت

١٣٠ - «القاضي بهاء الدين بن خلكان» محمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان. القاضي بهاء الدين أبو عبد الله الإربلي الشافعي قاضي بعلبك أخو قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان، ولد بإربل سنة ثلاث وستمائة، وسمع صحيح البخاري من أبي جعفر بن مكرم كأخيه وحَدَّث وسمع منه ابن أبي الفتح والشيخ علم الدين البرزالي والجماعة، وهو والد النجم صاحب

الفيض والخيال الهذيانى وكان معدوم النظير في كثير من أوصافه من التواضع المفرط ولين الكلمة ورقة القلب وسلامة الصدر، توفي ببعلبك قاضياً بها في سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ولم ينله من جميع ما كان باسمه من الجراية والجامكية إلا قوته لا غير ولا يسأل عما عدا ذلك ومات فما خلف ديناراً ولا درهماً وعليه جملة من الدين فأبيعت كتبه لوفائها، وتوفي أخوه القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان قبله سنة إحدى فلم ترقأ له بعده دمةً ودفن في تربة الزاهد عبد الله اليونيني.

١٣١ - «الشيخ بدر الدين بن مالك» محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك. الإمام البليغ النحوي بدر الدين ابن الإمام العلامة جمال الدين الطائي الجيتاني ثم الدمشقي كان إماماً ذكياً فهِماً حاذٍ الخاطر إماماً في النحو إماماً في المعاني والبيان والبديع والعروض والمنطق جيد المشاركة في الفقه والأصول أخذ عن والده وجرى بينه وبين والده صورةً سكن لأجلها ببعلبك فقرأ عليه بها جماعة منهم بدر الدين بن زيد، فلما مات والده طُلب إلى دمشق وولي وظيفة والده وسكنها وتصدى للإشغال والتصنيف، وكان اللعب يغلب عليه والعشرة، حكى لي الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين محمود الكاتب رحمه الله تعالى حكاية جرت له مع الأمير علم الدين سنجر الدواداري وهي غريبة وما أُؤثر ذكرها وحكى لي غيره عنه ما يوافقها من اللعب وكان إماماً في مواد النظم من العروض والنحو والمعاني والبيان والبديع ولم يقدر على نظم بيت واحد ولقد حضرته إليه رقعة من صاحبه فيها نظم أراد أن يجيبه عنها بنظم فجلس في بيته من بكرة إلى صلاة العصر ولم يقدر على بيت واحد حتى استعان بجار له في المدرسة على الجواب بعدما حكى ذلك لجاره، وقيل لي إنه أملى على قول أبي جلنك [الكامل]:

والبان تحسبه سنانيراً رأت قاضي القضاة فنقشت أذناها

كُرَاسَةً وتكلم على ما في هذا البيت من علوم البلاغة سبحانه الله العظيم، ووالده كان ينظم العلوم في الأراجيز ويُدْرَج المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة وهذا دليل القدرة على النظم، ومن تصانيف الشيخ بدر الدين «شرح ألفية والده المعروفة بالخلاصة» وهو شرح فاضل منقّى منقح وخطاً والده في بُعْيُضِ المواضع ولم تشرح الخلاصة بأحسن ولا أسدً ولا أجزل على كثرة شروحا وأراها في الشروح كالشرح الذي لابن يونس للتنبيه، و«المصباح» اختصر فيه معاني وبيان المفتاح وهو في غاية الحسن وقيل إنه وضع أكبر منه وسماه «روضة الأذهان» وإلى الآن لم أره ورأيت له «مقدمة في المنطق» و«مقدمة في العروض»، ومات قبل الكهولة من قولنج كان

١٢٩ - «بغية الوعاة» للسيوطي (١/٢٢٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٣٨١).

(١) تبوك: مدينة تقع في شبه الجزيرة العربية شمالي العربية السعودية تكثر فيها العيون والنخل، وفيها حائط ينسب إلى النبي ﷺ، وبين تبوك والمدينة المنورة اثنتا عشرة مرحلة، انظر: «معجم البلدان» لياقوت (١/٤٣٢).

١٣٠ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٣٨٤).

١٣١ - «بغية الوعاة» للسيوطي (١/٢٢٥)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٣٩٨ - ٣٩٩).

يعتريه كثيراً في سنة ست وثمانين وستمائة بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وكثر التأسف عليه، وولي إعادة الأمانة بعده الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وكثر تأسف الناس عليه، وقيل إنه حضر مجلس الشيخ شمس الدين الأيكي وكان يعرف الكشاف معرفةً مليحةً فقعد لا يتكلم والأيكي يذكر درسه إلى أن أطال الكلام فقال له يا شيخ بدر الدين لأي شيء ما تتكلم فقال ما أقول ومن وقت تكلمت فيه إلى الآن عددت عليك إحدى وثلاثين لحنةً أو كما قيل.

١٣٢ - «فخر الدين بن التنبّي»^(١) الكاتب» محمد بن محمد بن عقيل. فخر الدين بن الصدر بهاء الدين بن التنبّي بالتاء ثالثة الحروف والنون والباء الموحدة على وزن جَلَى الكاتب، روى عن الشيخ الموفق بن قدامة والعَلَم السخاوي وكتب الخطّ المليح طريقة ابن البوّاب على الشيخ ولي الدين العجمي، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

١٣٣ - «جمال الدين بن سالم قاضي نابلس» محمد بن محمد بن سالم بن يوسف بن صاعد. القاضي جمال الدين ابن القاضي نجم الدين سفير الدولة قاضي القضاة شمس الدين النابلسي الشافعي قاضي نابلس وابن قاضيها، إمام جليل متميّز فاضل رئيس، ولد سنة عشرين وسمع بالقدس على الأوقّي مشيخة الفسوي وغيرها، وكان قاضي نابلس مدّةً وأضيف إليه آخر عمره قضاء القدس، سمع عليه الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي بقراءة الحافظ العلامة جمال الدين المزيّ بدار الحديث لما قدم دمشق، وتوفي سنة أربع وتسعين وستمائة.

١٣٤ - «الأسد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك» محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، تقي الدين. المعروف بالأسد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك وأخو الشيخ بدر الدين المذكور آنفاً^(٢)، قال الشيخ شمس الدين: صنف له والده «الألفية» فلم يحذق في نحو وكان طيّب الصوت يقرأ بالظاهرية وله مسجد ودكان شهود، وتوفي في سنة تسع وستمائة^(٣)، قلت و«المقدمة الأسديّة» لوالده أيضاً وهي صغيرة نثر غير نظم إنما وضعها باسمه.

١٣٥ - «الغالب بالله ابن الأحمر صاحب الأندلس» محمد بن محمد بن يوسف بن نصر. صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله ابن الأحمر، تملك بعد والده سنة إحدى وسبعين وامتدت أيامه إلى أن مات في سنة تسع وتسعين وستمائة وهو من الخزرج، أخبرني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان قراءةً مني عليه وهو يسمع: رأيت بغرناطة مراراً بالمصلّى وأنشدته قصيدةً أمدحه بها وحضرت عنده إنشاد الشعراء في بعض أعياده وكان رجلاً جميلاً عاقلاً حسن السياسة متظاهراً بالدين وقرأ شيئاً من النحو على الأستاذ أبي الحسن الأبدّي، ويُذكر أنّ له نظماً وقد اشتهر عنه وهو قوله يخاطب وزيره أبا سلطان عزيز بن علي الداني [المتقارب]:

تَذَكَّرْ عَزِيزُ لِيَالَيْنَا وَأُنْسَا نُعَاطِي عَلَى الْفِرْقَدَيْنِ
وَنَحْنُ نَدَبِّرُ فِي مُلْكِنَا وَنُعْطِي النُّضَارَ بِكَلْتَا الْيَدَيْنِ

١٣٢ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٤٢٤).

(١) في «شذرات الذهب» (٥/٤٢٤): التنبّي.

وقد طلب الصلح منا اللعين
إذا ما تكاثر إرساله
فلم لا تشمر عن ساعد
وقد خدمتنا ملوك الزمان
فنسأل من ربنا عونهُ
ومما ذكر عنه له قوله [الطويل]:

أيا ربّة الحُسن التي أذهبت نُسكي
على كلّ حال أنتِ لا بُدّ لي منك
فإِما بِذلّ وهو أليقّ بالهوى
وإِما بِعِزّ وهو أليقّ بالملك

انتهى ما أخبرني الشيخ أثير الدين، قلت: لم أثبت هذه القطعة الأولى إلا من كونها شعر سلطان وإلا فليست ممّا يُتَقَى وأما البيتان الكافيّان فإنّي نظمت جوابه مجاراةً كأنيّ حاضره وفي وزنه ورويّه وهو [الطويل]:

متى لاقَ بالعُشاق عِزّ وسطوة
كأنك من ذلّ المحبة في شك
تلقّ الهوى مغ ما ملكت بِذلّة
لِتُنظّمَ مغ أهل المحبة في سلك

بويح السلطان أبو عبد الله بعد أبيه سنة إحدى وسبعين فتملك ثمانية أعوام ثم توتّب عليه أخوه أبو الجيوش نصر وظفر به فخلعه وسجنه مدّة ثم جهزه إلى بلده شَلُوبِينَة^(١) فحبسه إلى أن تحرك على نصر ابنُ أخته الغالب بالله وطلب نصرُ أخاه المخلوع إلى غرناطة فجعله عنده بالحمراء في بيت أخته ومرض أبو الجيوش نصر فأغمي عليه ثلاثة أيام فأحضر الكبراء أخاه ليملكوه فلما عوفي أبو الجيوش تعجّب من مجيئه وأخبر فغرّقه خوفاً من شهامته وكان خلعه سنة تسع وتسعين وسبعمائة^(٢) ووفاته.

١٣٦ - «الشيخ محيي الدين الشاطبي المحدث المالكي» محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سُرَاقَة. محي الدين أبو بكر الأنصاري الأندلسي الشاطبي، مولده في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة بشاطبة وتوفي سنة اثنتين وستين وستمائة بالقاهرة ودفن بسفح المقطم، سمع الكثير وولي مشيخة دار الحديث البهائية بحلب ثم قدم الديار المصرية وولي مشيخة دار الحديث الكاملية بالقاهرة إلى حين وفاته، وكان أحد الأئمة المشهورين بغزارة الفضل وكثرة العلم والجلالة والتبّل وأحد المشايخ المعروفين بطريق القوم وله في ذلك إشارات لطيفة مع ما جُبل عليه من كرم الأخلاق وأطراح التكليف وِرقة الطبع ولين الجانب وله شعر منه [الطويل]:

إلى كم أمّتي النفس ما لا تناله
فيذهب عمري والأمني لا تُقضى

(١) انظر رقم (١٣١).

(٢) إن سنة وفاته غير صحيحة، لأن والده الإمام ابن مالك ولد سنة (٦٠٠هـ). ففعل وفاته كانت سنة (٧٠٩).

وقد مرّ لي خمس وعشرون حجةً
وأعلمُ أنني والثلاثون مدّتي
فماذا عسى في هذه الخمس أرتجي
ومنه أيضاً [مخلع البسيط]:

وصاحب كالزّلال يمحو
لم يُخصِ إلاّ الجميلَ مني
وهذا عكس قول أحمد المنازي [مخلع البسيط]:
وصاحب خلّثه خليلاً
لم يُخصِ إلاّ القبيحَ مني
كأنه كاتبُ اليمينِ
كأنه كاتبُ الشمالِ

وكان محيي الدين من أبناء القضاة حفظ القرآن العظيم وتفقه على مذهب مالك رضي الله عنه ورحل إلى بغداد ولقي بها أبا حفص عمر بن مكرم الدينوري وأبا علي الحسن بن مبارك بن محمد الزبيدي وأبا الفضل بن بكران وقدم إربل وقرأ على أبي الخير بدران التبريزي.

١٣٧ - «قاضي حلب القاضي شمس الدين الدمشقي» محمد بن محمد بن بهرام. الدمشقي الشافعي العلامة قاضي حلب وخطيبها ومفتيها شمس الدين أبو عبد الله ولي القضاء مدةً طويلةً، تفقه بمصر على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وبرع في المذهب وتصدّر وخرّج له الأصحاب وكان محمود الأحكام على ضيق خلقه كان يخالف قرا سقّر نائبها في أغراضه فعزل بالقاضي زين الدين ابن قاضي الخليل وتوفي سنة خمس وسبعمائة.

١٣٨ - «البوزجاني الحاسب» محمد بن محمد بن يحيى بن إسماعيل بن العباس. البوزجاني بالبلاء الموحدة والواو والزاي والجيم أبو الوفاء أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة والحساب وله فيهما استخراجات غريبة لم يُسبق إليها، قال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى: كان شيخنا العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس رحمه الله وهو القيم بهذا الفن يبالغ في وصف كتبه ويعتمد عليها في أكثر مطالعته ويحتج بما يقوله وكان عنده من تأليفه عدة كتب وله في استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع، ولد يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة^(١) بمدينة بوزجان انتهى، قلت: ومن تصانيفه في الحساب «كتاب المنازل» وهو مبسوط مرتّب جيّد إلى الغاية^(٢).

١٣٩ - «أبو النصر الطوسي الزاهد» محمد بن محمد بن يوسف بن الحجاج. أبو النصر الطوسي الزاهد العابد يصوم النهار ويقوم الليل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويتصدق بما فضل عن

(١) شلوبيته: حصن في الأندلس من أعمال كورة البيرة على شاطئ البحر كثير الموز وقصب السكر. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (١٥٣/٣).

(٢) تقدم ذكر وفاته سنة (٦٩٩هـ) وقوله وسبعمائة خطأ من الناسخ.

قوته، رحل في طلب الحديث إلى العراق والشام ومصر والحجاز وسمع الكثير وجزاً الليل ثلاثة أجزاء جزاً للقرآن وجزاً للتصنيف وجزاً للراحة، توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، ورثي في المنام فقال الرائي وصلت إلى ما تطلبه فقال إي والله أنا عند رسول الله ﷺ وبشر بن الحارث يحجبنا بين يديه ويرافقنا وقد عرضت مصنفاتي كلها على رسول الله ﷺ فرفضها.

١٤٠ - «القاضي محيي الدين ابن الشهرزوري» محمد بن محمد بن عبد الله بن القسم بن المظفر بن علي. القاضي محيي الدين أبو حامد الشهرزوري، ولي القضاء بالموصل وقدم بغداد رسولاً من صاحبها فأكرمه الخليفة وخلع عليه، توفي في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ومن نظم في يوم وقع فيه الثلج [الوافر]:

ولما شاب رأس الدهر غيظاً لما قاساه من فقد الكرام
أقام يُميط عنه الشيبَ عمداً وينشر ما أمار على الأنام

قلت هذا تخيل حسن إلى الغاية، وما أحسن قول أبي طالب المأموني [البسيط]:
كأن في الجوّ منه وهو منعكس سحابةً نشأت من فت كافور
كأن ناق ثمود في الهواء غدت ترمي اللُغام على الأرضين والدور
وقول الآخر [الكامل]:

فالأرض تضحك عن قلائد أنجم نُشِرَتْ بها والجوّ جهّم قاطبُ
فكأنما رَنّت البسيطة تحته وأكبّ يرجمها الغمام الحاصبُ

وهو يُشبه قول الغزي [الكامل]:
والسحب من برّد تسحّ كأنما ترمي البسيطة عن قسيّ البُنْدُقِ
وقول صاحب بن عباد [الخفيف]:

أقبلَ الثلجُ فانبسطَ لِسُرُورٍ ولشرب الكبير بعد الصغير

١٣٧ - «شذرات الذهب» لابن العماد (١٣/٦).

١٣٨ - «الفهرست» لابن النديم (٢٨٣)، و«فيات الأعيان» لابن خلكان (١٠٦/٢ - ١٠٧)، و«تاريخ الحكماء» للقفطي (٢٨٧ - ٢٨٨)، و«مختصر الدول» لابن العبري (٣١٥)، و«تاريخ حكماء الإسلام» لليهقي (٨٤ - ٨٥)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٤٧٢ - ١٧١٨)، و«الأعلام» للزركلي (٢٤٤/٧)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٥٥/٢ - ٥٦)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٣٠٩/١١ - ٣١٠).

(١) في «فيات الأعيان» (١٠٦/٢ - ١٠٧): سنة (٣٧٦ هـ).
(٢) وله رسالة فيما يحتاج إليه الصانع من أعمال الهندسة توجد نسخة منها في مكتبة أياصوفيا ورقمها (٢٧٥٣) وكانت كُتبت لخزانة كتب الغ بيك.

١٣٩ - «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٠٢/٣ - ١٠٣)، و«اللباب» لابن الأثير (٩٣/٢)، و«مختصر دول الإسلام» (١/١٦٧)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٣٦٨/٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣٣٦/٢)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٥٥٦)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٣١٢/١١).

فَكَأَنَّ السَّمَاءَ صَاهَرَتْ الْأَرْضَ ضَ فَصَارَ النَّشَارُ مِنْ كَافُورٍ
وقول ظافر الحدّاد [مجزوء الوافر]:

كَأَنَّ الرِّيحَ تَنْثُرُهُ عَلَى الْأَرْضَيْنِ فِي وَشْكِ
تُعْرِبِلُ مِنْ خِلَالِ النَّدَى ذَ كَافُوراً عَلَى مِسْكِ

قيل إنه مُدَّةٌ ولايته في الموصل لم يعتقل أحداً على ذَنْبٍ في دينارين فما دونهما بل كان يوفي ذلك من ماله، وهو ووالده لهما شعرٌ حَسَنٌ وسيأتي ذكر والده القاضي كمال الدين، ومن شعر محيي الدين المذكور [الخفيف]:

إِنْ تَبَدَّلَتْ بِي سِوَايَ فَإِنِّي لَيْسَ لِي مَا حَيْثُ مِنْكَ بِدِيلُ
لِي أُذُنٌ حَتَّى أُنَاجِيكَ صَمًّا وَطَرْفٌ حَتَّى يَرَاكَ كَلِيلُ
ومنه [مخلع البسيط]:

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ عَنْ مَحَبِّ مَا زَارَهُ بِعَدِّكَ الرُّقَادُ
فِرَاشُ جَنْبِيهِ مِنْ قَتَادٍ وَكَحْلُ أَجْفَانِهِ سُهَادُ
ومنه [الخفيف]:

جَادَ لِي فِي الرُّقَادِ وَهَنًا بِوَصْلِ أَنْشَطَ الْقَلْبِ مِنْ عِقَالِ الْهَمُومِ
وَجَفَانِي لِمَا انْتَبَهْتَ فَمَا أَقْدَ رَبِّ مَا بَيْنَ شِقْوَتِي وَنَعِيمِي
ومنه [الكامل]:

لَا تَحْسِبُوا أَنِّي امْتَنَعْتُ مِنَ الْبُكْيِ عِنْدَ الْوَدَاعِ تَجَلُّدًا وَتَصَبُّرًا
لَكُنِّي زَوَّدْتُ عَيْنِي نَظْرَةً وَالِدَمْعُ يَمْنَعُ لِحَظَّهَا أَنْ يَنْظُرَا
إِنْ كَانَ مَا فَاضَتْ فَقُلْتُ الزَّمْتُهَا صِلَّةَ السُّهَادِ وَسُنْمَتِهَا هَجَرَ الْكَرَى
قلت: شعرٌ جيّد في الذروة.

١٤١ - «الكشميهني الصالح» محمد بن محمد بن محمود. الكشميهني بالكاف والشين المعجمة الساكنة والميم المكسورة والياء آخر الحروف ساكنة والهاء والنون، كان من الصلحاء وله مجاهدات ورياضات، توفي سنة ست عشرة وستمائة وأوصى أن يكتب على كفته [الطويل]:

يَكُونُ أَجَاجَا دُونَكُمْ فَإِذَا انْتَهَى إِلَيْكُمْ تَلْقَى نَسْرَكُمَ فَيَطِيبُ

وهذا البيت من أبياتٍ مختلف فيها الصحيح أنها «للعباس بن الأحنف» والله أعلم.

١٤٢ - «محمد التكريتي الشاعر» محمد بن محمد التكريتي. النحوي أقام ببغداد وقرأ الأدب وبرع فيه وله شعر من جملته [مخلع البسيط]:

مَنْ كَانَ ذِمُّ الرَّقِيبِ يَوْمًا فَإِنِّي لِلرَّقِيبِ شَاكِرُ

لَمْ أَرْ وَجَةَ الرَّقِيبِ وَقْتاً إِلَّا وَوَجَهُ الْحَبِيبِ حَاضِرَ
أَخَذَهُ بَرُمَتَهُ مِنْ قَوْلِ [الخفيف]:
لَا أَحَبَّ الرَّقِيبَ إِلَّا لِأَتِي لَا أَرَى مَنْ أَجِبُّ حَتَّى أَرَاهُ
تُوفِيَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسِتْمِائَةٍ.

١٤٣ - «محمد بن مسلمة الإشبيلي الشاعر» محمد بن محمد بن مسلمة. الإشبيلي وسلفه من قُرْبَةِ أَبُو الْحُسَيْنِ، وَكَانَ جَمِيلَ الصُّورَةِ فِي صُغْرِهِ وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو الْعَبَّاسِ اللَّصُّ [المجتث]:

خَلَبَتْ قَلْبِي بِلَحْظِ أَبَا الْحُسَيْنِ خَلُوبِ
فَلِمَ أَسْمَى بِلَصِّ وَأَنْتَ لَصُّ الْقَلُوبِ
تُوفِيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَسِتْمِائَةٍ، وَقَالَ فِي كَبِيرِ الْحَدَادِ [الكامل]:

وَمَنْضِدٍ فِيهِ الرِّيحُ سَوَاكِنُ فَإِذَا تَحَرَّكَ أَذْنُ بِهَبُوبِ
يَطْوِي عَلَى زَفَرَاتِهِ كَشْحاً لَهُ عِنْدَ التَّحَرَّكِ هَيْئَةُ الْمَكْرُوبِ
وَلَا بَنُوسَ الْفَحْمِ إِنْ عَرَضَتْهُ أَهْدَى لَهُ مَا شِئْتَ مِنْ تَذْهِيبِ
صَدْرُ الْمُحِبِّ يُخَالُ مِنْهُ مُغَمَّلاً وَمَتَى تُعْطَلُهُ فَخَصْرُ حَبِيبِ
وَقَالَ فِي قَصِيدَةِ [الكامل]:

يَا دَارُ، وَادِي الشَّطِّ مِنْ أَعْلَى الْقُرَى هَطَلْتُ عَلَيْكَ مِنَ الْغَمَامِ ثِقَالُهَا
عَهْدِي بِدَوْحِكَ وَهُوَ يَخْطُرُ مِنْ قَنَاءِ وَالسَّرْبِ وَهُوَ مِنَ الْجِيَادِ رِعَالُهَا
وَمَهَاكَ هَذَا الْبَيْضُ وَهِيَ أَوَانِسُ يَقْصِدُنَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ زِبَالُهَا
نَفَرْتُ تَصِيدُ وَلَا تُصَادُ وَإِنَّمَا تُدْنِي لَنَا آجَالَنَا آجَالُهَا
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الْوَشَاحِ خَرِيدَةٌ^(١) لِقَاءِ غَصٍّ بِسَاقِهَا خَلْخَالُهَا
مِنْهَا [الكامل]:

أَيَّامُ أَرْضِكَ لَا يَطِيرُ غَرَابُهَا سَالَتْ مَذَانِبُهَا وَرَقَّ ظِلَالُهَا
فَكَأَنَّهَا وَالْأَمْنُ فِيهَا وَالْمُنَى لِأَبِي سَلِيمَانَ أَغْتَدَتْ أَعْمَالُهَا
قُلْتُ قَوْلَهُ «عَهْدِي بِدَوْحِكَ» الْبَيْتَ أَخَذَهُ مِنْ ابْنِ هَانِيءٍ الْأَنْدَلِسِيِّ حَيْثُ يَقُولُ [الكامل]:
إِذْ ذَلِكَ الْوَادِي قَنَاءً وَأَسِنَّةً وَإِذَا الدِّيَارُ مَشَاهِدٌ وَمَحَافِلُ
وَالرَّابِعَ أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي سَعِيدِ الْمَخْزُومِيِّ [المديد]:

حَدَقَ الْآجَالُ آجَالَ

١٤٤ - «محمد اليعمري الأَبْذِي» محمد بن محمد بن اليعمري. الأَبْذِي بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ وَبِأَوَّهَا الْمُوَحَّدَةِ مُشَدَّدةً وَهَمْزُهَا مَضْمُومَةٌ، أَبُو بَكْرٍ، قَالَ ابْنُ الْأَبَّارِ فِي «تَحْفَةِ الْقَادِمِ»: أَنْشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الصفار الضرير قال أنشدنا أبو بكر المذكور يهجو ابن همشك [مجزوء الوافر]:

هُمَشْكُ ضُمٌّ مِنْ حَرْفَيْنِ نَ مِنْ هَمٍّْ وَ[مِنْ] شَكْ
فَعَيْنِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا لِأَمْرَتِهِ أَسَى تَبْكِي

هذا إبراهيم أحمد بن همشك رومي الأصل ملك في الفتنة جيغان وشقورة^(١) وكثيراً من أعمال غرب الأندلس، قال ابن الأتار: كان يعذب خلق الله تعالى بالتعليق والتحريق ولا يتناهى عن منكر فعله من رميهم بالمجانيق، ودهدتههم كالحجارة من أعالي النيق، وحكى ابن صاحب الصلاة عن بعض الصالحين أنه رآه في النوم فقال له كيف حالك وما لقيت من ربك فأنشده بيتين لم يُسمعا قبل وهما [البسيط]:

مِنْ سَرِّهِ الْعَيْثُ فِي الدُّنْيَا بِخَلْقِهِ يَصَوِّرُ الْخَلْقَ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَا
فَلِيَحْزَنَ الْيَوْمَ حَزْناً قَبْلَ سَطْوَتِهِ مُغَلَّلاً يَمْتَطِي جَمْرَ الْغَضَا فُرُشَا

١٤٥ - «ابن أبي البقاء البلنسي» محمد بن محمد بن سليمان. الأنصاري الأستاذ أبو عبد الله البلنسي يعرف بابن أبي البقاء، أصله من سرقسطة^(٢) وتعلم كثيراً فبرع في العربية وعلم بها واعتنى بتقييد الآثار وكان شاعراً مجوداً، توفي سنة عشر وستمائة قال من مرثية [البسيط]:

قَدْ عَلَّمْتَنِي اللَّيَالِي أَنْ رِيْقَتَهَا صَابٌ وَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ عَسَلُ
إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الْأَمَالُ مُشْرِقَةً بِهِ وَعِيشُ الْأَمَانِي بَزْدُهَا خَضَلُ
أَصَابَ صَرْفُ اللَّيَالِي مِنْهُ قَطَبٌ جَجَى يَا مَنْ رَأَى الشَّهْبَ قَدْ أَعِثَ بِهَا السُّبُلُ
وَهَذَا لِلْحَلَمِ طَوْدًا شَاغِخًا عِلْمًا يَا لِلَّيَالِي تَشْكُو صَرْفَهَا الْحِيلُ
وَضَاقَ وَجْهُ الدَّجَا عَنْ نَوْرِ بَهْجَتِهِ فَكَيْفَ تُوسِعُهَا إِشْرَاقُهَا الْأُصْلُ
وَقَالَ يَصِفُ السِّيفَ [الطويل]:

وَذِي رَوْنِقٍ كَالْبَرْقِ لَكِنْ وَعْدَهُ صَدُوقٌ وَوَعْدُ الْبَرْقِ كَذْبٌ وَرَبَّمَا
عَقَدْتُ نَجَادِيَهُ لِحُلِّ نَمَائِمِي وَقُلْتُ لَهُ كُنْ لِلْمَكَارِمِ سُلْمَا
وَسَاءَ الْأَعَادِي إِذْ بَكَتْ شَفْرَاؤُهُ وَسِرٌّ وَلَاةُ الْوُدِّ حِينَ تَبَسَّمَا
وَقَالَ أَيْضاً [الخفيف]:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْغَرَامِ أَنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمٌ جِمَامِ
عَبْرَاتٌ تَصُدُّ عَنْ نَظَرَاتِ وَنَشِيْجٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ
وَدُمَاءٌ تُرَاقُ بِأَسْمِ دُمُوعِ وَنَفُوسٌ تُؤَدَّى بِرَسْمِ سَلَامِ

(١) الخريدة: من النساء البكر والخفزة الحية الطويلة السكوت المسترة.

(٢) شقورة: مدينة بالأندلس شمالي مرسية وبها كانت دار إمارة همشك أحد ملوك تلك النواحي. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٣/١٥٠).

شَرِبْتَ بَعْدَكَ اللَّيَالِي حَيَاتِي غَيْرَ أَوْشَالٍ لَوْعَتِي وَسَقَامِي
ما أحسن قوله (شربت بعدك الليالي حياتي).

١٤٦ - «أبو القسم الغافقي قاضي بنسبة» محمد بن محمد بن نوح. الغافقي هو أبو القسم قاضي بنسبة وهي بلدة وأصله من سَرْقِسْطَة، توفي مصروفاً بمراكش سنة أربع عشرة وستمائة، له شعر حسن منه قوله في فتح المهديّة^(١) من أبيات [البسيط]:

قد أنزل القَسْرُ من أعلى ذوائبها من كان معتقداً في برجها الأسدا
حيثُ الثَوَاءُ لقد ظَلَّتْ حلومهمُ على مجانيق تُوهي العقل والجَلْدَا
كأنما الأرضُ كانت قبلُ واجدةً حقدًا على واكفاتِ السُّخْبِ أو حَرْدَا
فأمطرتهنَّ أحجارَ العَذَابِ بما كانت قديماً عليها أمطرت بَرْدَا
وقال [الرمل]:

لا تَغِيْطَنَّ كُلَّ مَوْفُورِ الْغِنَى مشتملٌ ملابسَ الْعَظْمَةِ
يلمَزُ لا بسببٍ إلَّا بما يحويه من أكياسه الْمُفْعَمَةِ
فالله قد أخبر عن أمثاله وقال في آياته الْمُحْكَمَةِ
(يحسب أن ماله أخْلَدَهُ) (كلَّا لِيُنْبِذَنَّ فِي الْخُطْمَةِ)

١٤٧ - «ابن جهور الأزدي المرسى» محمد بن محمد بن جهور الأزدي. أبو بكر من أهل مَرْسِيَّة، كان أحد أدبائها ونبائها، من شعره وقد رأى امرأة سافرةً فغطت وجهها بكفها المخضوب [السريع]:

فاجأتها كالظُّبْيِ فِي سِرْبِهِ فاحتجبت بالكف والمِغْصَمِ
وقد بدا الوَشْيُ بِأَطْرَافِهَا فأقصرث عن لومها لَوْمِي
قالوا وقد ذلَّهْمُ حُبُّهَا من طَوَّقَ الْبُلَّارَ بِالْعَنْدِمِ
قلتُ جرت من مقلتي دمعَةً فاختضبت أنملها بالدمِ

هذا المعنى مطروق مبذول متداول، مرٌّ وهو بجزيرة شُقر بأرض حمراء لابن مَرْج الكحل غير صالحة للعمارة فقال يداعبه [البسيط]:

يا مَرْجُ كُحْلِ وَمَنْ هَذَا الْمَرْوُجُ لَهُ ما كان أحوج هذي الأرض للكحلِ
ما حمرة الأرض عن طيبٍ وعن كرمٍ فلا تكن طمعاً في رزقها العجلِ

(١) سرقسطة: بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ذات فواكه عذبة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤٠/٣).

(٢) المهديّة: مدينة اختطها عبد المؤمن بن علي قرب سلافي المغرب. انظر: «معجم البلدان» لياقوت (٤/٣٤٤).

لكن شيمتها أخلاق صاحبها فما تفارقها كيفية الخجل
فأجابه [البسيط]:

يا قائلاً إذ رأى مزجي وحرته ما كان أحوج هذي الأرض للكحل
تلك الدماء التي للروم قد سفكت في الفتح بيض ظبي أجدادي الأول
أحببتها إذ حكمت من قد كلفت به في حمرة الخد أو إخلافه أملي

١٤٨ - «الصاحب تاج الدين بن حنّا» محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري. الصاحب تاج الدين أبو عبد الله بن الصاحب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين بن حنّا، ولد سنة أربعين وتوفي سنة سبع وسبعمئة، وسمع من سبط السلفي جزء الذهلي ومن الشرف المُرسي وبدمشق من ابن عبد الدائم ومن ابن أبي اليسر، حدث بدمشق وبمصر، وانتهت إليه رئاسة عصره بمصره وكان ذا تصوّن وسؤدّد ومكارم وشكل حسن وبزّة فاخرة إلى الغاية يتناهى في المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ومع ذلك صدقاته كثيرة وتواضعه وافر ومحبه في الفقراء والصلحاء زائدة وهو الذي اشترى الآثار النبوية على ما قيل بستين ألف درهم وجعلها في مكانه بالمعشوق وهو المكان المنسوب إليه بالديار المصرية وقد زرت هذه الآثار في مكانها ورأيته وهي قطعة من العزّة ومروّد ومخصّف وملقّط وقطعة من قسعة وكحلّت ناظري برؤيتها وقلت أنا [الكامل]:

أكرم بآثار النبي محمّد من زارها استوفى السعود مزاره
يا عينٌ دونك فالحظي وتمتعي إن لم تَرِيه فهذه آثاره

ورأى من العزّ والرئاسة والوجاهة والسيادة ما لا رآه جدّه الصاحب بهاء الدين، حكى لي القاضي شهاب الدين محمود رحمه الله وغير واحد: أن الصاحب فخر الدين بن الخليلي لما لبس تشریف الوزارة توجه من القلعة بالخلعة إلى عند الصاحب تاج الدين وجلس بين يديه وقبل يده فأراد أن يجبره ويعظم قدره فالتفت إلى بعض غلمانه أو عبيده وطلب منه توقيعاً بمرتب يختص بذلك الشخص فأخذه وقال: مولانا يُعلّم على هذا التوقيع فأخذه وقبّله وكتب عليه قدامه، وكان الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس رحمه الله إذا حكى ذلك يقول: وهذه الحركة من الصاحب تاج الدين بمنزلة الإجازة والإمضاء لوزارة ابن الخليلي، ومن أحسن حركة اعتمدها ما حكاها لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال: اجتزّت بتربته فرأيت في داخلها مكتباً للأيتام وهم يكتبون القرآن في ألواحهم فإذا أرادوا مسحها غسلوا الألواح وسكبوا ذلك على قبره فسألت عن ذلك فقيل لي هكذا شرط في هذا الوقف وهذا مقصد حسن وعقيدة صحيحة، وكان الصاحب بهاء الدين يؤثره على أولاده لصلبه ويعظمه أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال: أخبرني قاضي القضاة جلال الدين القزويني رحمه الله قال: وقفت على إقرار الصاحب بهاء الدين بأنّه في ذمته للصاحب تاج الدين ولأخيه مبلغ ستين ألف دينار مصرية، ومن وجاهته وعظمته في النفوس أنه لما نُكِبَ على يد الشجاعي جرّده من ثيابه وضربه مفرقة واحدة فوق قميصه ولم يدعُ الناس يصل

إلى أكثر من ذلك مع جبروت الشجاعي وعتوّه وتمكّنه من السلطان، وكان له شعر حسن من ذلك ما كتبه إلى السراج الوراق يعزّيه عن حمار سقط في بئر فنق من أبيات [الكامل]:

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى مُتَرَدِّياً وبتالدِ يُفَدَى الأديبِ وطارفِ
عدمِ الشعيرِ فلم يجده ولا رأى تَبْنَأُ وراح من الظمأ كالتالفِ
ورأى البُؤيرةَ غيرَ جافٍ ماؤها فَرَمَى حُشاشةَ نفسِهِ لمخاوفِ
فهو الشهيدُ لكم بوافر فضلكم هذي المكارمُ لا حَمامةِ خاطفِ
قومٌ يموت حمارهم عطشاً لقد أزرّوا بحاتمٍ في الزمان السالفِ

قوله لا حمامة خاطف أشار إلى أبيات «ابن عُتَيْن» التي مدح الإمام فخر الدين الرازي وقد جاءت حمامة فدخلت جحره هرباً من جراح كان خلفها وسيأتي ذلك في ترجمة فخر الدين الرازي، وأجابه الوراق بقصيدة على وزنها في غاية الحسن موجودة في ديوانه أولها [الكامل]:

أذنتُ قُطوفَ ثمارها للقاطفِ وثنتُ بأنفاس النسيم معاطفي
منها فيما يتعلق بذكر الحمار [الكامل]:

ولكم بكيث عليه عند مَرابع ومراتع رُشّت بدمعي الذارفِ
يُمسي على عُسري ويُسري صابراً بمعارفِ تُلْهيه دون معارفِ
وقد استمرّ على القناعة يقتدي بي وهي في ذا الوقت جُلّ وظائفي
ودعاه للبئر الصدى فأجابه واعتاقه صَرْفُ الحمام الآزِفِ
وهو المُدِلّ بألفة طالت وما أنسى حقوقَ مراتبي ومآلِفي
وموافقي في كلّ ما حاولته في الدهر غير مُوافقي ومُخالفِ
دوران ساقيه لطاحون لنقد ل الماء في شاتٍ ويوم صائفِ
لكن بماء البئر راح بنقطة قَتَلَتْهُ شاماتٍ بموتِ جارِفِ

ومما ينسب إلى صاحب تاج الدين [الطويل]:

توهّم واشينا بليل مزارنا فجاء ليسعى بيننا بالتباعدِ
فعانقته حتى اتخذنا تلازماً فلم يرَ واشينا سوى فردٍ واحدِ
ونظم يوماً صاحب تاج الدين [الطويل]:

توافى الجمالُ الفائزي وإنه لخيرُ صديقٍ كان في زمن العُسرِ

وأمر السراج الوراق بإجازته فقال [الطويل]:

فيا رَبِّ عامِلُهُ بالطافك التي يكون بها في الفائزين لدى الحشرِ

وبعث صاحب إلى السراج وقد وُلِدَ له ولدٌ صلةً وثُلثاً خريراً وكتب مع ذلك أبياتاً خمسة

أولها [الوافر]:

بعثت بها وبالثلث الرفيع

فأجابه الوراق بأبيات أولها [الوافر]:

سَرَتْ مِنْ جَانِبِ الْعَزِّ الرَّفِيعِ	إِلَيَّ بِطَيْبِ أَنْفَاسِ الرَّبِيعِ
مُصْرَعَةٌ كَأَنِّي الْيَوْمَ مِنْهَا	وَلَجْتُ عَلَى حَبِيبٍ وَالصَّرِيعِ
دَعَوْنَا الْخَمْسَةَ الْأَبْيَاتِ سَتًّا	لَسَبْعٍ عُلِقَتْ فَوْقَ الْجَمِيعِ
فُدِينَا مِنْ هَبَاتِكَ مُذْهَبَاتِ	كَأَنَّ مَحُوكَهَا قَطَعُ الرَّبِيعِ
تَزِيدُ بِلَمَسِ كَفِّكَ حُسْنَ وَشْيِ	كَحَسَنِ الرُّوضِ بِالْغَيْثِ الْهَمُوعِ
بِمَا أَحْيَيْتَ لِلنَّفْسَاءِ نَفْسًا	وَلِي مَغْهًا وَلِلطِّفْلِ الرُّضِيعِ
وَقَدْ سَمُنْتَ كَيْسِي بَعْدَ ضَعْفِ	بِهِ التَّقَتِ الضُّلُوعِ مَعَ الضُّلُوعِ

وهذا الثالث من هذه الأبيات بديع في الغاية، ومن شعر الصاحب تاج الدين ما قاله مُلَغَرًّا في الورد [الطويل]:

وَمَعْرَكَةٌ أَبْطَالُهَا قَدْ تَخَضَّضَتْ	أَكْفُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ عِنْدَمَا
لَهُمْ عِنْدَهَا نَارٌ وَلِلنَّارِ عَنَبِرٌ	تَأْجَجُ حَتَّى يَتْرَكَ الْوَرْدُ أَدْهَمَا

وقوله يمدح الشيخ خضر الهكاري [الطويل]:

وَحُزِنَتْ بِمِيدَانِ الْعِبَادَةِ غَايَةً	تَذَكَّرْنِي يَوْمَ السِّبَاقِ ابْنُ أَدْهَمَا
--	--

وله موشح مشهور بين أهل مصر التزم فيه الحاء قبل اللام في أقفاله وهو [مجزوء الرجز]:

قد أنحلَّ الجسمُ أَسْمَرُ أَكْحَلُ وأوحلَّ القلبُ فيه مُذْ حُلْ

يميل وعنه لا أميل

يحول وعنه لا أحول

أقول إذا زاد بي النحول

أما حلَّ عَقْدُ الصَّدُودِ يَنْحَلْ ويرحل عن نجمي المُرَحَّلْ

برغمي كم يستبيح ظلمي

ويرمي بحربه لِسَلْمِي

وجسمي مع التزام سقمي

منحلَّ وقد غدا مزحل فلم حل سفك دمي وما حل

متوج بالحسن هذا الأبهج

مدبج عذاره البنفسج

مفلج يرنو بطرف أدعج

مكحل وريقه المنحل مفحل بالعنبر المحلل

كم أبعد وكم أبيث كممد

ويعمد بهجره لا يفقد

ويجهد في ارتضاء من قد

تمحل والحاسدون دحل ومحل والوعد منه أمحل

قلاني واشتط هذا الحاني

رمانني في عشقه زمانني

خلاني أشكو لمن يراني

قد انحل الجسم أسمر أكحل وأوحل القلب فيه مذ حل

ونظم يوماً الصاحب تاج الدين بيتاً وهو [الطويل]:

ألا قاتل الله الحمامة إنها أذابت فؤاد الصب لما تغتت

وقال للسراج أجزه فقال قصيدة أولها [الطويل]:

أطارحها شكوى الغرام وبثه فما صدحت إلا أجبت بأنة

أخبرني الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان قراءة مني عليه قال: اجتمعت به وسمعت عليه شيئاً من الحديث وأنشدني من لفظه لنفسه [الكامل]:

ولقد أبيث على أغر أدهم

وبكفي اليمنى قنائة لذنة

متقلداً غضباً كأن متونه

وعلي سابغة الذبول كأنها

وعلى المفارق بيضة عادية

فالرعد من تصهال خيلي والسنا

اشترى فرساً من العرب فأقامت عنده في الحاضرة ثم إنه عبر بها على بيوت العرب فجفلت فقال [الطويل]:

نسيت بيوت الشعر يا فرسي وقد

ولكن رأيته بنجد وأهلها

في الثاني عيب لأنه لحن من كونه أشيع حركة الكسرة في رأيته حتى نشأت ياء، قال الشيخ أثير الدين ونظمت أنا في هذا المعنى فقلت [الطويل]:

عجبتُ لمُهري إذ رأى العُربُ نُكْبَا كأن لم يكن بين الأعاريبِ قد رَبَا
أجل ليس نُكراً للفريق وإئتما تخَوّف عتبا منهم فتجنبّا

قلت: التصريح في البيتين ليس بمليح، وكان يتعاطى الفروسية ويحضر الغزوات ويتصيد بالجوارح والكلاب، وقد مدحه الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله بقصيدة عدتها أزيد من ثمانين بيتاً وهي روايتي عنه بالإجازة أولها [الكامل]:

أعليّ في ذكر الديار مَلامٌ أم هل تذكُرها عليّ حرامٌ
أم هل أدُم إذ ذكرْتُ منازلًا فارقُتها ولها عليّ ذمامٌ
منها في مدح صاحب تاج الدين [الكامل]:

وشجاعةٌ ما عامرٌ فيها له قدّم ولا عمرو له إقدامٌ
ثبت الجنان إذا الفوارس أحجمت خوف الردى لم يثنه إحجامٌ
وبكفه في جحفَل أو محفِل تُزهى الرماح السُمُر والأقلامُ

وَحَكَيْ لِي الْمَشَارُ إِلَيْهِ سِيَادَةً كَثِيرَةً شَاهَدَهَا مِنْهُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا إِلَيْهِ فَلَقَنِي إِنْسَانٌ نَسِيتُ أَنَا اسْمَهُ وَمَعَهُ قَصِيدَةٌ قَدْ امْتَدَحَهَا بِهَا فَقَالَ لِي: يَا مَوْلَانَا لِي مَدَّةٌ وَلَمْ يَتَّفَقْ لِي إِلَى الصَّاحِبِ وَصُولٌ فَأَخَذْتُهَا وَدَخَلْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ بِالْبَابِ شَاعِرٌ قَدْ مَدَحَ مَوْلَانَا الصَّاحِبَ فَقَالَ: يَدْخُلُ فَأَعْطَاهُ الْقَصِيدَةَ فَأَنْشَدَهَا وَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ سَمَاعِهَا كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ فَلَمَّا فَرَغْتُ أَخَذَهَا مِنْهُ وَوَضَعَهَا إِلَى جَانِبِهِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا أَشَارَ فَحَضَرَ خَادِمٌ وَمَعَهُ مِئْبَلُ مِائَتِي دِرْهَمٍ وَتَفْصِيلَةٌ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ قُلْتُ وَهَذَا غَايَةٌ فِي الرَّئَاسَةِ مِنْ سَمَاعِهَا وَعَدِمَ قَوْلُهُ أَعْطَاهُ كَذَا أَوْ إِشَارَةً إِلَى مَنْ يَحْضُرُ فَيُسَرُّ إِلَيْهِ، وَقِيلَ عَنْهُ إِنَّ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ كَذَا لَا يَشِيرُ بِشَيْءٍ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فِي بَيْتِهِ، وَكُلُّ مَا تَدْعُو الْحَاجَةَ إِلَيْهِ يَقَعُ عَلَى وَفْقِ الْمَرَادِ، وَحَكَى لِي أَنَّهُ أَضَافَ جَدُّهُ يَوْمًا وَوَسَّعَ فِيهِ فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ أَخَذَ النَّاسُ يَعْجَبُونَ مِنْ هِمَّتِهِ وَكِرَمِ نَفْسِهِ فَقَالَ الصَّاحِبُ بِهَاءِ الدِّينِ: لَيْسَ مَا ذَكَرْتُمُوهُ بِعَجِيبٍ لِأَنَّ نَفْسَهُ كَرِيمَةٌ وَمَكْتَنَةٌ مَتَسَعَةٌ وَالْعَجَبُ الْعَجِيبُ كَوْنُهُ طَوِيلٌ هَذَا النَّهَارُ وَمَا أَحْضَرَهُ مِنَ الْمَشْرُوبِ وَالْمَأْكُولِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْحُلُوى وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ مَا قَامَ مِنْ مَكَانِهِ وَلَا دَعَا خَادِمًا فَاسْرَ إِلَيْهِ وَلَا أَشَارَ بِيَدِهِ وَلَا بِطَرْفِهِ وَلَمْ يَجِئْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَدَمِهِ وَلَا أَشَارَ وَقِيلَ إِنَّ النَّاسَ تَعَجَّبُوا عَلَى كَثَرَتِهِمْ وَشَرِبَهُمُ الْمَاءَ مَبْرَدًا فِي كِيزَانٍ عَامَّةٍ ذَلِكَ النَّهَارَ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ فَقَالَ اشْتَرَيْنَا خَمْسَمِائَةَ كَوْزٍ وَبَعَثْنَا إِلَى الْجِيرَانِ قَلِيلًا قَلِيلًا بَرَدُوا ذَلِكَ فِي الْبَازْهَنْجَاتِ الَّتِي لَهُمْ وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ عَالِيِ الْهِمَّةِ مَمَجَّدًا مُسَوَّدًا وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُرْبَةٌ وَالِدُهُ فِي تَنْفِيزِ الْوِزَارَةِ فَإِنَّهُ وَلِيَهَا مَرَّتَيْنِ وَمَا أَنْجَبَ، وَكَانَ لَهُ إِنْسَانٌ مَرْتَبٌ، مَعَهُ حَمَامٌ كَحَمَامِ الْبَطَائِقِ مَدْرَبٌ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِ الْقَرَاةِ أَطْلَقَ مَا مَعَهُ مِنَ الْحَمَامِ فَيُرَوِّحُ إِلَى الدَّارِ الَّتِي لَهُ فَيَعْلَمُ أَهْلُهُ بِأَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْقَلْعَةِ فَيُرْمُونَ الطَّطْمَاجَ وَالْمُلُوحِيَّةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطْطَجْنِ وَمَا شَابَهُهُ حَتَّى إِذَا جَاءَ وَجَدَ الطَّعَامَ حَاصِلًا وَالسَّمَاطَ مَمْدُودًا، وَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ أَيْضًا وَجَالَسَهُ وَأَنْشَدَهُ شِعْرَهُ، وَاعْتَكَفَ فِي مَأْذَنَةِ عُرْفَاتِ

بجامع مصر ثلاثة أيام فقال السراج الوزاق [الطويل]:

ثلاثة أيامٍ قطعتَ لطولها ثلاثٌ شديداً من السَّنَوَاتِ
حَجَبَنَ محيَاَ الصَّاحِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ لتجمع بين الحسن والحسنات
وما كاد قلبي أن يقرَّ قراره لأنني بمصر وهو في عرفات

وقال السراج أيضاً لما عمّر الصاحب تاج الدين جامع دَيْرِ الطين [الطويل]:

بنيتم على تقوى من الله مسجداً وخيرُ مباني العابدين المساجدُ
واعلن داعيه الأذانَ فبادرت إجابته الضمّ الجبالُ الجلامدُ
ونالت نواقيسُ الديارات وجةً وخوفٌ فلم يُمَدِّدْ إليهنَّ ساعدُ
تبكّى عليهنَّ البطاريقُ في الدُجَى وهنَّ لديهم مُلقِيَاتُ كواسدُ
بذا قضتِ الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ

البيتان الأخيران للمتنبي من قصيدته المشهورة، وأهدى إليه عسلاً مسعودياً فقال [الطويل]:
من الظَرْفِ رُدُّ الظَرْفِ ممتلئاً حُداً كما جاء في نِعْمَاكَ ممتلئاً رِفداً
منها [الطويل]:

أتاني مسعودٌ به لون عرضه بياضاً جلا من حالِكِ الحال ما اسودّا
وكنْتُ لسيعاً من زماني وصرفه فبدّلني من سُمِّهِ القاتل الشهدا
فأدّيتُ مَنْ أبعدتها لا قِلَى لها ولكن من الأشياء ما يوجب البُعدا
فإن رفع الداعي يَدِيهِ فهذه بأربعها تدعو وتستفرغ الجهدا

وقال أيضاً يمدحه بقصيدة أولها [الكامل]:

أَتَرُومُ صَبْرِي دُونَ ذَاكَ الرِّيمِ هيهات لُمْتُ عليه غيرَ مَلُومِ
لو شاهدتُ عيناك ما شاهَدْتُه لرجعتُ في أمري إلى التسليمِ
مُخَضَّرَ آسٍ واحمرَّأُ شِقَائِي أنا منهُما في جَنَّةٍ ونعيمِ
ومعاطفٌ من دونهنَّ رِوَادِفُ أنا منهُما في مُقْعِدٍ ومُقيَمِ
سل طرفه عن شعره الداجي فلم يُخبركَ عن طول الدجى كَسَقِيمِ
يا غُصْنَ قامته إليك تحيَّتي مع كل ماطرة وكل نسيمِ
إنَّ الجمالَ له بغير مُنازَعِ والوجد لي فيه بغير قَسيمِ
وكذا العُلا لمحمد بن محمد بـ بن عليّ بن محمد بن سليمِ
نَسَبَ كمطرَد الكعوب فلا ترى إلّا كريمًا ينتمي لكريمِ

منها [الكامل]:

فلها محلّ الشيب في التعظيم
جَلَى عن التحليل والتحريم
تبقى لصحة ذلك التقسيم
شاهدت بحرّي نائل وعلوم
شئت الهدى غوثان في الإقليم

وشبّية حَرَسَ الثَّقَى أطرافها
وإذا تحزمت المسائل باسمه
إن قال لا يخلو فما من علة
أما إذا جرى أخاهُ أحمداً
بحران إن شئت الندى نجمان إن

وأرسل إليه ديوكاً مخصّيةً فاستبقاهن فأرسل إليه دجاجةً كبيرةً فقال [المقارب]:

وأنقذتها من عذاب أليم
ونارك لي مثل نار الكلیم
فكن واثقاً بالأمان العظيم
ومن قبلهم أصبحت كالصريم
بهّي البرود بهيج الرقوم
بسمت عليهم كسمت الحليم
بهم حَرَمَ آمناً كالحریم
فَلِمَ لا أراهم بعين الحميم
من القانتات ذوات الشحوم
وقد كان شاب لحمل الهموم
فأعجب بزنجية عند رومي
خصمتُ خطوباً غدت من خصومي
ومن فيه ضيف لضيف الكريم

فَدَيْتَ الديوكَ بذبح عظيم
فناري لهم مثل نار الخليل
وذو العرف بالله في جنة
لقد أنسّ لي دار بهم
مشوا كالطواويس في ملبس
كأنني أشاهدهم كالقضاة
وإلا أزمنة دار غلث
ولا فرق بيني وبين الخصي
ونعم الفداء لهم قد بعثت
أعدن الشباب إلى مطبخي
وعادت قدوري زنجية
وطال لسان لناري به
وأمسيتُ ضيفك في منزلي

ثم خرج إلى المدح وأدخل الميم على ضمير الديكة وإن كانت لمن يعقل لأنه نزلها منزلة من يعقل، وأما استعارة الشباب والشيب للمطبخ فمن أحسن الكنايات عن الطبخ وعدمه وقوله زنجية عند رومي ظرّف فيه إلى الغاية لأن السراج رحمه الله كان أشقر أزرق وله نظم في ذلك وهو قوله [الرجز]:

وزُرقتي للروم عرقٌ قد ضَرَبَ
لا فارسُ الخيل ولا وَجْهُ العَرَبِ

ومن رَأني والحِمار مركبي
قال وقد أبصر وجهي مقبلاً

ولما قدم من غزوة حمص سنة ثمانين وستمائة امتدحه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال [بقصيدة] أولها [الطويل]:

أم الريحُ قد هَبَّتْ إليك شمالها

تذكَرتُ سَعْدَى أم أتاكَ خيالها

منها [الطويل]:

لقد أقبل الصدر الوزير محمد فأقبلت الدنيا وسرّ وصالها

منها [الطويل]:

بَغَى أَبْغَا لَمَّا تَصْرَعَ أَهْلَهُ
وَأَلْقُوا عَنِ الْأَفْرَاسِ حَيْثُ رُؤُوسُهُمْ
وَكَانَتْ لَهَا تِلْكَ الذَّوَائِبُ فِي الثَّرَى
فَأَمْسَوْا فَرَاشاً وَالْأَسِنَّةُ شُرْعٌ
بِدَارِ هَوَانٍ قَدْ عَرَاهُمْ نِكَالُهَا
أَكَالِيلُهَا فَوْقَ التَّرَابِ نَعَالُهَا
شَكَالاً وَثِيقاً يَوْمَ حُلِّ شِكَالِهَا
ذُبَالٌ إِلَى أَنْ أَحْرَقْتَهُمْ ذِبَالُهَا

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب يهجوهُ [المنسرح]:

يَحْتَاجُ ذَا التَّاجِ مَنْ يُرَضِّعُهُ
فَمَنْ رَأَى عُنُقَهُ الطَّوِيلَ وَلَا
بِدْرَةَ تَحْتَ دَالِهَا كُنْسَرَةَ
يَنْزِلُ فِيهِ يَمُوتُ بِالْحَسْرَةِ

١٤٩ - «ابن الجعفرية الحلبي» محمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن جعفر بن غانم. ويتصل يزيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم الحلبي يعرف بابن الجعفرية، مولده سنة ست وستمائة، أنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان من لفظه قال: أنشدنا المذكور لنفسه بالجلّة سبع ذي الحجة سنة سبع وثمانين وستمائة [الكامل]:

أَتَرَى يَبْلُغُ غَلِيلُهُ الْمَشْتَاقَ
وَتَعُودُ أَيَّامُ الْوَصَالِ كَمَا بَدَتْ
يَا حَاجِباً عَنْ مَقْلَتِي سِنَةَ الْكَرَى
لَا تُنْكَرَنَّ تَمْلُقِي لِعَوَاذِلِي
مَنْكُمُ وَيَسْكُنُ قَلْبُهُ الْخَفَاقُ
وَيُرَى لِأَيَّامِ الْفِرَاقِ فِرَاقُ
فَدَمَوْعُهَا بِجَنَابِهِ إِطْلَاقُ
فَأَخُو الْغَرَامِ لِسَانُهُ مَذَاقُ

١٥٠ - «القاضي نجم الدين الطبري» محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله. القاضي نجم الدين بن جمال الدين بن محب الدين الطبري الأملّي، كان فقيهاً جيداً فيه كرم وحسن أخلاق وله نظم، أنشدني الشيخ تاج الدين اليميني لنفسه قال: أنشدته سنة ست عشرة وسبعمائة وقد قدمت منصرفاً من دمشق قاصداً اليمَن، قصيدة أمتدّحه بها أولها [مجزوء الرجز]:

جَادَ عَهَادُ الْمَطَرِ
وَلَا عِدَا رُبُوعَهَا
مَنْ أَزَلَّ كَمَ لِي بِهَا
وَالْبَيْنُ فِي بَيْنُونَةِ
عَهْدِي مَنِى وَالْمَشْعَرِ
سَحَابُ الْمَمَطْرِ
مَنْ لَيْلٍ وَصَلٍ مَقْمَرِ
بِوَصْلِنَا لَمْ يَشْعُرِ

فلما فرغت من إنشادها أنشدني بديهاً [مجزوء الرجز]:

أَقْسَمْتُ حَقّاً بِالصِّفَا
شَعْرَكَ هَذَا فَائِقُ
يَا ابْنَ الْكَرَامِ الْغُرَرِ
أَشْعَارَ أَهْلِ الْحَضَرِ

ما ناله حبيبُه ولا الوليد البحتري
قال وأنشدني القاضي نجم الدين المذكور قصيدة يمدح بها الملك المظفر عند قدومه اليمن
أولها [الكامل]:

إن لم أرَ الرُّبْعَ من أجفاني بعد البعاد دماً فما أجفاني
قلت وأنشدني من لفظه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة الشيخ محب الدين أبو عبد الله
محمد بن الصائغ المغربي الأموي قال أنشدني لنفسه بمكة قاضي القضاة نجم الدين الطبري
[الكامل]:

أشبيهة البدر التمام إذا بدا حسناً وليس البدرُ من أشباهكِ
مأسور حبكِ إن يكن متشفعاً فإليك في الحسن البديع بجاهكِ
أشفى أسى أعى الأساة دواؤه وشفاه يحصل بارتشاف شفاهكِ
فصليهِ واغتلمي بقاء حياته لا تقطعيه جفاً بحق إلهكِ

قال: فنظمت قصيدة ومدختُ بها والتزمتُ ما التزمه من الهاء قبل الكاف وستأتي في ترجمة
محب الدين المذكور في المحمدين إن شاء الله تعالى، وقال تاج الدين اليميني: توفي قاضي مكة
نجم الدين الطبري سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة وأخبرني الشيخ شمس الدين قال: توفي قاضي
مكة ومفتيها وعالمها نجم الدين أبو حامد محمد بن محمد الطبري المكي الشافعي سنة ثلاثين
وسبعمائة ومولده سنة ثمان وخمسين، سمع من عمِّ جدِّه يعقوب ابن أبي بكر الطبري جامع
الترمذي وسمع من جدِّه محب الدين ومن الفاروئي وله إجازة من الحافظ أبي بكر بن مسدي،
وأخذ عنه البرازلي وجمال الدين الغامي والواني وآخرين^(١) وما خلف بمكة مثله وكان بارعاً في
الفقه، وولي بعده القضاء ابنُ الإمام شهاب الدين أحمد. انتهى.

١٥١ - محمد بن محمد بن حسين ابن عبدك. الأذربيجاني الصوفي نزيل القدس، شمع من
ابن المقير وابن رواحة وابن زواج والسخاوي وابن قميرة وطبقته بالشام ومصر والعراق
والحجاز، قال الشيخ شمس الدين: وخرَّج لنفسه معجماً فيه أوهام وأربعين بلدانية تكرر من
شيوخها حدَّث عنه ابن الخباز وابن العطار، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة اثنتين
وثمانين وستمائة.

١٥٢ - «الكنجي» محمد بن محمد بن أبي بكر. عبد الرحمن الكنجي الدمشقي، سمع كثيراً
ونسخ وكتب الطباقي وعلّق أشياء جيّدة واقتنى كتباً مليحة وأصولاً وله عمل قليل في هذا الفن وهو
قانع متعقّف لا بأس به إن شاء الله تعالى، سمع من ابن القواس وطبقته قال الشيخ شمس الدين:
وسمع قبلنا من الشيخ تاج الدين، مولده سنة خمس وسبعين وليس عندي منه وسمعنا من أبيه،
توفي في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ونسبُهُ إلى خفّة وعدم رزانة.

١٥٣ - «ابن رشيق قاضي الإسكندرية» محمد بن محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيق. القاضي الإمام المفتي زين الدين أبو القاسم ابن الإمام علم الدين المصري المالكي قاضي الإسكندرية، بقي بها اثنتي عشرة سنة ثم عُزل وقد عيّنه القاضي بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق وكان شيخاً وقوراً ديناً معمراً فقيهاً، روى [مع] الجماعة عن أبي الحسن بن الجُميزي، وتوفي سنة عشرين وسبعمائة.

١٥٤ - «ابن الصيرفي المحدث» محمد بن محمد بن علي. الفقيه المحدث مجد الدين الأنصاري الدمشقي، ابن الصيرفي الشافعي سبط المحتسب ابن الحبوب، كان شاباً متواضعاً فاضلاً ساكناً، نسخ للناس ولنفسه وعمل المُعجم جلس مع الشهود، وحدث عن محمد بن النشبي والتقي بن أبي اليسر وأحمد بن أبي الخير وابن مالك وابن البخاري وحضر المدارس، مولده سنة إحدى وستين وتوفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، وعاش أبوه بعده نحو عشر سنين ولمجد الدين نظم.

١٥٥ - «ابن حريث» محمد بن محمد بن علي بن إبراهيم بن حُرَيْث. القُرشي العبدي البُلنسي ثم السبتي المالكي المقرئ، ولد سنة إحدى وأربعين وحدث بالموطأ عن أبي الحسين بن أبي الربيع عن ابن بقي وتفنن في العلوم والقراءات والعربية وولّي خطابة سبته مُدَّة، وأقرأ الفقه مُدَّة ثلاثين عاماً ثم تزهد ووقف كتبه بألف دينار وعقاره وحجّ وجاور بالحرمين سبع سنين، وحدث بمكة، ومات بها سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

١٥٦ - «ابن دمرdash الشاعر» محمد بن محمد بن محمود بن دمرdash. الدمشقي شهاب الدين أبو عبد الله كان في أول حاله جندياً وخدم بحماة وصحب صاحبها الملك المنصور ثم أبطل ذلك ولبس زيّ العدول وجلس في مركز الرواحية بدمشق رأيته بها سنة ثمان عشرة وأظنه كان مخلاً من إحدى عينيه، أنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه قال: أنشدني ظهير الدين البارزي قال أنشدني شهاب الدين المذكور لنفسه [الطويل]:

أقول لمسواك الحبيب لك الهنا	برشف ^(١) فم ما ناله ثغر عاشق
فقال وفي أحشائه حرقة النوى ^(٢)	مقالة صب للديار مفارق
تذكرت أوطاني فقلبي كما ترى	أعلله بين العذيب وبارق

قلت ما أحلى قول محيي الدين بن قرناص الحموي [الطويل]:

سألتك يا عود الأراكاة إن تُعد	إلى ثغر من أهوى فقبله مُشفقا
ورذ من ثنيات العذيب مُنيهاً	تسلسل ما بين الأبيرق والنقا

(١) صوابه: وآخرون.

١٥١ - «الأعلام» للزركلي (٧/٢٥٩)، و«معجم المؤلفين» لكخالة (١١/٢١٠ - ٢١١).

١٥٤ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٦/٥٨).

وقول [الوافر]:

وعود أراكمة يحلو الثنايا من البيض الدُمى جَلِي المريا
يقول مُساجِل الأغصان فخراً أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا

وأنشدني الشيخ أثير الدين بالسند المذكور له أيضاً [الطويل]:

ولما ألتقينا بعد بَيْن وفي الحشا لواعجُ شوقٍ في الفؤاد تُخَيِّمُ
أراد اختباري بالحديث فما رأى سوى نظيرٍ فيه الجوى يتكلَّمُ

وأنشدني من لفظه القاضي الإمام شهاب الدين أحمد بن فضل الله قال: أنشدني المذكور لنفسه [الكامل]:

ومهفهف الأعطاف معسول اللَّمى كالغصن يعطفه النسيم إذا سرى
قال اسقني فأتيته بزجاجة ملئت قراحاً وهو لاهٍ لا يرى
وتأزجت برضابه وأمدّها من نار وجنته شعاعاً أحمرّا
ثم أنشئ ثَملاً وقد أسكرته برضابه وبوجنتيه وما درى

وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة نجم الدين القحفازي الحنفي النحوي قال: أنشدني المذكور لنفسه [الخفيف]:

قال لي ساجِرُ اللواحِظِ صِف لي هَيَفِي قَلْتُ يا رشيَقَ القوامِ
لك قَدْ لولا جوارح جفني لك تَغَتَّ عليه وَزُقُ الحمامِ

وله - وهو مما نقلته من خطّه وكان يكتب مليحاً إلى الغاية - [الكامل]:

حتّام لا تَصِل المدامَ وقد أَتَتْ لك في النسيم من الحبيب وُعودُ
والنهر من طَرَبٍ يصفق فرحةً والغصن يرقص والرياض تميّدُ
ونقلت من خطّه له وهو غاية [الكامل]:

قد صنتُ سرّ هواكُم ضنّاً به إنّ المتيّم بالهوى لَضَنينُ
فوشّت به عيني ولم أكُ عالماً من قبلها أن الوُشاةَ عيونُ
ونقلت منه له [الطويل]:

روى دمع عيني عن غرامي فأشكلا ولكنّه وزى الحديث فأشكلا

١٥٥ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٥٨/٦).

١٥٦ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٥٩/٦).

(١) في «شذرات الذهب» (٥٩/٦): بلثم.

(٢) في المصدر السابق: الجوى.

وأسنده عن واقدي أضالعي
ونقلت منه له [الكامل]:

واقى النسيمُ وقد تحمّل منكم
وشكى السقام وما درى ما قد حوى
ونقلت منه له [الكامل]:

إن طال ليلي بعدكم فلطوله
لم تسر فيه نجومه لكنها
ونقلت منه له [الكامل]:

عجباً لمشغوف يفوه بمدحكم
والكونُ إمّا صامتٌ فمعظمٌ
ونقلت منه له وهو مليح [المنسرح]:

مَنْ لأسيرٍ أمست قرينته
فهو يغثي مبداً الحزين لها
ونقلت منه له [البسيط]:

حتى إذا رقّ جلباب الدجى وسرث
تبسم الصبح إعجاباً بخلوتنا
ونقلت منه له وأجاد [السريع]:

بالروح أفدي منطقياً علا
منطقه العذب الشهّي الذي
ونقلت منه له وهو في الغاية [الطويل]:

جياذك يا من طبّق الأرض عدله
إذا سابقتها في المهامِ غرة
ولو لم تكن في ظهرها كعبة المني
ونقلت منه له وأحسن [الكامل]:

يا سيدي أوحشت قوماً ما لهم
وتعلّلت شمس النهار فما لها
وبكى السحابُ مُساعداً لتفجعي
ومن شعره وأجاد [الكامل]:

فأضحى صحيحاً بالغرام معللاً

لطفاً يُقَصِّرُ فهمه عن علمه
وأنا أحقّ من الرسول بسُقمه

عذرٌ وذاك لما أقاسي منكم
وقفت لتسمع ما أحدث عنكم

ما ذا يقول وما عساه يمدح
خرماتكم أو ناطق فمُسبح

في الدوح عن حاله تُسائله
وهي بأوراقها تُراسله

من تحت أذياله مسكية النَّفسِ
ووضِلنا الطاهر الخالي من الدّنسِ

برتبة النحو على نشوه
قد جذب القلب إلى نحوه

وحاز بأعلى الحدّ أعلى المناصب
رياح الصبا عادت لها كالجنائب
لما شَبّهَتْ آثارها بالمحاربِ

عن حُسن منظرك الجميل بديل
من بُعدِ بُعدك بُكرةً وأصيل
من طول هجرك والنسيمُ عليل

أَنْظِرْ إِلَى الْأَشْجَارِ تَلَقَّ رُؤُوسَهَا
وَعَبِيرُهَا قَدْ ضَاعَ مِنْ أَكْمَامِهَا
وله - وهو في غاية الحسن - [الطول]:
وَلَمَّا أَشَارَتْ بِالْبَنَانِ وَوَدَّعَتْ
طَفِيقَنَا نَبُوسُ الْأَرْضِ نُوهِمُ أَنَّنَا
وله أيضاً [الكامل]:

مَا أَبْطَأَتْ أَخْبَارُ مَنْ أَخْبَبَتْهُ
إِلَّا جَرَى قَلَمِي إِلَيْهِ حَافِيَا
ومما نقلته من خطه له [الطول]:

يَقُولُونَ شَبَّهْتَ الْغَزَالَ بِأَهْيَفٍ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِحَظِّ الْغَزَالِ كَلْحِظِهِ اخ
وهذا دليل في المحبة واضح
وراراً لما تَأَقَّتْ إِلَيْهِ الْجَوَارِحُ
سَبَقَهُ إِلَى هَذَا شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ دَانِيَالٍ فَقَالَ [المجث]:

بِي مِنْ أَمِيرِ شُكَّارٍ
لَمَّا حَكَى الظَّبْيِ جِيداً
ونقلت منه له [الطول]:

يَقُولُ لِي الدُّوْلَابُ رَاضٍ حَبِيبِكَ أَلْ
فَإِنِّي مِنْ عَوْدٍ خُلِقْتُ وَهَذَا أَنَا
وَأُنْشَدْتُ لَهُ دُوَيْتُ [الدوبيت]:

الصَّبُّ بِكَ الْمَتَعُوبُ وَالْمَعْتُوبُ
يَا مَنْ طَلَبْتَ لِحَاظَهُ سَفَكَ دَمِي
والقلب بك الملسوب والمسلوب
مهلاً ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ

قيل إن الشيخ صدر الدين بن الوكيل كان يقول وددت لو كان يأخذ مني كل شعري ويعطيني هذين البيتين، وتوفي ابن دمرداش سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة، ولهذه المقاطيع التي أوردتها له عندي نظائر وأشباه ما أوردتها خوفاً من الإطالة.

١٥٧ - «الوزير ابن سهل» محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل. الوزير العالم الزاهد ابن الوزير الأزدي الغرناطي، ولد سنة اثنتين وستين ومات أبوه سنة سبعمئة، وجدته سنة سبع وثلاثين [وستمئة]، وحج سنة سبع وثمانين ورجع ثم إنه قدم سنة عشرين وسبعمئة وحج وجاور ستين، وسمع من ابن الرضي الطبري ثم قدم دمشق وقرأ الصحيح^(١) على الحجاز وصحيح مسلم على ابن العسقلاني وقرأ بالسبع في صغره على ابن بشر وابن أبي الأحوص وابن الزبير، وبرع في معرفة الأسطربلاب، وكان وافر الجلالة ببلده يرجعون إلى رأيه فيمن يولي المملكة ويلقبونه الوزير،

وفيه ورع وله فضائل، أخذ عنه قطب الدين عبد الكريم وكان شيخاً وقوراً لا يتعمّم ويتطيلسُ على طاقية، رأيته عند الشيخ أثير الدين وأخبرني هو وغيره عنه أنه يتصدق سراً من ماله الذي يُحمل إليه من أملاكه بالغرب وعرفه الناس وصاروا يقصدونه فإذا طلب منه أحد شيئاً أنكر ذلك وقال له ليس ما قيل لك صحيحاً ثم يتركه بعد يوم أو أكثر ويأتي إليه وهو غافل ويُلقِي في جُجره كاعداً فيه ذهبٌ ويمز ولا يقف له ويتصدق من الستين ديناراً فما دونها، توفي رحمه الله سنة ثلاثين وسبعمائة، واستنسخ البحر المحيط تفسير الشيخ أثير الدين وشرح التسهيل له وغير ذلك وجهّزه إلى الغرب وقال الشيخ الإمام تاج الدين أحمد بن مكتوم النحوي يرثيه [المجتب]:

مات ابن سهل فماتت من بعده المكرمات
ولم يخلف مثيلاً أمثاله الصيّد مائوا

١٥٨ - «البرزالي الحنبلي» محمد بن محمد بن محمود بن قاسم. الإمام ذو الفنون الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ابن الإمام أبي الفضل العراقي الحنبلي مدرّس المستنصرية بعد الذريراني، ولد في شوال سنة إحدى وثمانين كان بصيراً بالمذهب والعربية ورأس في الطب، سافر إلى الهند ورجع وصنّف في الطب ما يستعمله الإنسان وله سطوة وشهامة، وسمع من أبي القاسم والعماد ابن الطبال وكتب في الإجازات وساد وتقدم، وله نظم ولما توفي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة دفن عند والده بمقبرة الإمام أحمد.

١٥٩ - «ابن الحاج الفاسي المصري» محمد بن محمد. الشيخ أبو عبد الله العبدري الفاسي المصري المالكي ابن الحاج مؤلّف «كتاب البدع» توفي عن بضع وثمانين سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

١٦٠ - «ابن العفيف الكاتب» محمد بن محمد بن الحسن. الشيخ الإمام الفاضل الكاتب المجوّد المحرّر شيخ الديار المصرية، كان صالحاً خيراً فاضلاً، له شعر وخطب وله حظ من النحو قرأ العربية على بهاء الدين بن النحاس وكان شيخ خانقاه آقبغا عبد الواحد بالقراة وكان تالياً لكتاب الله تعالى، توفي رحمه الله تعالى في ثالث ذي الحجة سنة ست وثلاثين وسبعمائة.

١٦١ - «الشيخ ركن الدين بن القوبع» محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف التونسي. الشيخ الإمام العلامة المحقق البارِع المتقن المفتن جامع أشتات الفضائل ركن الدين أبو عبد الله الجعفري المالكي التونسي، لم أرَ له نظيراً في مجموعته وإتقانه وتفنته واستحضاره وإطلاعه، كل ما يعرفه يجيد فيه من أصول وحديث وفقه وأدب ولغة ونحو وعروض وأسماء رجال وتاريخ وشعر يحفظه للعرب والمولّدين والمتأخرين وطبّ وحكمة ومعرفة الخطوط خصوصاً خطوط المغاربة قد مهر في ذلك وبرع وإذا تحدث في شيء من ذلك كله تكلم على دقائق ذلك الفن وغوامضه ونكتته حتى يقول القائل إنما أفنى عمره هذا في هذا الفن، قال لي العلامة قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن السبكي الشافعي وهو ما هو: ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين أو كما

قال وقد رأى جماعة ما أتى الزمان لهم بنظير بعدهم مثل الشيخ.....^(١) وغير هؤلاء، أخبرني الشيخ فتح الدين بن سيد الناس قال: قدم إلى الديار المصرية وهو شاب فحضر سوق الكتب والشيخ بهاء الدين بن النحاس حاضر وكان مع المنادي ديوان ابن هانيء المغربي فأخذه الشيخ ركن الدين وأخذ يترنم بقول ابن هانيء [الكامل]:

فتكات لحظك أم سيوف أبيك
وكؤوس خمرك أم مراشف فيك

وكَسَرَ التاء وفتح الفاء والسين والفاء فالتفت إليه الشيخ بهاء الدين وقال له: يا مولى ذا نصب كثير فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدة المعروفة منه والنفرة: أنا ما أعرف الذي تريده أنت، من رفع هذه الأشياء؟ على أنها أخبار لمبتدآت مقدرة أي أهذه فتكات لحظك أم كذا أم كذا وأنا الذي أقوله أغزل وأمدح وتقديره أأقاسي فتكات لحظك أم أقاسي سيوف أبيك وأرشف كؤوس خمرك أم مراشف فيك فأجبل الشيخ بهاء الدين وقال له: يا مولى فلأني شيء ما تتصدّر وتشغل الناس فقال استخفافاً بالنحو واحتقاراً له وأيش النحو في الدنيا أو كما قال، وأخبرني أيضاً قال: كنت أنا وشمس الدين بن الأكفاني نأخذ عليه في المباحث المشرقية فأبيت ليلتي أفكر في الدرس الذي نصبح نأخذه عليه وأجهد قريحتي وأعمل تعقلي وفهمي إلى أن يظهر لي شيء أجزم بأن المراد به هذا فإذا تكلم الشيخ ركن الدين كنت أنا في وادٍ في بارحتي وهو في وادٍ أو كما قال: وأخبرني تاج الدين المراكشي قال قال لي الشيخ ركن الدين لما أوقفني الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس على السيرة التي عملها علّمت فيها على مائة وأربعين موضعاً أو مائة وعشرين - السهو مني - أو كما قال ولقد رأيته مرّات يواقف الشيخ فتح الدين في أسماء رجال ويكشف عليها فيظهر معه الصواب، وكنت يوماً أنا وهو عند الشيخ فتح الدين فقال: قال الشيخ تقي الدين بن تيمية عمل ابن الخطيب أصولاً في الدين، الأصول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] إلى آخرها فنفر الشيخ ركن الدين وقال: قل له يا غرة عمل الناس وصتفوا وما أفكروا فيك ونهض قائماً وولى مغضباً، وأخبرني الشيخ فتح الدين قال: جاء إليه إنسان يصطح عليه في «أمالي القالي» فأخذ الشيخ ركن الدين يسابقه إلى ألفاظ الكتاب فبهت ذلك الرجل فقال له لي عشرون سنة ما كزرت عليها، وكان إذا أنشده أحد شيئاً في أي معنى كان أنشد فيه جملة للمتقدمين والمتأخرين كأن الجميع كان البارحة يكرّر عليه، وتولّى نيابة الحكم للقاضي المالكي بالقاهرة مدة ثم تركها تديناً منه وقال يتعذر فيها براءة الذمة وكان سيرته فيها حسنة

١٥٩ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (٢٣٧/٤)، و«الديباج» لابن فرحون (٣٢٧ - ٣٢٨)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١١٦١ - ١٤٠١ - ١٦٤٣)، و«هدية العارفين» للبغدادي (١٤٩/٢)، و«الأعلام» للزركلي (٢٦٤/٧)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٥٧/٢)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (٢٣٣/١١).

١٦١ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (١٨١/٤ - ١٨٤)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٢٢٦/١ - ٢٢٨)، و«الأعلام» للزركلي (٢٦٤/٧)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (٥٢٧/١)، و«معجم المؤلفين» لكحّالة (٢٣٣/١١).

(١) بياض في الأصل.

لم يسمع عنه أنه ارتشى في حكم ولا حابي، وكان يدرّس في المدرسة المنكتمرية بالقاهرة ويدرس الطب بالبيمارستان المنصوري وينام أول الليل ثم يستيق وقد أخذ راحةً ويتناول كتاب الشفاء لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخلّ بذلك، قال الشيخ فتح الدين قلت له يوماً يا شيخ ركن الدين إلى متى تنظر في هذا الكتاب فقال إنما أريد أن أهتدي وكان فيه سأم وملل وضجّر حتى في لعب الشطرنج يكون في وسط الدست وقد نفذه وقطع لذة صاحبه ويقول سثمت سثمت وكذلك في بعض الأوقات يكون في بحث وقد حرّر لك المسألة وكادت تنضج فيترك الكلام ويمضي، وكان حسن التودّد يتردد إلى الناس ويهتّمهم بالشهور والمواسم من غير حاجة إلى أحدٍ لأنه كان معه مالٌ له صورة ما يقارب الخمسين ألف درهم وكان يتصدق سراً على أناس مخصوصين، ولثغته بالراء قبيحة يجعلها همزة، وكان إذا رأى أحداً يضرب كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره ويقول ليش تفعل ذا أما هو شريكك في الحيوانية، وكان خطّه على وضع المغاربة وليس بحسن، وسمع بدمشق سنة إحدى وتسعين وستمائة على المسند تقي الدين بن الواسطي واستجزته سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة باستدعاء فيه نثر ونظم فأجاب وأجاز وأجاد بثر ونظم أنشدني لنفسه إجازةً ومن خطّه نقلت [الطويل]:

جوى يتلظى في الفؤاد استعاره	ودمع هتوّن لا يكف انهماره
يحاول هذا برد ذاك بصوبه	وليس بماء العين تطفأ ناره
ولوعاً بمن حاز الجمال بأسره	فحاز الفؤاد المستهام إساره
كلّفت به بدريّ ما فوق طوقه	ودغصيّ ما يثنّى عليه إزاره
غزال له صدري كناس ومرتع	ومن حب قلبي شيخه وعراؤه
من السمر يبدى غدمي الصبر خذه	إذا ما بدا ياقوته ونضاره
جرى سابحاً ماء الشباب بروضه	فأزهر فيه ورده وبهازه
يشبّ ضراماً في حشاي نعيمه	فيبدو بأنفاسي الصعاد شراره
وينثر دمي منه نظم مؤشّر	كنور الأقاحي حقه جلناره
يعلّ بعذب من برود رضايه	تفواح فيه مسكه وعقاره
ويُسهر أجفاني بوسنان أدعج	يحير فكري غنجه واحورائه
حكائي ضعفاً أو حكى منه مؤثقا	وخصراً نحيلاً غال صبري اختصاره
معتى برذف لا يثوء بثقله	فيا شدّ ما يلقي من الجار جاره
على أنّ ذا مثير وذلك مُغسير	ومن محنتي إعساره ويساره
تألف من هذا وذا غصن بانه	توافت به أزهاره وثماره
تجمع فيه كل حسن مفرّق	فصار له قطباً عليه مداره

وَلَدَنْ وَلَكِنْ أَيْنَ مَتْنِي اهْتِصَارُهُ
وَعُودِرَ عِنْدِي سَكْرُهُ وَخِمَارُهُ
لَأَفْقِي مِنْهُ مَخْفَهُ وَسِرَارُهُ
وَلَكِنْ بَعْدَ صَدُّهُ وَنِفَارُهُ
أَحْلَى بَيْنِ الْبُلُوَى وَسَاءَ اقْتِدَارُهُ

منها [الطويل]:

كَمَا قَدْ حَكَى لَيْلِي ظِلَاماً نَهَارُهُ
وَسُقْمِي تَسَاوَى سِرُّهُ وَجَهَارُهُ
إِمَامَ غَرَامٍ قُلْ فَكَيْفَ اسْتَتَارُهُ
بِمَنْ إِنْ تَغْتَى الْقُرْطُ أَضْعَى سِوَارُهُ
وَلَمَّا يَقَارِبُ أَنْ يَدْبَ عِذَارُهُ
وَجَنَّةَ قَلْبِي كَيْفَ مِنْكَ اسْتَعَارُهُ

ونقلت منه من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد [الوافر]:

لَلَأَقَى الْحَتَفَ مِنْ لَيْثٍ جَرِيٍّ
دُجَى الْهَبَوَاتِ فِي ضَنْكِ حَمِيٍّ
سَوَى لِمَعَانٍ أَبْيَضَ مَشْرِفِيٍّ
عَمٍ إِلَّا لِأَسْمَرَ سَمَهْرِيٍّ
بِمَوْجٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِيٍّ
يُغَالِبُ كُلَّ أَغْلَبَ شَمْرِيٍّ
مَنْ الْإِفْرَنْدِ فِي ظُلْمٍ شَهِيٍّ
فِيَمْتَحُهَا مَعَانِقَةُ الْهَدْيِ
حُمَاةَ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ السَّنِيٍّ
تَفْرِغُ بِالنُّضَارِ الْجَعْفَرِيٍّ
بِهِ يُمْنَى الْهُمَامِ الْقَوْبَعِيٍّ

وَقَدُودَ كُلِّ خَبَرٍ أَلْمَعِيٍّ
وَحَازَ الْفَضْلَ بِالْقِدْحِ الْعَلِيٍّ
وَهَذَا نَالَ بِالسَّعْيِ الرِّضِيٍّ

زُلَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَتْنِي وَرُودُهُ
وَسَلْسَالُ رَاحٍ صُدَّ عَنِّي كَأْسُهُ
وَبَدْرُ تَمَامٍ مَشْرِقُ الضُّوءِ بَاهِرُ
دَنَا وَنَأَى فَالِدَارُ غَيْرُ بَعِيدَةٍ
وَحِينَ دَرَى أَنْ شَدَّ أَسْرِي حُبُّهُ

حَكَتْ لَيْلَتِي مِنْ فَقْدِي النُّومِ يَوْمَهَا
كَتَمْتُ الْهَوَى لَكِنْ بَدْمَعِي وَزَفْرَتِي
ثَلَاثَ سَجَلَاتٍ عَلَيَّ بِأَتْنِي
أَوْزِي بِنَظْمِي فِي الْعِذَارِ وَتَارَةٍ
وَجَلَّ الَّذِي أَهْوَى عَنِ الْحَلِيِّ زِينَةٍ
أَرَاخَةَ نَفْسِي كَيْفَ صَرَتْ عِذَاهَا

ونقلت منه من قصيدة يمدح بها الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد [الوافر]:

وَلَوْ غَيْرُ الزَّمَانِ يَكُونُ قَرْنِي
تَحَامَاهُ الْكُمَاةُ إِذَا أَدْلَهَمَتْ
وَطَبَقَتْ الْفَضَاءَ فَلَا ضِيَاءَ
وَأَرْمَدَتْ الْعَيُونََ وَكُلَّ طَرْفٍ
بَحِيثُ غُبَابٍ بِحَرِّ الْمَوْتِ يَرْمِي
عَلَيْهَا كُلَّ أَرْوَغٍ هَبْرَزِيٍّ
تَرَاهُ يَرَى الظُّبَى ثَغْراً شَنِيباً
وَيَعْتَقِدُ الرِّمَاحَ قُدُودَ هَيْفٍ
هَنَّاكَ تَرَى الْفَتَى الْقَرَشِيَّ يَحْمِي
وَتَعْلَمُ أَنَّ أَصْلَ هَاشِمِيّاً
وَلَوْ أَنَّ الْجَعَاظَ اسْتَبَدَّتْ
مِنْهَا فِي الْمَدِيحِ [الوافر]:

إِلَى صَدْرِ الْأَثَمَةِ بِاتِّفَاقٍ
وَمَنْ بِالْاجْتِهَادِ غَدَا فَرِيداً
وَمَا هُوَ وَالْقِدَاحُ وَتِلْكَ بَخْتُ

صبا للعلم صباً في صباه
فأتقن والشباب له لباس
منها [الوافر]:

ونور جلاله يرتد عنه
ومن كثرت صلاة الليل منه
منها [الوافر]:

بعدل عم أصناف البرايا
ضممت نداءً وجوداً حائياً
لديك دعائم المجد استقرت
بحيث طوامح الآمال مهما
أيا قمر الفهوم إذا أدلهمت
وسحبان المقالة حين يُلْفَى
لكم أبديت من معنى بديع
فأقسم ما الرياض حنا عليها
فألبسها المزخرف والموشى
وأضحك نبتها ثغر الأقاحي
وعطر جوها بشذا أريج
فلاحت كالخرائد يزدهيها
بأهج من كلامك حين تفتي

تساوى فيه دان بالقصي
إلى رأي وحلم أخنفي
فحط بنو الرضا ملقى الغصي
رمت لم تخط شاكلة الرمي
دجى الإشكال في غوص خفي
بليغ القوم كالفة العي
يروق بحلة اللفظ البهي
مليث الودق هطال الحبي
حيا الوسمي منه أو الولي
فما نظم الجمان اللؤلؤي
من المسك الفتيق الثبتي
خلي الحُسن أو حُسن الحلي
سؤالاً بالبديع أو الروي

وكتبت له استدعاء بإجازة منه لي نسخته: المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة الكامل جامع شتات الفضائل وارث علوم الأوائل حجة المناظرين سيف المتكلمين [الكامل]:

سباق غايات الورى في بحثه
ويهب منه بالصواب صباً لها
ويضوع من تلك المباحث ما يرى
فالبرق يسري في السحاب بحثه
برد على الأكباد ساعة نفسه
أشهى من المسك السحيق وبثه

المتكلم الذي ذهلت بصائر أولي المنطق نحوه، وأنتجت مقدماته المطلوب غنوة، ووقف السيف عند حده فما للآمدي في مداه خطوة، وحاز رتب النهاية فما لأبي المعالي بعدها خطوة، فهو الزاري على الرازي لأن قطب علومه من مصره، ومحصوله ذهب قبل دخول أوانه وعصره، والفقير الذي رفع لصاحب «الموطأ» أعلام مذهبه مذهبة فمالك عنه رضوان، وأسفر وجوه اختياره خالية من

كَلَّفَ التَّكْلَفَ حَالِيَةً بِالذَّلِيلِ وَالْبَرَهَانِ، وَأَبْرَزَهَا فِي حُلَاوَةِ عِبَارَتِهِ فَهُوَ جَلَّابُ الْجَلَّابِ، وَأَظْهَرَ الْأَدْلَةَ مِنْ مَكَامِنِ أَمَاكِنِهَا وَطَالَمَا جَمَحَتْ تِلْكَ الْأَوَابِدُ عَلَى الطُّلَّابِ، وَالنَّحْوِيُّ الَّذِي تَرَكْتُ لَمَعُهُ الْخَلِيلَ أَخْفَشَ، وَأَغْرَبَتْ الْكَسَائِيُّ ثَوْبَ فَخْرِهِ الَّذِي بَهَّرَ بِهِ سَيُوبِهِ وَأَدْهَشَ، فَأَبْعَدَ ابْنَ عَصْفُورٍ حَتَّى طَارَ عَنْ مَقَرِّهِ، وَأَمَاتَ ابْنَ يَعِيشَ لَمَّا أَخْلَقَ مُذْهَبَ مَذْهَبِهِ، وَالْأَدِيبُ الَّذِي هُوَ رَوْضُ جَمْعِ زَهْرِ الْآدَابِ، وَخَبِرَ قَلْدَ الْعِقْدِ أَجْيَادَ فَتْنَةِ الَّذِي هُوَ لُبُّ الْأَلْبَابِ، وَكَامَلَ أَخْذَ كِتَابِ الْأَدَبِ عَنْهُ أَدَبُ الْكِتَابِ، فَإِذَا نَظُمَ قَلْتُ هَذِهِ الدَّرَارِي فِي أَبْرَاجِهَا تَنْسَقُ، أَوْ خِلْتُ الدَّرَرَ تَنْتَضِدُ فِي اِزْدَوَاجِهَا وَتَنْسَقُ، أَوْ نَثَرَ فَالْزَهْرَ يَتَطَلَّعُ مِنْ كَمَامِهِ غَيْبَ غَمَامِهِ، وَالْفَاتُ غُصُونُ تُرْنَحُ مَعَاطِفُهَا لِحَمَائِمِ هَمْزِهِ الَّتِي هِيَ كَهَمْزِ حَمَامِهِ، وَالطَّبِيبُ الَّذِي تَحَلَّى مِنْهُ بِقِرَاطٍ بِأَقْرَاطٍ، وَسَقَطَ عَنْ دَرَجَتِهِ سُقْرَاطُ، فَالْفَارَابِيُّ أَلْفَاهُ رَابِئاً، وَابْنُ مَسْكُوبِهِ أَمْسَكَ عَنْهُ مُحَاشِياً لَا مُحَابِياً، وَابْنُ سَيْنَا انْطَبَقَ قَانُونُهُ عَلَى جَمِيعِ جَزَائِيَّتِهِ وَكَلِّيَّاتِهِ، وَطَلَبَ الشِّفَاءَ وَالنَّجَاةَ مِنْ إِيَّارَاتِهِ وَتَنْبِيهَاتِهِ، فَلَوْ عَالَجَ نَسِيمَ الصَّبَا لَمَّا اعْتَلَى فِي سَحَرِهِ، أَوْ الْجَفْنَ الْمَرِيضَ لَزَانَهُ وَزَادَ مِنْ حَوْرِهِ، رَكْنَ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَعْفَرِيِّ الْمَالِكِيِّ [السريع]:

لَا زَالَ رَوْضُ الْعِلْمِ مِنْ فَضْلِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ طَيِّبَ النَّشْرِ
وَكُلُّ مَا يُبْدَعُهُ لِلْوَرَى تَطْوِيهِ فِي الْأَحْشَاءِ لِلنَّشْرِ
وَتَزْدَهِي الدُّنْيَا بِمَا حَازَهُ حَتَّى تُرَى دَائِمَةً الْبَشْرِ
إِجَازَةُ كَاتِبِ هَذِهِ الْأَحْرَفِ مَا لَهُ مِنْ مَقُولٍ مَنْظُومٍ أَوْ مَثُورٍ وَضِعَ أَوْ تَأْلِيفٍ، جَمْعُ أَوْ تَصْنِيفٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَوْضَاعِ، وَتَبَايُنِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ، وَذَكَرْتُ أَشْيَاءَ مَذْكُورَةً فِي الْاِسْتِدْعَاءِ.

فَأَجَابَ بِخَطِّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَعَفْوِهِ عَمَّا تَعَاطَمَ مِنْ ذَنْبِهِ، مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ الْجَعْفَرِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَوَيْعِ، بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ذِي الْمَجْدِ وَالسَّعَادَةِ وَالْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ، الْأَوَّلُ بِلَا ابْتِدَاءٍ، وَالْآخِرُ بِلَا انْتِهَاءٍ، خَالِقُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَجَاعِلُ الْإِصْبَاحِ وَالْإِمْسَاءِ، وَالشُّكْرَ لَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَضَاعُفِ الْآلَاءِ، وَتَرَادُفِ النِّعَمَاءِ، نَحْمَدُهُ وَنَذْكُرُهُ، وَنَعْبُدُهُ وَنُشْكِرُهُ، لِنُفَرِّدَهُ بِاسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ، وَتَوْفُّرٍ مَا يَسْتَغْرِقُ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَ هُنَاكَ، مَعَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَأَضَاءَ بِهِ بِضِيَّائِهَا مِنْ نُورِ الْفَهْمِ، وَنُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بِعَظَمِ الْحِظِّ وَوُفُورِ الْقِسْمِ، أَجَزْتُ لِفُلَانٍ وَذَكَرْنِي [الكامل]:

جَمَاعَ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ وَالَّذِي سَبَقَ السِّرَاعَ بِبَطْئِهِ وَبِمُكْنِهِ
فَكَأَنَّهُمْ يَتَعَثَّرُونَ بِجَدُولٍ وَيَسِيرُ فِي سَهْلِ الطَّرِيقِ وَبَزَرِهِ
أَذْرَى بِسُحْبِ بَيَانِهِمْ فِي هَطْلِهَا فِيمَا يَبِينُ بَطْلُهُ وَبِدْتُهُ
جَمِيعَ مَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَرْوِيهِ مِمَّا رَوَيْتُهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَرْوِيَّاتِ أَوْ قَلْتُهُ نَظْماً أَوْ نَثْراً أَوْ اخْتَرْتُهُ مِنْ مَسْأَلَةِ عِلْمِيَّةٍ مُفْتَحاً، أَوْ اخْتَرْتُهُ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتَنْبَطْتُ الدَّلِيلَ عَلَيْهِ مَرَّجَحاً، مِمَّا لَمْ أَصْنَعُهُ فِي تَصْنِيفٍ، وَلَا أَجْمَعُهُ فِي تَأْلِيفٍ، عَلَى شَرْطِ ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْأَثَرِ [السريع]:
وَقَفَّهَ اللَّهُ لِمَا يَرْتَضِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَا يَدْرِي

وزاده فضلاً إلى فضله
فهذه الدار بما تحتوي
دَلَّتْ بِنِيهَا بِغُرُورٍ فَهُمْ
قد خدَعَتْهُمْ بِزَخَارِيفِهَا
تُرِيهِمْ بِشُراً وَيَا وَيَجْهِمُ
بينَا تَرَى مَبْتَهَجاً نَاعِماً
أَمَنْ مَا كَانَ وَأَقْصَى مُنَى
فَعَدَّ عَنْهَا وَأَشْتَغَلَ بِالَّذِي
فَلِئَمَا الْخَيْرُ خَصِيصٌ بِمَا
هَذَا إِذَا مَنْ الَّذِي تَرْتَجِي
وزاد رضواناً فهذا الذي

بِمَا بِهِ يَأْمَنْ فِي الْحَشْرِ
دَارُ أَدَى مَلَأَى مِنَ الشَّرِّ
فِي عَمَةٍ عَنْهُ وَفِي سُكْرِ
مُعْقِبَةٍ لِلْغَدْرِ بِالْغَدْرِ
كَمْ تَحْتَ ذَاكَ الْبِشْرِ مِنْ مَكْرِ
ذَا فَرَحَ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
فَاجَأَهُ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
يُولِيكَ خَيْراً آخَرَ الدَّهْرِ
تَلْقَاهُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالنَّشْرِ
رُحْمَاهُ بِالصَّفْحِ وَبِالْغَفْرِ
يُدْعَى بِهِ لِأَطْوَلِ الْعُمْرِ

ويؤيد هذا ما أخبرناه الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع المسند تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الواسطي قراءةً عليه ونحن نسمع بدمشق في شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة قيل له أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي قراءةً عليه بدمشق وأبو الفرج الفتح بن عبد الله بن عبد السلام البغدادي قراءةً عليه ببغداد قال أنا الحاجب أبو منصور أنوشتكين بن عبد الله الرضواني قراءةً عليه أنا أبو القاسم علي بن أحمد البُصري ح، وأنا ابن ملاعب وأبو علي الحسن بن إسحاق بن الجواليقي ببغداد قال أنا أبو بكر محمد بن عبيد الله الزاغوني أنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي قال أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص الذهبي ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا خلف بن هشام البزاز سنة ست وعشرين ومائتين ثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد قال قال النبي ﷺ ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»^(١) مختصر، وهذا الحديث من أعلى ما أرويه، ونسأل الله حالاً يرضاها وإنه سميع الدعاء، فقال لما يشاء، وله الحمد والمئة كتبه محمد بن القويح ليلة التاسع والعشرين من رجب سنة ذلح.
وتوفي الشيخ ركن الدين المذكور بالقاهرة في تاسع ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، اعتل يومين ومضى إلى رحمة ربه الرحيم ومولده سنة أربع وستين بتونس، له من التصانيف التي دونها «تفسير سورة ق» في مجلدة، ولما تولى الإعادة في المدرسة الناصرية عمل درساً في قوله تعالى: ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦] وعلق ما أملاه في ذلك، وكان الشيخ ركن الدين بن القويح قرأ النحو على يحيى بن الفرج بن زيتون والأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس وقدم مصر عام تسعين وسمع بدمشق من ابن الواسطي وابن القواس وبحمارة من المحدث ابن مزيـر.

١٦٢ - «كمال الدين بن دقيق العيد» محمد بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع . كمال الدين بن الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري وسيأتي والده وذكر جدّه وذكر لخوّته وذكر عميّة كل واحد منهم في مكانه من هذا الكتاب، كان يحفظ القرآن ويتلوه كثيراً وكثر على مختصر مسلم للمُنذري وربما قيل إنه حفظه وسمع من المُنذري ومن النجيب عبد اللطيف والعزّ الحزانيّين وجماعة، قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي وأخبرْتُ أنه كَرَّرَ على الوجيز وجلس بالوزّاقين بالقاهرة ودرّس بالمدرسة النجيبية بقوص إلا أنه خالط أهل السّفه والخلطه لها تأثير فخرج عن حدّه، وترك طريق أبيه وجدّه، ولما ولي أبوه القضاء أقامه من السوق، وألحقه بأهل الفسوق، قال هكذا أخبرني جماعة من أهله وغيرهم وكان قويّ النفس بلغني أن وكيل بيت المال مجد الدين عيسى بن الخشّاب رسم للشهود أن لا يكتبوا شيئاً يتعلّق ببيت المال إلا بإذنه فجاءته ورقة فيها خطّ كمال الدين بن الشيخ فطلبه وقال له ما سمعت ما رسمتُ به فقال نعم فقال كيف كتبت قال جاء مرسومٌ أقوى من مرسومك وأشدُّ قال السلطان قال لا قال فمن رسم قال جاء مرسوم الفقراء أصبحْتُ فقيراً ما أجد شيئاً وجاءتني ورقة أخذتُ فيها خمسة عشر درهماً فتبسّم وقال لا تُعدّ، قال وحكى لي بعض أصحابنا قال حضرنا يوماً وهو معنا عند الشيخ عبد الغفار بن نوح وكان الشيخ عبد الغفار كبير الصورة بقوص يأتي إليه الولاة والقضاة والأعيان وكان يمدّ رجله في بعض الأوقات ويدّعي احتياجاً لذلك فمدّ رجله ذلك اليوم فأخذ الكمال مروحةً وضربه على رجله وقال ضمّها بلا قلة أدب، وكان كثير الصدقة مع الفاقة، وتوفي سنة ثمان عشرة وسبع مائة بالقاهرة.

* - «المفتي بركة الوقت» محمد بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الشيخ الإمام المفتي بركة الوقت بدر الدين أبو اليسر بن قاضي القضاة عز الدين أبي المفاخر الدمشقي الشافعي مدرس الدماغيّة والعماديّة ولد سنة ست وسبعين وسمع كثيراً من أبيه وابن شيبان والفخر علي وبنت مكّي وعدة، وحضر ابن علان وحدث «بصحيح البخاري» عن اليونيني وسمع حضوراً من فاطمة بنت عساكر وحفظ «التنبيه» وإزم حلقة الشيخ برهان الدين وولوه قضاء القضاة فاستعفى وصمم فاحترمه الناس وأحيوه لتواضعه ودينه وعظمه. تنكر نائب دمشق واعتقد فيه وحجّ غير مرة وتولى خطابة القدس مديدة ثم تركها ولما كان بالقدس طلبه المقداسة ودخلوا عليه بسماع الحديث وخرجوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمين فشفع لهم وأكثر من الشفاعات فاستقله الناظر وشكّ في الباطن لنائب دمشق وقال: هذا يدخل روحه في غير الخطابة ويتكلم في الولاية والعزل فنقص قدره عنده. وكان مقتصداً في لباسه وأموره ودرس وهو أمرد ثم زار القدس فتعلل هناك ونقل إلى دمشق ومات بها يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين ودفن عند أبيه بسفح قاسيون وشيعه الخلائق وحمل على الرؤوس وكانت وفاته بعد القاضي جلال الدين القزويني بليالٍ يسيري.

١٦٣ - «الخطيب بدر الدين» محمد بن محمد بن عبد الرحمان. بدر الدين أبو عبد الله الخطيب بالجامع الأموي ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني، خطب بالجامع المذكور في حياة والده

وحياة المشايخ الكبار مثل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني والشيخ برهان الدين والشيخ تقي الدين بن تيمية ولما طُلب والدُه إلى مصر وتولَّى قضاء القضاة بالشام استقلَّ هو بالخطابة فيما اظنَّ فلما طُلب والده أيضاً إلى قضاء الديار المصرية بقي هو في الوظيفة وكان في كل سنة يتوجَّه على البريد إلى مصر ويحضر عند السلطان ويلبس تشريفاً ويقيم عند والده مُدِيْدَةً ثم يعود إلى دمشق على البريد وكان له بذلك وجهةً زائدة وصيَّت وقضى سعادةً وافرةً فلما عاد والده إلى الشام قاضياً نابه في الحكم وكان قد أتقن الخطابة وانصقلت عبارته وتلفَّظ بها فصيحاً وقرأ في المحراب قراءةً حسنةً طيبةً النغم، ولما توفي والده كان يُظنُّ أنه يلي القضاء فما اتفق له ذلك وعكس الدهرُ آماله ونقض حبل سعادته فتعكَّس وكلما حاول أمراً لم ينجب، وطُلب إلى مصر فبقي مدةً إلى أن توفي السلطان الملك الناصر رحمه الله وأقام بعده قليلاً ثم عاد إلى دمشق وقد أكمده الحزن فبقي أياماً قلائل وتوفي في ثاني جماديا الآخرة سنة اثنتين وأربعين وسبع مائة ودفن بمقابر الصوفية وقد جاوز الأربعين قليلاً وكان وافر الحشمة ظاهر التجمل حسن البزّة جميل الصورة.

١٦٤ - «القاضي تاج الدين البارنباري» محمد بن محمد بن عبد المنعم. القاضي الكاتب الناظم الناصر تاج الدين أبو سعد السعدي المعروف بابن البارنباري بياض موحد وألف بعدها راء ونون بعدها باء موحد أيضاً وبعد الألف راء أخرى ثم ياء النسب، صاحب ديوان الإنشاء بطرابلس يومئذ، كاتب مطبق، ومرسَل منطبق، خطُه أبهج من الحديقة الغناء، وأخبل للقلب من الحدقة الوشاء، كتب الرقاق والثلث والتوقيعات من أحسن ما يكون، وكان لما رأته بالديوان بقلعة الجبل أعرف بمصطلح الديوان من كل من فيه بحيث أنه يُعطى كتاباً إلى ملك الهند أو إلى ملك اليمن أو إلى ملك الكُرج أو إلى ملك الغرب أو إلى أي ملك من الملوك الذين يكتابون من باب السلطان فيأخذ القلم ويكتب من رأس القلم تلك الألقاب وتلك النعوت عن ظهر قلب من غير أن يراجع شيئاً ثم ينشئ الكتاب المطلوب من رأس القلم في ذلك المعنى المقصود من أحسن ما يكون، وكتب شيئاً كثيراً من التقاليد والمناسير والتواقيع إلى الغاية وقلَّ ما رأته يكتب شيئاً من مسودةٍ فهو أحد كتّاب الإنشاء الذين رأيتهم في عصري، مولده في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وستمائة، وكتب الإنشاء في الدولة الناصرية في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وسبع مائة، ولم يزل من أعيان كتّاب الإنشاء إلى أن توفي القاضي بهاء الدين أبو بكر بن غانم فرسم السلطان للقاضي تاج الدين بأن يتوجَّه إلى طرابلس مكانه صاحب ديوان الإنشاء فتوجه إليها في سنة أربع وثلاثين وسبع مائة فرأس هناك وأحسن إلى الناس وسار سيرة مرضية وأقام بها إلى أن تولَّى النيابة الأمير سيف الدين بَيْدْمَر البدري في أوائل سنة سبع وأربعين وسبع مائة فعزل من كتابة سَر طرابلس وأقام بطرابلس إلى أن رُسم له بالخروج فحضر إلى دمشق في أواخر السنة المذكورة وأقام بدمشق مدةً ثم توجه إلى القاهرة وعاد بعد مدة إلى دمشق موقع دست في شهر رجب فيما اظنَّ سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، وتوفي في أوائل شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وسبع مائة بالقدس، كتبت إليه من دمشق وقد وردت إليها متوجَّهاً من الديار المصرية إلى الرحبة [البسيط]:

عَظِفِيَّ مِنْكَ بِقَايَا الْفَضْلِ لِلرَّاجِي

وَقِيلَ هَذَا بِمَصْرِ صَاحِبِ التَّاجِ

لَمَّا أَتَيْتُ دِمَشْقاً بَعْدَ مَصْرِ وَفِي

عُظِمْتُ مِنْ أَجْلِ مَوْلَانَا وَصُحْبَتِهِ

وَيُنْهِي بَعْدَ رَفْعِ الدَّعَاءِ، وَحَمْلِ لَوَاءِ الْوَلَاءِ، وَإِشَادَةِ بِنَاءِ الثَّنَاءِ، أَنَّ الْمَمْلُوكَ سَطَرَهَا وَشَوْقَهُ
قَدْ ضَاقَتْ بِهِ الرَّجَبَةُ، وَأَغَارَ عَلَى مَثَاقِيلِ الْبَصْرِ فَمَا تَرَكَ مِنْهَا عِنْدَ حَبَّةِ الْقَلْبِ حَبَّةً، وَذَكَرَهُ الْأَيَّامُ
السَّالِفَةُ حَتَّى عَادَ نَسِيئُهُ بِهَا أَعْظَمَ نَسْبِهِ [الوافر]:

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ فِي مِصْرَ يَوْمًا
وَنَلْتُ الْقُرْبَ مِنْ سَادَاتِ دَسْتِ
إِذَا عَايَنْتُ فِي الْإِنْشَاءِ حُلَاهُمْ
وَإِنْ سَابَقْتَهُمْ عِلْمَ فَاً وَفَضْلًا
فَمَا أَبْنُ الصِّيرْفِي إِذَا أَتَاهُمْ
خُصُوصًا تَاجَهُمْ سُقْيِي الْخَوَادِي
إِذَا أَخَذَ الْيِرَاعَ فَلَيْسَ بَيْنَ الْـ
وَإِنْ نَطَقَ أَسْتَفَادَ الْمَرْءُ مِنْهُ
وَلَيْسَ الْمَلِكُ مُحْتَاجًا إِلَى أَنْ
لَهُ الْفَضْلَانِ فِي نَظْمٍ وَنَثْرِ
أَيَا مَوْلَايَ عَفْوًا عَنْ مَحَبِّ
بَعَثْتُ بِهَا إِلَيْكَ عَسَى تَرَاهَا
فَكُتِبَ إِلَيَّ الْجَوَابُ [البسيط]:

شُكْرًا لَغُرْسِ بَرُوضِ الْفَضْلِ قَدْ نَبَتَا
أَهْدَى إِلَيَّ كِتَابًا كُنْتُ أَرْقُبُهُ
مُبَارَكًا جَاءَ بِالْحُسْنَى فَأَحْسَنَ لِي
وَوَدَّهَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ قَدْ ثَبَتَا
أَزَالَ عَنِّي مِنْ عَيْثِ النَّوَى الْعَنَتَا
وَكَيْفَ لَا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيلِ أَتَى

لَا زَالَتْ أَلْفَاظُهُ حَلِيَّةَ الْمَمَالِكِ، وَوَدَّهَ فِي النُّفُوسِ ثَابِتًا وَلِلْقُلُوبِ خَيْرَ مَالِكٍ، وَمَنْزَلَهُ مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ رَحِيبَ السَّاحَاتِ مَعْمُورًا بِالسَّمَاحَاتِ فِي رَحْبَةِ مَالِكٍ، وَيُنْهِي وَرُودَ مُشْرِفِ سَمَحِ بَيَانِهِ،
وَنُفُوحِ بَعْرِفَانِهِ، وَجَنَحَ إِلَى عَوَائِدِ إِحْسَانِهِ، وَلَمَحَ أَشْرَفَ الْمَعَانِي بِإِنْسَانِهِ، وَرَبِحَ إِذْ بَدَأَ بِفَضْلِ
خُطَابِهِ، وَفَضْلِ بَنَانِهِ، أَيْ اللَّهُ أَلَا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْفَضْلُ فِي ابْتِدَائِهِ، وَالْفَوْزُ بِسَبْقِ تَحِيَّتِهِ وَإِنْشَائِهِ، فَقَبْلَهُ
الْمَمْلُوكُ تَقْبِيلًا، وَفَضْلُهُ فَإِذَا الْبَيَانُ جَاءَ كُلَّهُ مَعَهُ قَبِيلًا، وَرَأَى أَدْبًا غَضًّا وَنَظْمًا وَنَثْرًا فَاقًا مِنْ سَلَفِ
عَصْرِهِ وَتَقْضِيٍّ، وَلَقَدْ ذَكَرَ مَوْلَانَا بِأَوَقَاتِ قُرْبِهِ عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ مَا زَالَ يَذْكُرُهَا، وَأَقَرَّ عَيْنًا مَا
بَرَحَتْ تَشْهَدُ مُحَاسَنَةً وَتَنْظُرُهَا [البسيط]:

أَبْلِغْ أَخَانَا أَدَامَ اللَّهُ نَعْمَتَهُ
أَنِّي وَلَوْ كُنْتُ لَا أَلْقَاهُ الْقَاهُ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ
وَكَيْفَ يَذْكُرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ
وَلَقَدْ تَحَمَّلَتْ بِمَوْلَانَا جَهَّةً تَصْدُرُ أَخْبَارُهَا بِأَقْلَامِهِ، وَتَصْدُرُ مَهْمَاتُهَا بِمَتْنِ كَلَامِهِ، وَيَبْدُو

صلاحها بألفاظه التي هي كالزلال في رفته والدر في نظامه، فبسط الله ظلال من أمتع هذه المملكة بمولانا، وسير ركابه إليها وطالما أولاه الخير وأولانا، قد شمل البعيد والقريب بفضل، وعمر مصر بسودده، وغمر الشام بؤليله [الكامل]:

كالبحر يقذف للقريب جواهرأ كرمأ ويبعث للبعيد سحائبأ
ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكنت في القلب حبه، وأرضت بالوَد مملوكه وتربيه وشيدت له في الأفتدة أرفع رتبة [الوافر]:

أَتَتْنَا مِنْ وَدَادِكَ خَيْرُ هَبَّةَ أَتَتْنَا مِنْ وَدَادِكَ خَيْرُ هَبَّةَ
وَزَارَتْنَا عَلَى نَأْيٍ فَأَهْدَتْ وَزَارَتْنَا عَلَى نَأْيٍ فَأَهْدَتْ
تَذَكَّرُنِي بِزَوْرَتِهَا أَتْتَلَفَأَ تَذَكَّرُنِي بِزَوْرَتِهَا أَتْتَلَفَأَ
نَأْيٌ عَنْ مِصْرَ مِنْ مَوْلَايَ أَنْسُ نَأْيٌ عَنْ مِصْرَ مِنْ مَوْلَايَ أَنْسُ
لِلْفُظْكِ فِي الطُّرُوسِ عَقُودَ مَعْنَى لِلْفُظْكِ فِي الطُّرُوسِ عَقُودَ مَعْنَى
وَحَظُّكَ لَمْ يَزَلْ دُرّاً ثَمِيناً وَحَظُّكَ لَمْ يَزَلْ دُرّاً ثَمِيناً
بِنَانِكَ مِنْبَرٌ تَرْقَى عَلَيْهِ بِنَانِكَ مِنْبَرٌ تَرْقَى عَلَيْهِ
خَطْبَتٌ مِنَ الْمَعَانِي كُلِّ بِكْرٍ خَطْبَتٌ مِنَ الْمَعَانِي كُلِّ بِكْرٍ
كَأَنَّكَ قَدْ رَقَيْتِ الْأَفْقَ عَفْوَاً كَأَنَّكَ قَدْ رَقَيْتِ الْأَفْقَ عَفْوَاً
قَدُمْتَ مُعْظِماً فِي كُلِّ أَرْضٍ قَدُمْتَ مُعْظِماً فِي كُلِّ أَرْضٍ

وكتب إلي ونحن بالمخيم السلطاني على طنان ملغراً في كتاب [السريع]:

يَا مُبْدِعاً فِي النِّظْمِ وَالنَّشْرِ يَا مُبْدِعاً فِي النِّظْمِ وَالنَّشْرِ
وَمُودِعاً مُهَرِّقَهُ كُلِّ مَا وَمُودِعاً مُهَرِّقَهُ كُلِّ مَا
إِنْ أَحْكَمْتَ أَلْفَاظَهُ أَصْبَحَتْ إِنْ أَحْكَمْتَ أَلْفَاظَهُ أَصْبَحَتْ
مَا صَامَتْ يَنْطِقُ إِفْضَالُهُ مَا صَامَتْ يَنْطِقُ إِفْضَالُهُ
تُصْلِحُهُ الرِّاحَةُ لَكِنَّهُ تُصْلِحُهُ الرِّاحَةُ لَكِنَّهُ
قَدْ أَشْبَهَ الْبَيْضَ وَلَكِنَّهُ قَدْ أَشْبَهَ الْبَيْضَ وَلَكِنَّهُ
تَفَرَّقَ اللَّيْلُ بِأَرْجَائِهِ تَفَرَّقَ اللَّيْلُ بِأَرْجَائِهِ
يَسِيرُ عَنْ أَوْطَانِهِ دَائِماً يَسِيرُ عَنْ أَوْطَانِهِ دَائِماً
إِنْ كَانَ يَوْمًا ضَيْفَ قَوْمٍ غَدَا إِنْ كَانَ يَوْمًا ضَيْفَ قَوْمٍ غَدَا
فَهَاتِ لِي عَنْهُ جَوَاباً كَمَا فَهَاتِ لِي عَنْهُ جَوَاباً كَمَا
فَكْتُبْتُ إِلَيْهِ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ [السريع]:

وفاضلاً في علمه يُثْري وفاضلاً في علمه يُثْري
يُزْري بِحَسَنِ الدَّرِّ وَالتَّيْبَرِ يُزْري بِحَسَنِ الدَّرِّ وَالتَّيْبَرِ
قَوَاطِعاً تُرَبِّي عَلَى الْبُتْرِ قَوَاطِعاً تُرَبِّي عَلَى الْبُتْرِ
وَكَاتِمٌ لِلسَّرِّ فِي الصِّدْرِ وَكَاتِمٌ لِلسَّرِّ فِي الصِّدْرِ
يُتَعَبُ فِي الطِّيِّ وَفِي النَّشْرِ يُتَعَبُ فِي الطِّيِّ وَفِي النَّشْرِ
يَحْتَاجُ يَا ذَا الْفَضْلِ لِلسُّمْرِ يَحْتَاجُ يَا ذَا الْفَضْلِ لِلسُّمْرِ
كَأَنَّهُ وَصَلَ عَلَى هَجَرٍ كَأَنَّهُ وَصَلَ عَلَى هَجَرٍ
لِلنَّفْعِ فِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ لِلنَّفْعِ فِي الْبَرِّ وَفِي الْبَحْرِ
يُقَرِّى وَخَيْرَ النَّاسِ مَنْ يَقَرِّى يُقَرِّى وَخَيْرَ النَّاسِ مَنْ يَقَرِّى
عَوَّدَتْنِي يَا عَالِي الْقَدْرِ عَوَّدَتْنِي يَا عَالِي الْقَدْرِ

أروضة تبسم عن زهر
 أم نظم مولانا فلاني الذي
 إذ كل حرف منك شمس وإن
 يا فاضلاً ما مشتتهى نظمه
 وكاتباً أصبح من خطه
 خللت ما الغزته في الذي
 ما فاه بالنطق ولكته
 يُخبرنا عما مضى وأتقضى
 لا يكذب القول إذا ما روى
 وعنده للحسن ديباجة
 دُرّت على كافوره مسكة
 كم أقسم الباري به مرة
 يا حسن ما قد قلت يُقرى وهل
 وما قرأه غير سمع الذي
 هذا جواب إن تكن راضياً
 وإن أكن أخطأت في حله
 لا زلت ترقى صاعداً في العلى
 وكتب إلى عقيب ذلك [السريع]:

بلغك الله الأمانى فقد
 حلا وقد كررت إنشاده

وكتب إلي أيضاً ونحن بالمخيم السلطاني على المنوفية [الكامل]:

وبك أستقام على السواء دليلها
 في المكرّمات وأنت أنت خليلها
 وحروفه ما شائهنّ قليلها
 من حاجب فعلاه تمّ أثيلها
 قد طال والنعماء طاب طويلها
 طويّت غمامته وزال ظليلها
 هذا أبائته دنا تعجيلها

طرق الصواب بك أستبان سبيلها
 كم خلّة محمودة أوتيتها
 ما ملغز الفاء منه كلامه
 لا شيء يحجبه وكم من دونه
 إن طال ملّ وخيره يا صاح ما
 وإذا أهل الوفد من ميقاتهم
 كم أوضحوا فرقاً فأخفاه ومع

يسمو فرفعته رسا تأصيلها
فصريرها منه يمدّ صليلها

ومحلّه بمحلّ مولانا غدا
فأحلّله لا برحت يراعك كالطّبي

فحلّلت في شاش وكتبت الجواب إليه [الكامل]:

وتجّر من فوق الرياض ذيولها
تطوى على جمل الجمال فصولها
وتهبّ بالإقبال منك قبولها
وله مقادير تفاوت طولها
ب الغض أو صبح المشيب فضولها
بالعكس بل يبقى لها مدلولها
أس على التصحيف رحت أقولها
قد نلتها في النظم لست أطولها
ما شأنها بعد الطلوع أقولها

جاءت تدار على النفوس شمولها
أبياتك الغر التي أبدعتها
ويسير في الآفاق ذكرك لي بها
قد ألغزت لي في مسمئ واحد
كغمامة ترخى على ليل الشبا
لا يستحيل إذا قلبت حروفه
وحروفه بيت وباقي لفظه
هذا الجواب وغاية الفضل التي
فلك النجوم تسير في فلك العلّى

فكتب إليّ عقيب ذلك [المجتث]:

وراحتاك غمام
واللفظ خلّو مدام
السحر أمر حرام
بسرعة لا تُرام
لله أقام غرام
على الخليل السلام

المسك منك ختام
الخطّ روض نديم
والسحر قولك لكن
أجبتني عن معمي
في القلب حبك ثاو
فأنت حقاً خليل

فأجبت عن هذه القطعة [المجتث]:

وقهوة أم نظام
فانجاب عنها الظلام
منها البرود غمام
والهمز فيها حمام
فيه المعاني مدام
يصبولها المستهام
ولا أقول السقام
للنائبات سهام

أجوهـر أم كلام
أم البذور تجلّت
أم الحداثق وشى
غصونها ألفات
أشبّه السطر كأساً
أو أعيناً فاتنات
وحشوها السحر باد
أقلامك الحمر فيها

ولم يَفُثْهَا مِرَامُ
والكَاتِبُونَ الْكَرَامُ
إِذْ أَنْتَ فِينَا إِمَامُ
فِي فَضْلِهِ لَا يُرَامُ
فَإِنَّهُ وَضَّادٌ وَلَا مُ

كَمْ قَدْ أَصَابَتْ لِمَرْمَى
أَنْتَ عَلَيَّكَ الْمَعَانِي
وَقَلَّدَتْكَ الْمَعَالِي
فَأَنْتَ أَشْرَفُ تَاجٍ
لَهُ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ
فَكُتِبَ الْجَوَابُ أَيْضاً [المجتب]:

بُرُوقُهُنَّ تُشَامُ
مِنْ سُحْبِهِنَّ رَكَامُ
بَيُوتِ هَذَا الْخِيَامُ
كَمَا تَحُلَّى الشَّامُ
وَالسَّالِفُونَ الْكَرَامُ
وَمَا لَهُنَّ مَقَامُ
لَهَا التَّمَامُ لَزَامُ
مِنْهَا وَجُودٌ وَسَامُ
يُرَعَى لَدَيْهَا الذَّمَامُ
وَالنُّونُ فِيهَا لَثَامُ
حَتَّى تَقْضَى الظَّلَامُ
مِنْ خَمَرِهَا جَاءَ جَامُ
قَدْ كَلَّ فِيهِ الْكَلَامُ
إِذْ أَنْتَ فِينَا إِمَامُ

أَلْفَاظُكَ الْغُرَّ أَضَحَّتْ
لَأَجْلِ ذَلِكَ سَحَّحَتْ
فَأَحْبَسَ سُيُولُكَ إِنْ أَلَّ
مَصْرُ بِهَا قَدْ تَحَلَّتْ
عَنْهَا يَقْضَرُ قَسُّ
أَمْثَالِهَا سَائِرَاتُ
بِدَوْرُهَا طَالِعَاتُ
وَفِي الْعِشْيِ أَتَتْنِي
تُعَزِّي إِلَى الْعُزْبِ لَمَّا
لَهَا الْعَيُونَ عَيُونُ
فَكُنْ خَيْرَ سَمِيرِ
وَكَلَّمَا دَارَ دَوْرُ
هَذَا جَوَابُ جَوَابِ
فَأَسْتَرْلَهُ كُلَّ عَابِ

نقلْتُ من خطِّه فصلاً كتبه في وصف يوم ماطرٍ وهو: (مطرٌ غامت له السماء، وعامت الأرضُ لما كثر منه الماء، ودامت به من الله الرحمة والنعماء، وغابت تحت غمامه عين الشمس فما لها إشارة ولا إيماء، وتوالى كرمه إلى الرياض فله عند كل سافٍ يد بيضاء، إلا أن الأرض تغير حالها، واستقرَّ في بطون الأرض ما أرسلته جبالها، فتفرق في الأرض عُذراناً، وروت أحاديثه السيول عن الحيا عن البحر عن جود مولانا، كأنما الأرض به سقيت فشفيت من بأسها، لا بل كأنما أبو حفص هذه الأمة استسقى الله بعباسها، وأضحت فاكهة الشتاء كوجه المحبوب غير مملولة، وأمنت سحبه القلوب وإن كانت سيوف بروقها مسلولة، وخمدت فيها كل نار إلا نار قراك، وما غابت فيه الشمس ونحن نراك، وما أطلق المملوك عنان القلم في هذه الكلم إلا لما قيَّد نفسه محبةً في ذراك)، ونقلت من خطِّه ما كتبه إلى القاضي علاء الدين بن الأثير في قصيدة [الكامل]:

يا من به جُمع الألف مفرَّق ومفرَّق العلياء فيه مُجمَع
يا من إذا وضع المكارم في الوَرَى أضحى له عمل زكي يُرفَع
يا من يُعدّ مآثراً ومكارماً ما عَدَّه ن عُيْنَةً والأقرع
أبوابه محجوجة وجبينه بدرّ وبطن الكفّ منه ينبع

١٦٥ - «ابن صغير الطبيب» محمد بن محمد بن عبد الله. ابن صغير ناصر الدين الطبيب المصري، قرأ الطب والحكمة على والده والأدب على الشيخ علاء الدين القُنُوي، سألته عن مولده فقال سنة إحدى وتسعين وستمائة، فيه ظُرْفُ الأدباء، وخلاعة أهل مصر وهو من أطباء السلطان، توجه مع السلطان الملك الناصر محمد إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وحضر من القاهرة إلى دمشق متوجّهاً على خيل البريد لمداواة الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب فما لحقه إلا وقد تمكّن منه المرض فعاد ناصر الدين المذكور إلى دمشق وقد تغيّر مزاجه من حماة فأقام بدمشق يُمرّض في مدرسة الدنيسري قريباً من خمسين يوماً، وهو من بيت كلهم أطباء وهو شريف النفس لا يطبّ إلا أصحابه أو بيت السلطان، اجتمعت به غير مرّة فوجدته لطيف العشرة دمث الأخلاق وله يد في ضرب العود وجاء الخبر إلى دمشق في ذي القعدة بوفاته بالقاهرة بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة رحمه الله تعالى.

١٦٦ - «النصيب القوصي» محمد بن محمد بن عيسى بن نحام بن نجدة بن معنوق. الشيباني النصيب ثم القوصي الأديب الشاعر الفاضل المحدث، سمع العزّ الحُراني ومحمد بن الحسين الخليلي وإسماعيل بن هبة الله بن علي بن المليحي وغيرهم وحدث بالبخاري بقوص وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبدیع والعروض والقوافي كثير المروءة ظاهر الفتوة ظريفاً لطيفاً خفيفاً له قدرة على ارتجال الحكاية المطوّلة والشعر سريع النادرة، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: شعره في ثلاث مجلّدات وكان رزقه منه يمتدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار، قال: لما جئت إلى قُوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشنائي فترددت إليهما فقال لي كل منهما كلاماً انتفعت به فأما الشيخ تقي الدين فقال لي: أنت رجل فاضل والسعيد من تموت سيئاته بموته لا تهجّ أحداً فما هجوت أحداً وأما الشيخ جلال الدين فقال لي: أنت رجل فاضل ومن أهل الحديث ومع ذلك فأشاهد عليك شيئاً ما هو ببعيد أن يكون في عقيدتك شيء وكنت متشيعاً فثبت من ذلك، وقال كنت مرّة عند عزّ الدين البصراوي الحاجب بقوص فحضر الشيخ علي الحريري وحكى أنه رأى ذرّة تقرأ سورة يس فقلت وكان غراباً يقرأ سورة السجدة فإذا جاء عند آية السجدة سجد ويقول سجد لك سوادي، واطمأن بك فؤادي؛ وتوفي بقوص سنة سبع وسبع مائة، ومن شعره [الوافر]:

إذا أبتسمت من الغور البروق تَأَوَّه مُغْرَمٌ وبكى مشوق
تذكّرني العقيق وأيّ صبّ له صبرٌ إذا ذكّر العقيق
ومنه [المتقارب]: فأجرى المدامع وتلاً وطلاً
تذكّر بالسفح باناً وظلاً يُرجي زماناً تولّى يعود

كثيْبٌ تحمَلُ ما لا يطيق
يببِيت يكابد آلامه
وضيِّع أوقاته في عَسَى
ويشرب من ماء أجفانه
ومنه [الوافر]:

نَعَمْ هِيَ دَارُ مَنْ نَهَوَى يَقِيناً
أنِيخُوا فِي مَعَالِمِهَا الْمَطَايَا
ذَكَرْنَا حُلُوَّ عَيْشٍ مَرَّ فِيهَا
وَكَاسَاتُ الْمَسْرَةِ دَائِرَاتُ

١٦٧ - «ابن تاج الخطباء القوسي» محمد بن محمد بن أحمد. جلال الدين الكندي بن تاج الخطباء القوسي، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: سمع من الشيخ تقي الدين القشيري وكان فقيهاً فاضلاً أديباً له نظم ونثر وخُطب، وكان أمين الحكم بقوص وعاهد الأنكحة وفارضاً بين الزوجين ويكتب خطاً حسناً لا يماثله أحد بقوص، اجتمعت به كثيراً بقوص ثم أقام بغرب قمولاً فتوفي بها سنة أربع وعشرين وسبعمائة وأورد له من شعره [الدوبيت]:

يا غاية منيتي ويا مقصودي
إن كان بدت متي ذنوب سلفت
وأورد له أيضاً [الخفيف]:

هل إلى وصل عَزَّةٍ من سبيل
غادة جَرَدَت حَسَامُ الْمَنَايَا
قد أصابت مَقَاتِلِي بِسَهَامٍ
أَبْرَزْتُ مَبْدَعاً مِنَ الْحُسْنِ يُفْدَى
وأورد له أيضاً [البسيط]:

دعوى سلامة قلبي في الهوى عجبُ
أضحت سلامته منكم على خطرٍ
شربت حُبَّكُمْ صِرْفاً عَلَى ظَمِئٍ
لا يمنعُكُمْ ما قال حاسدنا
وكيف يَسْلَمُ من أَوْدَى به الوَصْبُ
لا تُسَلِّمُوهُ ففِي إِسْلَامِهِ نَصَبُ
وكنْتَ غِرّاً بما تأتي به الثُوبُ
عن الدنوّ فأقوال العِدَى كَذِبُ

١٦٨ - «ابن الجبلي الفرجوطي» محمد بن محمد. المعروف بابن الجبلي الفرجوطي بالفاء والراء والجيم والواو والطاء المهملة، له مشاركة في الفقه والفرائض ومعرفة بالقراءات وله أدب وشعر ومعرفة بحدل الأغا والأحاجي وكان ذكياً جداً جيّد الإدراك خفيف الروح حسن الأخلاق،

كُفَّ بصره آخر عمره، قال كمال الدين جعفر الأدفوي: اجتمعت به كثيراً وأنشدني من شعره
والغازه وتوفي بفرجوط^(١) في المحرم سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، وأورد له [السريع]:

وشاعر يزعم من غرّة وفرط جهل أنه يُشعرُ
يصنّف الشّعرَ ولكنّه يُحدث من فيه ولا يشعُرُ
وأورد له في النبق [البسيط]:

انظر إلى النّبق في الأغصان منتظماً والشمس قد أخذت تجلوه في القُضْبِ
كأنّ صُفْرَتَهُ للناظرين غدت تخكي جلاجل قد صيغت من الدّهَبِ

١٦٩ - «شمس الدين بن الموصلي الشافعي» محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز. البعلبي المولد الشافعي المذهب، الشيخ شمس الدين المعروف بابن الموصلي، سألته عن مولده فقال سنة تسع وتسعين وستمائة، وقرأ القرآن الكريم في مسجد الحنابلة على الشيخ شجاع الدين عبد الرحمن بن علي خادم الشيخ شرف الدين اليونيني وعلى ابن أخيه الشيخ محمد الأعرج بيبلك وسمع الحديث من الشيخ قطب الدين اليونيني وعلى الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح الحنبلي وعلى الشيخ عفيف الدين إسحاق بن يحيى الأمدى وعلى شيخ الإسلام جمال الدين يوسف اليزي وعلى الشيخ شمس الدين الذهبي وعلى الشيخ جمال الدين يوسف العزازي بطرابلس وعلى الشيخ بدر الدين بن مكّي وعلى قاضي القضاة محيي الدين ابن جُهبل وغيرهم وأخذ الفقه عن شيخ الإسلام قاضي القضاة شرف الدين البارزي بحماة وعن أفضى القضاة بدر الدين محمد التبريزي قاضي بعلبك وعن أفضى القضاة جمال الدين الخابوري وعن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن المجد البعلبي وعن الشيخ العالم نجم الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن بابا جوك، وأخذ العربية عن الشيخ شمس الدين ابن المجد البعلبي وعن الشيخ بدر الدين ابن مكّي وغيرهما، وله من التصانيف «كتاب غاية الإحسان في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾» [النحل: ٩٠] و«كتاب بهجة المجالس ورواق المجالس» خمس مجلدات يتضمن الكلام على آيات كريمات وغيرها و«كتاب لوامع الأنوار نظم مطالع الأنوار لابن قرقول» و«نظم المنهاج» للنووي و«كتاب الدرر المنتظم في نظم أسرار الكلم» وهو نظم كتاب فقه اللغة.

وكتب إليّ وهو بطرابلس: يقبل الأرض وينهى أن المملوك لم يزل يلتقط من فرائد أسفار السفار، فوائد أخبار الأخيار، ويبحث عن كنوز العلم ومعادن الأدب، ليفوز منها بمطلّب، يخفّف عنه مؤنة الطلب، حتى سمع عن سجايا مولانا الكريمة ما هو ألطف من النسيم وأحلى من الضرب، بل ألدّ من منادمة الحبيب وقد سلّف المحبّ سلاف الشنب، فمن مشبّب بقصبات سبّ مولانا في الفضائل ولا تشييب القصب ومن مُتغنّ بل مستغن بوصف شمائله عن اطلاع شمس

(١) فرجوط: مدينة بالاندلس.

الشمول وبدور الحبب، فتمل المملوك من سماع هذا الذكر الجميل حتى ماس عِظفي من الطرب، وفي حانٍ سُكري حانٍ سُكري لمولانا فإنه كان في مسرتي السبب. ولم تزل عرائس محامده تُجلى، ونفائس مراحه تُتلى، حتى رغب المملوك في خطبة عبوديته وإن لم يكن له أهلاً على صداق قلب صادق في وفائه، وافٍ في صدقه مخلص في صفائه، يوالي الدعاء ويدعو على الولاء، ويدم الشكر ويشكر على الآلاء، وقد أشهد المملوك دَوِّي عدل على ما ذكر وهما الوفاء والصفاء، وإن عزا في البشّر وحين أشهدهما كان غير ساهٍ ولا لاهٍ، فيرجو أن يقوم بما التزم وأن يقيما الشهادة لله، على أن يسكنها المملوك صميم فؤاده، ويحلها محلّ الناظر من سواده، ويتبع أمرها اتباع الصفة للموصوف، ويمسكها مدى الزمان بمعروف، فإن رأى جبر المملوك بما له قصد وإليه صمد، فليضرب صفحاً عن كفاءة الفضائل التي بها قد انفرد، فقد علم أنه لم يكن فيها كفواً أحداً، وهل يكافئ مُحلّيات العقود النقائث في العُقْد، أو يُنظّم دُرّ السحاب في جبل من مسد، أو يُقابل دُرّ السحاب بلمع السراب والشم، لكن كرمُ عادة مولانا وعادة كرمه، أن لا يردّ حرمةً للقصد قاصد حرمه، لا سَيْما وطفيليّ المحبة أحق، وقدان العشق كما قيل مُطْلَق، وليس المملوك على هذا المنهل العذب أول وارد، فيكون لحرمة هذا القصد أحرم قاصد، لكنه يرجو من الصدقات الشريفة الإسعاد والإسعاف، وأن يكون جوابه الشريف مقدمة الزفاف، لتقر عين الطلب ببلوغ الأمانة، ويقوم سماع المسرة بالنوبة الخيلية، وتُجلا عرائس البلاغة في حُلل نُفثاتها السحرية، وتُتلى نفائس البراعة بالبحان نفحاتها السحرية، فيفتح لي إلى جنان الجناس باباً، ويزوج مبتكرات معانيه بأكفائها أبكاراً أتراباً، فيجهر داعي البركة واليُمْن بالتأمين، وأجلّ سعد هذا الجذ عن الرّفاء والبنين، ويطوف براحت الكؤوس لراحات النفوس راحها، وابتدئ بإهداء أطباق الطباق صلاحها، ثمار آداب قد انتهى إصلاحها، وأجلّها عن قول «بدا صلاحها»، فأرتع في رياضها وأكرع من حياضها، وأغرّف من بحرها، واعترف بحبرها، وأسمو بكتابتها المحلّ الأسنى، فأصير مكاتباً بعد أن كنت قَتاً، وتلك درجة لا أطلب بعدها التجاوز إلى التحرير، ولا أكلفُ خاطره الشريف في المكاتبه إلى التعبير والتحرير، بل يكتفي المملوك بأدنى لمحة من ملحها، ويتتشي ببلاة قطرة من قَدجها، والله تعالى لا يُخلي مولانا من نعمة يؤتيها، ونعمة يؤتيها، ومئة يجزدها، ومئة يشيدها، وأمانة يسددها، وسعادة يؤكدها، وسيادة يولدها.

فكتبت الجواب إليه عن ذلك [الطويل]:

أروض بكاء في الصباح غمام	فغنت على الأغصان فيه حمام
أم الأفق لاحت زهره وتلّالات	فأحسن بنورٍ قد حواه ظلام
أم الشمس حيتني بكأس رسالة	لها المسك من فوق الرحيق ختام
اتتني بدءاً من كريم ممجد	غدا وهو في الفضل التمام إمام

فَقَبَلْتُهَا شَوْقاً لِفَرْطِ صَبَابَتِي وَقَابَلَهَا مَنِّي جَوَى وَعَرَامُ
تَجَلَّتْ لَطْرَفِي فَاجْتَلَيْتُ مُحَاسِنَا كَمَا شُتِّقَ عَنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ كِمَامُ
وَقَضَّتْ عَلَيَّ سَمْعِي حَدِيثاً رَوْتُهُ لِي فَشَتَّفَ سَمْعِي الدُّرُّ وَهُوَ كَلَامُ
وَلَمَّا رَوْتُ رَوْتَ فَوَادِي مِنَ الضُّنَى وَلَمْ يَلْقَهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ أَوَامُ
وَنَاجَتِ بِالْفَظَائِفِ فَقَلْتُ جَوَاهِرَ إِلَى أَنْ سَبَتْ عَقْلِي فَقَلْتُ مَدَامُ
وَرَقَّتْ حَوَاشِيهَا فَقَلْتُ شَمَائِلَ إِلَى أَنْ أَصَابَتْنِي فَقَلْتُ سَهَامُ
وَأَبَدْتُ مِنَ السَّحَرِ الْحَلَالَ عَجَائِباً وَمَا كُلُّ سَحَرٍ فِي الْأَنَامِ حَرَامُ
أَثَارَتْ رِيَّاحَ الْوَجْدِ فَهِيَ عَوَاصِفُ وَأَجَرَتْ دُمُوعَ الْعَيْنِ فَهِيَ سَجَامُ
وَحَاشَى لِمَا أَبَدْتَهُ أَنْ يَسْتَمِيلَهُ مَلَالٌ وَأَنْ يَسْرِيَ إِلَيْهِ مَلَامُ
أَلَا يَا غَزِيرَ الْفَضْلِ عَبْدُكَ قَاصِرُ وَفِي ذَهْنِهِ عَمَّا يَرِيدُ سَقَامُ
وَأِنْشَاؤُهُ إِنْ شَاءَ لَا يَنَالُهُ كَأَنِّي جَفَنُ الصَّبِّ وَهُوَ مَنَامُ
وَأَيْنَ مَحَلَّ الشَّمْسِ مِمَّنْ يَرُومُهُ لَقَدْ جَلَّ مَطْلُوبٌ وَعَزَّ مَرَامُ
وَأَنْتَ الَّذِي يَمَلَأُ الْمَلَا نُورَ فَضْلِهِ لِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْأَنَامُ قَتَامُ
فَلَيْسَ لَشَمْسٍ مِثْلُ أَثَرِ إِنَارَةٍ وَلَيْسَ لِبَدْرِ مِثْلُ تَمَمْتِ تَمَامُ

وينهي ورود المشرف الكريم فانتصب له قائماً على الحال، وتلقاه بما يجب له من الإجلال، ووضع على العين والرأس وهذه غاية يعتقد أنها ما خلّت من الإخلال، ومتّع طرّفه بتلك الطّرف، والتّخفّ بظلال هاتيك الهدايا الفاخرة والتّخفّ، ودخل جنّات سطورها فرأى منها غرّاً مبنية من فوقها غرف، وأسرف في لثمها على أنه لا سرف في الشرف. وعلم أنه بهذا الجواب أحقّ فلولاً إضافة الودّ الصادقة إليه لما انصرف [الطويل]:

وفي تعبٍ من يحسد الشمس ضوءها ويزعم أن يأتي لها بضرب

فَالله يُوزَعُ الْمَمْلُوكُ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْبَادِيَةِ، وَالْمَاءَةُ الَّتِي هِيَ فِي الصُّورَةِ هَدِيَّةٌ وَفِي الْمَعْنَى إِلَى الصُّوَابِ هَادِيَّةٌ، وَيَمْتَعُ الْوُجُودُ بِهَذِهِ الْكَلِمِ الَّتِي تَطُوفُ عَلَى الْأَسْمَاعِ بِكَوْثُوسِ الْمَدَامِ، وَالْأَسْجَاعِ الَّتِي هِيَ عِنْدِي دُرٌّ وَعِنْدَ النَّاسِ كَلَامٌ، وَعَيْنُ اللهِ عَلَى هَذِهِ الْفَضَائِلِ، الَّتِي أَخْمَلْتُ الْخَمَائِلَ، وَحَقَّقْتُ فَضْلَ الْآخِرِ عَلَى الْآوَائِلِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ سَحْبَانُ وَائِلٌ، وَقَدْ عَطَفَهَا الْمَمْلُوكُ عَلَى خِدْمَةِ إِلَى الْمَوْلَى شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْخِرَازِ الَّذِي يَعْجُزُ عَنْ نَقْلِهِ حَمَادُ الرَّائِيَةِ أَطْلَعَ اللهُ شَمْسَهُ بِأَفْقِهَا، وَأَعَادَهُ إِلَى بَلَدِهِ الَّتِي عَامَلَ جَلَّقَ بِخَلْقٍ لَا يَلِيْقُ بِخَلْقِهَا وَلَا خُلُقِهَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَجَبَرُ مَوْلَانَا لَا لَمْ انْفِرَادَهُ طَبِيبٌ، وَهُوَ فِي بَلَدِ مَوْلَانَا غَرِيبٌ، كَمَا أَنَّ مَوْلَانَا فِي الْإِحْسَانِ غَرِيبٌ [الخفيف]:

يا غريب الصفات حُقَّ لِمَنْ كَا ن غريباً أن يرحم الغرباء

وأنشدني من لفظه لنفسه في أواخر صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بدمشق المحروسة
يمدح سيدنا رسول الله ﷺ [البسيط]:

جوانحي لسواكم قط ما جنحت
أهكذا كلَّ صبَّ باعٍ مهجته
ضاقت لبَيْنِكُم الدنيا بما رَحِبَتْ
فيا لنفسٍ على جمر الغضا سُحِبَتْ
قَرَّتْ بقربكم حيناً وقد فرحت
رامت برامة كتمان الغرام فمذ
رأت مسارح غزلان النقا سنحت
رأت قباب الذي في كَفِّه نطقت
الهاشمي الذي لو نفسه وُزِنَتْ
لولاه ما طلعت شمسٌ ولا غربت
ولا السماء سَمَتْ ولا الجبال رَسَتْ
ولا الحياة حَلَّتْ ولا الغيوث هَمَّتْ
أنوار غرته لو أنها لمحت
وإن بدا مطرقاً للرأس من خُفِر
تُبدي أساريه معنى سرائره
عوذت بالليل إذ يغشى ذوائبه
من قاس بالمُزن جدوى راحته فقد
يداه بالذرُّ تُجدي وهو مبتسمٌ
يُمناه ما صفحت لسائلٍ منحاً
فكم فَدَتْ وَوَدَّتْ وأوجلت وجلت
ودارِساً عمرت وعامراً درست
وكم لهُي فتحت بالحمد إذ منحت
وقيدت زعماء وأطلقت زعماء
وكم شفت عللاً وكم روت غللاً
وكم لأحمد خير الخلق من شيم
عدلٍ وحلمٍ وإغضاءٍ ومرحمةٍ

فما لها جُرحت من غير ما اجترحت
في حَبِّكم غير بَرَحِ الشوق ما ربحت
على حشٍّ من جوى التبريح ما برحت
ومُقْلَةٍ في بحار الدمع قد سبحت
لكنها اليوم بعد البُعد قد قَرِحت
بدا لها ريمها في دمعها افتضحت
بين الرياض وورق الأيك قد صدحت
صُمُ الحَصا وعيون الماء قد سرحت
بالأنبياء وأملاك السما رجحت
كلأً ولا دُجِيَتْ أرضٌ ولا سَطِحت
ولا البحار طمت ولا الصبا نفحت
ولا الجنان زهت ولا لظى لفحت
لوح الدجى إذ سَجى مسوؤه لمحت
تخال عذراء من فرط الحيا آتشت
في النفس إن فرحت يوماً وإن ترحت
وفرقه بالضحي والشمس إذ وضحت
أخطأ القياس فُروق الفضل قد وضحت
والسحب تبكي وتجدي الدر إن سمحت
وكم عن المذنب الخطاء قد صفحت
وأوكست وكَسَتْ وأثبتت ومحت
وبائساً رحمت وفارساً رمحت
لُهي بها سمحت وكم نَدَى رشحت
وقلدت مِنناً ومائناً نصحت
وكم هدت سُبلاً لولاه ما فُتحت
كشامةٍ لمحت في وجنةٍ مَلَحَتْ
وعَفَّةٌ وغنى نفسٍ به مُنِحت

وعزمة كالمنايا للعدى حطمت
وكم مراضٍ قلوبٍ حين عالجها
ما قدر مدحي سجاياه وقد جُدت
والله أقسم في الذكر الحكيم لنا
وبالمغيرات صباحاً من مراكبه
صلّى عليه إله العرش ما عذبت
ثم الصلاة على الأصحاب كلهم
وأنشدني من لفظه لنفسه [الخفيف]:

نال أعلى مراتب المجد من لا
بجميل الجوار مع كرم النف
وتعامٍ عن العيوب وزهدٍ
وأنشدني من لفظه لنفسه [الطويل]:

إذا جرّت الصهباء ما يرفع الحيا
فمن شرعهم في الصحو محو الذي جرى
وأنشدني من لفظه لنفسه [السريع]:

ومنكر قتل شهيد الهوى
اللون لون الدم في خذه
وأنشدني من لفظه لنفسه [مجزوء الرمل]:

قال لي ساحر طرفٍ
إنّ طرفي قد تنبّى
قلت ما آية هذا
قلت يُنجي الله منه
قلت فأمرني برشدٍ
قال وخذ عشق حسني
ثم صدّق سحر طرفي
قلت لا أؤمن دُعني
وأنشدني من لفظه لنفسه [البسيط]:

قد كنت أعشّق ورد الخدّ ليس له

وهمةً للدنايا قطّ ما طمحت
باللطف صحت ومن سُكر الضلال صحت
لدى الزبور وفي القرآن قد مدحت
بالعاديّات التي من خيله ضبحت
الموريات شرار النار قد قدحت
أمداحه لمحبيّه وما ملحت
والآل أعداد قطر السحب إذ سفحت

كان يُدرى به ولا بمكانه
س وعرفانه بأهل زمانه
في متاع يفنى وحفظ لسانه

بنصب شباكٍ صيدها يحرم التقوى
وإنّ بساط البسط يُطوى ولا يُروى

ووجهه ينبىء عن حاله
والريح ريح المسك من خاله

كم سبى من متنسكٍ
أفلا تنجو بنفسك
قال في العشاق يسفك
قال هيهات لمثلك
وهدى أسمع لأمرك
واحذر التشريك تُشرك
لا تكذبه فتهلك
أصطلي في نار خدك

ثاني ولا لغرامي فيه من ثاني

فكيف لا أتغالى في محبته

وأشدني من لفظه لنفسه [مجزوء الرمل]:

قال محبوبي بقدي

صف لي خالي فوق خدي

قال شبهه بحقي

قال مثله ودع ذا

هو واللّه وحيد

وأشدني من لفظه لنفسه [الخفيف]:

يا مضيعاً للعهد والودّ غدرأ

إن أطعت العدوّ فينا فإنّا

وأشدني من لفظه لنفسه [الكامل]:

أفدي الذين تحكّموا بحشاشتي

باعوا فؤادي بالهوان زهادة

ما كنت أحسب أنّ قدري عندهم

لكنهم لم يظلموني الذنب لي

لكنّما عين المحبّة أكمة

لا ودهم يصفو ولا رَسْمُ الهوى

ضاعت مفاتيح السلو جميعها

وورد خديّه قد حُفّا بريحان

وبخديّ وبنهدي

قلت لا ينهض جدي

قلت لا يُشرك وجدي

قلت يا غاية قصدي

جلّ عن مثل وزد

ومريداً بجهده التفريقا

قد عصينا فيك الصديق الصدوقا

أصلوا بها نار الغرام وأججوا

وعليه في سوق المذلة حرّجوا

هذا ولا ودي لديهم يسمج

في مثل صحبتهم وما أنا أهوج

ولقد نشبت بهم فكيف المخرج

يعفو ولا عني الهموم تفرج

مئي وباب العشق باب مُرتج

١٧٠ - «السفاقي المالكي» محمد بن محمد. الإمام الفاضل شمس الدين السفاقي ويأتي

ضبطه في ترجمة أخيه إبراهيم، كان هو وأخوه رحمها الله تعالى مالكيين وهما من فضلاء المالكية، حضر شمس الدين هذا إلى دمشق وأنا بها ورأيت شكلاً تاماً حسناً مليح الوجه أظنه لم يبلغ الأربعين وأقام بدمشق بعض سنة أو أكثر وأقرأ الناس بالجامع الأموي ثم توجه إلى حلب فحظي بين الحلبيين وتصدّر هناك وأفاد وولي وظائف ولم تطل المدة حتى توفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين ثاني شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبعمائة، أثنى عليه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ثناء كثيراً وقال: له على مختصر ابن الحاجب بعض شرح وشرح قصيدة ابن الحاجب في العروض.

١٧١ - «شمس الدين بن نباته» محمد بن محمد بن الحسن. الشيخ شمس الدين بن نباته الفارقي

المصري هو والد الشاعر الناصر جمال الدين محمد بن نباته يأتي تمام نسبه في ترجمة ولده محمد بن محمد بن محمد ثلاثة في مكانه، هذا الشيخ شمس الدين من أشياخ الحديث بدمشق ساكن

خَيْرٌ قَلِيلُ الْكَلَامِ يَنْفِقُ كُلَّ مَا يَحْصُلُ لَهُ عَلَى أَحْفَادِهِ أَوْلَادٍ وَلَدَهُ جَمَالُ الدِّينِ يَبَاشِرُ شَهَادَةَ الْخَاصِّ وَفَتْهُ الْقِسْمَ بِدُومَةِ وَدَارِيَا، وَكَانَ فِي مِصْرَ شَاهِدًا بِدِيَوَانِ الْجَاشَنْكِيرِ بَيْبَرَسَ، وَلَدَ بِمِصْرَ سَنَةَ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ سَمِعَ مِنَ الْعَزَّازِيِّ وَابْنِ خَطِيبِ الْمَازَةِ وَغَازِيِ الْحَلَاوِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ بْنَ الْأَنْمَاطِيِّ وَغَيْرِهِمْ وَلَهُ سَكَنٌ بِالظَّاهِرِيَّةِ بِدِمَشْقَ، أَجَازَ لِي بِخَطِّهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَتَوَلَّى دَارَ الْحَدِيثِ النُّورِيَّةَ بَعْدَ الشَّيْخِ زَيْنِ الدِّينِ بْنِ الْمَازِيِّ، وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ثَانِي صَفَرٍ سَنَةِ خَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

١٧٢ - «ابن مينا» محمد بن محمد بن مينا. الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ شَمْسُ الدِّينِ الْبَلْبُكِيُّ الشَّافِعِيُّ، سَمِعَ مِنَ الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرَ وَمِنْ عَيْسَى الْمُطْعَمِ وَغَيْرِهِمَا، وَقَرَأَ الْفَقْهَ وَبَرَعَ فِيهِ وَنَظَرَ وَأَفْتَى، وَتَوَجَّهَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَعَادَ بِالنِّظَامِيَّةِ فِيمَا قِيلَ وَعَادَ إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ الشَّيْخُ كِمَالُ الدِّينِ بْنُ الزَّمْلَكَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَشْنِي عَلَى ذَهْنِهِ وَكَانَ عَلَى ذَهْنِهِ إِشْكَالَاتٌ فِي الْمَذْهَبِ وَشُكُوكٌ فِي غَيْرِ الْفَقْهِ وَكَانَ يَنْحَرِفُ كَثِيرًا، وَتَوَلَّى قَضَاءَ الْإِقْلِيمِ بِدِمَشْقَ وَمَا كَانَ يَخْلُو مِنْ تَعَبٍ، وَخَلَّفَ لَمَّا تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ دُنْيَا صَالِحَةً وَوَصَّى بِثُلُثِ مَالِهِ أَنْ يَصْرَفَ عَلَى فَقَرَاءِ الْفُقَهَاءِ كُلِّ إِنْسَانٍ عَشْرَةَ دِرَاهِمٍ وَكَانَ مُقِيمًا بِالرَّوَاكِجَةِ وَكُتِبَ عَنِّي شَيْئًا وَكَانَ يَعْجَبُنِي ذَهْنُهُ وَحَدِيثُهُ، وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي طَاعُونِ دِمَشْقَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ فِي حُدُودِ الْخَمْسِينَ.

١٧٣ - محمد بن محمد بن قوام. توفى بكرة الجمعة سادس عشر المحرم سنة سبع وأربعين وسبعمائة ودفن بزاوية جدّه.

١٧٤ - «ابن محمش» محمد بن محمد بن محمد. ابن مَحْمِشٍ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ عَلَى وَزْنِ مَسْجِدِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ دَاوُدَ الْفَقِيهِ أَبُو طَاهِرٍ الزِّيَادِيُّ الشَّافِعِيُّ الْأَدِيبُ كَانَ أَبُوهُ مِنْ أَعْيَانِ الْعَبَادِ وَأَمَّا أَبُو طَاهِرٍ فَكَانَ إِمَامًا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ بَنِيْسَابُورَ وَفَقِيهِمْ وَمُفْتِيهِمْ بِلَا مَدَافِعَةٍ وَكَانَ مُتَبَحِّرًا فِي الشُّرُوطِ وَصَنَّفَ فِيهِ وَلَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِالْعَرَبِيَّةِ وَحَدَّثَ بَعْلُوهُ فِي الثَّقَفِيَّاتِ وَتَوَفَّى سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ.

١٧٥ - «الوزير عميد الدولة ابن جهير» محمد بن محمد بن محمد. ابن جَهِيرِ الْوَزِيرِ عَمِيدِ الدَّوْلَةِ أَبُو مَنْصُورِ ابْنِ الْوَزِيرِ فَخْرُ الدَّوْلَةِ الْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَهُ وَزَرُ فِي أَيَّامِ وَالِدِهِ وَخَدَمَ ثَلَاثَةَ خُلَفَاءَ وَلَمَّا احْتَضَرَ الْقَائِمُ أَوْصَى بِهِ وَلَدُهُ الْمُقْتَدِي ثُمَّ إِنَّهُ عَزَلَ بِأَبِي شَجَاعٍ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ وَنَظَّمَ فِيهِ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ الْبَيْتَيْنِ السَّائِرَيْنِ وَذَكَرْتُهُمَا فِي تَرْجُمَةِ وَالِدِهِ وَبَقِيَ فِيهَا تِسْعَةُ أَعْوَامٍ وَكَانَ خَبِيرًا كَافِيًا مَدْبِرًا فَصِيحًا مُفَوِّهًا مُتَرَسِّلًا وَلَهُ هَيِّئَةٌ وَسُكُونٌ وَكَلِمَاتُهُ مَعْدُودَةٌ كَلَّمَ يَوْمًا لَوْلَدَ أَبِي نَصْرَ بْنَ الصَّبَاغِ فَقَالَ لَهُ اشْتَغَلْ وَأَدَّابْ وَإِلَّا كُنْتَ صَبَاغًا بِغَيْرِ أَبٍ فَلَمَّا قَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ جَاءَ النَّاسُ إِلَى ابْنِ الصَّبَاغِ لِلْهَنَاءِ لَكُنْ الْوَزِيرُ كُلَّهُ، وَلَهُ تَرْسُلٌ حَسَنٌ وَتَوَاقِيحٌ وَجِيْزَةٌ وَلَهُ شَعْرٌ أَيْضًا وَكَانَتْ لَهُ رِثَاسَةٌ وَسِيَاسَةٌ وَهُوَ مِنَ الْوُزَرَاءِ الْمَمْدُوحِينَ قَالَ الْعَمَادُ الْكَاتِبُ: مَدَحَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ شَاعِرٌ وَيُقَالُ إِنَّهُ مُدِخٌّ بِمِائَةِ أَلْفِ بَيْتٍ شَعْرًا، وَمِنْ شَعْرَاتِهِ مَسْعُودُ بْنُ الْعَلَاءِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخُبَّارِ وَمِنْ مَدَحِهِ فِيهِ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةِ

١٧٠ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (٤/١٥٨)، «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١١٣٤ - ١٨٥٥)، و«هدية العارفين» للبغدادي (٢/١٥)، و«معجم المؤلفين» لكحلّة (١١٧٧/١١ - ١٧٨).

[البسيط]:

مَجْرَبُ الرَّأْيِ يَقْظَانُ الْبَصِيرَةَ هَجَّ
يُريكَ فِي الدَّسْتِ أَطْرَاقاً وَهَيْبَتَهُ
لِلْحَمْدِ سَوْقٌ لَدَيْهِ غَيْرُ كَاسِدَةٍ
وَلِلْمَدَائِحِ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ
أَمِ الْعَزِيمَةِ قَوَامُ الْبِرَاهِينِ
مِنَ الصَّعِيدِ إِلَى أَقْطَارِ جَنِّحُونِ

وآخر أمره [آل] إلى أن حبسه الخليفة المستظهر في داره واستصفى أمواله وأموال من يلود به من العمّال والنوّاب وأخرج ميتاً في شوال سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة وحمل إلى داره فغُسل فيها ودُفن بالتربة التي استجدها في قراح ابن رزّين ومنع أصحاب الديون التي عليه من دفنه في التربة وقالوا هذه ملكه ولم يصحّ وقفها ثم عجزوا عن إبطال ذلك، وقيل إن المستظهر أدخل عميد الدولة ابن جهير حمّاماً وسَمَّرَ عليه الباب إلى أن مات فيه وأخرج للشهود ليشهدوا أنه ليس فيه أثر قتل ليقال إنه مات حتف أنفه ودخل في جملة الشهود أخوه الكافي فصاح يا أخي يا أبا منصور قتلوك وجعل يرددها دفعاتٍ فقليل إن خمسمائة خادم خلعوا مداساتهم وخفافهم وصفعوه بها فوقع ميتاً ولم يُسمع بمن مات هذه الميته.

١٧٦ - «الطالقاني الصوفي» محمد بن محمد بن محمد. أبو عبدالله الطالقاني الصوفي، سافر البلاد وسمع الكثير وسكن صور إلى أن مات بها في ذي القعدة سنة ست وستين وأربعمائة عن ثمانين سنة، ومن رواياته عن أبي عبد الرحمن السلمي عن محمد بن عبد الله الرازي عن أبي الحسين النوري قال رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أكرر النظر فقلت يلبسون النعال الصرّارة ويمشون في الطرقات فقال الغلام أحسنت أتجمش بالعلم ثم أنشأ يقول [الطويل]:

تَأْمَلْ بَعِينَ الْحَقِّ إِنْ كُنْتَ نَاضِراً
إِلَى صِفَةٍ فِيهَا بَدَائِعُ فَاطِرِ
وَلَا تُعْطِ حَظَّ النَّفْسِ مِنْهَا [...]
وَكُنْ نَاضِراً بِالْحَقِّ قُدْرَةَ قَادِرِ

١٧٧ - «أبو منصور العكبري» محمد بن محمد بن محمد. أبو منصور العكبري، كان فاضلاً فصيحاً صدوقاً يحاضر بالحكايات المستحسنة والأناشيد الظرفية، من إنشاداته [الوافر]:

أُطِيلُ الْفِكْرَ مَنِي فِي أَنْاسٍ
مَضَّوْا عَنَّا وَفِي مَنْ خَلَّفُونَا
هُمْ الْأَحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ ذَكَرَأُ
وَنَحْنُ مِنَ الْخَمُولِ الْمَيِّتُونَا
لِذَلِكَ قَدْ تَعَاطَيْتُ التَّجَافِي
وَإِنَّ خَلَائِقِي كَالْمَاءِ لِينَا
وَلَمْ أَبْخُلْ بِصَحْبَتِهِمْ لِأَمْرِ
وَلَكِنْ هَاتِ قَوْمًا يُصَحِّبُونَا

ويقرب من هذا قول البارع من أبيات [الخفيف]:

قد^(١).

لَا لِأَنِّي أَنْفَتُ مَعَ ذَا مِنَ الْكُودِ
يَا أَيْنَ الْكِرَامِ حَتَّى أُكْذِي

وقول شاعر الحماسة [الكامل]:

خَلَّتِ الدِيَارُ فُسُودٌ غَيْرَ مُسَوَّدٍ وَمِنَ الْعَنَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّؤْدِ
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كُلُّهُ قَوْلُ لَبِيدٍ [الْكَامِلُ]:

ذَهَبَ الَّذِينَ يَعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرِبِ
كَانَتْ وَلَادَةُ أَبِي مَنْصُورٍ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ وَوَفَاتَهُ بِبَغْدَادَ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعُمِائَةٍ.

١٧٨ - «الغزالي» محمد بن محمد بن محمد. ابن أحمد حجة الإسلام زين الدين أبو حامد
الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن في آخر عصره مثله، اشتغل في مبدأ أمره بطوس على أحمد
الرادكاني ثم قدم نيسابور واختلف إلى دروس إمام الحرمين وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في
مدة قريبة وصار من الأعيان في زمن أستاذه وصنَّف ولم يزل يلازمه إلى حين وفاته فخرج إلى
العسكر ولقي نظام الملك فأكرمه وعظَّمه وكان بحضرة الوزير جماعة من الفضلاء فناظروه وظهر
عليهم واشتهر اسمه وسار بذكره الركبان [الطويل]:

فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مَشْمَرًا وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يَغْنَى مُعَرَّدًا

وفُوضَ إليه الوزيرُ تدرِيسَ النظامية وعظمت حشمته ببغداد حتى علت على الأمراء والكبار
وأعجب به أهل العراق ثم إنه ترك جميع ما كان فيه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمئة
وسلك طريق التزهّد والانقطاع وحجَّ فلما رجع توجه إلى الشام فأقام في مدينة دمشق مدة يذكر
الدروس في زاوية الجامع المعروفة الآن [به] في الجانب الغربي ثم توجه إلى القدس واجتهد في
العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظَّمة ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة ويقال أنه عزم
منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراکش لما بلغه منه من محبة
أهل العلم والإقبال عليهم فبلغه نعيُّ المذكور فعاد إلى وطنه بطوس وصنَّف بها كتباً نافعة ثم عاد
إلى نيسابور وألزم بتدريس النظامية بعد معاودات ثم ترك ذلك وأقام بوطنه واتخذ خانقاه للصوفية
ومدرسةً للمشتغلين بالعلم في جواره ووزَّع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة
أهل القلوب، وأما مصنَّفاته فمنها «كتاب إحياء علوم الدين» وهو من أجل الكتب وأعظمها حتى
قيل فيه إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب وأول ما دخل إلى الغرب
أنكروا فيه أشياء وصنفوا عليه «الإملاء في الردِّ على الإحياء» قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج بن
الجوزي: قد جمعتُ أغلاط الكتاب وسمَّيته «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء» وأشرت إلى بعض
ذلك في كتابي «تلبیس إبليس»، وقال سبطه أبو المظفر: وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه
قانون الفقه كما ذكر في مجاهدة النفس أن رجلاً أراد محو جاهه فدخل الحمام فلبس ثياب غيره

(١) بياض في الأصل.

١٧٨ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٥٨٦/١ - ٥٨٨)، و«طبقات الشافعية» للشبكي (١٠١/٤ - ١٨٢)، و«المتنظم»
لابن الجوزي (١٦٩/٩ - ١٧٠)، و«اللباب» لابن الأثير (١٧٠/٢)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (١٠/٤ -
١٣)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٢٠٣/٥)، و«مرآة الجنان» لليافعي (١٧٧/٣ - ١٩٢)، و«طبقات» =

ثم لبس ثيابه فوقها وخرج يمشي على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه فسَمي سارق الحمام وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين وهذا قبيح لأنه متى كان للحمام حافظ وسرق منه سارق قُطِعَ ثم لا يحل لمسلم أن يتعرض لأمر يؤثم الناس به في حقّه وذكر أن رجلاً اشترى لحماً فرأى في نفسه أنه يستحي من حمله إلى بيته فعلقه في عنقه وهذا في غاية القبح ومثله كثير انتهى، وأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصحّ ومثل هذا يجوز في الترهيب والترهيب والكتاب غاية في النفاسة وكان الإمام فخر الدين يقول: كان الله جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها أو كما قال، ومن مصنفاته «البيسط» و«الوسيط» وهو عديم النظير في بابهِ من حسن تربيته وتهذيبه وعليه العمدة الآن في إلقاء الدروس و«الوجيز» و«الخلاصة» هذه الأربع في الفقه قال بعضهم فيها [مجزوء الرمل]:

هَذَبَ الْمَذْهَبَ حَبْرٌ أَحْسَنَ اللَّهُ خَلَاصَهُ
بَبْسِيطَ وَوَسِيطَ وَوَجِيزَ وَخُلَاصَةَ

ويقال لهُ قيل له ما عملت شيئاً أخذت الفقه من كلام شيخك في «نهاية المطلب» والتسمية لكتبك من الواحدي ويقال إن نهاية المطلب لإمام الحرمين كانت زُبْرَ حديد فجعلها الغزالي زبر خشب، ومن مصنفاته «المستصفى في أصول الفقه» و«المنخول» و«اللباب» و«بداية الهداية» و«كيمياء السعادة» و«المآخذ» و«التحصين» و«المعتقد» و«الجامع العوام» و«الرد على الباطنية» و«مقاصد الفلاسفة» و«تهافت الفلاسفة» و«جواهر القرآن» و«الغاية القصوى» و«فضائح الإباحية» و«غور الدور» و«المنتخل في علم الجدل» و«معيان العلم» و«المضنون به على غير أهله» و«شرح الأسماء الحسنى» و«مشكاة الأنوار» و«المنقذ من الضلال» و«القسطاس المستقيم» و«حقيقة القولين» وأورد ابن السمعاني من نظمه قوله [الكامل]:

حَلَّتْ عَقَارِبُ صَدْغِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَمَرًا فَجَلَّ بِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ
وَلَقَدْ عَهْدَنَاهُ يَحُلُّ بِبَرْجِهَا وَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ
وَأُورِدَ لَهُ الْعِمَادُ الْكَاتِبُ فِي الْخَرِيدَةِ قَوْلُهُ [الكامل]:

هَبْنِي صَبُوتَ كَمَا تَرُونَ بِزَعْمِكُمْ وَخَظِيَّتَ مِنْهُ بَلْشَمَ خَدِ أَزْهَرِ
إِنِّي اعْتَزَلْتُ فَلَا تَلُومُوا إِنَّهُ أَضْحَى يَقَابِلُنِي بِوَجْهِ أَشْعَرِي

= الشافعية لابن هداية (٦٩ - ٧١)، و«المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (٢/٢٣٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١٧٣ - ١٧٤)، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده (٢/٥١ - ١٩١ - ٢١٠) و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٣٦ - ٨٢ - ٨٤ - ٩٧ - ١٠٤ - ١٣٥ - ١٤٨ - ١٧٢ - ٢١٦ - ٢٢٨ - ٢٣٠ - ٢٤٥ - ٣٦٠ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦ - ١٩١٨ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ - ٢٠٥٣)، و«روضات الجنات» للخوانساري (١٨٠ - ١٨٥)، و«إيضاح المكنون» للبغدادى (١١/٢ - ١٧١ - ٢٩٨ - ٣٠٠ - ٥٩٥)، و«هدية العارفين» للبغدادى (٧٩/٢ - ٨١).

وأورد له ابن النجار [الكامل]:

فقهائنا كذبالة النبراس هي في الحريق وضوؤها للناس
خبرٌ ذميمٌ تحت رائق منظر كالفضة البيضاء تحت نحاس

وكانت ولادته في سنة خمسين وأربعمائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران وتوفي يوم
الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران ورثاه أبو المظفر محمد
الأبيوردي بأبيات فائقة منها [السيط]:

مضى وأعظم مفقود فجعت به من لا نظير له في الناس يخلقه
وتمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام الطائي [الطويل]:
عجبت لصبري بعده وهو ميتٌ وكنتُ امرأةً أبكي دماً وهو غائب
على أنها الأيام قد صرّنتُ كلّها عجائبٌ حتى ليس فيها عجائب

ودفن بالطابران وهي قصبة طوس وقيل أنه قال في بعض مصنفاته: ونسبني قوم إلى الغزال
وإنما أنا الغزالي نسبةً إلى قرية يقال لها غزالة بتخفيف الزاي والله أعلم.

١٧٩ - «قاضي النعمانية» محمد بن محمد بن محمد بن حامد بن عمر بن بنيق. أبو تمام من أهل
النعمانية، كان قاضياً بها وقدم بغداد وسمع من أبي جعفر محمد بن المسلمة وأبي بكر الخطيب،
وحدث باليسير روى عنه أبو السعادات المبارك بن الحسين بن نعوبا وأبو طاهر السلفي.

١٨٠ - «أبو الغنائم المعوج» محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الله بن السكن.
أبو الغنائم ابن أبي منصور المعروف بابن المعوج من أهل باب المراتب، حدث عن الشريف أبي
نصر الزينبي وسمع منه أبو بكر بن كامل وأخرج عنه حديثاً في معجم شيوخته.

١٨١ - «أبو نصر العكبري» محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عبد العزيز بن
مهران. أبو منصور بن أبي نصر العكبري من أولاد المحدثين، حدث هو وأبوه وجده وأبو جده
وذكرهم الخطيب في تاريخه، وأبو منصور هذا أسمع أبوه من أبي الطيب طاهر الطبري وأبي
محمد الحسن بن علي الجوهري وغيرهما وحدث باليسير ببغداد وعُكبرا، روى عنه أبو المعمر
الأنصاري وأبو طاهر السلفي وأبو بكر المبارك الخفاف، وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

١٨٢ - «أبو محمد الأنصاري» محمد بن محمد بن محمد بن عمر. أبو محمد الأنصاري من أهل
باب البصرة، حدث عن أبي طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري وسمع منه أبو بكر بن
المبارك الخفاف وأخرج عنه حديثاً في معجم شيوخته.

١٨٣ - «أبو عبد الله البيضاوي» محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد
البيضاوي. أبو عبد الله سبط القاضي أبي الطيب طاهر الطبري، كان فقيهاً فاضلاً شافعيًا، قال عبد
الملك بن إبراهيم الهمداني الفرضي لم أر أذكى منه، ترسل إلى غزنة بسبب بيعة المقتدي وحدث
بهراة عن جماعة وكان سرياً جميلاً، توفي سنة سبعين وأربعمائة.

١٨٤ - «البروي الشافعي» محمد بن محمد بن محمد بن سعيد بن عبد الله. أبو منصور الفقيه الشافعي البروي بالراء أحد الأئمة المشاهير المشار إليه بالتقدم في النظر وعلم الكلام والفقه والوعظ وكان حلو العبارة فصيحها، تفقه على الفقيه محمد بن يحيى النيسابوري صاحب المحيط في شرح الوسيط وكان من أكبر أصحابه، صنف في الخلاف تعليقة جيدة و «المُتَرح في المصطلح» وهو مليح في الجدل وشرحه تقي الدين أبو الفتح منصور بن عبد الله المصري المعروف بالمُعْتَزْ شراحاً مستوفى وعُرف به فلا يقال شرح التقي المصري، دخل البروي إلى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة وصادف قبولاً من العام والخاص وتولى المدرسة البهائية قريباً من النظامية ويذكر بها كل يوم عدة دروس ويحضره الخلق وله حلقة المناظرة بجامع القصر ويحضر عنده المدرسون والأعيان ويظهر عليه من الحركات ما يدل على رغبته في تدريس النظامية وكان ينشد في أثناء مجلسه مشيراً إلى موضع التدريس قول أبي الطيب [البسيط]:

بكيث يا ربُع حتى كدت أبكيكا وَجُدْتُ بي وبدمعي في مغانيكا

الآيات الثلاثة^(١) ويفهم الناس عنه ذلك، وكان قدم دمشق ونزل في رباط الشميساطي وقرىء عليه هناك شيء من أماليه، وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة وخمسمائة بطوس وتوفي سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة ببغداد وصلى عليه المستضيء يوم الجمعة بقصر الخليفة ودفن بباب أبرز من تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكان يبالغ في ذم الحنابلة وقال لو كان لي أمر لوضعت عليهم الجزية فجاءته امرأة في الليل بصحن حلوى قالت أنا أعزل وأبيعه وقد اشتريت هذا الصحن وهو حلال وأريد أن يأكل الشيخ منه فأكله هو وزوجته وولد له صغير فأصبحوا موتى.

١٨٥ - «ركن الدين العميدي» محمد بن محمد بن محمد وقيل أحمد ركن الدين أبو حامد الحنفي السمرقندي المعروف بالعميدي، كان إماماً في الخلاف وخصوصاً الجُست وهو أول من أفرده بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين واشتغل فيه على رضي الدين النيسابوري وهو أحد الأركان الأربعة لأنهم اشتغلوا على الشيخ المذكور وكل منهم لقبه ركن الدين وهم الطاوسي وركن الدين زادا^(٢) والعميدي هذا^(٣) وصنف العميدي «الإرشاد» فاعتنى بشرحه جماعة منهم القاضي شمس الدين الخويتي قاضي دمشق وأوحد الدين قاضي مَنبج ونجم الدين المرندي وبدر الدين المراغي عُرف بالطويل وغيرهم وصنف «الطريقة» المشهور بأيدي الناس و«النفاثس» واختصره القاضي شمس الدين الخويتي أيضاً وسمّاه «عرائس النفاثس»، وصنف أشياء أخرى مستملحة واشتغل عليه خلق كثير وانتفع به جماعة منهم نظام الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين أبي المجاهد محمود الحنفي المعروف بالحصيري صاحب الطريقة المشهورة، وكان العميدي كريم الأخلاق كثير التواضع طيب المعاشرة، توفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة خمس

١٨٤ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ٥٩٠ - ٥٩١)، و«مرآة الجنان» للياضي (٣/ ٣٨٢ - ٣٨٣)، و«كشف الظنون»

لحاجي خليفة (٤٢٤ - ١٧٩٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤/ ٢٢٤).

عشرة وستمائة ببخارى.

١٨٦ - «الأثير ابن بنان الكاتب» محمد بن محمد بن محمد بن بنان الأنباري. أبو طاهر بن أبي الفضل الكاتب، من أهل مصر وأصله من الأنبار، قرأ الأدب وسمع الحديث وكان شيخاً جليلاً مهيباً عالماً أديباً كاتباً بليغاً يكتب الخط الحسن ويقول الشعر الجيد ويترسل فيه مفاكهة ودماثة أخلاق، قدم بغداد رسولاً مع قافلة الحاج من مكة من جهة سيف الإسلام طغتكين أخي صلاح الدين من اليمن فأنزل بباب الأزج وأكرم مثواه وحذث بكتاب الصحاح في اللغة للجوهري عن أبي البركات محمد بن حمزة بن الغرقبي عن أبي القاسم بن القطاع عن أبي بكر بن البر التميمي عن أبي إسماعيل بن عبدوس عن الجوهري وبالسيرة النبوية لعبد الملك بن هشام عن والده عن أبي إسحاق إبراهيم بن عبدالله بن سعيد الحبال، سمع منه أبو الفتح بن الحصري وأبو القاسم المبارك بن أنوشتكين الجوهري العدل، ولد سنة سبع وخمسمائة بمصر وتوفي بها سنة ست وتسعين وخمسمائة ودفن بالقرافة، له «كتاب تفسير القرآن المجيد» و«كتاب المنظوم والمنثور» في مجلدين ومن نظمه وقد رأى بعضهم وقد كتب «وكتب فلان بخط يده» فقال [الكامل]:

أفسدت معرفتي بفرط تخلفي ونسخت بالتشكيك صدق يقيني

لو كان قوم يكتبون برجلهم لبسطت عُذرك يا سخين العين

قلت ندد ابن بنان في غير موضعه لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾، ومن شعره أيضاً في صاحب توفي [الخفيف]:

عجباً لي وقد مررتُ بآثا رك كيف أهتديتُ نهج الطريق

أتراني نسيْتُ عهدك فيها صدقوا ما لميت من صديقي

وكتب الكثير بخطه المليح، وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية وتقلب في الخدم في الأيام الصلاحية ببيتيس والإسكندرية وكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه ويمدحه ويفتخر بالوصول إليه وأنشد يوماً [السريع]:

بَرَّحَ بي أَنْ علوم الوَرَى شيئان إن حصلتها لا مَزِيد

(١) في ديوان المتنبي (ص ٤٢).

١٨٥ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/٦٠٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥/٦٤ - ٦٥)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٤/٣١)، و«الجواهر المضية» للقرشي (٢/١٢٨ - ٣٧٢)، و«المختصر في أخبار البشر» لإبي الفداء (٣/١٢٧ - ١٢٨)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٦٩ - ١١١٣ - ١٩٦٦)، و«الفوائد البهية» للكنوي (٢٠٠)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/٢٨٧).

(٢) في «وفيات الأعيان» (١/٦٠٤): إمام زادنا.

(٣) بياض في الأصل، وفي «وفيات الأعيان» (١/٦٠٤): وقد شدُّ عني مَنْ هو الرابع.

١٨٦ - «وفات الوفيات» للكتبي (٢/١٥٥)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي (١/٣٠٢)، و«الأعلام» للزركلي (٧/٥٣) و«معجم المؤلفين» لكحالة (١١/٢٧٣).

عَلِمَ إِذَا مَا رَمَتْ تَحْقِيقَهُ أَعْيَا وَعَلِمَ حَفْظَهُ لَا يُفِيدُ
وكان الصالح بن رزيق قد أُلْزِمَ الأثير بمالٍ رُفِعَ إليه لكونه كان يتولى أموالاً له واعتقله
فأرسل إليه يَمْتُ بِقَدِيمِ الخدمة والتشجيع الموافق في المذهب فقال الصالح [المتقارب]:
أَتَى ابْنُ بَنَانٍ بَبْهَتَانَهُ يَحْضَنُ بِالْدِينِ مَا فِي يَدَيْهِ
بَرِئْتُ مِنَ الرِّفْضِ إِلَّا لَهُ وَتُبْتُ مِنَ النِّصْبِ إِلَّا عَلَيْهِ
وكان قدر المال ستين ألف دينار فأخذ منه إثنا عشر ألفاً وترك له الباقي.

١٨٧ - «برهان الدين النسفي» محمد بن محمد بن محمد بن الشيخ برهان النسفي الحنفي المنطقي
صاحب التصانيف قال ابن الفوطي: هو شيخنا المحقق المدقق العلامة الحكيم له التصانيف
المشهورة كان في الخلاف والفلسفة أوحده متع بحواسه وكان زاهداً وقد لَخَصَ تفسير الإمام فخر
الدين، قدم بغداد حاجاً سنة خمس وسبعين واشتغل عليه هارون ابن صاحب، مولده تقريباً سنة
ستمائة وتوفي ببغداد في سنة سبع وثمانين وستمائة.

١٨٨ - «شرف الدين بن عمروك البكري» محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
عَمْرُوك. وهو أبو الفضائل بن أبي عبد الله بن أبي الفتوح بن أبي سعد بن أبي سعيد شرف الدين القرشي
التمي البكري، مولده بالقاهرة سنة تسعين وخمسائة وأجاز له جماعة وحديث هو وأبوه وجدّه
وأخوه صدر الدين البكري، وتوفي الرابع من المحرم سنة خمس وستين وستمائة بالقاهرة ودفن
من الغد بسفح المقطم.

١٨٩ - «نظام الدين ابن المولى الكاتب» محمد بن محمد بن محمد بن عبد المجيد. نظام الدين
أبو عبد الله الأنصاري البغدادي الأصل الحلبي المولد والمنشأ المعروف بابن المولى ولد بحلب
في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وخمسائة وتوفي سنة ست
وخمسين وستمائة بدمشق ليلة الخامس من جمادى الآخرة ودفن من الغد بجبل قاسيون، كان
صاحب ديوان الإنشاء للملك الناصر صلاح الدين مقدماً على جماعة الكتاب فاضلاً رئيساً له
الوجاهة العظيمة والمنزلة المكيّة عند مخدومه وله الترسل والنظم الحسن وروى عنه
الديمياطي، وسيأتي ذكر أخيه أحمد ونظام الدين المذكور وهو الذي استثناه السامري في
أرجوزته فقال:

وليس يُسْتثنَى مِنَ الجماعة غير كمال الدين والنظام

١٩٠ - «موفق الدين الخطيب» محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن جيش بن أبي
المكارم. الفضل الخطيب موفق الدين أبو المعالي المعروف بخطيب جامع حماة تولى خطابة
الجامع الأموي والإمامة يوم الجمعة ثامن عشرين شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وستمائة عوضاً
عن الشيخ عز الدين الفاروحي فعزّ على الناس وعليه ذلك فحضر إلى السلطان الملك الأشرف فلما

رآه السلحدارية أَخَذُوا بيده وأجلسوه إلى جانب الأمير عز الدين أليك الحموي نائب الشام فسأل السلطان عنه فأخبر أنه قد عُزل وتوهم الشيخ أن الوزير ابن السلعوس عزله فاعتذر إليه السلطان وقال: بلغنا أنك ضعيف فقال من صلى مائة ركعة بألف قل هو الله أحد يعجز عن صلاة الفرض يعني صلاة النصف فلم يلتفتوا إليه وانكسر قلبه وهرب في هذه الجمعة حسام الدين لاجين فاغتم السلطان وتوجه هو والأمراء والعسكر في البرية يفتشون عليه وكانوا قد أطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر فصلى الخطيب موفق الدين بالعوام والسلطان والعساكر مهججون في طلب حسام الدين لاجين ثم إن السلطان عاد بعد العصر يوم العيد فنظم بعض الشعراء [الكامل]:

خطب الموفق إذ تولى خطبة شق العصا بين الملوك وفرقا
وأظنه إن قال ثانية غدا دين الأنام وشمله متمزقا

ثم إن الموفق طُلب إلى حماة وولي القضاء بها مدة ثم إنه قدم دمشق متجفلاً من التار فتوفي رحمه الله تعالى بدرب القاضي سنة تسع وتسعين وستمئة وكان من [أهل] ^(١) الخير والدين والصلاح.

١٩١ - «عز الدين ابن الوزير العلقي» محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي الفضل ابن الوزير ابن العلقي قرأ القرآن والعربية على التقي حسن بن الباقلائي الحلبي النحوي واللغة على رضي الدين الصغاني وكتب التقاليد عن الخليفة أيام والده وله النظم المتوسط كتب على كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي [الطويل]:

سماء أنارت للفضائل أنجماً وبحر أثار الدُر فذاً وتوأما
جلا أوجه الآداب زهراً مضيئة فثقف عود العلم حتى تقوموا
أثار خفيات الفضائل فأنشئ سناها مضيئاً بعد أن كان مُظلماً
وألّف من بعد التفريق شملها على أن فيه حسنهما متقسّما
تضمّن أسماء ينير بها الدجى ويهدئ بها الغاوي ويُجلى بها العمى

١٩٢ - «شمس الدين بن الشيرازي» محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مَمِيل. الفارسي الشيرازي الأصل الدمشقي ثم المزي شمس الدين أبو نصر بن عماد الدين الكاتب ابن أفضى القضاة شمس الدين أبي نصر، ولد سنة تسع وعشرين سمع من جدّه حضوراً ثم سماعاً ومن عمّه تاج الدين ومن علم الدين السخاوي والعلم ابن الصابوني والمؤتمن ابن قميرة وأبي إسحاق بن الخشوعي وبهاء الدين ابن الحُميري وجماعة وأجاز له الشيخ

= (١٩٤)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٩٥ - ٨٦٥ - ٨٨٢ - ١٠٣٢ - ١٢٧٢ - ١٢٩٦ - ١٧٢٠ - ١٧٥٦ - ١٧٩٨ - ١٧٩٩ - ١٨٠٣ - ١٨٦١)، و«إيضاح المكنون» للبغداد (١٩٤/٢)، و«هدية العارفين» للبغداد (١٣٥/٢ - ١٣٦)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٢٩٧/١١).
١٩٠ - «شذرات الذهب» لابن العماد (٤٣٦/٥).

شهاب الدين الشهرزوري وبهاء الدين بن شداد وإسماعيل بن باتكين وابن روزبه وخلق كثير وتفرد بأجزاء وعوالٍ وازدحم الطلبة عليه والحق الصغار بالكبار، انتقى له الشيخ صلاح الدين بن العلائي والبرزالي والواني والشيخ شمس الدين وكان ساكناً وقوراً متواضعاً نزر الحديث منجماً عن الناس، له ملك يعيش منه وكان بارعاً في تذهيب المصاحف ظهرت فيه مبادئ اختلاط سنة اثنتين وعشرين وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

١٩٣ - «افتخار الدين الحنفي» محمد بن محمد بن محمد. افتخار الدين أبو عبد الله، نقلت من خط مستوفي إربل صاحب «كتاب نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل» وهو تاريخ أربل ما صورته: ورد في أوائل صفر سنة عشرين وستمائة شاب طويل عجمي حنفي المذهب سأله عن لقبه فذكره لي وسأله عن كنيته فلم يعرفها وسأله عما بعد محمد الأخير فقال ما أعرف إلا ذلك أو كلاماً هذا معناه حدثني أنه ولد بأوش من فرغانة ونشأ بكاشغر أنشدني لنفسه يمدح عميد الملك أسعد بن نصر وزير شيراز [الكامل]:

يا خير من بلغ المدى فيما سلك	ورقاب أحرار الورى بذلاً ملك
خرت له الثقلان طوعاً سَجَداً	مهما أظْلَمَها ويخدمه الملك
مارستُ فيك السَّير ممتطيَّ الوجي	بخشاشة قد جاوزت حياءَ هلك
إن كنت تقلبني أصبت مآربي	أو لا فأبْتُ آيساً والحكم لك
فُز بالعلَى وحُز المُنَى وجُز المَدَى	قطب المعالي ما استدار رحي الفلك

قلت هو نظم غث ورَقْم رث.

١٩٤ - «زين الدين الشريشي القنائي» محمد بن محمد بن محمد بن أحمد. زين الدين أبو حامد العثماني بن تقي الدين الشريشي القنائي بالقاف والنون والألف القاضي الشافعي، اشتغل بالفقه على الشيخ جلال الدين أحمد الدشنائي وأجازه بالفتوى وسمع منه وكانت له مشاركة في الأصول والنحو والأدب ويكتب خطاً حسناً وله يدٌ في الوراقة وتولَّى القضاء بأدفو وأسوان وتولَّى فقط وقنا وهو وعيذاب وكان حسن السيرة مرضي الطريقة قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوفي في شهر رجب سنة خمس وسبعمائة بقنا، وأورد له الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي أبياتاً من جملة صدّاق كتبه وهي [الطويل]:

أُطِلَ نظراً فيه فلست بناظر	نظيراً له كلاً ولست بواجد
وفُز من محيَّاه بلمحة ناظر	تَنَل ما تُرجي من سَنَي المقاصد
فكلّ سديد منهم ومسدّد	وكل تقي عندهم ثمّ ماجد
إذا ما أعتدى سمعي بذكر صفاتهم	تخامر قلبي سكرة المتواجد

١٩٥ - «ابن عساكر القوسي الشافعي» محمد بن محمد بن محمد بن جماعة بن عساكر بن إبراهيم. أبو بكر القرشي الزهري القوسي كان من الفقهاء الصالحين والقضاة المتقين، سمع بقوص من أبي الفضل الهمداني وتخاصم مع أخيه منصور فترك قوص ورحل إلى مصر وأقام بمدرسة منازل العزّ وصحب قاضي القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكري قبل القضاء وكانت الكتب تأتي إليه من أهله من البلاد فلا يفتحها حتى تفقه وأذن له في الفتوى قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي: كتب بخطه كثيراً حتى قيل إنه كتب النهاية مرّات وأنه كتب الوسيط ثمانية وأربعين مرة وتولى تدريس مدرسة بالفيوم وأقام بها فلما ولي القضاء عماد الدين بن السكري أضاف إليه القضاء بالفيوم فلما بلغه أنه قَبِلَ سجد شكرياً قال هكذا أخبرني ابن ابنه القاضي نظام الدين محمد قاضي البهنسا وتوفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

١٩٦ - «ناصر الدين بن الصائغ» محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ. الإمام المفتي المدرّس ناصر الدين الدمشقي من أعيان الفقهاء، سمع كثيراً ونظر في الرجال وعيّن بالمتون ومولده سنة سبع وسبعمائة وسمع من القاضي والمطعم وعدّة وكتب عن الشيخ شمس الدين قال وله عبادة وإنابة وتستن.

١٩٧ - «ابن التنسي» محمد بن محمد بن محمد بن محمد. الإمام المحدث جمال الدين الإسكندري المالكي سبط التنسي، شاب فاضل متفتن، قدم دمشق وسمع من المزّي وزينب وأكثر وتميّر، ولد سنة عشر وسبعمائة.

١٩٨ - «الوراق» محمد بن محمد بن محمد بن محمد. الفاضل العالم صدر الدين الوراق البغدادي المصري، قدم دمشق طالب حديث سنة أربع عشرة وسبعمائة وسمع من القاضي والصدر بن مكتوم وطائفة، وخطّه حلو وخُلقه حسن، ولد بعد التسعين وستمائة وتوفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة بالقاهرة رحمه الله تعالى.

١٩٩ - «ابن خطيب الزنجيلية» محمد بن محمد بن محمد بن محمود. المحدث تقي الدين البخاري الدمشقي الحنفي ابن خطيب الزنجيلية جلال الدين، ولد سنة ست وسبعمائة وحفظ القرآن واشتغل في النافع وسمع كثيراً ونسخ أجزاء وكتاب الكاشف وكتب الطباقي وسمع ابن سعد والبهاء بن عساكر وعدّة وأخذ عن الشيخ شمس الدين، وتوفي رحمه الله سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في آخرها.

٢٠٠ - «فتح الدين بن سيد الناس» محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس. الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الأديب الناظم النائر فتح الدين أبو الفتح ابن الفقيه أبي عمرو ابن الحافظ أبي بكر، اليعمرّي الربيعي، كان حافظاً بارعاً أديباً متفتناً بليغاً ناظماً ناثراً كاتباً مترسلاً، خطّه أبهج من حدائق الأزهار، وأنق من صفحات الخدود المطرّز وردّها بأس العذار، حسن المحاوراة لطيف العبارة فصيح الألفاظ كامل الأدوات جيّد الفكرة صحيح الذهن جميل المعاشرة لا تملّ محاضراته أدبه غصّ والإمتاع بأنسه نصّ، كريم الأخلاق كثير الحياء زائد الاحتمال حسن الشكل والعيّة قلّ أن ترى العيون مثله [الطويل]:

له هزّة من أريحية نفسه تكاد لها الأرض الجديدة تُعشِبُ
تجاوز غايات العقول مواهباً تكاد لها لولا العيان تُكذّبُ
خلائق لو يلقى زياد مثالها إذا لم يقل: أي الرجال المهذبُ
عجبُ له لم يُزّه تيهاً بنفسه ونحن به نختال زهواً ونعجبُ

وهو من بيت رئاسة وعلم عنده كتب كثيرة وأصول جيّدة سمع وقرأ وارتحل وكتب وصنّف وحدث وأجاز وتفرّد بالحديث في وقته أجاز له النجيب عبد اللطيف وكنّاه أبا الفتح وأجلسه في حجره وسمع حضوراً سنة خمس وسبعين من القاضي شمس الدين محمد بن العماد وفي سنة خمس وثمانين، كتب الحديث بخطّه عن الشيخ قطب الدين بن القسطلاني وقرأه بلفظه عليه وعلى أصحاب ابن طبرزد وأصحاب الكندي وابن الحرستاني بمصر والشام والحجاز والإسكندرية وارتحل إلى دمشق سنة تسعين وكاد يُدرك الفخر بن الفخاري ففاته بليتين وسمع من أبي عبد الله محمد بن مؤمن الصوري ومن أبي الفتح بن المجاور وأبي إسحاق بن الواسطي وطبقته وسمع بمصر من العزّ عبد العزيز بن الصيّقل وغازي الحلّوي وابن خطيب المزة والصفّي خليل وتلك الطبقة وتنزل في الأخذ من أصحاب سبط السلفي ثم إلى أصحاب الرشيد العطار، قال الشيخ شمس الدين: ولعل مشيخته يقاربون الألف، ونسخ بخطّه واختار وانتقى شيئاً كثيراً ولازم الشهادة مدة، قال الشيخ شمس الدين: جالسته مرّات وبثّ معه ليلةً وسمعت بقرائه على الرضيّ النحوي، وكان طيّب الأخلاق بساماً صاحب دعاية ولعب وكان صدوقاً في الحديث حجةً فيما ينقله له بصراً نافذاً بالفنّ وخبرة بالرجال وطبقاتهم ومعرفة بالاختلاف ويدّ طولى في علم اللسان ومحاسنه جمّة انتهى كلام الشيخ شمس الدين، قلت صِحّته زماناً طويلاً ودهراً داهراً ونمت معه ليالي وخالطته أياماً وأقمت بالظاهرية وهو بها شيخ الحديث قريباً من ستين فكنت أراه في كثير من الأوقات يصليّ كل صلاة مرّات كثيرة فسألته يوماً عن ذلك فقال إنه خطر لي يوماً أن أصليّ كل صلاة مرّتين ففعلت ذلك زماناً ثم خطر لي أن أصليّ كل صلاة ثلاث مرّات ففعلت ذلك زماناً وخفّ عليّ ثم خطر لي أن أصليّ كل صلاة أربع مرّات ففعلت ذلك زماناً وخفّ عليّ فعله وأنسيت هل قال لي خمس مرّات أو لا، وكان صحيح القراءة سريعها كأنها السيل إذا تحدرّ سريع الكتابة، كتب ختمة في جمعة وكان يكتب السيرة التي له في عشرين يوماً، وهي مجلّدان كبيران^(١) وكان صحيح العقيدة جيّد الذهن يفهم به النكت العقلية ويسارع إليها ولكنه جمّد ذهنه

٢٠٠ - «الدرر الكامنة» لابن حجر (٢٠٨/٤ - ٢١٣)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢٨٥/٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢٩/٦ - ٣٠)، و«وفات الوفيات» للكتبي (١٦٩/٢ - ١٧٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/١٦٩)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٢٩١/٤)، و«حسن المحاضرة» للسيوطي (٢٠٢/١ - ٢٠٣) و«شذرات الذهب» لابن العماد (١٠٨/٦ - ١٠٩)، و«التاريخ» لابن الوردي (٣٠٥/٢)، و«البدر الطالع» للشوكاني (٢/٢٤٩ - ٢٥١)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٢٤٦ - ٥٥٩ - ١١٨٣ - ١٧٨٦ - ١٨٥٩ - ١٨٦٠)، و«إيضاح المكنون» للبغداد (٤٥٣/١)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (٢٦٩/١١ - ٢٧٠).

لاقتصاره به على النقل، وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يحبه ويؤثره ويركن إلى نقله، أخبرني من لفظه القاضي عماد الدين إسماعيل بن القيسراني قال: كان الشيخ تقي الدين إذا حضرنا درسه وتكلم فإذا جاء ذكر أحد من الصحابة أو أحد من رجال الحديث قال أيش ترجمة هذا يا أبا الفتح فيأخذ فتح الدين في الكلام ويسرد والناس كلهم سكوت والشيخ مصغ إلى ما يقوله انتهى، قال لي لم يكن لي في العروض شيخ ونظرت فيه جمعة فوضعت فيه مصتفاً وقد رأيت هذا المصتف، قلت ولو كان اشتغاله بقدر ذهنه كان قد بلغ الغاية القصوى ولكنه كان فيه لعب على أنه ما خلف مثله لأنه كان متناسب الفضائل وكان محظوظاً ما رآه أحد إلا أحبه، كان الأمير علم الدين الدواداري يحبه ويلزمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد امتدحه بقصيدة وقال أحضرت لك هذا وهو كبير من أهل العلم فلم يدعه السلطان ييوس الأرض وأجلسه معه على الطراحة وهل قام له أو لا أنا في شك من ذلك فلما رأى خطه وسمع كلامه قال هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء فرُتب في جملة الموقعين فرأى فتح الدين الملازمة ولُبس الخف والمهماز صعباً عليه فسأل الإعفاء من ذلك فقال السلطان إذا كان لا بد له من ذلك فيكون المعلوم له على سبيل الراتب فرُتب له إلى أن مات، وكان الكمالي ينام معه في قرطية النوم، وكان كريم الدين الكبير يميل إليه ويودّه ويقضي الأشغال عنده وهو الذي ساعده على عمل المحضر وإثباته بعداوة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة، وسمع البخاري بقرائه على الحجار وتعصب له الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وخلص له مشيخة الظاهرية في الحديث وما أعرف أحداً من الأمراء الكبار الأعيان في الدولة إلا وهو يميل إليه ويجتمع به وكان الأمير سيف الدين الجائي الدوادار منحرفاً عنه والقاضي فخر الدين ناظر الجيش شيئاً يسيراً وكان بيده مع مشيخة الظاهرية مدرسة أبي حليقة على بركة الفيل ومسجد الرصد وخطابة جامع الخندق وله رزق وله في صفد راتب وفي حلب فيما أظن، وكان عنده كتب كبار أمهات جيدة وأصول غالبها حضر إليه من تونس كمصنف ابن أبي شيبة ومسنده والمحلّي وتاريخ ابن أبي خيثمة وجامع عبد الرزاق والتمهيد والاستيعاب والاستذكار وتاريخ الخطيب والمعاجم الثلاثة للطبراني وطبقات ابن سعد والتاريخ المظفر وغير ذلك، وصنف «عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير» سمعت بعضه من لفظه ومختصر ذلك سمّاه «نور العيون» وسمعت من لفظه و«تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة» وسمعت من لفظه و«النفح الشذّي في شرح جامع الترمذي» ولم يكمل، جمع فأوعى وكان قد سمّاه «العرف الشذّي» فقلت له سمّه «النفح الشذّي» ليقابل الشرح بالنفح فسمّاه كذلك و«كتاب بشرى اللبيب بذكرى الحبيب» وقرأته عليه بلفظي و«منح المذح» وسمعت من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزبيري و«المقامات العلية في كرامات الصحابة [الجلية]» وشعره رقيق سهل التركيب منسجم الألفاظ عذب النظم وترسله جيد وكان النظم عليه بلا كلفة يكاد لا يتكلم إلا بالوزن حتى قلت فيه أصفه [البسيط]:

لي صاحب يتمنى لي الرضا أبداً
ويغلب النظم ألفاظاً يفوه بها
كأنما يختشي صدي وهجراني
فما يكلمني إلا بميزان

وكتب بالمغربى طبقة كما كتب بالمشرقى وكانت بيني وبينه مكاتبات كثيرة نظماً ونثراً يضيق عنها هذا المكان لكن أورد منها شيئاً وهو ما كتبه إلي وأنا بصدد سنة أربع وثلاثين وسبعمائة [الطويل]:

سُررتم فإني بعدكم غير مسرور
ولا حسن إلا حسن صائحة الصدى
فيا وحدة الداعي صده جوابه
إذا قلت سيري قال سيري محاكياً
وما سرتني بالقرب أنني أستزرتها
فيا ويح قلبي كم يعلله المنى
تواصل وصل الطيف في سِنَّة الكرى
وتدنو دنو الآل لا ينقُص الصدى
تنيل المنى من سالمته خديعة
فدعها وثق بالله فالله كافل
وكن شاكرأ يسراً وبالعسر راضياً
فكتبت إليه الجواب عن ذلك [الطويل]:

هل البرق قد وشى مطارف ديجور
وهل نسمة الأسحار جرت ذيولها
وهيهات بل جاءت تحية جيرة
أتته وما فيه لعائد سُقمه
فلما تهادت في حُلِّي فصاحة
أكب على تقبيلها بعد ضمها
وأجرى لها دَمْع المآقي ولم يكن
فأرشفه كأس السُلاف خطاها
فكم حكمة فيها لها الحكم في الثهي
يرى كل سطر في محاسن وضعه
فلا أَلِف إلا حكت غصن بانه

أو الصبح قد غشى دُجى الأفق بالنور
على زهر روض طيب النشر ممطور
إلى مُغرَم في قبضة البُعد مأسور
سوى أنة تنبث من قلب مصدور
من النظم عن سحر البلاغة مأثور
إلى خاطر من لوعة البين مكسور
يقابل منظوماً سواء بمنثور
وغازله من خطها أعين الحور
وكم مثل في غاية الحسن مشهور
كمسك عذار فوق وَجْنة كافور
وهمزتها من فوقها مثل شحور

فأصبح لا يثني إلى الروض جیده
وقد كانت الأطماعُ نامت لياسها
وزادت جفونُ العين سُهداً كأنما
وكان الدجى كالعام فاحتقرت به
ولم ترض من نار الحشا بآثقادها
وما شكرت عيني على سفح عَبرتي
وقالت أما تخبا الدموع لشدة
ولو كنت ألقى في البُكى فرجاً لَمَّا
أحبابنا عذري على البعد واضح
فلو كنت ألقى الصبر هانت مُصِيبتي
فإن تبعثوا لي من زكاة أصطباركم
سلوا الليل هل آنست فيه برقدة
فكم لي فيه صعقةً موسوية
تشققتُ للبين المُشِيتُ بكم عسى
على أن جاء الحظُّ أكرمُ شافع
وما هو إلا الحظُّ يعترض المُنَى
فكم في البرايا بين عانٍ ومطلقٍ
وليس سوى التسليم لله والرضى
وحاشَ لعلام الخفيات في الوری
فكتب إلي الجواب رحمه الله تعالى.

وردت المشرفة السامية بخلاها، الزاهية بغلاها، المشتملة على الأبيات الأبيات، الصادرة
عن السجيات السخيات، التي فاقت الكنديين، وطوت ذكر الطائيين، ما شئت من بدائع إبداع،
وروائع إبداع، تقف الفصاحة عندها، وتقفو البلاغة حدّها، فلله ذلك الفضل الوافي، بل ذلك
السحر الحلال الشافي، بل تلك القوي في القوافي، بل تلك المقاصد التي أقصدت المُنَى في
المنافي، بل تلك المعاني التي حيرت المعاني، وفعلت بالألباب ما لا تفعله المثلث والمثنائي،
بل تلك الأوضاع التي حاكى الربيع وشيها، وامتل القلم أمرها ونهيا، فهو يصرفها كيف يشاء
مرسوماً، ثقةً منه أنها لا تخالف له مرسوماً، لقد آل فضل الكتاب إليها، وآلى فصل الخطاب لا
وقف إلا بين يديها، لقد صدرت عن رياض الأدب فجنت زهره اليانع، لقد أخذت بأفاق سماء
الشرف (فلها قمرها والنجوم الطوالع)^(١)، لقد أفحمت قائلة [الرملة]:

من يساجلني يساجل ماجداً
يملاً من آدابه كل ذنوب
[الطويل]:

لقد حسنت حتى كأن محاسناً
هي الشمس تدنو وهي ناء محلها
تخطت إلى الحضر الجياد نباهة
وحيت فأحييت بالأمانى متيماً
يذكرني ذاك الجمال جمالها
وما لي إلا أنة بعد أنة
حنيناً لعهد غادر القلب رهته
وذكرى خليل لم يغب غير شخصه
ولولا حديث النفس عنه يعود
لما استعذب الماء الزلال لأنته

فبادرها المملوك لنبهتها متعرفاً، ويارجها متعرفاً، وبولائها متمسكاً، وبثانها متمسكاً، شوقاً
إليها لا يبید، ولو عُمَرُ عُمُرَ لبید، واقفاً على آمال اللقاء وقوف غيلان بدار مية، عاكفاً على أرجاء
الرجاء عكوف توبة على ليلى الأخيلية، والله يتولاه في حالته ظاعناً ومقيماً، ويجعل السعد له
حيث حل خدينا والنجع خديماً، بمنه وكرمه.

فكتبت الجواب إليه رحمه الله تعالى [الطويل]:

تنوح حمامات اللوى فأجيب
وقد ملّ فرش السقم طول تقلقي
ولما بكث عيني نواك تعلمت
أيا برق إن حاكيت قلبي فلم يكن
ويا غيث إن ساجلت دمعى فإنه
ويا غصن إن هزت معاطفك الصبا
إذا جف جفني ذاب قلبي أدمعاً
أبيت بجفن ليس يعرف ما الكرى
وقلب إذا ما قر عادثه لوعة
ألا إن دهرأ قد رمانى بصرفه

ويحضر عندي عائدي فأغيب
عليه بجنبي إذ تهب جثوب
دموع السحاب الغر كيف تصوب
لنارك مع هذا الخفوق لهيب
يفوتك مع ذا أنة ونحيب
فما لك قلب بالغرام يذوب
فلله قلب عاد وهو قليب
وأني حياة بالسهاد تطيب
فيعروه من بعد القرار وجيب
لدهر إذا فكرت فيه عجيب

ويكفي بآني بين أهلي ومعشري وصحبي لبعدي عن حماك غريب

ويُنهي ورود المثال الذي تصدّق به مُنعماً، وأهداه خميلةً فكم شفى زهرها المنعم من عمى، وبعثه قلادةً فكم أزال دُرّها المنظم من ظمأ، وأقامه حجةً على أن مرسله يكون في الإحسان والآداب مالكاً ومتمماً، فبلّث برؤيته غلة الظماء البرح، وعانيتُ ما شاده من بنيان البيان فقلت لبلقيس عيني ﴿ادخلي الصرح﴾ [النحل: ٤٤]، وقمت من حقوقه الواجبة عليّ بما يطول فيه الشرح، وتلقّيته بالضمّ إلى قلب لا يجبرُ منه الكسر غيرُ الفتح، وأسمت ناظري من طرسه في الروض الأنف، وقسمتُ حليّه على أعضائي فللجيد القلائد وللفرق التيجان وللأذن الشُنف، ووردتُ منهله الصافي، والتحفّت بظله الضافي، واجتليت من وجهه بشراً قابله الشكر بالقلم الحافي، وعكفت منه على كعبة الفضل فلله ما نشر في استلامي وطواً في طوافي، وكلفتُ قلبي الطائر جواباً فلم تقوَ القوادم وظهر الخوى في الخوافي، وقلتُ هذا الفنّ الفذّ الذي ما له ضريب، وهذا وصل الحبيب البعيد قد نلته برغم الرقيب القريب [الوافر]:

فيا عينيّ بيتاً في اعتناق ويا نومي قدمت على السلامة

وأقسم أن البيان ما نكب عما دُبّجه مولانا ونكت، ولا أجراه الله على لسانه إلا لما سكّت البلغاء وبكت، ولا آتاه هذه النقود المطبوعة إلا وقد خلّصت القلوب من رق غيره وفُكّت، ولا وهبه الله هذه الكلم الجوامع إلا أن الأوائل أحسّوا بطول رسائلهم فقطعوها من حيث رقت والصحيح ركت فما كلّ كاتب يده فمّ ولسانه فيه قلم، ولا كل متكلّم حسن بيانه تأتم الهداة به كأنه علم، ولا كل بليغ إذا خاطب الوليّ كلا وإذا كلم العدو كلّمْ، لأنّ مولانا حرسه الله تعالى لا يتكلّف إذا أنشأ، ولا يتخلّف إذا وشى، والسجع عنده أهون من النّفس الذي يردده وأخفّ، والدرّ الذي يقذفه من رأس قلمه أكبر من الدر الذي في قعر البحر وأشفّ، وإذا راض قلمه روض الطروس من وقته، وإذا أفاض كلمه فوّض البيان إليها أمر مِقَّتَه ومَقَّتَه، وما كلمه إلا بحرّ والقوافي أمواج، وما قلمه إلا ملك البلاغة فإذا امتطى يده ركضت به من الطروس على حُلّ الديباج، فلهذا أخملت رسائله الخمائل، وتعلّمت منه الصبا لُطْفَ الشمائل، وأخذت بأفاق البلاغة فلها أقمارها الطوالع ولغيرها نجومها الأوافل، وانتقت أعالي الفضائل وتركت للناس فضالات الأسافل [الوافر]:

وهذا الحقّ ليس به خفاء فدعني من بنيات الطريق

فأما درّه الذي خلطه الجناس وخرطه في ذلك السلك، فما أحقه وأولاه بقول ابن سناء الملك [الطويل]:

فذا السجع [...] ^(١) ليس في الشر مثله وهذا جناس ليس يُحسنه الشعرُ

فلو رأى الميكالي نمطه العالي، وتنسّم شذا غاليته العزيز الغالي، لقال عطّلت هذه المحاسن حالي الحالي، وكنتُ من قبلها ما أظنّ اللائح إلا لي، ولو ظفر الحظيريّ بتلك الدرر حلّى بها تصنيفه، وعلم أن أرباب الجناس لو أنفق أحدهم من الكلام ملء الأرض ذهباً ما بلغ مدّ

مولانا ولا نصيفه، ولو بلغ العماد الكاتب هذه النكت رفعها على عرشه وعوذها بآية الكرسي، ودخل دار صمته وأغلق باب الفتح القدسي، فعين الله على هذه الكلم التي نَفَثَتْ في العَقْد، وأيقظت جَدَّ هذا الفن الذي كان قد رقد، فقد أصاب الناس بالسهم وأصبت أنت بالقرطاس، وجاؤوا في كلامهم بالذاوي الذابل وجئت أنت بالغَضِّ اليناع الغراس، وأبعدت في مرمى هذا الفن وقاربوا ولكن أين الناس من هذا الجنس، وسبقت إلى الغاية ولو وقفت ما في وقوفك ساعة من بأس، وقد قيل: بُدِئَ الشعر بأمير وختم بأمير يريدون امرأ القيس وأبا فراس، وكذا أقول بُدِئَ الجنس بالبُستي وختم بمولانا وكلاكما أبو الفتح فصَحَّ القياس، وقد أثْنَيْتُ على تلك الروضة ولو وَقَفْتُ لاثْنَيْتُ وما أثْنَيْتُ، ووقفت عند قدري فما أجبت ولكن اتقحت وما استحييت، على أنني لو وجدت لساناً قاتلاً لقلت فإني وجدت أول البيت، وقد شغل وصفُ مثال مولانا عن شكوى حالي الشاقة، وأرجو أنني أوحىها شفاهاً إِمَّا في الدنيا وإما يوم الحاقة [الخفيف]:

إِنْ نَعِشْ نَلْتَقِي وَإِلَّا فَمَا أَشَدَّ خَلَّ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ

قلت لم نلتق وحالت منيته بينه وبين الجواب وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت حادي عشر شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكانت جنازته حفلةً إلى الغاية شيعها القضاة والأمراء والجنود والفقهاء والعوام وتأسف الناس عليه ولما بلغتني وفاته قلت أرثيه [البسيط]:

ما بعد فقدك لي أنسٌ أرجيه ولا سرورٌ من الدنيا أقضيه
إن مُتْ بعدك من وجدٍ ومن حزنٍ فحقُّ فضلك عندي مَنْ يوقيه؟
ومن يعلم فيك الورق إن جهلت نواحها أو تناسسته فتُمليه
أما لطافة أنفاس الرياض فقد نسيته غير لطفٍ كنت تُبديهِ
وإن ترشفت عذب الماءِ أذكرني زلأله خُلُقاً قد كنت تحويه
يا راحلاً فوق أعناق الرجال وأج فأُ الملائك تحت العرش تبكيه
وذاهباً سار لا يلوي على أحدٍ والذكر ينشره واللحد يطويه
وماضياً غفر الله الكريم له باللطف حاضره منه وباديهِ
وبات بالحدور والرضوان مشتغلاً إذ أقبلت تتهادى في تلقّيه
حتى غدا في جنان الخلد مبتهجاً والقلب بالحزن يفنى في تلظّيه
لهفي على ذلك الشخص الكريم وقد دعاه نحو البلى في الترب داعيه
وحيرتي فيه لا تقضي عليّ ولا تُقضى لواعجها حتى أوافيه
أجرى الأسى عَبراتي كالعقيق وقد أصمّ سمعي وأصمى القلب ناعيه
يا وحشة الدهر في عين الأنام فقد خلت وجوه الليالي من معانيهِ

ووحشة الدهر إن تُنثر ملاءته
يا حافظاً ضاع نشر العلم منه إلى
صان الرواية بالإسناد فامتنعت
واستضعفت بارقات الجوّ أنفُسها
حفظت سُنّة خير المرسلين فما
لله سعيك من حبر تبخر في
وَهْل يخيّب - معاذ الله - سَغْي فتى
يكفيه ما خطّه في الصحف من مدح الثّ
عزّ البخاريّ فيما قد أصيب به
كأنّه ما تحلّى سمع حاضره
رواية زانها منه بمعرفة
يا رحمتاه لشرح الترمذيّ فمن
لو كان أمهله داعي المَنون إلى
لُكان أهده روضاً كله زهر
من للقريض فلم أعرف له أحداً
ما كان ذاك الذي تلقاه ينظمه
يهزّ سامعه حتّى يخيّل لي
ومن يُمرّ على القرطاس راحته
ما كلّ من خطّ في طرس وسوّده
ولا تَحُل كلّ من في كفّه قلم
هيهات ما كان فتح الدين حين مضى
كم حاز فضلاً يقول القائلون له
لا تسأل الناس سلني عن خلائقه
ماذا أقول وما للناس من صفة
كالشمس كلّ الورى يدري محاسنها
سقى الغمامُ ضريحاً قد تضمّنه
وباكرته تحيات نوافحها

ولم تطرّز حواشيها أماليه
أن كاد يعرفه من لا يسمّيه
ثغورها حين حاطتها عواليه
في فهم مشكلة عن أن تجاريه
أراك تمسي مُضاعاً عند باريه
علم الحديث فما خابت مساعيه
في سُنّة المصطفى أفنى لِياليه^(١)
نّي يكفيه هذا القدر يكفيه
مات الذي كان بين الناس يدره
بلفظه عند ما يروي لآليه
ما كلّ من قام بين الناس يرويه
يضمّ غريته فينا ويؤويه
أن تنتهي في أماليه أمانيه
أنامل الفكر في معناه تجنيه
سواه رقت به فينا حواشيه
شعراً ولكنه سحر يعانيه
كأس الحُميا أدارتها قوافيه
فُنبت الزهر غصّاً في نواحيه
بالحبر تغدو به بيضاً لِياليه
إذا دعاه إلى معنّى يلبيّه
والله إلّا فريداً في معاليه
لو حازك الليل لابيضت دِجاجيه
لتأخذ الماء عني من مجاريه
محمودة قطّ إلّا رُكبت فيه
والكاف زائدة لا كاف تشبيه
صوباً إذا انهل لا ترقى غواديه
من الجنان تُحييه فتُخيه

كان سمعي في مصر بالشيخ فتح الد
يا لها غربة بأرض دمشق
وكتبت إليه [السريع]:

يا حافظاً كم لرواياته
وكم شذى من سُنَّة المصطفى
وأنشدني رحمه الله من لفظه لنفسه [البسيط]:

فقرى لمعروفك المعروف يُغنييني
إن أوبقتني المطايا عن مدى شرف
أو غَضَّ من أَملي ما ساء من عملي
وأنشدني من لفظه لنفسه [الطويل]:

عذيري من دهرٍ تصدَّى معاتباً
رجوتُ به وَضَلَ الحبيب فعندما
وأنشدني إجازةً ومن خطه نقلت [مجزوء الوافر]:

صرفت الناس عن بالٍ
وحبلُ الله معتصمي
ومن يسأل الورى طرّاً
فلا وجهي لذي جاء
وأنشدني من لفظه لنفسه [الخفيف]:

يا بديع الجمال شكر جمالك
لنت عطفاً لهم وقلبك قاسٍ
غير أن الكمال أولى بذا الحُسَد
قابَلت وجهك السماء فشكل الب
مثلثه لكن رسوم صداها
وأنشدني من لفظه لنفسه مُلغزاً [السريع]:

ظبي من الترك هضيم الحشا
للطرف من تذكاره عبرة

ين يجني الآداب وهي شهية
أعوزتني الفواكه الفتحيّة

من جئة في بطن قرطاس
قد ضاع من حفظك للناسي

يا من أرجيه والتقصير يُرجيني
نجا بإدراكه الناجون من دوني
فإن لي حسن ظنّ فيك يكفيني

لمستمح العُتبى فأقصَدَ مَنْ قَصَدَ
تبدّى لي المعشوق قابله الرصد

فحبْلٌ ودادهم بالي
به علّقْتُ آمالي
فلأنني عنهم سأل
ولا ميلي لذي مال

أن توافي عشاقه بوصالك
فهم يأخذون من ذا لذلك
ن ومن للبدور مثل كمالك
لدر ما في مرآتها من خيالك
كلّفثه فقصّرت عن مثالك

مهفهف القدر شيق القوام
والقلب شوقاً أرق المستهام

الاسم قراقوش، وأنشدني لنفسه إجازةً ومن خطه نقلت [السريع]:

ومستنير بسنا رأيه
يرجو وما قدم من صالح
والله بالعصر على خسره
وأنشدني من لفظه لنفسه [الطويل]:

سلي عن غرامي مدمعي فهو صادق
ونومي يا وسنى سليه فإنني
تَمَنِّيَ الأَيامُ منك بخلسة
متى وعدت بالوصل فالوعد كاذب
حكى حُسنَ مَنْ أَحَبَّهَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ
بكل فؤادٍ مِنْ هَواها مَغَارِبُ
تثنت فمن أعطافها الغصنُ مائِسُ
يلوم عليها لا عَدَتُهُ ملامَةٌ
وما العذل مقبول إذا صدق الهوى
وأنشدني من لفظه لنفسه [الكامل]:

عهدي به والبين ليس يرّوعه
لا تطلبوا في الحب ثأر متيم
عن ساكن الوادي سقته مدامعي
أفدي الذي عنت البدر لوجهه
البدر من كَلَفٍ به كَلَفٌ به
معسول المرأشف واللمى
دارت رحيق لحاظه فلنا بها
يجني فأضمر عتبَه فإذا بدا

وأنشدني إجازةً ومن خطه نقلت له [البسيط]:

إن غَضَّ من فقرنا قوم غنى منحوا
إن هم أضاعوا لحفظ المال دينهم
وأنشدني من لفظه لنفسه [البسيط]:

قضى ولم يقض من أحبابه أرباً

وقلبه من حُوبه مُظلم
ربحاً وهل ربح له يقسم
ما لم يقدم صالحاً يُقسم

وساكن قلبي فهو للبين خافق
لما ضاع منه في جفونك رائق
فكم عندها عما تمثي عوائق
وإن وعدت بالهجر فالوعد صادق
فلا زال ذاك الحُسنُ ما ذر شارق
وفي كل حُسنٍ مِنْ حُلاها مشارق
ومن لينها غصن الخميعة سارق
عدوٌ مُنافٍ أو صديقٌ مُنافق
ولا اللوم عن طرق الصبابة عائق

صبُّ براه نحوله ودموعه
فالموت من شرع الغرام شروعه
حدث حديثاً طاب لي مسموعه
إذ حل معنى الحسن فيه جميعه
والغصن من عطف عليه خضوعه
حلو الحديث ظريفه مطبوعه
سكرٌ يجلّ عن المدام صنيعة
فجماله ممّا جناه شفيعة

فكلّ حزب بما أوتوه قد فرحوا^(١)
فإنّ ما خسروا أضعاف ما ربحوا

صبُّ إذا مرّ خفاق النسيم صبا

راضٍ بما صنعت أيدي الغرام به
لا تحسبن قتيلَ الحبّ مات ففي
في جثة من معاني حسن قاتله
ما مات من مات في أحبابه كَلِيفاً
فالسحب تبكيه بل تسقيه هاميةً
وطوّقت جيبها الورقاء واختضبت
ومالت الدوحة الغنّاء راقصةً
والغصن نشوان يثنيه الغرام به
والروض تحمل أنفاسَ النسيم شذا
فراقه الوردُ فاستغنى به وثنى
ففارقت روضها الأزهارُ واتخذت
وحين وافته نادت عند رؤيته
تهلّلت وجنات الورد من فرح
سقته واستوسقت من عرفه أرجاً
وأملت لمحةً من حسن قاتله

فحسبه الحبّ ما أعطى وما سلبا
شرع الهوى عاش للأحباب منتسبا
لا يشتكي نَصَباً فيها ولا وَصَباً
وما قضى بل قضى الحقّ الذي وجبا
وكيف تبكي محبّاً نال ما طلبا
به وغنت على أعوادها طربا
تصبو وتنثر من أوراقها ذهباً
كأنّه من حمياً وجده شربا
أزهاره راجياً من قربه سببا
عِظْفاً إليه ومن رجع الجواب أبى
نحو الرسول سبيلاً وابتغت سرباً
لمثل هذا جِباءً فليُحلَّ حُبا
وأعين النرجس أخضلت له نُعْباً
أذكى وأعطر أنفاساً إذا انتسبا
فأجفلت هرباً إذ لم تطق رهباً

ورأيته بعد وفاته في النوم رحمه الله تعالى في سنة أربع وأربعين وسبعمئة وهو على عادة اجتماعي به وهو يقول في أثناء كلامه رأيت الترجمة التي عملتها وما كنت تحتاج إلى تَيْنِكَ اللفظتين أوّماً هذا معناه فقطنت في النوم لما قال وكشطتهما لأنهما لم يكونا من كلامي في حقّه .

وكتبت له استدعاء إجازته لي بما صورته بعد الحمدلة والصلاة: المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة المتقن الحافظ، رحلة المحدثين، قبلّة المتأذّبين، جامع أشتات الفضائل، حاوي محاسن الأواخر والأوائل [الرمل]:

حافظ السنّة حفظاً لا ترى
مركز الدائر من أهل النُهي
معه أن تُغْمِلَ الناسُ الأسيئة
فإلى ما قد حوى تُشْنَى لإعيئة

بديع زمانه، نادرة أوانه، ضابط الأنساب على اختلافها فهو السيل المتحدّر لابن نقطة، ناقل العلم الشريف عن سلفه الذي وافق على المراد شرطه، صاحب ذيل الفخر الذي لو بلغ السمعاني جعله في الحلية قُرْطُهُ، صاحب النقل الذي إذا أتى رأيت البحر بأمواجه منه يلتطم، والعبارة تستبق في مضمار لهواته فتزداد وتزدحم، الذي إن ترسل نقصت عنده ألفاظ الفاضل، وعجز عن

مفاوضته ومعارضته كل مناظر ومناضل، أو نظم ثبت الجوهر الفرد خلافاً للنظام فيما زعم، وتحطى بما يديه فرق الفرقدين وترضى النجوم بما حكم، أو أورد مما قد سمع واقعة مات التاريخ في جلده، ووقف سيف كل حاكٍ عند حذّه، أو استمدّ قلماً كفّ بصره عنه ابن مُقْلَة، ووقف ابن البوّاب بخدمته يطلب من فضله فضلةً، فهو الذي تطير أقلامه إلى اقتناص شوارد المعاني فتكون من أنامله ﴿أولي أجنحة مثني وثلاث﴾ [فاطر: ١]، وتنبعث فكرته في خدمة السّنة النبوية وما يكره الله هذا الانبعاث، وتبرز مُخْبَاتُ المعاني بنظمه ومن السحر إظهار الخبايا، ويعقد الألسنة عن معارضته وعقد اللسان لا يكون بغير السحر في البرايا، ويستنزل كواكب الفصاحة من سمائها بغير رصد، ويأتي بالفاظه العذبة ونورها للشمس وفحولتها للأسد، ويحلّ من شرف سيادته بيتاً عموده الصبح وطنبه المجرة، ويتوقّل هضبات المنابر ويستجّن حشا المحارب ويطأ بطون الأسرة، فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس [السريع]:

لا زال روض العلم من فضله أنفاسه طيّبة النفحق
وكلما نظّمت إلى نظمه أبدى سحاباً دائم السحق
وكيف ما حاوله طالب في العلم لا ينفكّ ذا ننجتحق
وإن غدا باب النّهى مُقَفَّلاً في الناس نادوتا يا أبا الفتحق

إجازة كاتب هذه الأحرف جميع ما رواه من أنواع العلوم وما حمّله من تفسير لكتاب الله تعالى أو سنة عن رسول الله ﷺ أو أثر عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى عصرنا هذا بسماع من شيوخه أو بقراءة من لفظه أو سماع بقراءة غيره أو بطريق الإجازة خاصّة كانت أو عامّة أو بإذن أو مناولته أو وصيّة كيف ما تأدّى ذلك إليه إلى غير ذلك من كتب الأدب وغيرها وإجازة ما له من مقولٍ نظماً ونثراً وتأليفاً وجمعاً في سائر العلوم وإثبات ذلك بأجمعه إلى هذا التاريخ بخطّه إجازة خاصّة وإجازة ما لعلّه يتفق له من بعد ذلك من هذه الأنواع فإنّ الرياض لا ينقطع زهرها والبحار لا ينفد دررها إجازة عامّة على أحد الرايين عند من يجوزه وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبعمئة.

فكتب الجواب رحمه الله بما صورته بعد حمد الله المجيب من دعاه، القريب ممن نادى نداه، الذي ابتعث محمداً بأنواره الساطعة وهُدهداه، وأيده بصحبه الذين حموا حماه، ونصروه على من عداه، وحزبه الذين رَوَوْا سُنَّتَهُ وروّوا أسْتَتَهُم من عِده، وشَقُّوا بإيراد مناهله مَنْ كان يشكو صداه، وأجابوه لما دعاهم لما يحييهم إليه إجابة الصارخ صداه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةً تبلغهم من الشرف الرفيع غاية مداه، وسلّم عليه وعليهم تسليماً يسوّغهم مشرّع الرضوان عذباً رِيّه سهلاً مُتَداه، فلمّا كتبت أيها الصدر الذي يشرح الصدور شفاءً، والبدر الذي يبهّر البدور سناً وسناءً، والحبر الذي غدا في التماس أزهار الأدب راغباً، ولاقتباس أنوار العلم طالباً، فحصل على اقتناء فرائدها، واقتناص شواردها، وأُفني عقله عقال أوابدها، ومجال مصائدّها، ومطار مطاردها، بما أودعت الألمعية من المعاني المبتدعة ذهنته، واستعادته على لسان قلمه، وقد ألبسته

الفصاحة ما ألبسته من حسن تلك الفطنة [الرملة]:

زَهَرَ الآدَابُ مِنْهُ يُجْتَنَى حَسَنَ الإِبْدَاعِ مَا أَبْدَعَ حُسْنَهُ
بَارِعٌ فِي كُلِّ فَنٍّ فَمَتَى قَالَ قَالَ النَّاسُ مَا أَبْرَعَ فَنَّهُ
وَمَتَى مَا فَاهَ فَاضَ السَّحَرُ عَنْ غَامَضَ الْأَفْكَارَ مِنْهُ الْمُرْجَحَةُ

فالآداب حرسه الله تعالى رياضٌ هو مُجْتَنِي غُرُوسِهَا، وَسَمَاءٌ هُوَ مُجْتَلِي أَقْمَارِهَا وَشُمُوسِهَا، وَبَحْرٌ اسْتَقَرَّتْ لَدَيْهِ جَوَاهِرُهُ، وَسَحَرٌ حَلَّالٌ لَمْ تَنْفُثْ فِي عَصْرِهِ إِلَّا عَنْ قَلَمِهِ سَوَاحِرُهُ، فَلَهُ فِي فَنِّي النِّظَمِ وَالنَّثْرِ حَمْلُ الرَّايَتَيْنِ، وَسَبْقُ الْغَايَتَيْنِ، وَخَوْزُ الْبِرَاعَتَيْنِ، وَسَرُّ الصَّنَاعَتَيْنِ، وَهُوَ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ فَمَا طُلُّ الْغَمَامَةِ، وَلَهُ النَّظَرُ الثَّاقِبُ فِي دَقَائِقِهِمَا فَمَنْ زُرَقَاءُ الْيَمَامَةِ، إِنْ سَامَ نَظْمًا فَمَنْ شَاعِرُ تُهَامَةِ، وَإِنْ شَاءَ إِنْشَاءً فَلَهُ التَّقَدُّمُ عَلَى قُدَامَةِ، وَإِنْ وَشَى طَرَسًا فَمَا ابْنُ هَلَالٍ إِلَّا كَالْقَلَامَةِ، أَنْ أَجِيزَ لَكَ مَا عِنْدِي، فَكَأَنَّمَا أَلْزَمْتَنِي أَنْ أَتَجَاوَزَ حَدِّي، لَوْلَا الْإِقْرَارُ بِأَنَّ الرِّوَايَةَ عَنِ الْأَقْرَانِ نَهَجٌ مُهَيَّجٌ، وَالاعْتِرَافُ بِأَنَّ لِلْكَبِيرِ مِنْ بَحْرِ الصَّغِيرِ الْاعْتِرَافَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَشْرَعُهُ ذَاكَ الْمَشْرَعُ، فَنَعَمْ قَدْ أَجَزْتَ لَكَ مَا رَوَيْتَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ، وَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الشَّرْطِ الْمَعْرُوفِ وَالْعَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ الْاسْتِدْعَاءُ الرَّقِيمِ، بِخَطِّكَ الْكَرِيمِ، مِمَّا أَقْنَدَحَهُ زُنْدِي الشَّحَاحُ، وَجَادَتْ لِي بِهِ السَّجَايَا الشَّحَاحُ، مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ الَّتِي بَاعُكَ فِيهَا مِنْ بَاعِي أَمَدٍ، وَسَهَمَكَ فِي مَرَامِيهَا مِنْ سَهْمِي أَسَدٍ، وَأَذَنْتَ لَكَ فِي إِصْلَاحِ مَا تَعَثَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الزَّلَلِ وَالْوَهْمِ، وَالْخُلَلِ الصَّادِرِ عَنْ غَفْلَةٍ اعْتَرَتْ النُّقْلَ أَوْ وَهْلَةٍ اعْتَرَضَتْ الْفَهْمَ، فِيمَا صَدَرَ عَنْ قَرِيحَتِي الْقَرِيحَةِ مِنَ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ، وَفِيمَا تَرَاهُ مِنْ اسْتِبْدَالِ لَفْظٍ بغيرِهِ مِمَّا لَعَلَّهُ أَنْجَى مِنَ الْمَرْهُوبِ، أَوْ أَنْجَعُ فِي نِيلِ الْمَطْلُوبِ، أَوْ أَجْرَى فِي سِنَنِ الْفَصَاحَةِ عَلَى الْأَسْلُوبِ، وَقَدْ أَجَزْتَ لَكَ إِجَازَةً خَاصَّةً يَرَى جَوَازَهَا بَعْضُ مَنْ لَا يَرَى جَوَازَ الْإِجَازَةِ الْعَامَّةِ أَنْ تَرَوِي عَنِّي مَا لِي مِنْ تَصْنِيفِ أَبْقِيَتِهِ، فِي أَيِّ مَعْنَى انْتَقَيْتَهُ، فَمِنْ ذَلِكَ - وَذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا لَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ وَقَدْ ذَكَرْتُهَا أَنَا أَنْفًا - قَدْ أَجَزْتُ لَكَ أَيْدِكَ اللَّهُ جَمِيعَ ذَلِكَ، بِشَرْطِ التَّحَرِّيِ فِيمَا هُنَاكَ، تَبَرُّكًا بِالْدُخُولِ فِي هَذِهِ الْحَلْبَةِ، وَتَمَسُّكًا بِاقْتِفَاءِ السَّلَفِ فِي ارْتِقَاءِ هَذِهِ الرَّتْبَةِ، وَإِقْبَالًا مِنْ نَشْرِ السُّنَّةِ عَلَى مَا هُوَ أَمْنِيَّةُ الْمُتَمَنِّي، وَامْتِثَالًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (بَلَّغُوا عَنِّي)، فَقَدْ أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَزَّزِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَرَّانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقِرَاءَةِ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ سَنَةَ سِتٍّ وَسَبْعِينَ وَسِتْمِائَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ سَنَةَ سِتْمِائَةَ وَقَبْلَ ذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةَ وَأَنَا مُحَضَّرٌ فِي الْخَامِسَةِ قَالَ أَنَا الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْأَنْصَارِيُّ قَاضِي الْمَارِسْتَانَ سَمَاعًا عَلَيْهِ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةَ قَالَ أَنَا الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ ثَابِتِ الْخَطِيبِ^(١) فِي سَنَةِ سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةَ قَالَ أَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بَشَارِ السَّابُورِيِّ بِالْبَصْرَةِ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودِ الْعَسْكَرِيِّ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ كَثِيرِ الصُّورِيِّ حَدَّثَنَا الْفَرِيَابِيُّ عَنْ ابْنِ ثَوْبَانَ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةٍ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السُّلُولِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ

النار»^(١)، أبو كبشة السلولي تابعي ثقة والصحيح أنه لا يُعرف اسمه، ومولدي في رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وستمائة بالقاهرة وفي هذه السنة أجاز لي الشيخ المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني وكان أبي رحمه الله يخبرني أنه كنانني وأجلسني في حجره وكان يسأله عني بعد ذلك، وأجاز لي بعده جماعة ثم في سنة خمس وسبعين حضرت مجلس سماع الحديث عند جماعة من الأعيان منهم الحبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي وأثبت اسمي في الطباقي حاضراً في الرابعة ثم في سنة خمس وثمانين كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني رحمه الله بخطي وقرأت عليه بلفظي وعلى الشيوخ من أصحاب المسند أبي حفص ابن طبرزد والعلامة أبي اليمن الكندي والقاضي أبي القاسم الحرستاني والصوفي أبي عبد الله ابن البناء وأبي الحسن بن البناء وغيرهم بمصر والإسكندرية والشام والحجاز وغير ذلك، وأجاز لي جماعة من الرواة بالحجاز والعراق والشام وإفريقية والأندلس وغيرها يطول ذكرهم وحجداً - أئذك الله - اختيارك من طلب الحديث الدرجة العالية، وإيثارك أن تكون مع الفرقة الناجية لا الفرقة الناقية، فقد أخبرنا الشيخان أبو محمد عبد اللطيف وعبد العزيز ابنا الشيخ أبي محمد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن الصيقل الحراني الأول إجازة والثاني سماعاً قال أنا ضياء بن الخزيف أنا محمد بن عبد الباقي أنا أبو بكر الخطيب أنا أبو نعيم الحافظ أنا أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مظهر اللخمي حدثنا أحمد بن محمد بن هاشم البعلبكي حدثنا عبد الملك بن الأصمغ البعلبكي ثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»^(٢)، وبالإسناد إلى الخطيب قال ثنا عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان قال: سمعت عبد الله بن القاسم يقول سمعت أحمد بن محمد بن روه يقول ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال حدثت عن أحمد بن حنبل وذكر حديث النبي ﷺ: «تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة» فقال إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم، وبه إلى أبي بكر الخطيب قال حدثني محمد بن أبي الحسن قال أخبرني أبو القاسم بن سخطويه قال سمعت أبا العباس أحمد بن منصور الحافظ بصور يقول سمعت أبا الحسن محمد بن عبد الله بن بشر بفسا يقول رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله من الفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة؟ قال: أنتم يا أصحاب الحديث، وبه إلى الخطيب قال: «أخبرني محمد بن علي الأصبهاني ثنا الحسين بن محمد بن الوليد التستري بها ثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف

(١) هو الخطيب البغدادي العَلَم المشهور صاحب «تاريخ بغداد» وغيره من الكتب النافعة في علوم الحديث الشريف.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٦/٦)، (٦٠) - كتاب أحاديث الأنبياء، (٥٠) - باب ما ذكر عن بني إسرائيل، الحديث رقم (٣٤٦١)، وأحمد في «مسنده» (١٥٩/٢ - ٢٠٢ - ٢١٤).

بن مسعدة إملأ قال سمعت عبد الله بن سلام يقول: أنشدني عبدة بن زياد الأصبهاني من قوله [الكامل]:

دين النبي محمد أخبار نعم المطية للفتى الآثار
لا تُخذعن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى والشمس بازغة لها أنوار

أنشدني والذي أبو عمرو محمد قال أنشدني والذي أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس رحمهما الله تعالى قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الثباتي قال أنشدني أبو الوليد سعد السعدي بن أحمد بن هشام قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الملك أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال أنشدني والذي الفقيه الحافظ أبو محمد ابن حزم لنفسه [الرملة]:

مَنْ عَذِيرِي مِنْ أَنْاسٍ جَهِلُوا ثُمَّ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَهْلُ النَّظَرِ
رَكَبُوا الرَّأْيَ عِنَاداً فَسَرَوْا فِي ظُلَامٍ تَاءَ فِيهِ مَنْ عَبَّرَ
وَطَرِيقَ الرُّشْدِ نَهْجٌ مَهِيغٌ مِثْلَ مَا أَبْصَرْتُ فِي الْأَفْقِ الْقَمَرِ
وَهُوَ الْإِجْمَاعُ وَالنَّصُّ الَّذِي لَيْسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ أَوْ أَكْثَرِ

والله المستول أن يلهمنا رشداً يدلنا عليه، ودلالة تهدينا إلى ما يُزلفنا لديه، وهداية يسعى نورها بين أيدينا إذا وقفنا يوم العرض بين يديه، بمنه وكرمه.

٢٠١ - «جمال الدين محمد بن نباته» محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب. أبي يحيى عبد الرحيم بن نباته الفارقي الأصل المصري المولد الحذاقي الشافعي جمال الدين أبو بكر الأديب الناظم النائر، تفرد بلطف النظم وعذوبة اللفظ وجودة المعنى وغرابة المقصد وجزالة الكلام وانسجام التركيب، وأما نثره فإنه الغاية في الفصاحة سلك منهج الفاضل رحمه الله وحذا حذوه وأطفا نور ابن عبد الظاهر فلم يدغ له في القلوب حظوة، وأما خطه فأعلى قيمة من الدرّ لو رزق حظاً وأغزر ديمة من الغيث إلا أن الزمان أصبح قلبه عليه فظاً لو أنصفه الدهر كان للكُتّاب إماماً، ولو رقاها رُتّباً يستحقها لغرد سجدته حمماً، وانسجم لفظه غمماً، وطلع بدر فضله تماماً [الكامل]:

وغيضارة الأيام تآبى أن يُرى فيها لأبناء الذكاء نصيب
ولذاك من صحب الليالي طالباً جَدّاً وفهماً فاته المطلب

وُلد بمصر في زقاق القناديل سنة ست وثمانين وستمائة ونشأ بالديار المصرية وبها تأدّب واشتغل بفنّي النظم والنثر وسمع ممن أمكنه السماع منه وكان له بالقاضي علاء الدين بن عبد

الظاهر اجتماع وله منه نصيب وورد إلى الشام سنة خمس عشرة تقريباً ومدح أكابرها وأجازوه ومدح الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حمة فأجازه وجعل ذلك عادة له في كل سنة فمدحه بمدائح حسنة ثم لما مات رحمه الله استمر بذلك الراتب له ولده الملك الأفضل ناصر الدين محمد وكان يرتحل إلى حلب وطرابلس ثم إنه اقتصر آخر أمره على الإقامة بدمشق والانجماع عن الناس وقصره الصاحب أمين الدين أمين الملك رحمه الله أن يكون في كل سنة ناظر القمامة بالقدس الشريف أيام زيارة النصاري لها فيتوجه يباشر ذلك ويعود، وأضيف له إلى نكد الزمان أنه لم يعش له ولد فدقن فيما أظن قريباً من ستة عشر ولداً كلهم إذا ترعرع وبلغ خمساً أو ستاً أو سبعا يتوفاه الله تعالى فيجد لذلك الآلام المبرحة ويرثيهم بالأشعار الرائقة الرقيقة، كتبت إليه من الديار المصرية في سنة تسع وعشرين وسبعمائة استدعاءً لإجازته لي صورته:

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خير أنبيائه، محمد وآله وصحبه وأصفيائه، المسؤول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رحلة الأدب، قبله ذوي التحصين له في التحصيل والدأب، الذي تبيت شوارد المعاني صرعى تخوله للطافة تخيله، وتُسمي الألفاظ العذبة طوع تحوله في التركيب وتحيله، فأسمى وله النسيب الذي يضحك من العباس من رفته، ويقيم صريع الغواني إلى مقته بعد مقته، والغزل الذي يشيب له قود الوليد، ويسترق الحر من كلام عبید، والتشبيه الذي لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فتحاً لصيد النجوم، ولو تعاطاه حفيد جريج لقليل له ألم تسمع «ألم غلبت الروم» [الروم: ١]، والمديح الذي لو بلغ زهيراً لقال ما أنا من هذه الحداثق، أو اتصل نبأه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق، والرثاء الذي نقص عنده أبو تمام بعد أن رفع له لواء الشرف والفخر، وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر، والترسل الذي سقى الفاضل كأسغ الحتوف لما شبه الغمود بالكمام والسيوف بالأزهار، وأذهله حتى صحت له قسمة التجنيس في الخيل والخيال بين المراقب والمراقد وأخطأت معه في المربع والمساجد بين الأنواء والأنوار، والكتابة التي تغدو الطروس بها وكأنها بروء محبرة، أو سماء بالنجوم زاهرة، إن لم ترض أن تكون في الأرض رياضاً مزهرة [الكامل]:

أدب على الحصري يعلو تاجه	وله ابن بسام بكى ألوانا
وترسل سبحان من قد زاده	منه وأعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها في وضعها	ليس ابن مقله عندها إنسانا
فلکم أخي فضل رأت عيناه في الـ	أوراق لابن نباتة بستانا

جمال الدين أبي بكر محمد ابن الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله

به شتات الأدب في دوحة هذه الدولة، ولم به شعث أبنائه الذين لا صون لهم ولا صولة، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاه لما عُرفت دار مية من أطلال خولة، بمنه وكرمه، إجازة كاتب هذه الأحرف ما له فسخ الله في مدته من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية والتأليفات الأدبية على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها بحسب ما تأدى ذلك إليه واتصل به من قراءة أو سماع أو إجازة أو وصية أو جادة من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم وإجازة ما له أحسن الله إليه من مقول نظماً أو نثراً تأليفاً أو وضعاً إجازة خاصة وإثبات ما له من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم وإجازة ما لعله يقع له بعد ذلك إجازة عامة على أحد القولين في المسألة فإن الرياض لا ينقطع زهرها، والبحار لا تنفد دررها، وإثبات ما يحسن إيراده في هذه الإجازة من المقاطيع الرائقة، والأبيات اللاتقة، وذكر نسبه ومولده ومكانه.

فأجاب بما صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد حمداً لله الذي إذا توجه ذو السؤال إليه فاز، وإذا دعى كرمه ذوو الطلب أجاب وأجاز، والصلاة على سيدنا محمد كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز، وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفصل ومن بعدهم مجاز، فلو لزم في كل الأحوال تناسب المخاطبة، وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة، لما رُضي سجع الحمائم لمطارحته نوعاً من الأطيّار، ولا قبل فصحاء الأول مراجعة الصدى من الديار، ولا قنع غمز حواجب الأحبة برد القلوب الهائمة في أودية الأفكار، ولكن تقول الأكابر؛ والأبتاع تبذل من الأجوبة جهدها، وتتفق مما عندها، وتُجرد الأمثال سيوف النطق ولا تتعدى الأولياء من الطاعة حدّها، ولما كنت أيها الراقم برود هذا السؤال ببيانه، والمنشئ روض هذا الاستدعاء بآثار السحب من بنانه، والسائل الذي هزت المعاطف فضائله، وسحرت أرباب العقول عقائله، وأقام المسؤول مقاماً ليس هو من أهله، «فليتق الله سائله»^(١)، فريد فنّ الأدب الذي لا يُبازى، وبحره الذي لا يُهدي غائص قلمه الدرّ إلا كباراً، وذو اليد البيضاء فيه الذي طالما آس من جانب ذهنه الشريف نارا، وخليله الذي اطلع على أسراره الدقيقة، ورئيسه الذي لو جازى ابن المعتز وتمت ولايته لكان خليل أمير المؤمنين على الحقيقة، وناظمه الذي يسري الطائيات تحت علمه المنشور، وكاتبه الذي يتيح العبدان بالدخول تحت رقة المأثور، طالما شافه منه العلم وجهاً جميلاً وقدرًا جليلاً، ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول: «ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً» [الفرقان: ٢٨]، فهو الغرس الذي يقصر عن أمالي وصفه الشجري، ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسي، وهذا يقول ثمري، كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل، وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بُشينة ومن وجهه جميل، وكم تنزهت الأفكار من لفظه وخطه بين ريحان وورد لا بين إذخر وجليل، وكم دام عهده وودّه حتى كاد يبطل قول الأول «دليل على أن لا يدوم خليل»، توذّ الشهب لو كانت حصباء غدير طرسه، وتغار الأفق إذا طرز يراع درجة بالظلماء أردية شمس، ويتحاسد النظم والنثر على ما تنتج مقدمات منطق من النتائج، وينشده كل منهما إذا حاول القول خليل الصفا هل أنت بالدار عائج، إن كتب أغضى ابن مقلة من الحسد على قذاة، وحمل ابن البواب لحجبته عصا القلم قائلاً ما ظلم من أشبه أباه، وإن نحا النحو لباه عشراً،

ولانت أعطاف الحروف قسراً، وتشاجرت الأمثلة على لفظه فلا غرو إن ضرب زيد عمراً، يترجل كلام الفارسي بين يديه، ويطير لفظ ابن عصفور حذراً من البازي المطل عليه، وإن شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد، وحمل ذكرها في كل ناد، ونصبت بيوته على يفاع الشرف كما تنصب بيوت الأجواد، طالما بلد لبداً، وولى شعر ابن مقبل منه شريداً، وقالت الآداب لبحثري لفظه ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ [الشعراء: ١٨]، وإن نثر فما الدر اليتيم إلا تحت حجره، ولا الزهر النضير إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره، وإن تكلم على فنون الأدب روى الظما، وجلا معاني الألفاظ كالدمى، وقال العروض له ولا بن أحمد «خليلي هباً بارك الله فيكما»، هذا وكم أثنى قديم علوم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت رواية الأحاديث النبوية بفضلته وما أعلى من شهد بفضلته الحديث والقديم [البسيط]:

علت به درجات الفضل وأتضحت دقائق من معاني لفظه البهج
هذا ولي الشباب الجون منسدل فكيف حين يضيء الشيب بالسرج
يا حبذا أغين الأوصاف ساهرة بين الدقائق من علياه والدرج

بدأتني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، واضمحلت عياني، وكاد من الخجل ﴿يضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ [الشعراء: ١٣]، وحمغلت كاهلي من المن ما لم يستطع، وضربت لذكري في الآفاق نوبة خيلية لا تنقطع، وسألني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها، وثمر من غرسها، أن أجيبك وأجيزك، وأوازن بمثقال كلمي الحديد إبريزك، وأقابل لسنك المطلق بلساني المحصور، وأثبت استدعاءك الجليلي على بيت مال نظمي المكسور، فتحيرت بين أغمرين أمرين، ووقع ذهني السقيم بين دائن مضرين، إن فعلت ما أمرت فما أنا من أرباب هذا القدر العالي، والصدر الحالي، ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز، وكيف أطلب مع إقتار علمي وفهمي بأن أجيب وأجيز وأين لمقيد خطوي هذه الوثبات، وأتى يماثل قوة هذا الغرس ضغف هذا النبات، وإن منعت فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب متي، وأهملت الطاعة التي أقرع بعدها برمح القلم سني، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض الرجال وقال قطني، ثم ترجح عندي أن أجيب السؤال، وأقابل بالامثال، وأتحمّل على ظلع الأقوال، صابراً على تهكم سائلي، مغظماً قدري كما قيل بتغافلي منقاداً إلى جنة استدعائك من السطور بسلاسل، وأجزت لك أن تروي عني ما تجوز لي روايته من مسموع

(١) عجز بيت وتماه:

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجا بها فلينق الله سائله
وأول هذه الأبيات: فلجئته المعروف والجود ساحله
هذا البحر من أي النواحي أنيته

ومأثور، ومنظوم ومشهور، وإجازة ومناولة ومطارحة ومراسلة ونقل وتصنيف، وتنضيد وتفويغ، وماضٍ ومتردد، وآتٍ على رأي بعض الرواة ومتجدد، وجميع ما تضمنه استدعاؤك فأجمع ما يكون لفظه المتفرد كاتباً لك بذلك خطي مشروطاً عليك الشرط المعتبر فليكن قبلك يا عربيّ البيان جواب شرطي ذاكراً من لمع خبري ما أبطأت بذكره وأرجو أن أبطيء ولا أخطيء فأما مولدي فبمصر المحروسة في ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة بزقاق القناديل وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً فمن أقدمهم الشيخ شهاب الدين أبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب نزيل قطيا المعروف بابن الرذاف سمعت عليه بعض الغيلانيات وهو الجزء الثاني والثالث من تجزئة أحد عشر جزءاً والشيخ عزّ الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبي الفرج الحصري البغدادي سمعت عليه جزءاً من أحاديث خرّجها له والدي، والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن أبي محمد إسحاق بن محمد الهمداني الأبرقوهي سمعت عليه السيرة النبوية بقراءة الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس، وأما مَنْ أجازني منهم بمصر وغيرها من الأمصار فكثير أخبرنا الشيخ المسند عزّ الدين أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي الحزّاني رحمه الله إجازة أنا الشيخ أبو الفتوح يوسف بن المبارك بن كامل قراءةً عليه وأنا حاضر ببغداد أنا الشيخ أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القرّاز قراءةً عليه وأنا أسمع أنا الشيخ أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد قراءةً عليه وأنا حاضر قيل له أخبركم أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ثنا محمد بن علي بن إسماعيل الأيلي ثنا أحمد بن المعلى بن يزيد ثنا حماد بن المبارك ثنا محمد بن شعيب ثنا مروان بن جناح عن هشام بن عروة أنه أخبره عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر حكمة»، وأما الفضلاء والأدباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم فمنهم القاضي الفاضل محيي الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر الكاتب المصري والشيخ الإمام بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحاس النحوي الحلبي والأمير الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الصاحب المؤرّخ شرف الدين إسماعيل التيتي الأمدي، اقترح عليّ ولم أبلغ الحُلم نظماً في زيادة النيل فقلت [مرفل الكامل]:

زادت أصابعُ نيلنا وطَمَتْ فَأَكْمَدَتِ الأعادي
وأثت بكل جيلة ما ذي أصابعُ ذي أيادي

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان الضرير من أهل منية بني خُصيب قرأت عليه كثيراً من كتب الأدب المشهورة وكان كثيراً ما يستشدني إلى أن أنشدته قولي [البسيط]:

يا غائبين تعلّلنا لغيبتهم بطيب لهُوٍ ولا واللّه لم يَطِبِ
ذكرتُ والكأسُ في كفي ليا ليكم فالكأسُ في راحةٍ والقلبُ في تعبٍ

فقال أتعب - والله - جَدْعَكَ الْقُرْحَ، والشيخ العالم بهاء الدين محمد بن محمد المعروف بابن المفسر أنشدني يوماً لنفسه [الرمل]:

لا أَرَى لي في حياتي راحة ذهبَتْ لَذَّةُ عيشي بالكِبَرِ
بقي الموت لمثلي سُترةً يا إلهي أنت أولى من سَتْرِ
فأنشدته لي [الخفيف]:

بَقَلْتُ وجنة المليح وقد وُلَّى زمان الصَّبَى الذي كنتُ أملكُ
يا عذار المليح دعني فإثني لست في ذا الزمان من خَلٍّ بقلكُ
والشيخ الأديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصري سمعته ينشد لنفسه [الكامل]:
يا خجلتي وصحائفي سوّدْ غداً وصحائفُ الأبرار في إشراقِ
وتوقّعي لموتٍخ لي قائلٍ أكذا تكون صحائف الوراقِ
والأديب الفاضل نصير الدين المناوي الحمامي أنشدني لنفسه [الطويل]:

أَحَبُّ من الدنيا إِلَيَّ وما حَوَتْ غزالٌ تَبَدَّى لي بكأسِ رحيقِ
وقد شهدت لي سُنَّةُ اللهو أنني أُحِبُّ من الصهباء كلَّ عتيقِ
فأنشدته لي [الكامل]:

إثني إذا آنست همّاً طارقاً عَجَلْتُ باللذات قطعَ طريقه
ودعوتُ ألفاظ المليح وكأسه فنعمت بين حديثه وعتيقه

وجماعة يطول ذكرهم، ويعز علي أن لا يحضرني الآن إلا شعرهم، وأما مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمعها ولولا جبر الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية لها ما استجزتُ نصبها ولا رفعها فهي «كتاب مجمع الفرائد» «كتاب القطر النباتي» «كتاب شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون»، «كتاب منتخب الهدية من المدائح المؤيدية» «كتاب الفاصل من إنشاء الفاضل» «كتاب زهر المنثور» «كتاب سجع المطوق» «كتاب إبزار الأخبار» «كتاب شعائر البيت التقوي» ولم يكمل إلى الآن، الأرجوزة المسماة «فرائد السلوك في مصائد الملوك»، أجزتُ لك - أعزك الله - روايتها عني ورواية ما أدونه وأجمعه بعدها حسبما افتَرَحَهُ استدعاؤك ونَمَقَه ونسخه وحَقَقَه وتضمّنه سؤالك الذي تصدّقت به علي فمك السؤال ومنك الصدقة والله تعالى يشكر عهدك الجميل، وكلماتك الجزلة وكرمك الجزيل، ويمتّع فنون الفضائل الملتجئة إلى ظلّ قلمك الظليل، ولا يُعدم الأحباب الآداب من اسمك وسمتك خير صاحب وخليل، بمنه وطولُه تَمَّت الإجازة، ثم إنني سمعتُ من لفظه «كتاب منتخب الهدية» و«القطر النباتي» وكنت قد كتبت عليه وأنا بالقاهرة [الوافر]:

بحقّك لا تقل فيمن تقضى وفات لقد مضى بالطيّباتِ

وراحَ وشعره حلَّو رقيقَ فما يتكلَّم القَطْرُ النباتي

وسمعت من لفظه «فرائد السلوك» وسمعت من لفظه «المنتخب المنصوري» وسمعت من لفظه «النحلة الأنسية في الرحلة القدسية» وغالب ما أنشأه من النظم والنثر سمعته وكنت قد كتبت بالقاهرة على قطعة أهداها من شعره [الوافر]:

أيا ابنُ ثبَّاتٍ أهديتَ شِعْراً نصيبي سَكْرٌ منه وسُكْرُ
يفوت الغيثَ عَدًّا وهو حُلُو فشعرك كيف ما حاولتَ قَطْرُ

وقد اختار من دواوين الشعراء جملةً منها ديوان ابن الرُّومي وديوان ابن سناء الملك وديوان ابن قلايس، وديوان ابن حجاج وهو اختصارٌ جيّد سماه «تلطيف المزاج من شعر ابن حجاج» وديوان شرف الدين شيخ الشيوخ، وبنيني وبينه مكاتبات كثيرة، ومراجعات أثيرة، منها ما كتبه إليّ وأنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وهو [البسيط]:

رضيتُ بالكتب بعد القربِ فانقطعتُ حتى رضيتُ سلاماً في حواشيها

ويُنهي أنه كان كسيرَ الخاطر، حسيرَ الناظر، لانقطاع بَرِّ مولانا الممتاز ولامتاع المملوك من المكاتب ظناً أن بينها وبين القصد حجاز، فلما وقف الآن على ذكره في حاشية مكاتبه جمالية استأنف للخاطر سروراً، وأقام وزن البيت القلبي وكان مكسوراً، ووضع الطرسَ على وجه خطه الأعمى «فارتد بصيراً» [يوسف: ٩٦]، وجمع بين ذلك الخاطر واللفظ والقلب وإنما جمع «مسكيناً ويتيماً وأسيراً» [الإنسان: ٨]، وسرّه - أشهد الله - أن يكون معدودَ الذكر في الحاشية، واستوقف ألفاظ العتاب وقد كانت إلى درج الأدراج ماشية [الطويل]:

حلالٌ ليلَى أن تَرُوعَ فؤادَه بهجرٍ ومغفورٌ ليلَى ذنوبُها
[مرفل الكامل]:

لا تَقْرَعَنَّ سَمَاعَ مَنْ تهوى بتعدادِ الذنوب
ما ناقشَ الأحبابَ إلّا مَنْ يعيشُ بلا حبيب

وقد علم الله شوق المملوك إلى تلك الخلائق وربيعها، والألفاظ وبديعها، وشجوةً الذي أخفى الجلد وأبانَه ووحشته التي أفردته سهماً واحداً في دمشق لا في كنانة [البسيط]:

لم يترك الدهرُ لي خِلاً أُسرُ به إلّا أصطفاه بنأيٍ أو بهجران

والله تعالى يحرس مولانا حيث كان، ويُمَدّه بمعونتي المكان والإمكان، ويصون نفاسة نفسه وإن تغيّرت على أحبابها، وأعرضت عن غلمانها، ويأبى ناموس الرتبة أن يقال عن أصحابها، ولا يعدم الأولياء على القرب والبعد أن يجتنوا من نظمه ونثره ثمر البيان متشابهاً، المملوك يقبل يد الجناب الأخوي البرهاني شُكْرَ الله إحسانه، وأوضح في استحقاق رُتَب الفضل برهانه، وودَّ المملوك لو رآه عند القدوم من حلب فكان يوفّي بعض قروض فضله وفروض بذله، ولكن أبى الحال المناسب إلّا أن تبدأ هدية ذلك المولى تحيته فيقابلها المملوك ببخله يا مولانا بلغ المملوك

تقدّم المقر الفلاني وتبيّنه وتعيّنه وأراد المملوك مطالعته وعرض وسائله ولكنه ذكر حكاية بعض جُفّة الأعراب ومُتَعَجِّريهم وقد اشتدّ به ضَعْفُه فقال له بعض إخوانه تُب إلى الله تعالى فقال يا أخي إن عافاني تبُّ فإني لا أقبل القسر فإن نظر ذلك المقر إلى المملوك ونفعه كتب وقال وأطاب وأطال ونهض في خدمة أيامه بما لا ينهض به سواه من أهل المقال وإلا [الطويل]:

كلانا غني عن أخيه حياته ونحن إذا مُتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا
فكتبت إليه الجواب عن ذلك.

ويُنهى ورود المثال العالي، والفضل الذي نصب لي لواء الفخر لو أنه كما أعده متوالي، والبر الذي كم تمسكت بحاله فأرسل الجبالي، والروض الذي هو لابن الشجري نهاية الأمان في الأمالي، والأزاهر التي أصبحت من جنة جناتها فلا بدع إذا كنت لنار عتها اليوم صالي [الطويل]:

إذا لم يُخْن صبّ ففيم عتاب وإن لم يكن ذنب ففيم يُتاب
أجل ما لنا إلا هواكم جناية فهل عندكم غير الصدود عقاب

فوقف المملوك عليه، بعد أن تمثّل واقفاً لديه، وشاهد ذلك اللفظ الرقيق المشتمل على العتب اللفظ وتحقّق أنّ هذا من جزئيات ما ساق إليه القسم وحضّ عليه الحظّ [مخلع البسيط]:

وغايتي أن ألوم حظي وحظي الحائط القصير

ولقد علم المملوك عند رؤيته أنه غمامة تقعقع بالعتب رعدّها عند الفضّ، ورسول جاء بعد فترة يدعو القلب إلى الكسر والطرف إلى الغضّ، وخصم يزوع بالعتب ويروق باللطف وكذا جرى لأنّ الرّوع تعجّل نقده في النضّ [البسيط]:

هذا عتابك إلا أنّه مِقَّة قد ضَمَنَ الدرّ إلا أنّه كَلِم

فيا له من عتابٍ ما حاكّ العتابي منه لقطة لفظة، ولا رقا إلى رفته عتاب جرى بين الزمان وجَحَظَة، ولا استحضّر مُهديه عند تسطيره من القرآن الكريم ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] [الطويل]:

وأطيّب أيام الهوى يومك الذي تُروّع بالهجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحبّ سُخْط ولا رضى فأين حلاوات الرسائل والكُثْب

و مولانا فإنه كبث لَمّا كتب، وعبث لَمّا عتب، ونفث بعد أن لبث، ولو أجتثّ الودّ لاجتنب، ولكن دلّ بهذا على أنه ليس له أغراض من الإعراض، وأنه لا يليق بوده الثابت التبدّل في التبدّل ولا يعتاد أن يعتاض، والقائل ما أشرف همّة [مجزوء الرمل]:

لست سمحاً بودادي كل من نادى أجبثه

ولعمري إن مولانا سباق غايات، وربّ آيات، وصاحب دهاء لا بل دهاشات، علم أنّه نكب عن الوفاء، وظهر عن لُطفه ما لا يليق به من الجفاء، وأهمّل المملوك هذه المدّة، وطمع في ضعفه وظنّ أنه ليس لذكره كَرّة بعد الفرار ولا رَدّة، فتلا سورة من العتب سكّنت ما عند المملوك

من السُّورة^(١)، وأمكنه غفلة الرقباء فاختلس الزورة، وسابقَ حُرّاف المملوك وقاطع عليه الدّورة [البسيط]:

تشكي المحبّ وتشكو وهي ظالمة كالقوس تُصمي الرمايا وهي مَرنان

وقد تمثّل المملوك بهذا البيت دون غيره من الأمثال لأنه أنسب بمولانا وأقرب، وتخيّل ما يَعهده من توهم مولانا فلم يقل يلدغ ويصي كالعقرب، على أن المملوك أحقّ بهذه المعاتبة، وأليق بأن يصدر عنه مثل تلك المكاتبة، وإذ قد فُتح هذا الباب، ونوقش في مثل هذا الحساب، «فاسكُبْ دموعك يا غمام ونسكُبْ»^(٢) نُظهِر ما في زوايا الجوانح من الخبايا، ونتبع ما في القلب إن كان حبّ مولانا ترك منها بقايا، وإن كان مولانا حملَ البريد هذه البطاقة فعند المملوك ما يعجز عن حمله المطايا، هيهات ما هذا مقام يحصل فيه الصفا، ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى [البسيط]:

فما يقوم لأهل الحبّ بيّنة على بياض صباح أو سواد دُجا

[الطويل]:

وإن شئت ألقينا التفاضل بيننا وقلنا جميلاً واقتصرنا على الوُدّ

استطرد المملوك بهذا الفصل وهو قبيحٌ بصدق ولاية، ونكتة سواد كأنها الخال لكنها ما تليق بوجنة صفائه، ولكن الوُدّ إذا ما صفا لم يتحمل معه الضمير أذى، ولم تغمض الجفون منه على قذى [البسيط]:

ما ناصحتك خبايا الوُدّ من رَجُلٍ ما لم ينلك بمكروه من العدَلِ

محبتني فيك تأبى أن تسامحني بأن أراك على شيء من الزلزل

وأن اتفقَ اقتراب، فلكل سؤال جواب، ومن كل جُرم متاب، ولكل صغيرة وكبيرة مناقشة وحساب، ولكل ظلمٍ إمّا سقيا رحمة أو سقيا عذاب [الوافر]:

وإن ظَفِرَتْ بنا أيدي المنايا فكم من حسرة تحت التراب

وقد اشتغل المملوك بهذا الفصل، ولو وُفّق في هذه الخدمة قطع منها هذا الوصل، وجرى على عادته في الإغضاء وطلب النصر بالبصر لا بالنصل [مجزوء الكامل]:

فالعمر أقصر مدّة من أن يضيّع بالعتاب

ويستغفر الله المملوك من هذا على أن مولانا عوّذ المملوك بالاحتمال إذا أذى ويرجع إلى وصف مثال مولانا فيقول إنه الحديقة، والروض الذي جمع الأزاهر إلا أنه عديم شقيقه، والفضل الذي صدر عن أمثل الناس طريقه، والقادم الذي كأنه ولدٌ جاء بعد اليأس وإن عملت له الدموع عقيقة [البسيط]:

وَاللَّهِ مَا فَتَنَتْ عَيْنِي مُحَاسِنُهُ إِلَّا وَقَدْ سَحَرَتْ أَلْفَاظُهُ أُذُنِي
فَمَتَعَ اللَّهُ الوجود بكلم مولانا التي هي عَوْدَةٌ مِنَ الْغَيْرِ، وَجَمَالَ الْكُتُبِ وَالسُّيَرِ، وَلَا أَخْلَى
لِلَّهِ مِنْ فَوَائِدِهِ وَلَا قَطَعَ مَا أَجْرَاهُ عَلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ عَوَائِدِهِ وَقَدْ بَلَغَ الْمَمْلُوكُ سَلَامَهُ وَجَبَرَهُ مَمْلُوكُهُ
الْأَخَ فِدْعَا وَابْتَهَلَ، وَشَبَّ جَمْرَ شَوْقِهِ إِلَى رُؤْيَيْهِ بَعْدَمَا اكْتَهَلَ، وَقَالَ لَا بَدْءَ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى جَنَابِهِ إِنْ
كَانَ فِي الْعَمْرِ مَهْلٌ، وَأَمَّا الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ فِي أَمْرٍ مِنْ ذِكْرِهِ مَوْلَانَا وَأَنَّهُ تَعَيَّنَ وَتَمَكَّنَ وَتَبَيَّنَ وَالنَّادِرَةُ
الْلاَّتِيقَةُ بِذَلِكَ الْمَقَامِ فَيَقُولُ الْمَمْلُوكُ إِنَّهُ مَا عَامَلَ كَمَا عَوَمَلَ، وَلَا قَابِلَ كَمَا قَوِيلَ، بَلْ أَذْكَرَ رُكُودِ
الدَّهْرِ وَهَبَاتِهِ، وَعَمَلَ بِقَوْلِ الْحَيْصِ بَيَّصَ فِي أَيْبَاتِهِ، بَعْدَ أَنْ كَبَا سَرِيعاً، وَخَزَرَ لِلْفَمِ وَالْيَدَيْنِ صَرِيعاً
[الكامل]:

فَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمَقْطُورَ بَزْنِي أَثْوَابِي
تم الجواب.

وَكُتِبَ إِلَيَّ فِي وَقْتِ [الرمل]:

دُمْتُ لَلْأَدَابِ تُنْشِي رَسْمَهَا بِيرَاعٍ خَطُّهُ خَطُّو فُسِيخُ
لَيْتَ شَعْرِي أَنْتَ يَا بَاعِثَهَا بَعْدَمَا مَاتَتْ خَلِيلٌ أَمْ مَسِيخُ
فَأَجَبْتُ بِقَوْلِي [الرمل]:

اِخْتَلَفْنَا لِبَدِيعِ النِّظَمِ فِي كَلِّ مَا تَهْدِيهِ مِنْ لَفْظٍ فَصِيخُ
قَالَ غَيْرِي هُوَ زَهْرٌ قَالَ لَا قُلْتُ زَهْرٌ قَالَ لِي هَذَا الصَّحِيخُ

وَكُتِبَ إِلَيَّ يَطْلُبُ مِنِّي عَارِيَةَ كِتَابِ التَّشْبِيهَاتِ لِابْنِ ظَافِرٍ [السريع]

لَفْظُ ابْنِ ظَافِرٍ قَدْ ظَفَرْتُ بِهِ وَفُؤَادُ حَبِّي مِنْهُ غَيْرُ خَلِي
فَبِأَحَدٍ وَهُوَ الشَّفِيعُ لَنَا أَمَتِغُ أَبَا بَكْرٍ بِلَفْظِ عَلِي

وَيُنْهِي أَنَّهُ يَحِبُّ لَفْظَ عَلِيٍّ وَتَثْقِيلُهُ يَزِيدُ، وَمَنْ مَوْلَانَا الْمَعْهُودَةُ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا أَنْ تَفِيءَ
وَتَفِيدَ، وَقَدْ سَمِعْتُ بِكِتَابِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ وَسْوَالِهِ مَشَاهِدَةَ ذَلِكَ الْمَحْبُوبِ، وَعَارِيَةَ هَذَا الْكِتَابِ مَدَّةَ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿ذَلِكَ وَغَدٌ غَيْرُ مَكْدُوبٍ﴾ [هود: ٦٥].

فَاسْتَغَلْتُ عَنْ تَجْهِيزِهِ بِالْحَمَى ثُمَّ إِنَّنِي جَهَّزْتَهُ وَكُتِبَتْ مَعَهُ [السريع]:

الْعَبْدُ مَجْبُولُ الطَّبَاعِ عَلَى مَا تَشْتَهِي فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
وَمَعَ التَّوَالِي فِي وَدَادِكَ لَمْ أَمْنِغُ أَبَا بَكْرٍ كَلَامَ عَلِي
فَكُتِبَ إِلَيَّ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَيْهِ [الطويل]:

عَذِيرِي مِنْهُ مُعْرَضاً مُتَجَنِّباً كَأَنِّي لَهُ نَحْوُ الْوَدَادِ أَجَاذِبُ

قسا فوق ما تعتو الجبال فلم يُجب
فكتبت الجواب عن ذلك [الطويل]:

عذيري من مولى يرى العذر وافرأ
يصدّ دلالاً عن ودادي وينثني
فلما تأخر كتاب التشبيهات المذكور ولم يرسله كتبتُ إليه [البسيط]:

قد قلت إن ثلاثاً عمرٌ غيبته
وليس وعدك شاةً ساقها الزمن الـ
فكتب الجواب عن ذلك [البسيط]:

جاءت ومن طرسها ساقٍ يديرُ على
فحبذا هو من ساقٍ نعمتُ به
وكتب إلي وأنا ضعيف [الطويل]:

نثقلُ إذ تبغي بلفظك طَبْنَا
فها أنت فينا كالنسيم بلطفه
وحاشاك من شكوى اعتلالٍ سينقضي
فلا غيرُ أجفان المليح سقيمةً
فكتبت الجواب عن ذلك [الطويل]:

لحمّاي نازَ جاءها منك جئةً
تهدأتِ الأفنانُ منها فخطري
فأبدغتُ فضلاً منك بالحق قاضياً
وأنت حبيب الشعر أصبحت سيّداً

وكنْتُ أجلسُ أنا وهو عند شبّاك الكاملية نتذاكر في الجامع الأموي كل ليلة بعد صلاة
العصر فنبئتُ بعضَ الليالي لشغلٍ عَرَضَ فكتب إلي [المقارب]:

أمولائي غبتُ وخلفتني
فها أنا بعدك في جامع
فكتبت الجواب إليه عن ذلك [المقارب]:

وقفتُ على نظمك المشتهي
فكم أَلِفٍ مثل غصن النقا
وعاينتُ روضته اليانعة
وهمزتها فوقها ساجعة

أقامت على الوُدِّ لي حُجَّةً
وقد سمع العبدُ ألفاظها
وأصبح شكري لها تالياً
وَرَحْتُ لِبَابِ الثَّنا قارِعاً

ولكن عن الناس لي قاطعة
فيا حُسْنَهَا في الحشا واقعة
وجملته للثنا جامعة
إلى أن تُصِيبَ العِدَى قارعة

فلما وقف عليها وانتهى إلى الرابع منها قال هذا التالي والجامعة ما كانا لي في حساب،
ولما حضرتُ من القاهرة أهدى إليّ طعامٍ بِسَلَى فكتبت إليه من أبيات [الوافر]:

ظننت العبدَ عن مصرٍ تسلى
نعم أذكرتني عيشاً بمصرٍ
طعامٌ فوقه لحمٌ شهِيٌّ
ودُهْنٌ فوقه قد كان صَبّاً

فأهدى جودك الوافي بِسَلَى
واقبالاً من الدنيا تولّى
إلى كلِّ النفوس فكيف يُقلَى
تلظّت ناره حتى تسلى

وكتب إليّ مع خَوْنِجِه شرائح [الخفيف]:

شَبَهُ المرء من هداياه يُدرى
وكذا في هديتي لي شَبَهُ

وكتبت إليه ملغزاً في باب [السريع]:

قل لي ما شيء إذا زُمْتَ أن
تراه في طول المدى واقفاً
ذو حاجبٍ منه محيطٌ به
وإن حوى أنفاً يكن طوله

كم صاحٍ من طارقةٍ ربما
ولم تزل تقرعه في القفا
وليس شيخاً وهو ذو دَوْرَةٍ
تأمنه إن غبت دهرأ على

مَبْنٍ على ضَمٍّ وفتح معاً
والحشو منسوبٌ إليه ولا
وكم يولّي صاحباً ظهْرَهُ
بَيِّنُهُ لَا زِلْتَ فصيح اللّها

تَعكَّسَهُ لَمْ تَسْتَطِعْ ذَلِكَ
في خدمة المملوك والمالك
وربّما أعتاق بأسمالك
فاعجب لهذا الأمر في حالك

حلّت به مثل الدُجَى الحالك
منه ولم يشعر بأفعالك
طريقه يعرفها السالك
ما تصطفيه النفس من مالك

يجرّه النفعُ لأشغالك
يعرف ما أحمدُ من مالك
ومثل ذا العيب رِضى آلك
فإنه لم يخفَ عن بالك

فكتب إليّ الجواب [السريع]:

فتحت لي باباً من الود ما
فحبذا لُغزك من فاتح
ألغزته في واقف خاضع
ما فيه من عيب ويا طالما
لكن له في وسطه غالباً
يقال لئلاّمرد أو غيره
وربما بالوطء أزعجته
لا الشعر والتوشيح يدري ومن
وكم بدا يحمل لوحاً وما
يخشى إذا أبصرته مُرتجاً
ودقه الخارج لا يَحْتَفِي
أعجبني والله مع نظمه
وكتب إليّ مُلغزاً في قلم [المنسرح]:

يا فاضلاً قد عنى لرتبته
ما اسم سقيم بالك كأن على
يبكي على الوصل وهو واجده
وهو ألوف وعنده مَلَق
قل فيه ما شئت إن حذفته وإن
وقم بفن بك أستقام فما
فكتبت إليه الجواب [المنسرح]:

يا من به الشعر راق راقمه
ألغزت فيما إذا سعى رُسِمَتْ
إن طاب في سجعه وطال فقل
وهو لدى الروع صارم ذكّر
أمسى لباريه ساجداً بُبُكَي
وطال عُمر البكاء منه فأج
يدري ضميري وما أَلَمَّ به

عَهدته يرضى بإهمالك
وذلك لي من بعد إغفالك
كالعبد في تصريف أفعالك
قد رَدّه في حكمه مالِك
قرع أعاذ الله^(١) من ذلك
هذا للعمري شرط إدخالك
في عقبه مَن طهر أعمالك
تصريعك استملى وأقفاك
خط عليه بعض أقوالك
فاعجب له في كل أحوالك
وربما يحلوا لسؤالك
رضوانك المعهود يا مالك

نائر دز الشنا وناظمه
أحشائه صبوّة تُلازمه
وليس يبكيه وهو عادمه
لم يستطع قلبه يكاتمه
حرّفت وشرح ما أنت عالمه
ثم لمولاي من يقاومه

وبأسمه راح وهو باسمه
خطاه رَوْضاً تُزهى كمائمه
بأن الحمى رجعت حمائمه
في كف أهل الإنشاء قائمه
وعز بين الأنام راحمه
رى أسود المقلتين ساجمه
وهو على سِرّه يُزاحمه

كَلَّ حَسَابَ الْأَنَامِ يَعْمَلُهُ
وَكَمْ لَهُ مِنْ تَرَاجِمٍ صَدَرَتْ
خُوشِيَتٌ مِنْ عَكْسِهِ فَمَا أَحَدٌ
وَدُمْتَ لِلْبَاهِرَاتِ تُبَدِّعُهَا
وَكُتِبَ إِلَيَّ مَلْغَزاً فِي كُبَادٍ [المنسرح]:
يَا شَامِلَ الْبِرِّ زَانَهُ خُلِقَ
مَا أَسْمٌ لَشَيْءٍ بِحَكْمِ هُمِّي لَا
مَشْتَبِهَ الْأَمْرِ كَادَ أَكْثَرُهُ
لَكِنْ إِذَا مَا جَعَلْتَ دَأْبَكَ فِي الْـ
فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ [المنسرح]:
يَا مَنْ نَحَا الْفَضْلَ فَاقْتَنَى جُهْلًا
دَأْبَكَ عَكْسُ الَّذِي تَحَاوَلَهُ
أَحْرَفَهُ أَرْبَعٌ فَإِنْ سَقَطَ الـ
رَأَيْتَ مَنْ شَاءَ قَلْبَ أَحْرَفِهِ
فِي الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ النَّضِيرِ بَدَا
وَكُتِبَ إِلَيَّ مَعَاتِيّاً [المنسرح]:
يَا خَلِيلِي بَلْ سَيِّدِي لِمَ ذَا
وَوَحْشَةً بَيْنَنَا يَحْزُكُهَا
فَكُتِبَتْ الْجَوَابُ [المنسرح]:
عَبْدُكَ هَذَا الْعَتَابُ صَبَّرَهُ
وَكَانَ مِنْ قَبْلُ إِذْ تَلَا طِفَّهُ
وَلَمَّا حَضَرَ مِنَ الْقُدْسِ أَهْدَى إِلَيَّ حِزَاماً وَكُتِبَ مَعَهُ [مجزوء البسيط]:
تَشْتَتُ الرِّزْقَ فِي الْبِلَادِ
أَهْدَى حِزَاماً إِلَى جَوَادِ
قَبْلَ تُهْدِي الْحِزَامَ يَا أَبْنَ الْكِرَامِ
عَرَوْهُ الْوُدَّ مِنْ طِبَاعِي وَثَقَّى
فَكُتِبَتْ الْجَوَابُ [الخفيف]:

فَوِدَادِي قَدْ أَغْتَدَى عَرَبِيًّا كَوْنُهُ بَيْنَ عُرْوَةٍ وَحِزَامٍ
وَأُنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ وَقَدْ دَخَلَ دِيْوَانُ الْإِنْشَاءِ بِدَمَشْقٍ فَتَعَذَّرَ إِيْصَالُ مَعْلُومِهِ النَّزْرَ إِلَيْهِ
[مخلع البسيط]:

كُنَّا مِنَ الشَّعْرِ قَدْ هَرَبْنَا لِرَتْبَةٍ تَقْتَضِي الْإِعَاذَةَ
فَمَا دَخَلْنَا فِي بَابٍ جَاءَ وَلَا خَرَجْنَا عَنْ الشَّحَاذَةِ

وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله قد دخل به إلى الديوان بدمشق في أوائل سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان أقام مدةً يتردد إلى الديوان ويكتب ولم يكتب له توقيع فكان يتقاضى القاضي شهاب الدين في ذلك كلَّ قليلٍ بمقاطيع مطبوعة وأبيات فيها المحاسن مجموعة من ذلك قوله وكتب له توقيعاً هذه نسخته:

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي لَا زَالَ يَزِيدُ الْبُلْغَاءَ جَمَالاً، وَيُقِيدُ الْفَصَحَاءَ بِاخْتِيَارِهِ كَفْؤاً يُخْجَلُ الْقَمَرُ كَمَالاً، أَنْ يُرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ الْقَضَائِيَّ الْجَمَالِيَّ فِي كَذَا إِنْجَازاً لَوَعْدِ اسْتِحْقَاقِهِ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُ الصَّوْنُ وَالصَّلَوةَ، وَإِبْرَازاً لِمَا فِي ضَمِيرِ الزَّمَانِ لَهُ مِنْ أَنْ يَرَى لَهُ فِي الْجَوْ جَوْلَةً، وَإِيجَازاً لِمَا أَسْهَبَ تَوْهَمَهُ مِنَ الْحَرَمَانِ وَالْحَنُوشِ الشَّهَابِيِّ يَرْفُفُ حَوْلَهُ، وَإِحْرَازاً لِأَدَبِهِ الَّذِي مَا حُلِّيَ بِقَلَمِهِ فَمِ دِيْوَانٍ وَلَا حُلِّيَ بِكَلِمِهِ جَيِّدُ دَوْلَةٍ، لِأَنَّهُ الْفَاضِلُ الَّذِي يَرُوضُ الْأَطْرَاسَ، وَيَصِيبُ بِسَهَامِ أَقْلَامِهِ الْأَغْرَاضَ عَلَى أَنَّهَا مَا تَنْفُذُ فِي الْقَرْطَاسِ، وَيَتَرَجَّلُ الْبَرْقُ لَارْتِجَالِهِ الَّذِي يَقُولُ لَهُ التَّرْوِي مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَأْسٍ، وَيَهْزُ الْأَعْطَافَ بِإِنْشَائِهِ الَّذِي كَأَنَّهُ زَمَنُ الصَّبِيِّ وَالْدَهْرِ سَمَحَ وَالْحَبِيبِ مُوَاتِي، وَيَمْطُرُ الْأَفْهَامَ غَمَامٌ كَلَامِهِ الْحَلْوِ فَيَتَحَقَّقُ النَّاسُ أَنَّهُ الْقَطَرُ النَّبَاتِي، وَيَذَكِّرُ الزَّمَنَ الْفَاضِلِيَّ بِآدَابِهِ الَّتِي أَظْلَمَتْ عَلَى ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ وَمَا عَاشَ لَهَا ابْنُ مَمَاتِي، فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً تُصَدِّقُ الْأَمَلَ فِي فُضَائِلِهِ، وَتُحَقِّقُ الظَّنَّ فِي كَمَالِهِ، الَّذِي تَنْزَهُ الطَّرْفُ فِي مَخَائِلِ خَمَائِلِهِ، وَيَشْهَدُ أَوَاخِرُ أَدَبِهِ لِقَدِيمِ بَيْتِهِ وَأَوَائِلِهِ، وَلِيَنْمِقَ الطَّرُوسُ بِسَطُورِهِ فَإِنَّ حُرُوفَهُ أَتَتْ مِنْ تَخَارِيجِ الْعَذَارِ، وَمَدَادُهُ أَلِيقَ مِنْ خِيَلَانِ لَيْلٍ فِي خُدُودِ نَهَارٍ، وَأَلْفَاظُهُ تَرُوقُ لَطْفاً كَمَا تَرُوقُ الثُّغُورُ الْعَذَابِ عِنْدَ التَّبَسُّمِ وَالْإِفْتِرَارِ، وَمَعَانِيهِ يَشْفُ نُورُهَا كَمَا شَفَّ لَجِينُ الْكَأْسِ عَنْ ذَهَبِ الْعُقَارِ، فَقَدْ صَادَفَتْ سَحَابَتُ كَلِمِهِ رَوَابِيَّ يَزْكُو غِرَاسُ نَبَاتِهَا وَمَوَاقِعُ إِنْشَائِهِ أَكْبَاداً تَلْظِي ظَمْأً إِلَى بَرْدِ قَطَرَاتِهَا، وَجَيَّادٌ بَلَاغَتُهُ مِضْمَاراً لَا يَضِيقُ مَدَاهُ عَنْ فُسَيْحِ خَطَوَاتِهَا، وَأَقْلَامُ بَيَانِهِ أَجْمَأٌ لَا تَرَاوُرُ أَسَدُ الْفَصَاحَةِ إِلَّا مِنْ غَابَاتِهَا، فَكَمْ لَهُ مِنْ تَعَالِيْقٍ مَا رَأَاهَا الْجَا حَظٌ فِي حَيَوَانِهِ، وَكَمْ لَهُ مِنْ جُمَلٍ دَوَاوِينِ وَلَكِنَّهُ الْيَوْمَ جَمَالَ دِيْوَانِهِ، وَلِيَكْتُمَ مَا يَكْتَبُ فِي قَلْبِهِ، وَيَدْفِنَ مَيْتَ الْأَسْرَارِ فِي ضَرْيَحِ جَانَحَتِهِ إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ، فَإِنَّهَا صِنَاعَةُ الْكُتْمَانِ رَأْسُ مَالِهَا، وَالتَّرَفُّعُ وَالْإِنْجِمَاعُ عَنِ النَّاسِ سَرَّ جَمَالِهَا، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى مَلَكَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ وَتُنَاطُ الْوَصَايَا الْحَسَنَانِ بِسَبَبِهِ فَلْيَنْسِجْ مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَنَوَالٍ، وَلْيَخْرِجْ فِيهَا عَلَى خَيْرِ أَسْلُوبٍ فَإِنْ مِنْ عَدَمِهَا مَالُهُ مِنْ وَالٍ، وَالْخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

بن مقلد الأنصاري. الشيخ الإمام المفتي بركة الوقت بدر الدين أبو اليسر ابن قاضي القضاة عز الدين أبي المفاخر الدمشقي الشافعي مدرّس الدماغية والعمادية، وُلد سنة ست وسبعين وسمع كثيراً من أبيه وابن شيبان والفخر عليّ وبنت مكّي وعدّة وحضر ابن علان وحدث بصحيح البخاري عن اليونيني وسمع حضوراً من فاطمة بنت عساكر وحفظ التنبيه ولازم حلقة الشيخ برهان الدين وولّوه قضاء القضاة فاستعفى وصمّم فاحترمه الناس وأحبّوه لتواضعه ودينه وعظّمه تنكّر نائب دمشق واعتقد فيه وحجّ غير مرة وتولّى خطابة القدس مُدیده ثم تركها، ولما كان بالقدس طلبه المقدّسة ودخلوا عليه بسماع الحديث وخرجوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمين فشفع لهم وأكثر من الشفاعات فاستقله الناظر وشكا في الباطن لنائب دمشق وقال هذا يدخل روحه في غير الخطابة ويتكلم في الولاية والعزل فنقص قدره عنده وكان مقتصدّاً في لباسه وأمره ودُرّس وهو أمرّد ثم زار القدس فتعلّل هناك ونُقِل إلى دمشق ومات بها يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين ودُفن عند أبيه بسفح قاسيون وشيّعه الخلائق وحُمِل على الرؤوس وكانت وفاته بعد القاضي جلال الدين القزويني بليالٍ يسيرة وهو ابن عمّ قاضي القضاة نور الدين بن الصائغ قاضي حلب.

٢٠٣ - «نور الدين بن الصائغ قاضي حلب» محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد. القاضي نور الدين بن الصائغ قاضي قضاة حلب الشافعي كان خيراً ساكناً وقوراً سمع من أحمد بن هبة الله بن عساكر ولي قضاء العساكر بالشام أيام الفخري وراح معهم إلى القاهرة ثم عزل وبقي على تدريس الدماغية إلى أن تولّى قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن ابن الخشاب سنة أربع وأربعين وسبعمائة ومولده سنة ست وسبعين وستمائة وتوفي على قضاء حلب في شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

فصل الألف وما بعدها في الآباء

٢٠٤ - «أبو المظفر الهروي» محمد بن آدم بن كمال. أبو المظفر الهروي، ذكره الحافظ عبد الغافر الفارسي في «اللباق» وقال: مات بغتة سنة أربع عشرة وأربع مائة ودفن بمقبرة الحسين بقرب قبر أبي العباس السراج ووصفه فقال الأستاذ الكامل الإمام في الأدب والمعاني المبرز على أقرانه وعلى من تقدمه من الأئمة باستخراج المعاني وشرح الأبيات والأمثال وغرائب التفسير بحيث يضرب به المثل، ومن تأمل فوائده في كتاب «شرح الحماسة» و«شرح الإصلاح» و«شرح أمثال أبي عبيد» و«شرح ديوان أبي الطيّب» وغيرها اعترف له بالفضل والانفراد وتتلّمذ للأستاذ أبي بكر الخوارزمي الطبري وتفقه على القاضي أبي الهيثم ثم جدّد الفقه على القاضي أبي العلاء صاعد، وكان يقعد للتدريس في النحو وشرح الدواوين وغير ذلك فأما الحديث فما أعلم أنه نُقل عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه لعدم السماع له.

فصل الهمة وما بعدها في الآباء

٢٠٥ - «أبو بكر المستملي» محمد بن أبان. وزير البلخي أبو بكر المستملي كان ثقة حافظاً مصتفاً مشهوراً، حدث عنه البخاري وغيره أصحاب الكتب الصحاح.

٢٠٦ - «محمد بن أبان الجعفي الكوفي» محمد بن أبان بن صالح. الجعفي القرشي الكوفي، ضعفه ابن معين وقال البخاري ليس بالقوي يتكلمون في حفظه، قال أحمد بن حنبل: كان من دعاة المرجئة، قال الشيخ شمس الدين الذهبي كذا أورد العُقيلي في ترجمة هذا وإنما الذي قال فيه أحمد هذا محمد بن أبان الجعفي يروي عن أبي إسحاق وحماد وعبد العزيز بن رُفيع، توفي سنة سبعين ومائة.

٢٠٧ - «الإمام ابن أبان القرطبي» محمد بن أبان سيد. ابن أبان أبو عبد الله اللخمي القرطبي، كان عارفاً باللغة والغريب والنسب والأخبار، أخذ عن أبي علي القالي وكان مكيناً عند المستنصر المغربي، توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

٢٠٨ - «الكاتب الشاعر» محمد بن أبان الكاتب. يكنى أبا جعفر أديب حسن البلاغة كان يكتب لنصر بن منصور بن بسام ثم أتهم بالزندقة فحُبس في بغداد ثم أطلق، له قصيدة يصف فيها سامراء، من شعره [الطويل]:

إذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ	وكننت أجازيه فأين التفاضلُ
إذا ما دهاني مَفْصِلٌ فقطعته	بقيتُ وما لي للنهوض مفاصلُ
ولكن أدأويه فإن صَحَّ سَرْنِي	وإن هو أعى كان فيه تحاملُ

توفي المذكور...

٢٠٩ - محمد بن أبي بن كعب. توفي سنة ثلاث وستين للهجرة.

٢١٠ - «أبو أمية الحافظ» محمد بن إبراهيم. أبو أمية البغدادي ثم الواسطي الحافظ، رحل وطوّف وصنّف، وثقه أبو داود وغيره، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائة.

٢١١ - «ابن المواز المالكي» محمد بن إبراهيم بن زياد. الإمام أبو عبد الله المواز بالواو المشددة والزاي الإسكندراني المالكي صاحب التصانيف المشهورة، له تصنيف حافل في الفقه رواه ابن أبي مَطَر وابن مُبَشَّر عنه قدم دمشق صحبة ابن طولون وانتهت إليه رئاسة المذهب والمعرفة بتفريعه ودقائقه، توفي سنة إحدى وثمانين ومائتين.

٢١٢ - «الإمام ابن المنذر» محمد بن إبراهيم بن المنذر. الإمام أبو بكر النيسابوري الفقيه صاحب التصانيف، توفي سنة ثمان عشرة وثلاثمائة بمكة، قال أبو إسحاق في «كتاب الطبقات»: صنّف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنّف مثلها واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف انتهى، ومن

٢٠٤ - «معجم الأدباء» لياقوت (١١٦/١٧ - ١١٧)، و«بغية الوعاة» للسيوطي (٧١١)، و«كشف الظنون» لحاجي

كتبه المشهورة «كتاب الإشراف» وهو كتاب كبير في اختلاف العلماء وله «المبسوط» وهو أكبر منه في اختلاف العلماء وله «كتاب الإجماع» وهو صغير.

٢١٣ - «الفزاري المنجم» محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سليمان بن سُمرة بن جُندب. الفزاري الكوفي، كان عالماً بأمر النجوم له قصيدة تقوم مقام الزيجات وهي مزدوجة، قال المرزباني: تدخل هي وشرحها في عشرة أجيال أولها [الرجز]:

الحمد لله العلي الأعظم ذي الفضل والمجد الكبير الأكرم
الواحد الفرد الجواد المنعم
الخالق السبع العلى طباقاً والشمس يجلو ضوءها الأغساقا
والبدر يملأ نوره الآفاقا
والفلك الدائر في المسير لأعظم الخطب من الأمور
يسيرُ في بحرٍ من البحور
فيه النجوم كلها عوامل منها مقيم دهره وزائل
فطالعٌ منها ومنها آفل

قال فيه يحيى بن خالد البرمكي: أربعة لم يدرك مثلهم الخليل بن أحمد وابن المقفع وأبو حنيفة والفزاري.

٢١٤ - «العلوي الخارج» محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم. المعروف ببطّابا بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان خطيباً شاعراً خرج في أيام المأمون بالكوفة ولما عزم نصر بن شبيب على الخروج مع محمد المذكور ومَن معه من قيس غيلان ومن أطاعه من غيرهم أنشده بعض بني عمه ينهاء عن ذلك منها [الكامل]:

يا نَصْر لا يذهب برأيك عُصْبَةٌ تبع الغرور خفيفة أحلامها

٢٠٥ - «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (١١٢٤/٧)، و«الثقات» لابن حبان (١٠٢/٩)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٧٨/٢)، و«تهذيب الكمال» للمزي (١١٥٦/٣)، و«الكاشف» للذهبي (١١٥/١١)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٣١٢)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (١٤٠/٢).

٢٠٦ - «الطبقات» لابن سعد (٢٦٨/٦)، و«تاريخ البخاري الكبير» (٣٤/١)، و«تاريخ البخاري الصغير» (١٥٩/٢) - ٥٢٩ - ٢٦٠، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (١١١٩/٧)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٤٥٣/٣).

٢٠٧ - «معجم الأدباء» لياقوت (٢٦٧/٦).

٢٠٩ - «الطبقات» لابن سعد (٥٥١/٥)، و«تاريخ البخاري الكبير» (٢٧/١)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (٢٠٨/٧)، و«الثقات» لابن حبان (٣٥٧/٥)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٩/٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (١٤٢/٢).

٢١٠ - «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣٣٥/٢).

فَأَنْظِرْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ سَاعَةِ زَلَّةٍ يَبْقَى عَلَيْكَ شَنَاؤُهَا وَلِزَامِهَا
لَا تَعْرِضَنَّ لِمَا يُخَافُ وَبَالَهُ إِنَّ الْخِلَافَةَ لَا يُرَامُ مَرَامُهَا
فَأَضْرِبْ نَصْرَ عَنْ رَأْيِهِ وَوَجْهَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ بِمَالٍ كَثِيرٍ وَسِلَاحٍ وَقَالَ اسْتَعِزْ بِهَذَا وَأَقْلَنِي فَلَمْ
يَقْبَلْ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ [الطويل]:

سَتَغْنِي بِحَمْدِ اللَّهِ عَنْكَ بَعْصِيَّةٌ يَهْتَبُونَ لِلدَّاعِي إِلَى مِنْهَجِ الْحَقِّ
ظَنَّنَا بِكَ الْحُسْنَى فَقَصَّصَتْ دُونَهَا فَأَصْبَحَتْ مَذْمُومًا وَفَارَ ذَوُو الصَّدَقِ
وَمَا كُلُّ شَيْءٍ سَابِقٌ أَوْ مَقْصَرٌ يَوُؤُلُ بِهِ التَّحْصِيلُ إِلَّا إِلَى الْعِرْقِ
وَدَخَلَ الْكُوفَةَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَمِائَةٍ وَخَطَبَ النَّاسَ وَبَايَعُوهُ وَأَعْطَاهُمُ
الْأَمَانَ فَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْكُوفَةِ فِيهِ [الطويل]:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَلَّتْ بَنُو الْعَبَّاسِ خَلْفَ بَنِي عَلِيٍّ
فَلَمَّا وَصَلَ الْخَبْرَ بِذَلِكَ جَهَّزَ الْحَسَنُ بْنُ سَهْلٍ عَسْكَرًا فَكَسَرَهُ أَبُو السَّرَايَا وَهُوَ الَّذِي قَامَ
بَأَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ مُقَدَّمُ عَسْكَرِهِ ثُمَّ جَهَّزَهُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فَكَبَسَهُ أَبُو السَّرَايَا لَيْلًا وَهُوَ يَنْشُدُ
[الرجز]:

وَجْهِي رَمَحِي وَالْحَسَامُ حَصْنِي وَالرَّمْحُ يُنْبِي بِالضَّمِيرِ عَنِي
وَالْيَوْمُ يَبْدُو مَا أَقُولُ مَنِي

وَمَضَى ذَلِكَ الْعَسْكَرُ الَّذِي نُقِّدَ إِلَيْهِ مَا بَيْنَ قَتِيلٍ وَغَرِيقٍ وَقَتْلَ مُقَدَّمِهِ ثُمَّ رَجَعَ أَبُو السَّرَايَا إِلَى
الْكُوفَةِ ظَافِرًا غَانِمًا فَوَجَدَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ شَدِيدَ الْمَرَضِ فَقَالَ لَهُ أَبُو السَّرَايَا أَوْصِنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ
فَقَالَ مُحَمَّدٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
فَإِنَّهَا أَحْصَنُ جُنَّةً وَأَمْتَعُ عَصْمَةً وَالصَّبْرُ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مَفْزَعٍ وَأَحْمَدُ مَعْوَلٍ وَإِنْ تَسْتَمَّ الْغَضَبُ لِرَبِّكَ وَتَدُومُ
عَلَى مَنَعَ دِينِكَ وَتَحْسَنَ صَحْبَةً مِنْ اسْتِجَابٍ لَكَ وَتَعْدَلَ بِهِمْ عَنِ الْمَزَالِقِ وَلَا تُقَدِّمَ إِقْدَامَ مَتَهَوِّرٍ وَلَا
تَضْجِعَ تَضْجِيعَ مَتَهَاوِنٍ وَأَكْفَفَ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الدَّمَاءِ مَا لَمْ يُوهِنَ ذَلِكَ مِنْكَ دِينًا أَوْ يَصْذَكَ عَنْ
صَوَابٍ وَأَرْفُقَ بِالضَّعْفَاءِ وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ فَإِنَّ مَعَهَا الْهَلَكَةَ وَاعْلَمْ أَنَّ نَفْسَكَ مَوْصُولَةٌ بِدَمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ
وَدَمَكَ مَخْتَلِطٌ بِدَمَائِهِمْ فَإِنْ سَلِمُوا سَلِمْتَ وَإِنْ هَلَكُوا هَلَكْتَ فَكُنْ عَلَى أَنْ يَسْلَمُوا أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى
أَنْ يَعْطَبُوا وَوَقِّرْ كَبِيرَهُمْ وَبِرْ صَغِيرَهُمْ وَاقْبَلْ رَأْيَ عَالِمِهِمْ وَاحْتَمِلْ إِنْ كَانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ جَاهِلِهِمْ يَزْعُ اللَّهُ
حَقِّكَ وَاحْفَظْ قَرَابَتَهُمْ يُحَسِّنِ اللَّهُ نَصْرَكَ وَوَلِّ النَّاسَ الْخَيْرَةَ لِأَنْفُسِهِمْ فِي مَنْ يَقُومُ مَقَامِي لَهُمْ مِنْ آلِ

٢١١ - «مرآة الجنان» لليافعي (٢/١٩٤)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٢/١٧٧).

٢١٢ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/٦٥٧)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢/١٢٦)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (٣٣ - ١٣٥ - ١٤٠).

٢١٣ - «معجم الأدباء» لياقوت (٦/٢٦٨).

٢١٤ - «الكامل» لابن الأثير (٤/١٤٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/٢٤٤).

علي فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيد الله فإني قد بلوث دينه ورضيتُ طريقه فارضوا به وأحسنوا طاعته تحمدوا رأيه وبأسه، ثم مات فدفنه ليلاً فرثاه أبو السرايا بأبيات منها [البسيط]:

عاش الحميد فلما أن قضى ومضى كان الفقيد فمن ذا بعده الخلف

ومن شعر محمد بن إبراهيم أيضاً [الطويل]:

وكنث على جد من امري فزادني إلى الجد جدّاً ما رأيت من الظلم
أيذهب مال الله في غير حقه وينزل أهل الحق في جائر الحكم
لعمرك ما أبصرتها فسألتها وجاوزتها إلا لأمضي في عزمي
كفى عبرة والله يقضي قضاءه بها عظة من ربنا لذوي الجلم

ومنه [الوافر]:

أينقض حقنا في كل وقت على قرب ويأخذه البعيد
فياليت التقرب كان بُعداً ولم تجمع مناسبتنا الجدود

٢١٥ - محمد بن إبراهيم بن صدران. الأزدي السلمي بفتح السين البصري المؤذن، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي، توفي سنة خمسين ومائتين.

٢١٦ - محمد بن إبراهيم بن دينار. المدني، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة.

٢١٧ - «ابن صندل» محمد بن إبراهيم بن دينار. يعرف بابن صندل قال في يوسف بن عبد العزيز بن الماجشون [البسيط]:

إن كنت تطلب علماً نافعاً وهدى فاقصد ليوسف ثم اقصد الحجاج
والرافعي فخذ عنه فإن له عقلاً أصيلاً وتصحیحاً بإبهاج
لا تعدلن بهم ذا فطنة أبداً قاضي القضاة ولا نوح بن دزاج

٢١٨ - «الباخرزي» محمد بن إبراهيم. أبو منصور الباخري من أهل خراسان، نزل بغداد كان يثبّع وعمي آخر عمره وكان يهاجي مثقالاً الواسطي، قال الباخري [الكامل]:

صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيتام عدن لياليا
وقال في مثقال [مرفل الكامل]:

في بنت مثقال يكو ن ذو والزنا وذو اللواط
يعلوئه وعجوزه ويرى بذاك أخا اغتباط

٢١٩ - محمد بن إبراهيم المصري. ويعرف بابن الخراساني كان كيساً كثير النادرة، له مع الحسين الجمل المصري مداعبات وهو القائل [المقارب]:

بكيث وما خلثني باكياً على رسم دار ولا في طلل

ولكن بكائي من حادثٍ تورط فيه حسينُ الجمَلِ
فَمَن للقيادة من بعده لقد كان ناراً بها تشتعل
وَمَن للواط وَمَن للزنا وما حرم الله لا ما أحل

٢٢٠ - «محمد بن إبراهيم التيمي المدني» محمد بن إبراهيم التيمي المدني. الفقيه كان جده الحارث بن صخر من المهاجرين وهو ابن عم أبي بكر الصديق، روى عن أسامة بن زيد وأبي سعيد الخُدري وجابر بن عبد الله وعلقمة بن وقاص وعيسى بن طلحة بن عُبيد الله وطائفة من قدماء التابعين ورأى سعد بن أبي وقاص وغيره وكان أحد الفقهاء الثقات وكان عريف بني تيم، وقد روى له أصحاب الكتب الصحاح الستة، توفي سنة عشرين ومائة.

٢٢١ - «الأمير محمد بن الإمام إبراهيم» محمد بن إبراهيم. الأمير محمد ابن الإمام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، ولي دمشق للمهدي والرشيد وولي مكة والموسم وكان كبير القدر معظماً وهو صاحب أكرموا الشهود، توفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائة، أسند عن عمه المنصور وجعفر بن محمد بن علي وغيرهما.

٢٢٢ - «ابن إبراهيم المدني صاحب مالك» محمد بن إبراهيم بن دينار. المدني مولى جُهينة الفقيه صاحب الإمام مالك رضي الله عنه، توفي سنة تسعين ومائة.

٢٢٣ - «ابن عبدوس صاحب سحنون» محمد بن إبراهيم بن عبدوس. القرشي مولا هم المغربي الفقيه المالكي صاحب سحنون، كان إماماً كبيراً مشهوراً زاهداً عابداً مُجاب الدعوة، توفي سنة ثمانين ومائتين.

٢٢٤ - «البوشنجي الكبير المالكي» محمد بن إبراهيم بن سعيد. الإمام الكبير البوشنجي العبدي الفقيه المالكي شيخ أهل الحديث في زمانه بنيسابور، رحل وطوّف وصنّف وكان إماماً في اللغة وكلام العرب، توفي غرة المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين وصلى عليه إمام الأئمة ابن خزيمة.

٢٢٥ - «ابن إبراهيم محدث دمشق» محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن مروان. القرشي الدمشقي أبو عبد الله محدث دمشق في وقته، قال عبد العزيز الكناني: كان ثقة مأموناً جواداً، توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

٢٢٦ - «خازن كتب الصحاح المسند» محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان. أبو بكر المقرئ الحافظ مُسند أصبهان، طوف الشام ومصر والعراق وسمع في قريب خمسين مدينة، قال ابن مردويه: هو ثقة مأمون صاحب أصول وكان خازن كتب الصحاح بن عباد، توفي سنة إحدى

٢١٥ - «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (١٥٧٥/٧)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (١١/٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (١٤١/٢).

٢١٧ - «تاريخ البخاري الكبير» (٢٥/١)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (١٥٤٤/٧)، و«الثقات» لابن حبان (٣٩/٩)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٨/٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (١٤٠/٢).

وثمانين وثلاثمائة.

٢٢٧ - «ابن المشكالي» محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى. أبو عبد الله الحسيني الطليطلي ويعرف بابن المُشكالي من كبار المُسندين بالأندلس، توفي سنة أربعمائة.

٢٢٨ - «اليزدي مسند أصبهان» محمد بن إبراهيم بن جعفر. أبو عبد الله اليزدي الجرجاني مسند أصبهان في وقته وهو صدوق مقبول، توفي سنة ثمان وأربعمائة.

٢٢٩ - «ابن شق الليل» محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام. أبو عبد الله بن شقّ الليل الأنصاري الطليطلي، كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك حافظاً يعرف الرجال والعلل مليح الخط جيد المشاركة في الفنون لغوياً نحوياً حسن الفضيلة كثير التصانيف وله شعر، توفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة.

٢٣٠ - «الحافظ مربع الأنماطي» محمد بن إبراهيم. أبو جعفر الأنماطي ويعرف بمربع أحد الحفاظين، قال حضرتُ عند الإمام أحمد بن حنبل فذكر حديثاً فقلت: أتأذن لي أن أكتب من محبرتك قال يا هذا هذا ورعٌ مظلمٌ اكتب، أسند الأنماطي عن أبي حذيفة النهدي وغيره وروى عنه المحاملي وغيره وكان ثقة، توفي سنة ست وخمسين ومائتين.

٢٣١ - «أبو حمزة الصوفي البغدادي» محمد بن إبراهيم. أبو حمزة الصوفي البغدادي أستاذ البغداديين، قال ابن الجوزي في «المرآة»: هو أول من تكلم ببغداد في هذا المذهب من صفاء الذكر وجمع الهمّ والمحبة والشوق والقرب والأنس لم يسبقه إلى الكلام بهذا على رؤوس المنابر ببغداد أحدٌ وما زال مقبولاً حسن المنزلة عند الناس إلى أن توفي سنة تسع وستين ومائتين ودُفن بباب الكوفة في بغداد وكان عالماً بالقراءات، جالس الإمام أحمد وكان إذا جرى في مجلس أحمد شيء من كلام القوم يلتفت إلى أبي حمزة ويقول ما تقول في هذه المسألة يا صوفي، وصحب سرياً والجنيد وحسناً المسوحي وغيرهم وقدم مكة والمدينة وتكلم بهما مراراً، ومن كلامه: من رُزق ثلاثة أشياء نجا من الآفات بطنٌ جائعٌ مع قلبٍ قانع وفقرٌ دائمٌ مع زهدٍ حاضر وصبرٌ كاملٌ مع ذكرٍ دائم، وسئل عن الأنس فقال ضيقُ الصدر من معاشرة الخلق، سمع إنساناً يلوم آخر على إظهار وجهه وغلبة الحال عليه في مجلس بعض الأضداد فقال: يا أخي الوجد الغالب يُسقط التمييز ويجعل الأماكن كلها مكاناً واحداً والأعيان عيناً واحدة، وما أحسن قول القائل هما لابن الرومي [الكامل]:

٢٢٠ - «تاريخ البخاري الكبير» (٢٢/١)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (١٨٤/٧)، و«الثقات» لابن حبان (٣٨/٥)، و«سير الأعلام» للذهبي (٢٩٤/٥)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٣٣٥/٢)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٣٥/٧)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (٥١٩)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (١٤٠/٢).

٢٢١ - «الكامل» لابن الأثير (٦٣/٤).

٢٢٣ - «طبقات الفقهاء» للشيرازي (١٣٤)، و«الكامل» لابن الأثير (٤٥٤/٤)، و«البيان المغرب» لابن عذاري (١/١١٦)، و«الديباج» لابن فرحون (٢٣٧ - ٢٣٨)، و«علماء إفريقية» للخشني (١٨٢).

٢٢٤ - «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢٠٧/٢ - ٢٠٨).

فدع الملامة للمحب فإنها بئس الدواء لموجع مقلق
لا تطفئن جوى بلوم إنه كالريح تُغري النارَ بالإحراق

وخرج جماعة من بغداد يستقبلونه عند قدومه من مكة فإذا به قد شحب لونه فقيل له: يا سيدي هل تتغير الأسرار بتغير الصفات قال معاذ الله أن تتغير لو تغيرت لهلك العالم ولكنه ساكن الأسرار فحملها وأعرض عن الصفات فلاشاها ثم أنشد [مجزوء الرجز]:

كما ترى صيّرني قطع قفار الدمن
شردني عن وطني كأتني لم أكن
إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبي
يقول لا تشهد ما تشهد أو تشهدني

٢٣٢ - «ابن قحطبة البغدادي المؤدب» محمد بن إبراهيم بن قحطبة. البغدادي المؤدب بالباء قال ابن أبي حاتم: صدوق، توفي في عشر الستين والمائة.

٢٣٣ - «محمد ابن شاهين البغدادي» محمد بن إبراهيم بن حفص بن شاهين. أبو الحسن البغدادي، سمع الكثير وحدث عن يوسف بن موسى القطان وغيره وروى عنه الدارقطني وغيره كان ثقة، خرج من الحمام في رمضان وهو في عافية فمات فجاءة سنة عشرين وثلاثمائة.

٢٣٤ - «ابن عبد ربه الهذلي» محمد بن إبراهيم بن عبد ربه. أبو عبد الله الهذلي من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نيسابوري، رحل في طلب العلم وصنف الكتب وكان فاضلاً خرج حاجاً فأصابته جراحة في نوبة القرمطي فرد إلى الكوفة ومات بها، حدث عن أبي الحسن بن جوصا وغيره وروى عنه الدارقطني وغيره، توفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة كان ثقة.

٢٣٥ - «أبو عمرو الزجاجي النيسابوري» محمد بن إبراهيم بن يوسف. أبو عمرو الزجاجي النيسابوري أحد المشايخ في وقته، صاحب الجند والثوري والخواص وغيرهم جاور بمكة وصار شيخ الحرم وحج سبعين حجة ولم يبل ولم يتغوط في الحرم أربعين سنة وكان يخرج إلى الحل فيقضي حاجته ثم يرجع وكان يجتمع الكناني والنهرجوري والمُرّعش وغيرهم في حلقة وهي صدر الجميع فإن اختلفوا في شيء رجعوا إلى قوله وهو المنظور إليه، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة.

٢٣٦ - «أبو بكر الصالح الزاهد» محمد بن إبراهيم بن أحمد. أبو بكر كان مقيماً بأصبهان وكان صالحاً زاهداً يحج ماشياً من أصبهان إلى مكة كثيراً، كان ثقة، توفي بهمدان سنة سبع وعشرين وأربعمئة.

٢٢٩ - «بغية الوعاة» للسيوطي (١/١٥)، و«نفح الطيب» للمقري (٦/١٣٥ - ١٣٧)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١٤٥٢).

٢٣١ - «كشف المحجوب» (١٩٤)، و«الرسالة القشيرية» (ص ٢٤).

٢٣٧ - «الجرباذقاني الصالح بن محمد دادا» محمد بن ابراهيم بن الحسين. أبو جعفر الجرباذقاني قرية من عمل أصبهان، انقطع إلى العلم والعبادة وأقام بأصبهان وبغداد وصحب أبا الفضل بن ناصر حتى مات في ذي الحجة سنة خمسين وخمسمائة ودفن بالشونيزية وقيل سنة تسع وأربعين، ومن شعره [الطويل]:

أيا ليت أسباب المنايا أراحت فإني أرى في الموت أرواح راحة
وموت الفتى خير له من حياته إذا ظهرت أعلام سوء ولاحت

٢٣٨ - «ابن الكيراني الواعظي الشافعي» محمد بن ابراهيم بن ثابت بن ابراهيم بن فرح الكناني. المقرئ الواعظ الأديب المصري المعروف بالكيزاني نسبة إلى عمل الكوز، قال ابن خلكان رحمه الله تعالى: كان زاهداً ورعاً، وبمصر طائفة يُنسبون إليه ويعتقدون مقالته، وله ديوان شعر مشهور أكثره في الزهد ولم أقف عليه وسمعت له بيتاً واحداً أعجبنى وهو [الخفيف]:

وإذا لاق بالمحب غراماً فكذا الوصل بالحبيب يليق

وقال صاحب المرأة: كان يقول: أفعال العباد قديمة ولما توفي سنة ستين وخمسمائة دُفن عند الشافعي رحمه الله بالقرافة فبعث عليه الخيوشاني ونشبه في أيام صلاح الدين وأخرجه ودفن في مكان آخر، قال ابن خلكان: نقل إلى سفح المقطم بقرب الحوض المعروف بأَم مودود وقبره هناك مشهور، وقال صاحب المرأة: وكان زاهداً قنوعاً من الدنيا باليسير، فصيحاً ومن شعره [مجزوء الكامل]:

اصرفوا عني طيبي ودعوني وحببي
عللوا قلبي بذكرا ه فقد زاد لهيبي
طاب هتكي في هواه بين واش ورقيب
لا أبالي بفوات النفس س ما دام نصيبي

وقال [مجزوء الرمل]:

ليس من لام وإن أطل نب فيه بمُصيب
جسدي راضٍ بسقمي وجفوني بنحبيبي

وقال [الكامل]:

يا من يتيه على الزمان بحسنه اعطف على الصب المشوق التائه
أضحى يخاف على احتراق فؤاده أسفاً لأنك منه في سودائه

قلت وهذا معنى مشهور أشبه شيء بقول الأرجاني [الكامل]:

يرمي فؤادي وهو في سودائه أتراه لا يخشى على حوبائه

وقول الآخر [الكامل]:

رفقاً فإنّ مدامعي تطفئيه
وأحذز على قلبي فإنك فيه
فأخشى أن تكون من السبايا

يا محرقاً بالشمع وجه محبته
حرق بهذي النار كل جوارحي
وقول الأرجاني وهو مليح [الوافر]:
ولا تسب القلوب وأنت فيها
وقول:

..... (١).

مسالمة ما بيننا وجميل
فما بال ميعاد الوصال يطول
وأنتم على نقض العهد نزول
شهيد لنا أن ليس عنه نزول
وإن كان منكم هاجر وملول
وإن جاز بين أو جفاك خليل

ومن شعر ابن الكيزاني أيضاً [الطويل]:
أسكن هذا الحي من آل مالك
ألم تعدونا أن تزوروا وتكرموا
وحلثم عن الوعد الجميل ملالة
وإننا لنستبقي المودة والهوى
وما منكم بُدّ على كل حالة
دواعي الهوى محتومة فاصطبر لها
ومن شعر ابن الكيزاني [السريع]:

وإنما يُفتَقْدُ الخَيْرُ
إلا إذا ما غَدِمَ النِّيرُ

شريفنا يمضي ومشروفنا
كالجو لا يُغْدَمُ إظلامه
ومنه [الخفيف]:

ويرى بذلة عليه مَعْرَة
حفظ السر عن أخيه فسرّة
هُ سيلقى ندامة ألف مرّة

أسعد الناس من يُكَاثِمَ سرّه
إنما يعرف اللبيب إذا ما
إن يجد مرّة حلاوة شكوا
ومنه [الطويل]:

وأني لما ألقاه غير حُمُولٍ
وعصيان قلبي للهوى وعذولي
لكنّ على الأيام غير ملولٍ
أفاضت دموعي أم أضّر نحولي

أتزعم ليلى أنني لا أحبّها
فلا ووقوفي بين ألوية الهوى
لو أنظمتني أسهم الهجر كلّها
ولسنت أباي إذ تعلقت حبّها

٢٣٧ - «معجم الأدباء» لياقوت (٢٦٩/٦)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٦٥/٤).

٢٣٨ - «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢٥/٢)، و«خريدة القصر» للأصفهاني.

ومنه [مجزوء الخفيف]:

أني صبر تركتم لي لما رحلتُم فلي فؤاد متيم سائر حيث سرتُم
ثابت تحت حبكم جرتُم أو عدلتُم فبحق الهوى المبرح إلا رحمتُم
أنا في كل حالة عبدكم إن رضيتُم

ومنه [الكامل]:

يا دار هل تجدين وجد الشاكي أو تعطفين على بكاء الباكي
لا تنكري سُقمي فما حكم البلى في مُهجتي إلا لأجل بلاك
أصبحت دائرة الجناح وطالما طاب الهوى وغنيت في مغناك
أحمل إطرابي بعيشك غادري لولاك ما كان الجوى لولاك
ما قصرت نوحاً حمامك الحمى مذ غاب عن قمرتها قمرأك

ومنه [الكامل]:

والله لولا أن ذكرك مؤنسي ما كان عيشي بالحياة يطيّب
ولئن بكت عيني عليك صباة فلكل جارحة عليك نحيب
أتظن أن البعد حلّ مودتي إن بان شخصك فالخيال قريب
كيف السلو وقد تمكّن في الحشا وجدّ على ما في الفؤاد رقيب
وإليك قد رحل الهوى بحشاشتي والسقم مشتمل وأنت طبيب

٢٣٩ - محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سَخْتَوَيْه بن عبد الله. المحدث المزكي أبو إسحاق النيسابوري أحد الأخوة الخمسة وأصغرهم، حدّث عن والده وغيره وكان صحيح السماع، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

٢٤٠ - «أبو عبد الله المقرئ البغدادي» محمد بن إبراهيم بن محمد. أبو عبد الله المقرئ البغدادي، أقام بمكة وحدث بها وكان ديناً زاهداً من أهل القرآن والحديث والفقه والخلاف والنحو، روى عن جماعة كأبي علي بن أحمد بن علي التستري البصري وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن الشمخاني وأبي إسحاق بن علي الطبري وأبي عبد الله محمد بن أحمد البرقي وأبي القاسم ميمون بن علي الميموني وإبراهيم بن عبد الله البغدادي وروى عنه أبو المظفر محمد بن علي بن الحسين الشيباني الطبري قاضي مكة، توفي بالكوفة منصرفاً من الحج سنة ست عشرة وخمسمائة.

٢٤١ - «ابن خيرة» محمد بن إبراهيم بن خيرة. أبو القاسم بن المراعيني الإشبيلي، كان من أعيان إشبيلية سما بفضلته وارتقى إلى أن كتب عن ملك إشبيلية السيد بن حفص، صنف في الأدب «كتاب ريحان الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب» وهو كتاب حسن في الأدب

ملكته في مجلدين كبار وهو كتاب مُمتع، وأورد له ابن الإمام من الشعر قوله [الكامل]:

رعيأً لمنزلنا الخصيب وظلّه
واسقى الثرى النجديّ سخّ ربابه
واهاً على ذاك الزمان وطيبه
.....
واهاً على ساداته لا أدعي
كَلَفاً بزِينبه ولا بربابه
ومن شعره أيضاً [البسيط]:

يا من له منطقٌ كالدرّ في نَسَقِ
يزهَى به الحبر في وشي من الحبرِ
ويُشرق الطرس ممشوقاً بأنْطَره
كأنما هو مشتقٌّ من الحَوْرِ
ومنه أيضاً [المتقارب]:

لك الأنمل السُّبُطُ أَقلامُها
تغصّ بخمس على سادسِ
فَطَوَّراً تخطّ بقرطاسها
وطوراً تقطّ طَلَى الفارسِ
فريحان خطّك روضُ المُنَى
تعلق من خُوطه المائِسِ

٢٤٢ - «ابن هاني المغربي» محمد بن إبراهيم بن هانيء. أبو القاسم وأبو الحسن الأزدي الأندلسي الشاعر المشهور، قيل إنه من ولد يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وقيل من ولد أخيه رَوْح، وكان أبوه شاعراً من قرية من قرى المهديّة انتقل إلى الأندلس فوُلِدَ له محمد المذكور بإشبيلية ونشأ بها وحصل حظاً وافراً من الأدب وتمهّر في النظم واتصل بصاحب إشبيلية وحظي عنده وكان منهمكاً على اللذات متهماً بمذهب الفلاسفة فنقم عليه وعلى الملك أيضاً أهل إشبيلية فأشار عليه بالغيبة فانفصل عنها وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة فلقى جَوْهر القائد فامتدحه وتوجّه إلى المسيلة ونمي خبره إلى تميم بن المعزّ فطلبه فجاءه وأكرمه وبالغ في الإنعام عليه وتوجّه المعزّ إلى الديار المصرية فشيّعه ابن هانيء ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والالتحاق به فلما وصل إلى بركة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياماً فقبل إنهم عريدوا عليه فقتلوه وقيل بل خرج من عندهم سكراناً فنام في الطريق فأصبح ميتاً ولم يُعلم سبب موته وكان موته سنة اثنتين وستين وثلاثمائة كذا قيّده ابن خُلّكان، وقال صاحب المرأة: سنة خمس وستين ولما بلغت المعزّ وفاته تأسّف عليه وقال: هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يُقدّر لنا قال ابن خُلّكان: وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متأخريهم بل هو أشعرهم على الإطلاق وهو عندهم كالمتنبّي في المشاركة وكانا متعاصرين، قلت أما أبو العلاء المعريّ فكان يقول عن شعره هو يَعْزُّ مفضّضٌ وإذا سمعه يقول رحنّ تطحن قروناً وهذا من التعصّب المفرط لأن شعره يُرَشِّفُ خندريساً، ويكيّف من أشعار غيره شمساً، ومن شعره القصيدة الفائية التي أولها [الطويل]:

أَيْلَتْنَا إِذْ أُرْسَلَتْ وَارِداً وَخُفَا
وبتنا نرى الجوزاء في أذنّها شنفا

وبات لنا ساقٍ يُديرُ مدامةً بشمعة صبحٍ لا تقطُ ولا تُطفأ
منها بعد تشبيه كثير في النجوم [الطويل]:

كَأَنَّ سُهَاهَا عَاشَقٌ بَيْنَ عُرْدٍ فَأَوْنَةٌ يَبْدُو وَأَوْنَةٌ يَخْفَى
عارضه في هذه القصيدة جماعة ونسجوا على منواله ولم يتمسكوا في الحسن بأذياه منهم
أبو محمد الخفاجي من قصيدته المشهورة [الطويل]:

كَأَنَّ السَّهَى إِنْسَانٌ عَيْنٌ غَرِيقَةٌ من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفاً
أنشدني الشيخ الإمام شهاب الدين محمود لنفسه إجازةً [الطويل]:

كَأَنَّ السَّهَى صَبَّ سَهَا نَحْوُ الْفَهْ يراعي الليالي جفنه لا ينامها
وأنشدني بعض أهل العصر لنفسه [الطويل]:

كَأَنَّ السَّهَى كَشَافٌ حَرْبٍ لَدَى الْوَعَى ففي كرهه يبدو وفي فِرهه يخفى
وقال أبو إسحاق الغزي القديم [الطويل]:

كَأَنَّ السَّهَى جَسْمِي فَلَيْسَ بِشَاهِدٍ ولا غائبٍ من شدة السقم البرح
وقال ابن حمديس [الطويل]:

كَأَنَّ السَّهَى مُضْنَى أَتَاهُ بِنَعَشِهِ بنوه وظنوا أن ميتته حتم
وكلهم ما أصاب شاكلة الرمي غيره، ومن شعره أيضاً القصيدة المشهورة أولها [الكامل]:

فَتَقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجَلَادِ بَعْنَبِرٍ وأمدكم فلقُ الصبح المُسْفِرِ
وجنيتُم ثمرَ الوقائع يانِعاً بالنصر من ورق الحديد الأخضرِ

منها [الكامل]:

لا يأكل السرحان شلَوْ طعينهم مما عليه من القنا المتكسرِ

طعن بعضهم في هذا وقال هو بالذم أشبه منه بالمدح لأنه وصفهم أنهم يجتمعون جماعةً
على العدو وتتكسر رماحهم عليه حتى يقدروا عليه، قلت ويحتمل أن يكون القتل منهم أي
الطين من الممدوحين فلا يموت حتى تتكسر عليه رماح أعاديهم وهو ظاهر، ومن شعره القصيدة
النونية التي منها [الكامل]:

المُشْرِقَاتُ كَأَنَّهُنَّ كَوَاكِبُ والناعماتُ كَأَنَّهُنَّ غُصُونُ
بيضُ وما ضحك الصباخُ وإنما بالمسك من غرر الحسان يخونُ

منها [الكامل]:

أَعْيِرَ لِحْظَ الْعَيْنِ بِهِجَةً مَنْظِرٍ من بعدهم إني إذا لخؤون

لا الجَوْ جَوْ مُشْرِقٌ وإن اكتَسَى
منها في الخيل [الكامل]:

عُرِفَتْ بساعةٍ سَبَقَهَا لا إنها
وأجلَ علمِ البرقِ فيها أنها
والقصيدة الفائية الأخرى التي منها [الكامل]:

ولقد هزرتُ غصونَهَا بثمارها
فرددتها من راحتِيه مُرَّةً
ما كان أفتكني لو أختَرطت يدي
وأخذ هذا المعنى ناصح الدين الأزجاني [الكامل]:

عجب الخلائق من فؤاد فتى
يلتذُّ ما أصمَاه قاتله
أشجع بقلبي حين ترشقه
وقوله [الرملة]:

امسحوا عن ناظري كحل السهاد
أو خذوا مِنِّي ما أبقيتُموا
منها في وصف الدروع [الرملة]:

كل رقراق الحواشي فوقه
فعلى الأجساد وقد من سنا
وقوله [الكامل]:

فتكات طرفكِ أم سيوف أبيكِ
أجلادُ مرهفَةٍ وفتكٍ مَحاجرٍ
منها [الكامل]:

منعوك من سِنَّة الكرى وسروا
ودَعوكِ نشوى ما سقوكِ مدامةً
فلو عَثَرُوا بطيفِ طارقٍ ظنوكِ
لَمَّا تمايلَ عِطْفُكِ اتهموكِ

٢٤٣ - «أبو بكر العطار الحافظ» محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم. أبو بكر العطار الحافظ الأصبهاني كان عظيم الشأن ببلده عارفاً بالرجال والمتون وهو إمام ثقة، توفي سنة ست وستين وأربع مائة.

٢٤٤ - «ابن غريب الحال» محمد بن إبراهيم بن غريب الحال. أبو بكر، طلب الحديث بنفسه وكتب بخطه فسمع أَبُو يَحْيَى الحسین أحمد بن عبد الله بن الخضر السوسنجردی وعلي بن محمد بن عبد الله بن بشران وأبا الحسن علي الحماصی، وحدثت بالسیر روی عنه أبو علي ابن البتاء في مَشِيخَتِهِ وروی عنه الخطيب وكتب عنه أناشيد، توفي سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

٢٤٥ - «ابن زروقة» محمد بن إبراهيم بن خلف. اللخمي الأديب ويعرف بابن زروقة، قال ابن بَشْكُوَال: كان من أهل الأدب معتنياً بطلبه قديماً مشهوراً فيه ممن يقول الشعر الحسن له التأليفات في الأدب والأخبار، ومن شيوخه أبو نصر النحوي وابن أبي الحَبَاب وغيرهما، وتوفي في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة وهو ابن سبع وستين سنة، ومن شعره (١)

٢٤٦ - «أبو سعيد البيهقي» محمد بن إبراهيم بن أحمد البيهقي أبو سعيد، قال عبد الغافر: رجلٌ فاضل متدينٌ حسن الطريقة حسن العقيدة، صنف في اللغة «كتاب الهداية» «كتاب الغنية» وسمع الحديث من مشايخ نيسابور كالإمام شيخ الإسلام الصابوني والإمام ناصر المروزي.

٢٤٧ - «محمد بن إبراهيم الأسدي» محمد بن إبراهيم. أبو عبد الله الأسدي، ولد بمكة سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وتوفي سنة خمسماية، سافر إلى البلاد ولقي العلماء وخدم الوزير أبا القاسم المغربي، وقال العماد الكاتب: هو من أهل مكة لقي أبا الحسن التهامي في صباه، مولده بمكة ومنشؤه بالحجاز وتوجه إلى العراق ثم ورد خراسان وعُمرَ إلى أن بلغ حدَّ المائة ولقي القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة وتوفي بغزنة، ومن شعره: [الطويل]

كَفَى حَزْناً أَتَى خَدَمَتِكَ بُرْهَةً وَأَنْفَقْتُ فِي مَدْحِكَ شَرْخَ شَبَابِي
فَلَمْ يُرَ لِي شُكْرٌ بِغَيْرِ شُكَايَةٍ وَلَمْ يُرَ لِي مَدْحٌ بِغَيْرِ عِتَابِ

قال سبط ابن الجوزي: ومن بديع شعره [الخفيف]:

قَالَ ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مَرَاراً قَلْتُ ثَقُلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي
قَالَ طَوَّلْتُ قَلْتُ لَا بَلْ تَطَوَّ لَتْ وَأَبْرَمْتُ قَلْتُ حَبْلَ الْوُدَادِ

قلت وهذا من أنواع البديع وهو الذي يُسمَّى أرباب البلاغة القول بالموجب وله نظائر كثيرة منها قول الشيخ صدر الدين ابن الوكيل [الطويل]:

وَبِي مَنْ قَسَا قَلْباً وَلَانَ مَعَاظِفاً إِذَا قَلْتُ أَدْنَانِي يُضَاعِفُ تَبْعِيدي
أَقْرُ بِرِقْ إِذْ أَقُولُ أَنَا لَهُ وَكَمْ قَالَهَا أَيْضاً وَلَكِنْ لَتَهْدِيدِي

وقول محاسن الشَّوَاء [الطويل]:

وَلَمَّا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ عِدْمَتَهُمْ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا لِلْخِمِّي قَارِضُ
وَقَدْ يَهْتَوُوا لَمَّا رَأَوْنِي شَاحِباً وَقَالُوا بِهِ عَيْنٌ فَقَلْتُ وَعَارِضُ

وقولي أنا [الكامل]:

وَلَقَدْ أَتَيْتُ لَصَاحِبٍ وَسَأَلْتَهُ فِي قَرْضِ دِينَارٍ لِأَمْرِ كَانَا

فأجابني واللّه داري ما حوت عينا فقلت له ولا إنسانا؟

٢٤٨ - «محمد الشرش» محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد. أبو عبد الله التلمساني الأنصاري المعروف بالشرش بالشين المعجمة، قال الشيخ قطب الدين اليونيني: ذكره أبو المظفر منصور بن سُلَيم في «تاريخ الإسكندرية» وقال شيخُ حسنٍ من أهل الديانة والخير والعفاف والصيانة، سمعَ الحديثَ بالمغرب وبمكة وبغيرهما وسكن الإسكندرية وحَدَّثَ بها وكان ثقةً صالحاً سُئل عن مولده فقال سنة أربع وستين وخمسمائة بتلمسان، توفي ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة بالإسكندرية ودفن ما بين الميناوين وكان يوماً مشهوداً.



آخر الجزء الأول من كتاب الوافي بالوفيات

ويتلوه إن شاء الله تعالى محمد بن إبراهيم ابن عمر

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً



٢٤٥ - «معجم الأدباء» لياقوت (١٢/١٧)، و«معجم المؤلفين» لكحالة (١٩٨/٨).

(١) بياض في الأصل.

٢٤٦ - «معجم الأدباء» لياقوت (٦/٢٧٠).

محتوى الجزء الأول من كتاب الوافي بالوفيات

- الأثير ابن بنان الكاتب، محمد بن محمد بن محمد ٢١٥
 الأدرسي، محمد بن محمد بن عبد الله ١٣٨
 ابن الأديب الشاعر، محمد بن محمد بن عمر ١١٥
 ابن الأديب أبو الفتح الكاتب البغدادي، محمد بن محمد ١١١
 الأسد ابن جمال الدين ابن مالك، محمد بن محمد بن عبد الله ١٦٧
 الأسعدي نور الدين، محمد بن محمد ١٥٥
 افتخار الدين الحنفي، محمد بن محمد بن محمد ٢١٨
 أبو أمية الحافظ، محمد بن إبراهيم ٢٥١
 الأنصاري أبو محمد، محمد بن محمد بن محمد ٢١٤

ب

- الباخرزي، محمد بن إبراهيم ٢٥٤
 ابن البارنباري تاج الدين القاضي، محمد بن محمد بن عبد المنعم ١٩٥
 ابن الباغددي ٩٧
 بدر الدين ابن مالك، محمد بن محمد بن عبد الله ١٦٥
 بدر الدين الواعظ النيسابوري، محمد بن محمد بن أبي سعد ١٦٤
 البرزالي الحنبلي، محمد بن محمد بن محمود ١٨٨
 أبو البركات ابن خميس، محمد بن محمد بن الحسين ١٣٧
 أبو البركات ابن الطوسي، محمد بن محمد بن عبد القاهر ١٤٠
 برهان الدين النسفي، محمد بن محمد بن محمد ٢١٦
 البروي الشافعي، محمد بن محمد بن محمد ٢١٤
 ابن بطة والد عبيد الله، محمد بن محمد بن حمدان ١٣٧
 ابن أبي البقاء البلنسي، محمد بن محمد بن سليمان ١٧٣
 أبو بكر الزاهد، محمد بن إبراهيم بن أحمد ٢٥٧
 أبو بكر ابن كوتاه، محمد بن محمد بن عبد الجليل ١٣٨
 أبو بكر اللبّاد المالكي، محمد بن محمد بن وشاح ١١٧

- أبو بكر المستملي، محمد بن أبان ٢٥١
- ابن بنان الكاتب، محمد بن محمد بن محمد ٢١٥
- بهاء الدين ابن خلكان أخو شمس الدين، محمد بن محمد بن إبراهيم ١٦٥
- البوزجاني الحاسب، محمد بن محمد بن يحيى ١٦٩
- البوشنجي الكبير المالكي، محمد بن إبراهيم بن سعيد ٢٥٥
- البيضاوي أبو الحسن، محمد بن محمد بن عبد الله ١١١
- البيهقي، أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن أحمد ٢٦٤

ت

- ابن تاج الخطباء القوسي، محمد بن محمد بن أحمد ٢٠٢
- التكريتي الشاعر، محمد بن محمد ١٧١
- أبو تمام الزينبي النقيب، محمد بن محمد بن علي ١١١
- ابن التنسي، محمد بن محمد بن محمد ٢٢٠

ج

- ابن الجبلي الفرجوطي، محمد بن محمد ٢٠٣
- الجدائي الكاتب، محمد بن محمد بن المبارك ١٦٢
- الجدوعي القاضي، محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد ١٠١
- الجرباذقاني ابن محمد دادا، محمد بن إبراهيم بن الحسين ٢٥٨
- ابن جعوان شمس الدين، محمد بن محمد بن عباس ١٦٥
- ابن الجعفرية الحلبي، محمد بن محمد بن جعفر ١٨٢
- جمال الدين الدبّاب، محمد بن محمد بن علي ١٤٨
- جمال الدين ابن سالم قاضي نابلس، محمد بن محمد بن سالم ١٦٦
- جمال الدين ابن عمرو النحوي ١٦١
- ابن الجنان الشاطبي، محمد بن محمد ١٤٥
- ابن الجنيد الأصبهاني، محمد بن محمد ١٣٥
- ابن جهور الأزدي، محمد بن محمد ١٧٤
- ابن جهير عميد الدولة الوزير، محمد بن محمد بن محمد ٢١٠

ح

- ١٨٨ ابن الحاج الفاسي العبدري، محمد بن محمد
- ١٠٧ الحاكم الكبير محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق
- ١١٦ الحجاجي المحدث، محمد بن محمد بن يعقوب
- ١٠٩ أبو الحارث نقيب الأشراف بالكوفة، محمد بن محمد بن عمر العلوي
- ١٨٤ ابن خريث، محمد بن محمد بن علي
- ١٣٢ ابن الحساس، محمد بن محمد بن أحمد (المعروف بابن اللّحاس)
- ١١٠ أبو الحسن البصري الشاعر، محمد بن محمد بن أحمد
- ١٠٩ أبو الحسن البغدادي الحنفي، محمد بن محمد بن إبراهيم
- ١١١ أبو الحسن البيضاوي الشافعي ختن الطبري، محمد بن محمد بن عبد الله
- ١٣٦ أبو الحسن ابن القلعي، محمد بن محمد بن الحسين
- ٩٧ أبو الحسن النّفاح المحدث، محمد بن محمد بن عبد الله
- ١٣٥ ابن حسنكويه الفارسي، محمد بن محمد بن الحسن
- ١٧ الحمال المحدث أبو جعفر، محمد بن محمد بن عبد الرحمن
- ٢٥٦ أبو حمزة الصوفي البغدادي، محمد بن إبراهيم
- ١٧٤ ابن حنا الصاحب تاج الدين، محمد بن محمد بن علي

خ

- ١٣٠ الخاتوني البغدادي الكاتب، محمد بن محمد بن الحسين
- ١٣٦ أبو خازم ابن أبي يعلى الحنبلي، محمد بن محمد بن الحسين
- ٢٥٥ ابن الخراساني، محمد بن إبراهيم المصري
- ١٢٨ ابن الخراساني، محمد بن محمد بن الحسين
- ٩٧ الخزاعي أبو الحسين النحوي، محمد بن محمد بن أحمد
- ١٣٩ ابن الخشاب أبو الفتح الكاتب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن
- ١٣٣ أبو الخطّاب البطايحي الشاعر، محمد بن محمد بن أحمد المصّري
- ١٢٩ أبو الخطّاب الطيّب، محمد بن محمد ابن أبي طالب
- ١٩٥ الخطيب بدر الدين، محمد بن محمد بن عبد الرحمن
- ٢١٧ خطيب جامع حماة، محمد بن محمد بن محمد موفق الدين
- ٢٢٠ ابن خطيب الزنجيلية، محمد بن محمد بن محمد

- الخطيب الكشميهني، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ١٣٩
 ابن خلكان بهاء الدين، محمد بن محمد بن إبراهيم أخو شمس الدين ١٦٥
 ابن خميس أبو البركات، محمد بن محمد بن الحسن ١٣٧
 الخواجا نصير الدين الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن ١٤٨
 ابن خيرة، محمد بن إبراهيم ٢٦٠
 الخيشي النحوي، محمد بن محمد بن عيسى ١٠٩

د

- ابن الدبّاب جمال الدين، محمد بن محمد بن علي ١٤٨
 الدبّاس، محمد بن محمد بن سفيان أبو طاهر الفقيه ١٣٧
 ابن الدقاق الشافعي الأصولي، محمد بن محمد بن جعفر ١٠٨
 ابن دقيق العيد كمال الدين، محمد بن محمد بن علي ١٩٤
 ابن دمرتاش الشاعر، محمد بن محمد بن محمود ١٨٤
 الدياري النحوي، محمد بن محمد بن الحسن ١٣٥

ذ

- ذو المناقب، محمد بن محمد بن القسم ١٢٩

ر

- أخو الرافعي، محمد بن محمد بن عبد الكريم ١٢٨
 ابن الرسولي الفقيه، محمد بن محمد بن أحمد ١٣٢
 أبو رشيد ابن الغزال، محمد بن محمد بن عبد الله ١٣٨
 ابن رشيق قاضي الإسكندرية، محمد بن محمد بن الحسين ١٨٣
 ركن الدين العميدي، محمد بن محمد بن أحمد ٢١٥
 ركن الدين ابن القوبع، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ١٨٨

ز

- الزجاجي النيسابوري أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن يوسف ٢٥٧
 ابن زروقة، محمد بن إبراهيم بن خلف ٢٦٤
 زعيم الكفاة ابن المعوج، محمد بن محمد بن الحسين ١٣٦

- ابن الزوال، محمد بن محمد بن أحمد ابن المأمون ١٠٨
 زين الأيمة الحنفي الضرير، محمد بن محمد ١٣٧
 زين الدين الكوفي المحدث، محمد بن محمد بن أبي بكر ١٦٣

س

- ابن سختويه، محمد بن إبراهيم بن محمد ٢٦٠
 السطيل مذهب الدين الحاسب الشاعر، محمد بن محمد بن إبراهيم ١٤٧
 سعد الدين ابن عربي، محمد بن محمد بن علي ١٥٣
 أبو سعيد البيهقي، محمد بن إبراهيم بن أحمد ٢٦٤
 السفاقسي المالكي شمس الدين، محمد بن محمد ٢٠٩
 ابن السكون الكاتب الحلبي، محمد بن محمد بن ثابت ١٣٠
 ابن سكينه، محمد بن محمد بن عبد الوهاب ١٤٠
 ابن سنده المطرزي، محمد بن محمد بن أحمد ١١١
 ابن سهل الوزير، محمد بن محمد ١٨٧
 ابن سيد الناس فتح الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢٢٠

ش

- الشاطبي محي الدين، محمد بن محمد بن إبراهيم ١٦٨
 الشاطبي، محمد بن محمد بن الجنان ١٤٥
 الشاماتي الأديب، محمد بن محمد بن أحمد ١١٠
 ابن شاهين البغدادي، محمد بن إبراهيم بن حفص ٢٥٧
 ابن الشبلي، محمد بن محمد بن أحمد ١٣٢
 ابن الشخير الصيرفي، محمد بن محمد بن عبيد الله ١٤١
 الشرش، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ٢٦٥
 الشريشي القنائي زين الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢١٩
 الشريف المرتضى (ليس أخا الرضي) محمد بن محمد بن زيد بن علي ١٢٦
 الشعباني، محمد بن محمد بن جمهور ١٣٤
 ابن شق الليل، محمد بن إبراهيم بن موسى ٢٥٦
 الشلحي أبو الفرج الكاتب، محمد بن محمد بن سهل ١٠٨
 شمس الدين ابن جعوان، محمد بن محمد بن عباس ١٦٥

- شمس الدين الدمشقي قاضي حلب، محمد بن محمد بن بهرام ١٦٩
 ابن الشهرزوري محي الدين القاضي، محمد بن محمد بن عبد الله ١٧٠
 الشيباني أبو جعفر، محمد بن محمد بن عقبة ٩٧
 شيخ الشرف العيبدلي، محمد بن محمد بن علي ١٠٩
 الشيخ المفيد الشيعي، محمد بن محمد بن النعمان بن المعلم ١٠٨
 ابن الشيرازي شمس الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢١٨

ص

- الصاحب محيي الدين ابن ندى الجزري، محمد بن محمد بن سعيد ١٤٣
 ابن الصايغ ناصر الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢٢٠
 ابن الصايغ نور الدين، محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر قاضي حلب ٢٥٠
 ابن الصايغ أبو اليسر، محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر ٢٤٩
 ابن الصباغ أبو طالب، محمد بن محمد بن عبد الواحد ١٤٠
 ابن الصباغ أبو غالب، محمد بن محمد بن عبد الواحد ١٤٠
 ابن صغير الطيب، محمد بن محمد بن عبد الله ٢٠١
 ابن صندل، محمد بن إبراهيم بن دينار ٢٥٤
 ابن الصيرفي المحدث، محمد بن محمد بن علي ١٨٣

ض

- ابن الضجة المقرئ الشافعي، محمد بن محمد بن عبد كان ١٤٠
 ضياء الدين المالقي الحافظ، محمد بن محمد بن صابر ١٦٣

ط

- أبو طالب ابن غيلان البزاز، محمد بن محمد بن إبراهيم ١١٠
 الطالقاني الصوفي، محمد بن محمد بن محمد ٢١١
 ابن طباطبا العلوي، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ٢٥٢
 الطبري القاضي نجم الدين، محمد بن محمد بن أحمد ١٨٢
 ابن الطوسي أبو البركات، محمد بن محمد بن عبد القاهر ١٤٠
 الطويري والي مظالم القيروان، محمد بن محمد بن خالد ١٠٢

ظ

ابن ظفر، محمد بن محمد ١٢٥

ع

- ابن عباد المقرئ، محمد بن محمد ١٣٧
- ابن عبد ربه الهذلي، محمد بن إبراهيم ٢٥٧
- أبو عبد الله البضاوي، محمد بن محمد بن محمد ٢١٤
- أبو عبد الله المقرئ البغدادي، محمد بن إبراهيم بن محمد ٢٦٠
- ابن عبدك الصوفي، محمد بن محمد بن حسين ١٨٣
- ابن عبدوس صاحب سحنون، محمد بن إبراهيم ٢٥٥
- أبو عثمان ابن الإمام الشافعي، محمد بن محمد بن إدريس ١٠٧
- ابن العربي سعد الدين، محمد بن محمد بن علي ١٥٨
- ابن العربي عماد الدين أخو سعد الدين، محمد بن محمد بن علي ١١٦
- ابن عروس الكاتب، محمد بن محمد ١٢٥
- عز الدين ابن القيسراني، محمد بن محمد بن خالد ٢١٨
- عز الدين ابن الوزير العلقي، محمد بن محمد بن محمد ١١٩
- ابن أخي العزيز العماد الكاتب، محمد بن محمد بن حامد ٢١٩
- ابن عساكر القوصي الشافعي، محمد بن محمد بن محمد ٢٦٣
- العطّار، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي ١٨٨
- ابن العفيف الكاتب، محمد بن محمد بن الحسن ٢١١
- العكبري أبو منصور، محمد بن محمد بن محمد ١٥١
- ابن العلقي الوزير، محمد بن محمد بن علي ١٤٠
- أبو علي الخطيب ابن المهدي، محمد بن محمد بن عبد العزيز ١٣٢
- أبو علي ابن المسلمة، محمد بن محمد بن أحمد
- عماد الدين ابن الشيرازي الكاتب، محمد بن محمد بن هبة الله ١٦٤
- العماد الكاتب، محمد بن محمد بن حامد ١١٩
- أبو عمرو الزجاجي النيسابوري، محمد بن إبراهيم بن يوسف ٢٥٧
- ابن عمرو النحوي جمال الدين، محمد بن محمد بن أبي علي ١٦١
- ابن عمروك البكري شرف الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢١٧

- عميد الدولة ابن جهير الوزير، محمد بن محمد بن محمد ٢١٠
 العميدي ركن الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢١٥
 ابن عيشون المنجم الشاعر، محمد بن محمد بن الحسن ١١٤

ع

- الغافقي قاضي بلنسية أبو القسم، محمد بن محمد بن نوح ١٧٣
 الغالب بالله ابن الأحمر، محمد بن محمد بن يوسف ١٦٧
 ابن غريب الحال، محمد بن إبراهيم ٢٦٤
 ابن الغزال أبو جعفر، محمد بن محمد بن عبد الله ١٣٧
 ابن الغزال أبو رشيد، محمد بن محمد بن عبد الله ١٣٨
 الغزالي أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد ٢١١
 أبو الغنائم (ابن) المعوج، محمد بن محمد بن محمد ٢١٤
 أبو الغنائم ابن المهتدي، محمد بن محمد بن أحمد ١٣٢
 ابن غيلان البزاز، محمد بن محمد بن إبراهيم ١١٠

ف

- الفارابي أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان ١٠٢
 أبو الفتح الخُزيمي الواعظ، محمد بن محمد بن علي ١٤٢
 أبو الفتح ابن الخشاب، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ١٣٩
 أبو الفتح الكاتب البغدادي ابن الأديب، محمد بن محمد ١١١
 فخر الدولة ابن جهير الوزير، محمد بن محمد ١١١
 فخر الدين ابن التتبي، محمد بن محمد بن عقيل ١٦٦
 أبو الفرج الشلحي الكاتب، محمد بن محمد بن سهل ١٠٨
 الفرجوطي ابن الجبلي، محمد بن محمد ٢٠٣
 الفرضي البغدادي، محمد بن محمد بن أبي حنيفة ١٢٧
 الفلنقي المقرئ، محمد بن محمد بن عبد الله ١١٥

ق

- ابن القاهر، محمد بن محمد ١٠٧
 ابن قحطبة البغدادي، محمد بن إبراهيم ٢٥٧

- قرطف ابن الأديب الشاعر، محمد بن محمد بن عمر ١١٥
 ابن قرناص ناصر الدين، محمد بن محمد بن عبد الرحمن ١٥٨
 ابن قزمي، محمد بن محمد بن الحسن ١٢٧
 ابن القلاس قوس الندف، محمد بن محمد بن سعد الله ١٣١
 ابن القلعي الكاتب، محمد بن محمد بن الحسين ١٣٦
 ابن القوبع ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن ١٨٨

ك

- الكاتب الأصفهاني عماد الدين، محمد بن محمد بن حامد ١١٩
 الكامل ابن العادل، محمد بن محمد بن أيوب ١٥٩
 الكشميهني الصالح، محمد بن محمد بن محمود ١٧١
 الكنجي، محمد بن محمد بن أبي بكر ١٨٣
 ابن كوتاه أبو بكر، محمد بن محمد بن عبد الجليل ١٣٨
 الكوفي المحدث زين الدين، محمد بن محمد بن أبي بكر ١٦٣
 ابن الكيزاني الواعظ، محمد بن إبراهيم بن ثابت ٢٥٨

ل

- اللباد أبو بكر، محمد بن محمد بن وشاح ١١٧
 ابن لنكك، محمد بن محمد بن جعفر ١٣٤

م

- محمد ﷺ النبي ٦٢
 ابن المأمون، محمد بن محمد بن أحمد ١٠٨
 ابن محرز الزهري البلسي الشاعر، محمد بن محمد بن أحمد ١٦٢
 محمد بن آدم، أبو المظفر الهروي ٢٥٠
 محمد بن إبان أبو بكر المستملي ٢٥١
 محمد بن إبان بن سيد القرطبي ٢٥١
 محمد بن إبان بن صالح الجعفي الكوفي ٢٥١
 محمد بن إبان الكاتب الشاعر ٢٥١
 محمد بن إبراهيم بن أحمد أبو بكر الزاهد ٢٥٧

- ٢٦٤ محمد بن إبراهيم الأسدي
- ٢٥٢ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بطباطبا العلوي
- ٢٥٦ محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن المشكيلي
- ٢٥١ محمد بن إبراهيم أبو أمية الحافظ
- ٢٥٤ محمد بن إبراهيم الباخري
- ٢٥٥ محمد بن إبراهيم التيمي
- ٢٥٨ محمد بن إبراهيم بن ثابت بن الكيزاني الواعظ
- ٢٥٦ محمد بن إبراهيم بن جعفر اليزدي
- ٢٥٢ محمد بن إبراهيم بن حبيب الفزاري المنجم
- ٢٥٨ محمد بن إبراهيم بن الحسين الجرباذقاني
- ٢٥٧ محمد بن إبراهيم بن حفص بن شاهين البغدادي
- ٢٥٦ محمد بن إبراهيم أبو حمزة الصوفي البغدادي
- ٢٦٤ محمد بن إبراهيم بن خلف بن زروقة
- ٢٦٠ محمد بن إبراهيم بن خيرة
- ٢٥٤ محمد بن إبراهيم بن دينار المدني
- ٢٥٥ محمد بن إبراهيم بن دينار صاحب الإمام مالك
- ٢٥٤ محمد بن إبراهيم بن دينار بن صندل
- ٢٥٢ محمد بن إبراهيم بن زياد بن المواز المالكي
- ٢٥٥ محمد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي الكبير المالكي
- ٢٥٤ محمد بن إبراهيم بن صدران
- ٢٥٧ محمد بن إبراهيم بن عبد ربه الهذلي
- ٢٦٥ محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الشرش
- ٢٥٦ محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن محدث دمشق
- ٢٥٥ محمد بن إبراهيم بن عبدوس
- ٢٦٣ محمد بن إبراهيم بن علي أبو بكر العطار
- ٢٥٦ محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم خازن كتب صاحب ابن عباد
- ٢٦٤ محمد بن إبراهيم بن غريب الحال
- ٢٥٧ محمد بن إبراهيم بن قحطبة البغدادي
- ٢٦٠ محمد بن إبراهيم بن محمد أبو عبد الله المقرئ البغدادي

- ٢٥٥ محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن العباس الأمير
 ٢٦٠ محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى بن سختويه
 ٢٥٦ محمد بن إبراهيم مربع الأنماطي
 ٢٥٥ محمد بن إبراهيم المصري ابن الخراساني
 ٢٥٢ محمد بن إبراهيم بن المنذر
 ٢٥٦ محمد بن إبراهيم بن موسى بن شقّ الليل
 ٢٦١ محمد بن إبراهيم بن هانيء المغربي
 ٢٥٧ محمد بن إبراهيم بن يوسف الزجاجي النيسابوري
 ٢٥١ محمد بن إبراهيم أبيّ بن كعب
 ٢٥٨ ابن محمد دادا الجرباذقاني، محمد بن إبراهيم بن الحسين
 ١٤٥ محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن الجثّان
 ٢٦٥ محمد الشرش، محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن
 ١١٧ محمد بن صالح بن هبارية الشاعر
 ١٥٥ محمد بن عبد العزيز الأسعدي نور الدين
 ١٤٧ محمد القفصي، محمد بن محمد بن أحمد
 ١١١ محمد بن محمد الكاتب البغدادي
 ١٠٩ محمد بن محمد بن إبراهيم الحنفي
 ١٤٧ محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن الخضر مهذب الدين الحاسب الشاعر
 ١٦٥ محمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان القاضي بهاء الدين
 ١٦٨ محمد بن محمد بن إبراهيم الشاطبي
 ١١٠ محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البرّاز
 ٩٧ محمد بن محمد بن إبراهيم النسوي الشافعي
 ١٠٧ محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم
 ١١٠ محمد بن محمد بن أحمد البصري
 ٢٠٢ محمد بن محمد بن أحمد بن تاج الخطباء القوسي
 ١٣٤ محمد بن محمد بن أحمد الحربي الهمام
 ١٣٢ محمد بن محمد بن أحمد بن الحساس
 ١١٤ محمد بن محمد بن أحمد (أبو نصر) الرامشي
 ١٣٢ محمد بن محمد بن أحمد بن الرسولي

- محمد بن محمد بن أحمد بن سنده المطرز ١١١
 محمد بن محمد بن أحمد الشاماتي الأديب ١١٠
 محمد بن محمد بن أحمد بن الشبلي ١٣٢
 محمد بن محمد بن أحمد الطبري نجم الدين ١٨٢
 محمد بن محمد بن أحمد العميدي ركن الدين ٢١٥
 محمد بن محمد بن أحمد بن المأمون أبو تمام ١٠٨
 محمد بن محمد بن أحمد ابن المسلمة ١٣٢
 محمد بن محمد بن أحمد القفصي ١٤٧
 محمد بن محمد بن أحمد بن محرز البلنسي الشاعر ١٦٢
 محمد بن محمد بن أحمد المضري البطايحي ١٣٣
 محمد بن محمد بن أحمد بن المهدي بالله أبو عبد الله ١٣٢
 محمد بن محمد بن أحمد بن المهدي بالله أبو الغنايم ١٣٢
 محمد بن محمد بن أحمد النجاد المقرئ ١٣١
 محمد بن محمد بن إدريس الشافعي ١٠٧
 محمد بن محمد بن إسماعيل بن شداد الجدوعي ١٠١
 محمد بن محمد بن الأنباري ١٣٠
 محمد بن محمد بن أيوب الملك الكامل ناصر الدين بن العادل أبي بكر ١٣١
 محمد بن محمد بن بهرام القاضي شمس الدين دمشقي ١٦٩
 محمد بن محمد بن بقية ٩٨
 محمد بن محمد بن أبي بكر الكنجي ١٨٣
 محمد بن محمد بن أبي بكر الكوفي ١٦٣
 محمد بن محمد التكريتي الشاعر ١٧١
 محمد بن محمد بن ثابت ابن السكون ١٣٠
 محمد بن محمد بن الجبلي الفرجوطي ٢٠٣
 محمد بن محمد بن جعفر بن الجعفرية الحلبي ١٨٢
 محمد بن محمد بن جعفر بن لنكك ١٣٤
 محمد بن محمد بن جعفر ابن الدقاق ١٠٨
 محمد بن محمد بن جمهور الشعباني ١٣٤
 محمد بن محمد بن الجنان الشاطبي ١٤٥

١٣٥	محمد بن محمد ابن الجنيد
١٧٤	محمد بن محمد بن جهور الأزدي المرسى
١١١	محمد بن محمد بن جهير الوزير فخر الدولة
١٨٨	محمد بن محمد بن الحاج الفاسى العبدري
١١٩	محمد بن محمد بن حامد العماد الكاتب الأصفهاني
١٢٨	محمد بن محمد بن أبي حرب ابن النرسى الشاعر
١٣٥	محمد بن محمد بن الحسن بن حسنكويه
١٣٥	محمد بن محمد بن الحسن بن الديناري
١٨٨	محمد بن محمد بن الحسن ابن العفيف الكاتب
١١٤	محمد بن محمد بن الحسن بن عيشون المنجم الشاعر
١٢٧	محمد بن محمد بن الحسن ابن قزقي
٢٠٩	محمد بن محمد بن الحسن بن نبأة شمس الدين والد الشاعر
١٤٨	محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي
١٣٦	محمد بن محمد بن الحسين بن القلعي الكاتب
١٣٠	محمد بن محمد بن الحسين الخاتوني
١٢٨	محمد بن محمد بن الحسين ابن الخراساني
١٣٧	محمد بن محمد بن الحسين بن خميس أبو البركات
١٨٣	محمد بن محمد بن الحسين ابن رشيق
١٣٧	محمد بن محمد بن الحسين بن صالح زين الأيمة
١٨٣	محمد بن محمد بن حسين بن عبدك الصوفي
١٣٦	محمد بن محمد بن الحسين ابن الفراء ابن أبي يعلى أبو الحسين
١٣٦	محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء ابن أبي يعلى الحنبلي أبو خازم
١٣٦	محمد بن محمد بن الحسين بن المعوّج
١٣٧	محمد بن محمد بن حمدان ابن بطة
١٢٧	محمد بن محمد بن أبي حنيفة القرضي البغدادي
١٠٢	محمد بن محمد بن خالد الطويري
١٢٥	محمد بن محمد بن خالد القيسراني الكاتب
١٣٧	محمد بن محمد بن حطّاب ابن أبي المليح
١٢٦	محمد بن محمد بن زيد بن علي (الشريف المرتضى)

- ١٦٦ محمد بن محمد بن سالم قاضي نابلس
 ١٣١ محمد بن محمد بن سعد الله ابن ملاوي قوس الندف
 ١٦٤ محمد بن محمد بن أبي سعد النيسابوري
 ١٤٣ محمد بن محمد بن سعيد بن ندى الجزري
 ٢٠٩ محمد بن محمد بن السفاسي المالكي شمس الدين
 ١٣٧ محمد بن محمد بن سفيان الدباس
 ١٧٣ محمد بن محمد بن سليمان ابن أبي البقاء البلنسي
 ٩٧ محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث أبو بكر بن الباغندي
 ١٠٨ محمد بن محمد بن سهل أبو الفرج الشلحي
 ١٨٧ محمد بن محمد بن سهل الوزير
 ١٦٣ محمد بن محمد بن صابر الأندلسي المالقي
 ١٢٩ محمد بن محمد بن أبي طالب أبو الخطاب الطيب
 ١٠٢ محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي
 ١٢٥ محمد بن محمد بنظفر الصقلي
 ١٣٧ محمد بن محمد بن عبّاد المقرئ
 ١٦٥ محمد بن محمد بن عباس بن جعوان
 ١٣٨ محمد بن محمد بن عبد الجليل بن كوتاه
 ١١٥ محمد بن محمد بن عبد الحميد الأديب الأندلسي
 ١٥١ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الأسدي قاضي قضاة حلب
 ١٠٧ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حمزة الحمال
 ١٣٩ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الخشاب
 ١٩٥ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطيب بدر الدين
 ١٥٨ محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن قرناص
 ١٨٨ محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن القوبع
 ١٣٩ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الكشميهني
 ١٥٥ محمد بن محمد بن عبد الصمد الأسعدي نور الدين
 ١٤٠ محمد بن محمد بن عبد العزيز بن المهدي الخطيب
 ١٩٥ محمد بن محمد بن عبد القادر الأنصاري
 ١٤٠ محمد بن محمد بن عبد القاهر ابن الطوسي أبو البركات

١٤٠	محمد بن محمد بن عبد كان ابن الضجة المقرئ
١٢٩	محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي الوزير
١٢٨	محمد بن محمد بن عبد الكريم أخو الرافعي
٢٠٣	محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الموصلي
١٣٨	محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي
١٦٧	محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك المعروف بالأسد
١١١	محمد بن محمد بن عبد الله البيضاء القاضي
١٠٨	محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الهروي
١٧٠	محمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري
٢٠١	محمد بن محمد بن عبد الله ابن صغير الطيب ناصر الدين
١٣٨	محمد بن محمد بن عبد الله بن الغزال أبو رشيد
١٣٧	محمد بن محمد بن عبد الله بن الغزال المقرئ
١١٥	محمد بن محمد بن عبد الله الفلنقي المقرئ
١٦٥	محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك الشيخ بدر الدين
١١٧	محمد بن محمد بن عبد الله المفجع
١٠١	محمد بن محمد بن عبد الله الملطي النحوي
٩٧	محمد بن محمد بن عبد الله النفّاح
١٩٥	محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنباري
١٤٠	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ أبو طالب
١٤٠	محمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ أبو غالب
١٤٠	محمد بن محمد بن عبد الوهاب ابن سكينه
١٤١	محمد بن محمد بن عبيد الله بن الشخير الصيرفي
١١٦	محمد بن محمد بن عروس الكاتب
٩٧	محمد بن محمد بن عقبة أبو جعفر الشيباني
١٦٦	محمد بن محمد بن عقيل ابن التّبي
١٤٢	محمد بن محمد بن علي بن الباطوخ الواعظ
١١١	محمد بن محمد بن علي أبو تمام النقيب
١٨٤	محمد بن محمد بن علي ابن خريث
١١٥	محمد بن محمد بن علي الحرّمي الواعظ

- ١٤٧ محمد بن محمد بن علي بن حنا الصاحب تاج الدين
 ١٤٢ محمد بن محمد بن علي الخزيمي الواعظ
 ١٤٨ محمد بن محمد بن علي الدبّاب
 ١٩٤ محمد بن محمد بن علي بن دقيق العيد
 ١٠٩ محمد بن محمد بن علي شيخ الشرف العبدلي
 ١٨٣ محمد بن محمد بن علي ابن الصيرفي
 ١١١ محمد بن محمد بن علي العباسي مسند العراق
 ١٥٣ محمد بن محمد بن علي بن العربي سعد الدين
 ١٥٨ محمد بن محمد بن علي بن العربي عماد الدين
 ١٥١ محمد بن محمد بن علي بن العلقمي الوزير
 ١٦١ محمد بن محمد بن أبي علي بن عمرو
 ١٤٣ محمد بن محمد بن علي بن المعوج
 ١٤١ محمد بن محمد بن علي بن مقلّة
 ١٢٧ محمد بن محمد بن علي الهمداني
 ١٤١ محمد بن محمد بن علي الهيتي أبو المعالي
 ١٠٩ محمد بن محمد بن عمر العلوي نقيب الأشراف
 ١١٥ محمد بن محمد بن عمر بن قرطف
 ١٠٩ محمد بن محمد بن عيسى ابن إسحاق الخيشي
 ٢٠٢ محمد بن محمد بن عيسى النصيبي القوصي
 ١٠١ محمد بن محمد بن عيسى ابن أبي الورد الزاهد
 ١٠٧ محمد بن محمد ابن القاهر بالله
 ١٢٩ محمد بن محمد بن القسم الأخسيكتي ذو المناقب
 ٢١٠ محمد بن محمد بن قوام
 ١١١ محمد بن محمد الكاتب البغدادي أبو الفتح
 ١٦٢ محمد بن محمد بن المبارك الجدائي الكاتب
 ١٣٠ محمد بن محمد بن المبارك ابن مشق
 ٩٧ محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الخزاعي النحوي
 ٢١٨ محمد بن محمد بن محمد افتخار الدين الحنفي
 ٢١٤ محمد بن محمد بن محمد الأنصاري

٢١٤	محمد بن محمد بن محمد البروي الشافعي
٢١٥	محمد بن محمد بن محمد بن بنان الكاتب
٢١٤	محمد بن محمد بن محمد البيضاوي
٢٢٠	محمد بن محمد بن محمد ابن التنسي
٢١٠	محمد بن محمد بن محمد ابن جهير الوزير
٢٣٥	محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن نباة جمال الدين
٢١٧	محمد بن محمد بن محمد خطيب جامع حماة
٢٢٠	محمد بن محمد بن محمد ابن خطيب الزنجيلية
٢٢٠	محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس
٢١٩	محمد بن محمد بن محمد الشريشي القنائي
٢١٨	محمد بن محمد بن محمد ابن الشيرازي
٢٢٠	محمد بن محمد بن محمد ابن الصايغ ناصر الدين
٢١١	محمد بن محمد بن محمد الطالقاني الصوفي
٢٥٠	محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر نور الدين ابن الصايغ قاضي حلب
٢٤٩	محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصايغ أبو اليسر
٢١٩	محمد بن محمد بن محمد ابن عساكر القوسي
٢١١	محمد بن محمد بن محمد العكبري أبو منصور
٢١٤	محمد بن محمد بن محمد العكبري أبو نصر
١٥١	محمد بن محمد بن محمد بن العلقمي الوزير
٢١٧	محمد بن محمد بن محمد بن عمروك البكري
٢١٥	محمد بن محمد بن محمد العميدي ركن الدين
٢١١	محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي
٢١٠	محمد بن محمد بن محمد بن محمش
٢١٤	محمد بن محمد بن محمد بن المعوّج أبو الغنائم
٢١٧	محمد بن محمد بن محمد ابن المولى الكاتب
٢١٦	محمد بن محمد بن محمد النسفي
٢٢٠	محمد بن محمد بن محمد الوزّاق
١٨٨	محمد بن محمد بن محمود البرزالي الحنبلي
١٨٤	محمد بن محمد بن محمود بن دمرتاش الشاعر

- محمد بن محمد بن محمود الكشميهني ١٧١
 محمد بن محمد بن مسلمة الأشيلي الشاعر ١٧١
 محمد بن محمد بن مواهب الشاعر ١٣٠
 محمد بن محمد بن ميناء البعلبكي ٢٠٩
 محمد بن محمد الناصحي الشافعي ١١٠
 محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد ١٠٨
 محمد بن محمد بن نوح الغافقي ١٧٣
 محمد بن محمد بن الهبارية الشاعر ١١٧
 محمد بن محمد بن هبة الله عماد الدين الكاتب ١٦٤
 محمد بن محمد بن وشاح أبو بكر اللباد ١١٧
 محمد بن محمد بن أبي الوفاء القاضي الأصبهاني ١١٧
 محمد بن محمد بن يحيى البوزجاني الحاسب ١٦٩
 محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي أبو الحسن المحدث ١١٦
 محمد بن محمد بن اليعمري الأبتذي ١٧٢
 محمد بن محمد بن يوسف الطوسي الزاهد ١٦٩
 محمد بن محمد بن يوسف الغالب بالله بن الأحمر ١٦٧
 محمد ابن نباتة جمال الدين ٢٣٥
 محمد اليعمري الأبتذي ١٧٢
 ابن محمش، محمد بن محمد بن محمد ٢١٠
 محيي الدين الأسدي قاضي قضاة حلب ١٥١
 محيي الدين الشاطبي، محمد بن محمد بن إبراهيم ١٦٨
 مربع الأنماطي، محمد بن إبراهيم ٢٥٦
 المرتضى الشريف (ليس أخا الرضى) محمد بن محمد بن زيد بن علي ١٢٦
 ابن المسلمة، محمد بن محمد بن أحمد ١٣٢
 مسند العراق أبو نصر العباسي ١١١
 ابن مَسْقُ، محمد بن محمد بن المبارك ١٣٠
 ابن المشكياتي، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ٢٥٦
 أبو المظفر الهروي، محمد بن آدم ٢٥٠
 أبو المعالي الهيتي، محمد بن محمد ١٤١

- ابن المعوج، محمد بن محمد بن الحسين ١٣٦
- ابن المعوج، محمد بن محمد بن علي ١٤٣
- ابن المعوج، محمد بن محمد أبو الغنائم ٢١٤
- المفجع النحوي، محمد بن محمد بن عبد الله ١١٧
- ابن مقلّة، محمد بن محمد بن علي ابن الوزير ١٤١
- ابن ملاوي، محمد بن محمد بن سعد الله قوس الندف ١٣١
- الملطي النحوي، محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ١٠١
- الملك الكامل ناصر الدين، محمد بن محمد بن أيوب ١٥٩
- ابن أبي المليح الواعظ، محمد بن محمد بن خطاب ١٣٧
- ابن المنذر، محمد بن إبراهيم ٢٥٢
- ابن المهدي أبو عبد الله، محمد بن محمد بن أحمد ١٣٢
- ابن المهدي أبو الغنائم، محمد بن محمد بن أحمد ١٣٢
- ابن المهدي الخطيب، محمد بن محمد بن عبد العزيز ١٤٠
- مذهب الدين الحاسب، محمد بن محمد بن إبراهيم ١٤٧
- ابن المواز المالكي، محمد بن إبراهيم بن زياد ٢٥٢
- ابن مواهب الشاعر، محمد بن محمد ١٣٠
- ابن الموصلي شمس الدين، محمد بن محمد بن عبد الكريم ٢٠٣
- موفق الدين الخطيب، محمد بن محمد بن محمد ٢١٧
- ابن المولى نظام الدين الكاتب، محمد بن محمد بن محمد ٢١٧
- مؤيد الدين ابن العلقمي الوزير، محمد بن محمد بن علي ١٥١
- ابن ميناء، محمد بن محمد شمس الدين البعلبكي ٢٠٩

ن

- الناصحي، محمد بن محمد ١١٠
- ابن نباتة، محمد بن محمد بن الحسن شمس الدين ٢٠٩
- ابن نباتة، محمد بن محمد بن محمد جمال الدين ٢٣٥
- النجاد المقرئ، محمد بن محمد بن أحمد ١٣١
- ابن ندى الجزري، محمد بن محمد بن سعيد ١٤٣
- ابن النرسي الشاعر، محمد بن محمد ابن أبي حرب ١٢٨

- النسفي برهان الدين، محمد بن محمد بن محمد ٢١٦
- أبو نصر الرامشي، محمد بن محمد بن أحمد ١١٤
- أبو النصر الطوسي الزاهد، محمد بن محمد بن يوسف ١٦٩
- أبو النصر العباسي، محمد بن محمد بن علي ١١١
- أبو نصر العكبري، محمد بن محمد بن محمد ٢١٤
- النصيري القوسي، محمد بن محمد بن عيسى ٢٠٢
- نصير الدين الطوسي، محمد بن محمد بن الحسن ١٤٨
- النقّاح أبو الحسن، محمد بن محمد بن عبد الله ٩٧
- نور الدين الأسعدي، محمد بن محمد بن عبد الصمد ١٥٥

هـ

- ابن هانئ المغربي، محمد بن إبراهيم ٢٦١
- ابن الهبارية الشاعر، محمد بن محمد ١١٧
- الهمام المرتب الحروبوي، محمد بن محمد بن أحمد ٣٤
- الهيّتي أبو المعالي، محمد بن محمد بن علي ١٤١

و

- الوزّاق، محمد بن محمد بن محمد ٢٢٠
- ابن أبي الورد الزاهد، محمد بن محمد بن عيسى ١٠١
- الوزير القمي، محمد بن محمد بن عبد الكريم ١٢٩
- أبو الوفاء الأصبهاني القاضي، محمد بن محمد ١٢٧

ي

- اليزدي مسند أصبهان، محمد بن إبراهيم بن جعفر ٢٥٦
- ابن أبي يعلى، محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين ١٣٦
- ابن أبي يعلى، محمد بن محمد بن الحسين أبو خازم ١٣٦